منشورات كلية الآداب
جامعة بغداد

مجلة كلية الآداب

العدد
37
2013م

مجلة كلية الآداب

تأسست سنة 1958م

رئيس هيأة التحرير المكلف :

الدكتور عبدالمولى صالح الحرير

أعضاء هيأة التحرير:

الدكتور منصور محمد البابور

الدكتور علي محمد الشويهدي

الدكتور حسني عبدالله بن زابيه

الدكتور عبدالله امحمد عريف

الدكتور أحمد مصباح عريف

استاذ محمد أبوالقاسم الصيد

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة تصدر مرتين كل عام عن كلية الآداب بجامعة بنغازي – ليبيا وتهـــتم بنشر البحوث والدراسات الموثقة في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ولا تمثل الآراء الواردة في المجلة وجهات نظر هيأة التحرير أو الكلية.

المقالات التي ترد إلي المجلة لا تُرَد إلي أصحابها؛ نشرت أو لم تنشر.

تحتفظ المجلة بجميع حقوق ولا يسمح بإعادة الطبع إلا بإذن مسبق

جميع المراسلات ومواد التحرير ترسل إلى العنوان التالي:

مكتب مجلة كلية الآداب

كلية الآداب– جامعة بنغازي

بنغازي– ليبيا

يُرجى إرسال نسختين من كل مقال أو بحث

تلفاكس:0612228824

البريد الإلكترونيart.fact.@lttnet.net

شروط النشر

اولاً : تهدف المجلة إلى نشر الأنماط التالية من البحوث و المقالات :

أ. بحث أو مقال يعتمد أساساً على دراسة ميدانية أو وثائقية لم يسبق استخدامها من قبل ، أو دراسة قائمة على استعمال وثائق أو مخطوطات سبق استعمالها شريطة أن يتناولها الباحث بطريقة مغايرة تنجم عنها نتائج جديدة.

ب. بحث أو مقال يعتمد على اقتراحات نظرية على أن تكون دراسة رائدة لم يسبق نشرها.

ج. إن الفرق بين البحث والمقال لدى مجلة كلية الآداب ينحصر في تقييم هيأة التحرير للعناصر الأساسية الواردة في كل بحث أو مقال:

1. **الاصالة في البحث.**
2. **نوعية المصادر التى اعتمد عليها الكاتب في حالة استخدام أية مصادر .**
3. **حجم الدراسة ومدى الجهد الذي بذل فيها.**

ثانياً : تطلب هيأة التحرير من صاحب المادة المقدمة للنشر ما يلي:

1. يجب أن يكتب عنوان البحث أو المقال على صفحة منفردة بوضوح بالإضافة إلى اسم الكاتب و عنوانه وبعض المعلومات الأساسية الأخرى كمكان العمل و البحوث التى قام بنشرها.
2. يجب ألاَّ يزيد عدد صفحات كلّ بحث أو مقال عن عشرين بما في ذلك الهوامش و المصادر.
3. أن يكون للبحث أو المقال مقدمة تثار فيها المشكلة الماثلة بوضوح وأن تطرح الإجابة في المتن بأسلوب منطقي سلس، ومن ثم الوصول إلى نتيجة للقضية أو المسائل المطروحة .
4. المجلة لا تنشر أي بحث أو مقال سبق نشره.
5. يمكن نشر بحث أو مقال يعتمد كاتبه على مصادر ثانوية إذا ما جاء بفكرة جديدة لم يسبق طرحها أو نشرها .

6. فيما يخص استعمال المصادر فإن سياسة هيأة تحرير المجلة تلزم المؤلف بأن يعطى الاقتباسات والتعليقات أرقاماً مسلسلة في المتن وتلحق هوامش كل صفحة بآخرها ويكتب اسم المؤلف الذي اقتبس منه ثلاثياً وعنوان المصدر والجزء إن وجـــد ، ومكان النشر و السنة وتاريخ النشر و الصفحة أو الصفحات التى اقتبس منها.

7. يرفق بكل بحث أو مقال مقدم النشر ملخص قصير في حدود المائة كلمة يبين فيه الكاتب الغرض من الدراسة وتحديـــد أبعاد المشكلة المطروحة بما في ذلك ذكر بعض الشيء عن طبيعة البيانات المستعملة وطريقة تحليلها وينبغي أن يشير هذا الملخص إلى النتائج العامة التى توصل إليها الكاتب .

8. من سياسة مجلة كلية الآداب أن تحال المادة المقدمة للنشر إلى قارئين كحد أقصى لتقييمها وإذا ما نالـــت استحســـان المقيمين فإنها تعاد إلى الكاتب لإبداء الرأي وإجراء التعديلات النهائية إذا تطلب الأمر ذلك قبل النشر.

9.لهيـــــأة التحريـــــر الحـــــق في عـــــدم نشـــــر أي بحـــــث أو مقـــــال أو دراســـــة تتعـــــارض مع هذه الشروط دون إبداء الأسباب.

ومحتويات العدد37

1. قراءة في المسكوت عنه في سفر التكوين "سيرة يوسف النبي نموذجاً"

الدكتور محمود محمد المهدي .....(7)

2. التغير في بناء السلطة داخل الأسرة العربية تحليل ثاني لمعطيات متاحه

استاذه سعاد محمد مكي .....(18)

3. الأصول الفكرية والثقافية للمجاهد الليبي بشير السعداوي1301هـ-1376هـ/1884م-957م)

الدكتور إبراهيم علي مفتاح الشويرف.....(42)

4.منهج الأوائل في دراسة العربية

الدكتور ونيس مفتاح القماطي.....(108)

5. إجراء المقابلة الفعال Active Interviewing

بقلم J.A.Holsteinand J.F.Gubrium ترجمة الدكتور ميكائيل إدريس الرفادي.....(123)

6.أهمية منهج النظام في الدراسات و الأبحاث في الجغرافيا الطبيعية

الدكتور جبريل امطول.....(146)

7.دراسة وصفية عن مشكلة الطلاق مدينة المرج" من واقع سجلات المحكمة الشرعيه"

الدكتورة سلطنة مسعود أبوبكر .....(160)

8.فَاعِ لاتُنْ) و (مُسْ تَفْعِ لُن) تفعيلتان مفروقتا الوتد مرفوضتان دراسة في علم العروض العربي

الدكتورة هنية الكاديكي .....(174)

9.أهمية الاكتشاف و التدخل المبكر وآثارهما الايجابية على تنمية مهارات الطفل التوحدي

الدكتور مصطفى مفتاح الشقماني.....(201)

10.اصالة الوجود عند صدر الدين الشيرازي رؤية نقدية مقارنة

الدكتور عمر فرج زوراب.....(221)

11.العلاقات السياسة بين طرابلس و مملكة الكانم– البرنو مابين القرنين الثالث– الحادي عشر الهجري

استاذ حمد محمد حمد الجهيمي.....(229)

12. ظاهرة تعاطي المخدرات و الاتجار بها في المجتمع الليبي" دراسة ميدانية لعينة من نزلاء مؤسسة الإصلاح و التأهيل بالكويفية المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات و الاتجار بها"

الدكتور عمر أكريم عبدالنبي.....(244)

13.طرح وتحليل للآراء و التصورات التربوية للفقية المجاهد السيد احمد الشريف السنوسي1873–1933م

الدكتور عبدالمولى صالح لحرير .....(252)

14.مقياس الخجل : إنشاؤه و خصائصه السيكومترية

الدكتور عبدالله عريف..... .....(252)

15.A sty listic Emotive translation with reference to English- Arabic Translation
…….....(280)Yasir AbdulAziz Taha

16.Structure,function and meaning of English passive voice Abstract
Seham salem eltaib…….....(280)

قراءة في المسكوت عنه في سفر التكوين (سيرة يوسفالنبىنموذجا)

الدكتور محمود محمد المهدى

قسم الفلسفة - جامعة بنغازي

تمهيد:

تعد دراسة المسكوت عنه في الجانب العقدي اليهودي، من خلال مفهوم النبوة، مسألة ذات جـــدوى في دراســـة الأديان أو ما يسمي بدراسة الملل والنحل في ثقافتنا الإسلامية، في زمن اضمحلت فيه هذه الدراسات في الوسط الأكاديمي، فمثل هذه الدراسات تعمق الفهم لدى المسلم، وتجعله يمتلك حصيلة لا بأس بها من المعلومات، وفق منهج القراءة الداخليـــة للمعتقد اليهودي، عندما فرضت علينا الظروف الإحتكاك باليهود عسكريا و سياسيا وثقافيا، أي:أننا نسعي بواسطة طرح مثل هذه الإشكالات على خلق آلية للتحاور والتواصل بلغة المحاور نفسه بعيدا عن لغة المعتقد الإسلامي، وهذا من الأمـــور الضرورية في إثراء الذهنية الإسلامية بمعلومات من واقع المعتقد اليهودي المغيب عن جل المسلمين، ولا يعني هذا البعد بهم عن ما جاء به المعتقد الإسلامي أو التشكيك في التصورات والمفاهيم القرآنية، التي بينت حقيقة المعتقد اليهودي،فلا شك أن مثل هذه الإشكاليات التوراتية تعمق فهمنا لمعتقدنا الديني،كما تستدعي دراستها ضرورة الإحاطة والفهم بأكبر قدر من النصوص التوراتية التي تتحدث عن شخصيات مقدسة داخل منظومتنا العقدية وهي شخصيات ينتابها شئ من الغموض داخل النسق التوراتي، مما يعد دافعا نحو دراستها، ومعرفة طبيعتها، وفهم غاياتها.

إن النبوة في مفهومها العام تعني المعرفة الحقة بما يوحي الإله به، وهي من (نبأ) المكان المرتفع، والصوت الخفـــي، وهي الإخبار عن الغيب والمستقبل بالهام من الله[1]، أي أن النبي هو "من أوحي إليه بملك أو ألهم في قلبه أو نبـــه بالرؤيـــا الصالحة"[2] وجاءت التوراة على ذكرعدد من الأنبياء في قوالب متباينة الأمر الذي يحتم ضرورة دراسة سيرهم عبر اختيـــار نموذج توضيحي نستدل منه على حقيقة النبوة في هذا الكتاب، من خلال البحث عن المسكوت عنه في سفر التكوين مـــن واقع سيرة (يوسف) النبي، وهذا الأمر متعلق بالأخلاق و الدين وعلينا أن نعي بوضوح أننا نخوض في إشكالية عقدية أخلاقية ذات تأثير عميق في النفس الإنسانية، ومرتبطة كذلك بعقيدتنا الإسلامية التي قدست أنبياء بني إسرائيل وبينت ما وقعت فيه العقيدة اليهودية من تحريف، وترتب على ذلك مواقف فقهية، وأحكام عقدية ليس من البساطة التغاضي عنها، ولكن تعمدنا أن يكون بحثنا خاليا منها كما بينا أنفا، واعتمدنا على دراسة النصوص اليهودية لبيان حقيقتها و فهم تصوراتها بهدف إرساء منهجية نستخلص منها فهم حقيقة الدين اليهودي من واقع نصوصه، ونستمد منها المقاصد العامة لهذا الدين، ونجد بها تأويلا لما يحدث على الساحة الدولية من أحداث لها علاقة باليهود.

مفهوم النبوة التوراتي:

نقف علي جملة من الأشياء في سفر التكوين تحتاجالى التحليل والقراءة النقدية ومن بينها مفهوم النبوة المسكوت عنه تماما في بنية الأسفار الخمسة pentateuch(التكوين، الخروج،العدد، اللاويين، التثنية)، وسنقتصر هنا علي سيرة الـــنبي (يوسف) لنتبين منها قصور المعتقد التوراتي في بيان المهام المكلف بها النبي، وسنتحدث أولا عن مفهوم النبـــوة في المعتقـــد اليهودي قبل الخوض في طبيعة (يوسف).

تظهر قراءة النص التوراتي، أن المجتمع الإسرائيلي الأول لم يؤمن (بيوسف) بصفته نبيا، كما تبين أن مفهوم النبوة في الأسفار الخمسة لم يكن ذا قيمة، فجميع الأنبياء في هذه الأسفار لم تعط لهم هذه الصفة، (فإبراهيم ويعقـــوب وإســـحاق) كانوا أقرب إلى مفهوم شيوخ القبائل (الآباء) منه إلى مفهوم النبوة، كما كان مفهوم الساحر أقرب إلى (موسى وهارون) في التصور التوارتي.

---

[1]-انظر: جمع من المختصين، **المنجد في اللغة والإعلام**، بيروت:دار المشرق،ط33 ،1992 ،ص784 (نبأ).

[2]- الجرجاني، علي بن محمد : **التعريفات**،تحقيق ودراسة محمدصديق المنشاوي، القاهرة: دار الفضيلة ، 2004 .

لقد فسر النص التوراتي القائل: "انظر قد جعلتك إلها لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك"1، بأن كلمة الإله تعني بأن (موسى) سيأخذ دور الإله أمام (فرعون)، و(هارون) يفسر ما يقوله (موسى لفرعون) هذا ما ذهب إليه الفيلسوف اليهودي اسبينوزا (Spinoza) (1632 -1677 م)2، ويعد تفسيرا غريبا، لا نعلم كيف يكون للإله تمثيلا!، وكيف يقتنع (فرعون) بأن يكون (موسى) إلها و(هارون) نبيا؟ فهل يقصد (اسينوزا) بأن معجزات (موسى) معجزات إلهية أمام (فرعون)، و(هارون) يفسر لعدم فصاحة لسان (موسى)؛ لأن (هارون) كان أكثر بيانا، أما (سيجال)، وهو يهودي أيضا فيعلق على هذا النص قائلا: "أن النبي هو – إن جاز لنا التعبير– فم ربه الذي يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام هذا الرب، كما كان (هارون) بمثابة نبي (لموسى) يبلغ كلام (موسى) إلى الشعب وإلى فرعون"3، وهذه التفاسير متوافقة مع مفهوم (نافئ) أي النبي في العبرية، وهي تعني من يتحدث باسم الإله4.

يخبرنا (عبد الوهاب المسيري) بأن النبوة بوصفها مفهوما لا تتمتع بالوضوح داخل النسق اليهودي، ويرجع ذلك إلى الطبيعة اليهودية كتركيب جيولوجي تراكمي5، وهذا مرده كون المعتقد اليهودي كتب عبر أزمنة مختلفة، وبعقليات متباينة، أي: بعد وفاة (موسي) بقرون، واليهود عندما كتبوا التوراة كرسوا جهدهم في بيان العلاقة بين الإله والشعب اليهودي في كونها علاقة أقرب إلى الأبوة ، وتعد بذلك ديانة امتزجت فيها الوثنية والحلولية6 بالتوحيد، ولهذا لم يكن مفهوم النبوة على درجة عالية من الوضوح في المعتقد اليهودي، وعلى هذا الأساس تقريبا نظر إلى النبي نظرة دونية ذات صلة بالساحر والكاهن، ولهذا لا تستطيع التمييز بسهولة بين هذه المفاهيم في بنية النص اليهودي الذي يصف النبي في بعض أسفاره بأنه ضارب للدف وعازف على الآلات الموسيقية ويقوم ببعض الرقصات حتى تتحقق نبوءته، وربما يسعى في ذلك إلى خلع جميع ثيابه حتى يصبح عاريا تماما " فخلع هو أيضا ثيابه وتنبأ هو أيضا أمام (صموئيل)، وانطرح عريانا ذلك النهار كله وكل الليل لذلك يقولون: أشاؤل أيضا بين الأنبياء؟"7، هذا ما جاء به سفر (صموئيل) الأول الذي نلتمس فيه تعريف النبوة في المعتقد اليهودي، والذي نحسبها ضربا من الجنون وحركات هستيرية يقوم بها المتنبئ أمام أعين الناس، وهذه الطريقة التي تتكرر في هذا السفر وغيره تعد تنبؤا وقتيا بأشياء لا تمت بصلة للوحي، وهذا الأمر على ما أعتقد هو الذي جعل(اسبينوزا) يصرح قائلا "لسنا ملزمين بالإيمان بالأنبياء إلا فيما يتعلق بغاية الوحي وجوهره، أما فيما عدا ذلك فيستطيع كل فرد أن يؤمن بما يشاء بحرية تامة"8.

---

[1]- سفر الخروج: الإصحاح السابع، 1.

[2]- اسبينوزا: **رسالة في اللاهوت والسياسة**،،ترجمة وتقديم حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، بيروت:دار التنوير للطباعةوالنشر، طبعة2005 ص 119.

[3]- سيجال، م. ص:**حولتاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل**، مقال ضمن كتاب: ظاظا، حسن: **أبحاث في الفكراليهودي**،دمشق: دار القلم،ط2 ،2002 ، ص 62.

[4]- المسيري، عبد الوهاب: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، الموسوعة الموجزة في جزأين، القاهرة: دار الشروق، ط2 ،2005 ، ص 31.

[5]- نفسه، ص 31

[6]- امتداد لفكرة الفناء عند الصوفية، وقالت المسيحية أيضا بحلول الاله في جسم عباده، وهي حلول اللاهوت في الناسوت. انظر : مجمع اللغة العربية، **المعجم الفلسفي**، بيروت، عالم الكتب،1979 ، ص76 ،(حلول).

[7]- سفر صموئيل الأول: الإصحاح التاسع عشر، 24

[8]- اسبينوزا: **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ص 162

مفهوم النبي حسب تصور سفر (صموئيل) يجب ألا يعمم على كل الأنبياء في العهد القديم، لأن سفر (إشعياء) يبرهن علي وجود الدعوة إلى إقامة مملكة الرب لا لأجل السيطرة الدنيوية أوالمنافع المادية، بل لإقامة العبادة والطاعة " وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلم إلى جبل الرب إلى بيت إله (يعقوب) فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله، لأنه من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب فيقضي بين الأمم وينصف لشعوب كثيرين، فيطبعون سيفهم سككا ورماحهم مناجل، لا ترفع أمة على أمة سيفا، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد"[1]،تصور يوضح ضرورة التمسك بأحكام الشريعة والرجوع الي الله، ومن هنا لاحت في الأفق اليهودي القديم وسادت نغمة لم يكن لها أثر في المصادر والمراجع الأدبية القديمة أنها " فكرة الذنب الأخلاقي وليس الشعائر الصرفة"[2] على حد تعبير توكاريف (Tokarief).

ويمكن استنباط فكرة الذنب الأخلاقي من بعض أسفار العهد القديم القائلة "اغتسلوا تنقوا، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني، كفوا عن فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، أنصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة"[3]، ففي مثل هذه النصوص الدعوة إلى الأخلاق والرجوع للقيم: الرحمة، والعدل، والإحسان، ولكن في حدود الانغلاق، و لم تصل إلى درجة الشمول، فالأنبياء في هذه الفترة من تاريخ الديانة اليهودية عملوا على إصلاح المجتمع اليهودي، وكانوا مصلحين اجتماعيين، وهذا العمل الإصلاحي واضح في سفري (أشعياء) و(إرميا) وغني عن التحليل والتوضيح.

وبعد هذا يحق لنا أن نتساءل عن طبيعة الآباء(إبراهيم،إسحاق، يعقوب) في سفر (التكوين)، و هل نظر إليهم بصفتهم أنبياء؟ وهل كان التصور التكويني مطابق للتصور في سفري (أشعياء) و(إرميا) هذا إذا ما عرفنا بأن الآباء كانوا يستمعون لأصوات كما كانوا يجالسون أشخاصا بصفتهم الإله[4]، وربما يتصارع الأب مع الإله مصارعة ندية (شخص لشخص) كما حدث (ليعقوب)[5]، فالرؤية المجردة للإله حضورها واضح في هذا السفر، الأمر الذي يبين بأن الآباء لم يعرفوا بكونهم أنبياء، فهذه الصفة تختفي أمامنا بشكل نهائي في سفر (التكوين)، والوسيط بين السماء والآباء (الوحي)[6] لا أثر له في سفر (التكوين)، وإن كان هناك في بعض فقراته لفظ ملاك الرب[7]، فلا يعني هذا وجود الوسيط بين الإله والمختارين من عباده (الآباء)، حيث يوحي السفر للقارئ بعلاقة الندية بين الإله والمخلوق أكثر من أي علاقة أخري، فمسألة صراع يعقوب مع الإله ليس من المسائل الهينة في الجانب العقدي الخاص بمفهوم الإلوهية والنبوة في الأديان الكتابية، وكذلك مجادلة (إبراهيم) للإله (حسب التصور التوراتي) حول دمار (سدوم) و(عمورة)[8] فيها بيان على الندية بين الإله والمخلوق، فكأن (إبراهيم) في هذا التصور يجادل إنسانا محدود الفهم والقدرة، وإن كان (اسبينوزا) يبررها بتبريرات منطقية بعض الشيء، عندما قال " إن النبوة لم تجعل الأنبياء أكثر علما بل تركتهم على آرائهم التي كونوها سلفا"[9]،ثم يستمر(اسبينوزا) قائلا" كان إبراهيم بدوره يجهل أن الله موجود في كل مكان، وأنه عليم بكل شيء فعندما سمع الحكم الذي صدر ضد سكان

---

[1]- سفر إشعياء: الإصحاح الثاني، 3-4

[2]- أ. توكاريف، سراغي: **الأديان في تاريخ شعوب العالم**، ، ترجمة أحمد.م فاضل، دمشق: الأهلي للطباعة والنشر،ط1 ،1998 ، ص 380.

[3]- سفر إشعياء: الإصحاح الأول، 16-17

[4]- سفر التكوين: الإصحاح الثامن عشر، 1-8

[5]- سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثون، 24-29

[6]- معناه كشف الحقيقة كشفا مباشرا يتجاوز الحس يقتصر على من يختاره الله لذلك، وعند فلاسفة الإسلام: إنه إتصال النفس الإنسانية بالنفوس الفلكية اتصالا روحيا، انظر: مجمع اللغة، **المعجم الفلسفي**،،ص212 (وحي).

[7]- سفر التكوين: الإصحاح السادس عشر، 7

[8]- سفر التكوين: الإصحاح الثامن عشر، 23-33

[9]- اسبينوزا: **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ص 151

سدوم توسل إلى الله ألا ينفذ حكمه حتى يتأكد من أن جميعهم يستحقون هذا العذاب"[1] حسب ما يرى (اسبينوزا) الأنبياء بشر عاديون يجهلون الغيب ويجهلون ما وراء الأحداث ما لم يوح إليهم، وهذا الرأي لا يخالفه فيه أحد هذا من ناحية تعليل الطبيعة البشرية للأنبياء، أما في تحليل النص التوراتي المتحدث عن صراع (يعقوب) للإله ومجادلة (إبراهيم) للإله، فيمكننا أن نحللها بخلاف ما ذهب إليه (اسبينوزا)، ونضعها في إطار محاولات الكاتب التوراتي لتقليل من الذات الإلهية وجعلها في مرتبة متساوية مع الذات الإنسانية (تصارع وتأكل وتشرب)، وفيه بيان بأن مفهوم النبوة لدى الكاتب التوراتي لم يكن على درجة عالية من الوضوح، وعليه فإن مصطلح الآباء لم يطلق هكذا؛ بل كان فيه بيان عن كونهم مجرد رؤساء عائلات، وهذا يعني البعد بهم عن مفهوم الأنبياء، وهذا ما يؤكد عليه (العقاد) بأن الأنبياء الأوائل ما هم إلا رؤساء قبائل تبرم بواسطتهم العقود على أمر الترحال والإقامة[2]، ويستمر موضحا بأن العبرانيين قد استعاروا لفظ النبي من العرب في شمال الجزيرة؛ لأنهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالآباء[3] كما يرى ميرسيا إلياد (Meiresya-A-) وكذلك سيجال (Ceyjall) بأن مفهوم النبوة الوجدية تغوص جذورها في الديانة الكنعانية[4]، عموما فإن لفظ النبي لم يعرف في الأوساط اليهودية، بل لفظ الرائي هو المتداول لديهم في الأسفار المتأخرة[5]، ولفظ الآباء هو المتداول عندهم في الأسفار الخمسة، ولاسيما في سفر التكوين.

سيرة يوسف النبي في سفر التكوين:

بجانب سيرة الآباء تعد سيرة (يوسف) التوراتية نموذجا للمسكوت عنه تجاه النبوة فمن حديثه مع الساقي والخباز داخل السجن نستنتج تعلقه بالحياة وبعده عن الحياة الروحية وخوفه من الموت في السجن، ويبرهن عن المسكوت عنه في سفر التكوين (الدعوة التوحيدية)، ففي حديث (يوسف) غياب صريح لهذه المهمة المناطة بالرسل والأنبياء، فلم يذكر أي شي عن عبادة الواحد الأحد لصاحبيه في السجن، بل أظهر لهما رغبته في الخروج من السجن والنجاة منه فقط، قائلا: للساقي عندما فسر له حلمه : "إنما إذا ذكرتني عندك حينما يصير لك خير ، تصنع إلي إحسانا وتذكرني لفرعون وتخرجني من هذا البيت"[6] فلم يبين المدون التوراتي عبر سرده لسيرة (يوسف) أي شئ عن نبوءته؛ بل سكت عنها كما سكت من قبل عن نبوة (إبراهيم وإسحاق و يعقوب) ، وإن إدرك المدون قيمة (يوسف) التنبوئية (تفسير الاحلام).

نكتشف بأن (يوسف) في التوراة يحلف بحياة فرعون لإخوته بدلا من رب العالمين الذي وهبه الحياة ومكانه من سيدة مصر "الأمر الذي لا يتفق ومكانة النبوة بحال من الأحوال"[7]، وهذا التصور يعد انحرافا

---

[1]- نفسه، ص 154.

[2]- انظر: العقاد، عباس محمود: **أبو الأنبياء**،بيروت: المكتبة العصرية،ط2 ،2006 ، ص 147

[3]- نفسه، ص 150.

[4]- انظر: إلياد، ميرسيا: **تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية**، ترجمة عبدالهادي عباس، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ط1 ،1986، ص 227. وكذلك، سيجال، م، ص، **حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل**، ص 63. وما تجدر الإشارة إليه أن الكنعانيين:هم شعب سامى استوطن في (الألف الثالث ق م) القسم الغربي من فلسطين. انظر: جمع من المختصين، **المنجد في اللغة والاعلام**، ص470

[5]- جاء في سفر صموئيل الأول الإصحاح التاسع الفقرة 9" هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي" ويعلق سيجال وهو من أبرز المفكرين اليهود على حسب ظن حسن ظاظا على هذا النص قائلا: " استنتجوا منها أن الاسم نبي مستحدث في حقبة من الحقب التي سبقت عصر الكاتب لهذه الحاشية، وأنه قبل ذلك لم تكن التسمية "نبي" معروفة في إسرائيل"، سيجال، م، ص، **حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل**، ص 62.

[6]- سفر التكوين : الإصحاح الأربعون ، 14

[7] - مهران ، محمد بيومي : **دراسات تاريخية من القرآن الكريم** ،بيروت: دار النهضة العربية، ط1 ،1988 ، ص131

عن المضمون الحقيقي المفترض إيجاده في سيرة الإنبياء، ويمكن تأويل النص المتحدث عن طبيعة هؤلاء الإنبياء ولاسيما سيرة (يوسف) باعتبارها نموذجا للمسكوت عنه بأنه تعمد قام به المدون ليجعل من (يوسف) رجل دولة واقتصاد ومدبر شؤون الملك، حيث علم خبراء مصر كيف يواجهون قحط السنين ويكسبون من ذلك الفضة ، وهذا دليله عندما "جمع يوسف كل الفضة الموجودة في أرض مصر وفي أرض كنعان بالقمح الذي اشتروا وجاء (يوسف) بالفضة إلى بيت (فرعون)"1، وكذلك عندما استغل حاجة الشعب "فقال (يوسف) للشعب :إني قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون"2، وكان ذلك مقابل الحصول على لقمة العيش ، وإن كان المستفيد هنا فرعون مصر إلا أن المدون حاول إبراز المفاهيم الاستحواذية أكثر من المفاهيم الروحية في سيرة (يوسف)،أي: غيب نبوته، لأجل غرس مفاهيم وغايات ذات طابع نفعي اقتصادي، بحيث أصبح (يوسف) يحمل صفة الرجل السياسي والاقتصادي، وهذا لبيان أن اليهودي من خلال السكوت عن حقيقة (يوسف) أينما حل فهو المنقذ والمدبر وموضع ثقة الآخر دائما ، وهذا ناجم عن كون المدون يحاول تمويد سيرة (يوسف) أسوة بسيرة (إبراهيم) وبقية الأنبياء، هذا بجانب جعله رمز المنافع الاقتصادية المتمثلة في سيطرته على توزيع الأرزاق وفق شروط صارمة سنها للشعب (أخذ الأراضي و استعباد أهلها) ، ونجد هذه المنافع بارزة أكثر من أي شيء آخر بحيث لم يستطع المدون الانفكاك من جعل الآباء وذريتهم رموزا للمصالح الدنيوية أكثر من أي مصلحة روحية، وهذا ما دفع المدون إلى حجب إنسانية الإنبياء،وخاصة (يوسف)، وإن جاء على عفته ونزاهته إمام مطالب زوج سيده.

إن الثابت المتكرر في بنية النص التوراتي، هو تعمد مدون الأسفار إخفاء النبوة وهذا يثير تساؤلات عديدة حول أسباب ذلك، وربما استطعنا بيان ذلك أو اقتربنا منها بعض الشيء.

نستشف من بنية النص الديني اليهودي التأكيد علي الجانب الدنيوي(حب الحياة، حب المال،حب الولد،...إلخ)،فعندما نتمعن سيرة الإنبياء التوراتيين يظهر لنا ذلك جليا، وهذا يعد إشكالا من إشكالات المعتقد التوراتي، الذي يحاول إبراز جملة من المفاهيم و التصورات المنتمية للمجتمع المغلق المؤسس علي الأنانية وحب الحياة من خلال ما يسرده (المعتقد) عن حياة الأنبياء التي لا يمكننا فك الارتباط بينها وبين الحب المفرط تجاه الدنيا وملذاتها، فما فعله (يوسف) في تعامله مع إخوته عند دخولهم مصر يحمل طابع الغايات النفعية والمقاصد الدنيوية، فالعواطف التي أظهرها تُجاه إخوته قائمة علي استغلال الآخر، وبيان ذلك في قوله لإخوته، "فيكون إذا دعاكم فرعون وقال : ما صناعتكم ؟ أن تقولوا : عبيدك أهل مواش منذ صبانا إلى الآن ،نحن وآباؤنا جميعاً .لكي تسكنوا في أرض جاسان لأن كل راعي غنم رجس للمصريين"3، إن الاهتمام بالأرض والغنم يعد من الجزئيات التي أخذت مكانة بارزة عند مدون التوراة، ولاسيما في سفر التكوين، وهنا تم بلورة النص وفق رؤية الاستحواذ والاستغلال، فذكر مهنة الرعي وتحديد المكان من قبل (يوسف) لأخوته ينتميان لهذه الرؤية شكلا ومضمونا.

---

[1]- سفر التكوين : الإصحاح السابع و الأربعون ،14

[2]- سفر التكوين : الإصحاح السابع والأربعون ،23 ، انظر: مهران ، محمد بيومي : **دراساتتاريخية من القرآن الكريم** ،ص 128، بخصوص الزعم التوراتي القائل بأن يوسف إشترى كل أرض مصر.

[3] - سفر التكوين : الإصحاح السادس والأربعون ،33 -44

- **سيرة يوسف في النص الهجادي[1] ومخطوطات البحر الميت[2]**:

يبين النص الهجادي ونص المخطوطات القمرانية (فيما يخص سيرة يوسف) اتفاقا يسترعي منا الانتباه ؛ لأنه لا يتفق مع النص التكويني المتحدث عن سيرة (يوسف) ،ويؤكد على قطيعة بينهما الأمر الذي يضع احتمال وجود التأثيرات الدينية المتأخرة في بنية النصين الهجادي والمخطوطات ويوضح متناقضات الدين اليهودي ويؤكدها.

أ- يوسف في التصور الهجادي :

هناك قطيعة في سيرة (يوسف) بين التصور التكويني و التصورالهجادي وتحديدا في جانب النبوة ، حيث تبين الهجادة صوم (يوسف) ودعائه في غرفته تضرعا لربه ليذهب عنه كيد زوج سيده التي تطارده لأجل الحصول على شهوتها3، وفي هذا دلالات نبوته المسكوت عنها في سفر التكوين والحاضرة في الهجادة حضورا لا يخفي على أحد ، وهذا الأمر يجعل الشكوك تحوم حول القصص الهجادي الذي يروي قصصا شبيها بالقصص القرآني، مما يعني أن النص الهجادي قد تابع ضبط الحياة الروحية لإنبياء التوراة تحت شبكة فقهية تابعت جزئيات وتفرعات سيرة الإنبياء، وهذا يحتم الاستئناس بالنصوص المتأخرة، ويذهب (العقاد) في كتابه (إبراهيم أبو الأنبياء) إلى ترجيح ذلك قائلا:" من الراجح جدا أن اليهود رجعوا إلى المصادر العربية في رواية قصص المدراش وما إليها،لأنهم كادوا أن ينحصروا في بلاد الدولة العربية من صدر الإسلام إلى القرن الثالث للهجرة، وكادت بحوثهم الفقهية في ديانتهم أن تكون اقتباسا من بحوث علماء الكلام المسلمين"4.

يتحدث كتاب (أساطير اليهود) عن القصص الهجادي، ويبين أن (يوسف) كان يخاطب بلغة الإنبياء من حاولت إغواءه في عدة فقرات منها:

- "وحاول إثناءها عن نوازعها الخاطئة مذكرا إياها بكلام الرب"5.
- "ولما رأت أن كل ذلك بلا فائدة ، اقتربت منه وطلبت منه أن يعلمها كلام الرب"1.

---

[1]- تنتمي الهجادة إلي التلمود Talmud و هو كتاب دون بعد موت موسى، ويعتقد اليهود بأنه أستلمه شفهيا بجانب ألواح الشريعة (التوراة)، وينقسم التلمود **وفق الشكل** إلى المدراش(التعقيبات والشروح) والمشنا(متن التلمود)، و**وفق المحتوي** إلى فرعين هما: الهلخاه Halacha، وهي مجموعة الشرائع والقواعد الطقوسية، و الهجادة Haggadi، وهي النص القصصي الذي يحمل الأمثلة الإيضاحية،وأجزاء من السير والتاريخ والطب والتنجيم والفلك والتصوف، وهي مليئة بالأساطير، و الهلخاه و الهجادة يشكلان ما يسمي بالجمارا، وهي تحليل وتذييل للمشنا. لمزيد المعلومات انظر:أحمد، إبراهيم: **إسرائيل والتلمود**،القاهرة: مكتبة الوعي العربي،ط1 ،1967 ،ص66 ، وكذلك شتاينسالتر،أدين: **مدخل إلى التلمود**،ترجمة فينيا الشيخ، دمشق: دار فرقد، ط1 ،2005 .

[2]-تعد المخطوطات جديدة العهد من حيث الظهور، تم اكتشافها عام 1947م في كهوف قمران، التي تبعد حوالي 13كم عن مدينة أريحا، وتم الإعلان عنها في 1948م علي يد الأستاذ يسنكك ، وهي تخص الطائفة الإسينية(القرن الخامس قبل الميلاد)،وننبه إلى ضرورة التحري التاريخي عن مصداقيتها وأسباب ظهورها في هذه الفترة، ودراسة ما فيها من تشابه مع الإرث الإسلامي نظرا لوجود قطيعة بينها وبين التوراة.

[3]- انظر: جنزبرج ، لويس : **أساطير اليهود** ، ترجمة حسن حمدى السماحى، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2002 ، ص45

[4]- العقاد، محمود: **أبو الانبياء**،ص43، وهو ما يعززه على سامى النشار، في **كتابه نشأة الفكر الفلسفي فيالإسلام(اليهودية)** ،الجزء1، القاهرة: دار الفكر،1971.
النشار،

[5]-جنزبرج ، لويس : **أساطير اليهود**، ص 45

- فقال : "إن الرب لا يريد ممن يخافونه أن يعيشوا في دنس ،ولا يحب الزناة"[2].

يذكر (يوسف) زوجة سيده (فوطيفار)[3] بكلام الرب ويعظها، وفي هذا بيان نبوة (يوسف) وطهارته، وهنا تتضح إشكالية الاختلاف السردي بين النصوص الدينية اليهودية، وما تحمله من مضامين، الأمر الذي يجعلنا نبرز هذه الإشكالية، لتكون موطن بحث وتحليل لمن يريد تناولها.

ب – يوسف في المخطوطات :

مخطوطات البحر الميت توضح أسباب امتناع يوسف عن فعل الفاحشة وترجع ذلك إلى سلالته الطهارة "وتذكرالرب وبعض كلام (إبراهام) الذي كان يردده (يعقوب) أبوه : ألا لا يزنيين أحد من الرجال مع امرأة متزوجة ؛ فالعقوبة بالموت هي المقررة ضده في السماء ، بحضرة الرب العلي ، وتسجل هذه الخطيئة له في الكتب الخالدة (التي) هي أمام الرب وتذكر (يوسف) هذا التصريح ورفض أن ينام معها"[4]، ونجد في المخطوطات على لسان (يوسف) قوله : "لقد عهد لي رئيس طباخي (فرعون) مترله ، وكنت أصارع ضد امرأة سفيهة ، كانت تدفعني لخرق الشريعة معها ،لكن إله آبائي حررني من الشعلة الحارقة"[5].

نص المخطوطات فيه جملة من المضامين النبيلة، والمفاهيم النبوية التي جاءت على لسان (يوسف)، ولم نعثر على مثلها في سفر التكوين ، ومنها على سبيل المثال ما ذكرته آنفا و ما يلي[6] :

"فكنت أدخل غرفتي وأصلي للرب باكيا"

"كنت أصوم طيلة سبع سنوات"

"وجهت لها كلام العلي"

ويمكن وضع ما نريد قوله في مجموعة من النقاط لغرض توضيحها على النحو التالي:

تذكر يوسف لنصائح (إبراهيم) و(يعقوب) الرامية للطهارة والعفة وهذا غائب تماما في سفر التكوين ، ولا أثر له في العهد القديم كله.

إشارات النبوة أكثر وضوحا مما وجدنه في سفر التكوين .

---

[1] - نفسه ، ص46

[2]- نفسه ، ص46

[3]- حسب سفر التكوين هو خصي فرعون، ورئيس الشرطة، ولا يفوتنا بأن التوراة وصفت فوطيفار بالخصي،فهل يتزوج خصيان القصور؟!، إنها من متناقضات النص التي يجب التنويه إليها لبيان عدم مصداقية المدون في طرحه لماسأة يوسف في القصر الفرعوني بصورتها الحقيقية.

[4]- **مخطوطات البحر الميت**:تحقيق أندرية دوبوبرا وآخرين، ترجمة موسى الخوري،دمشق: دار الطليعة، الجزء الثاني ،1998 ، ص248.

[5]- نفسه ، ص432

[6]- هذه النقاط تجدها في **المخطوطات** ،الجزء الثاني ، ص433

حضور ذكر يوم الحساب بعد الممات ، وهذا فيه بيان العدالة الإلهية المفقودة في سفر التكوين.

خلاصة القول:

إن الاختلاف بين ماجاء في سفر التكوين والنصوص الأخرى في الديانة اليهودية يؤكد على صدق شكوك الباحثين تُجاه بنية العقيدة اليهودية، ويجعل من احتمال وجود التأثيرات الدينية المتأخرة (القرآن) في بنية المخطوطات شيئا واردا وموضعا للتساؤلات في مجال البحث العلمي ، كما ينطبق هذا الاحتمال على بنية النص الهجادي.

كما يعطي تتبعنا للمسكوت عنه في سفر التكوين، فهما وإدراكا أكثر لبنية المعتقد الديني اليهودي،التي تنم عن نوازع يهودية آنية ومستقبلية، وهذا ندركه في تطلعات اليهود الاستحواذية في عصرنا، فمسألة بيان المسكوت عنه تظهر باطن النص وحقيقته، إذا ما قورن بالنصوص الأخرى، وهذا يعد ميدانا خصبا للبحث الأكاديمي.

قضية غياب الدعوة التوحيدية في سفر التكوين أحد الأسفار المنسوبة إلى (موسى) يجعل القول بقدسية العهد القديم محط السؤال الديني، وكذلك التاريخي والسياسي، والإجابة عن مثل هذا السؤال يعطي بعدا إيديولوجيا للذهنية اليهودية نستقرئ من خلاله كيف استثمر اليهود معتقدهم الديني في غايات مختلفة عملت علي تغيب البعد الإنساني في تصرفات الفرد اليهودي والجماعة اليهودية.

ثبت المراجع

– أ. توكاريف، سراغي: الأديان في تاريخ شعوب العالم،ترجمة أحمد.م فاضل دمشق: الأهلي للطباعة والنشر،ط1 ،1998.

– أحمد، إبراهيم: إسرائيل والتلمود، القاهرة: مكتبة الوعي العربي،ط1 ،1967.

– اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة،ترجمة وتقديم حسن حنفي، مراجعة فؤاد زكريا، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 2005.

– الجرجاني، علي بن محمد : التعريفات،تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي، القاهرة: دار الفضيلة ، 2004 .

– العقاد، عباس محمود: أبو الأنبياء،بيروت: المكتبة العصرية،ط2 ،2006.

– الكتاب المقدس: القاهرة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ترجم من اللغات الأصلية، ط3 ،2005 .

– المسيري، عبد الوهاب:موسوعةاليهود واليهوديةوالصهيونية،الموسوعة الموجزة في جزأين القاهرة: دار الشروق، ط2 ،2005.

– إلياد، ميرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر،ط1 ،1968 .

– جمع من المختصين، المنجد في اللغة والإعلام، بيروت:دار المشرق،ط33 ،1992.

– جتربرج ، لويس : أساطير اليهود ، ترجمة حسن حمدى السماحى، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، ط1 ،2002 ،1986.

– شتاينسالتر،أدين: مدخل إلى التلمود، ترجمة فينيا الشيخ، دمشق: دار فرقد، ط1 ،2005 .

– ظاظا،–حسن: أبحاث في الفكر اليهودي، دمشق: دار القلم،ط2 ،2002.

- مجمع اللغة، المعجم الفلسفي، بيروت، عالم الكتب،1979 .

- مخطوطات البحر الميت:تحقيق أندرية دوبوبرا وآخرين، ترجمة موسى الخوري،دمشق: دار الطليعة، الجزء الثاني ،1998 .

- مهران ، محمد بيومي : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ،بيروت: دار النهضة العربية، ط1 ،1988 .

التغير في بناء السلطة داخل الأسرة العربية:

تحليل ثانٍ لمعطيات متاحة

سعاد محمد مكي أبوزيد

قسم علم الاجتماع – جامعة بنغازي

ملخص

تمثل هذه الورقة البحثية محاولة لرصد مظاهر التغير في نسق السلطة داخل الأسرة العربية؛ إذ إن ما تشهده المجتمعات العربية من تحولات منذ استقلالها واتجاهها نحو تنمية مجتمعاتها وتحديثها، كان له انعكاسات متعددة أصابت انساق البناء الاجتماعي كافةً، وكون الأسرة أحدى أهم دعائم هذا البناء فإنها كانت من بين من تلقوا هذه التأثيرات لتنعكس في جوانب متعددة فما كان يصلح لحياة الأمس بات غير مناسب لحياة اليوم ، ومن هذا المنطلق شهد نسق السلطة داخل الأسرة في مجتمعاتنا العربية تغيرات ليست باليسيرة، وقد تم تناول هذا الموضوع من خلال التعرض لمفهوم السلطة والقوة، وبناء السلطة داخل الأسرة بصفة عامة والأسرة العربية على وجه الخصوص، ومن ثم التركيز على ابرز مظاهر السلطة في الأسرة العربية بنمطيها الريفي والبدوي مقابل النمط الحضري.

المقدمة:

يتأثر المجتمع بشكل واضح بعملية التغير الاجتماعي، وتظهر آثار هذه العملية في العديد من المظاهر، التي يمكن الاستدلال عليها في مختلف أنساق البناء الاجتماعي، ومنها نسق الأسرة وما يتصل به من جوانب متعددة ، ويركز هذا البحث أساساً على إظهار الخصوصية في نسق السلطة داخل الأسرة الذي استجاب للتغير في العديد من جوانبه، سواء في علاقة الزوج بزوجته أو الأب بأولاده، وعلاقة من هم أكبر سناً بمن دونهم. ورغم الأسس التي تكاد تكون مشتركة لمفهوم السلطة بين كافة أنساقها، فإن ذلك لا ينفي ما يتضمنه مفهوم السلطة من اختلاف في الدلالة عند اقترانه بنمط خاص بعينه؛ فالسلطة في نطاق الأسرة مثلاً تعكس قدراً من التباين والاختلاف عن السلطة في نطاق الدولة؛ فالعلاقة بين الحاكم والمحكوم تعكس نمطاً مغايراً لذلك الشكل الذي تعكسه علاقة الآباء بالأبناء في إطار مفهوم السلطة الممارسة في كل من العلاقتين؛ فطبيعة كل تنظيم اجتماعي تفرض نمطاً خاصاً يتماشى وطبيعته؛ لهذا تختلف – بطبيعة الحال–عمّا عداها من السلطات الاجتماعية الأخرى، وإن كانت تتفق معها أو تختلف في بعض الجوانب، كالشرعية، والضبط والتنظيم، والقهر، .. إلخ ويعرض هذا البحث التغير الذي شهدته المجتمعات العربية في نسق السلطة داخل الأسرة من خلال التعرض للنقاط الآتية:

- **أولاً تحديد مشكلة البحث وأصولها النظرية والمنهجية.**
- **ثانياً في مفهوم السلطة والقوة.**
- **ثالثاً بناء السلطة داخل الأسرة.**
- **رابعاً ابرز مظاهر السلطة في الأسرة العربية الريفية البدوية.**
- **خامساً ابرز مظاهر السلطة في الأسرة العربية الحضرية.**
- **سادساً عرض الدراسات السابقة ومناقشتها.**
- **مناقشة النتائج والاستنتاجات.**

أولاً: تحديد مشكلة البحث وأصوله النظرية و المنهجية:

يشير مفهوم التغير الاجتماعي إلى أحد أبرز المظاهر المعبرة عمّا يمتاز به المجتمع من حركة و دينامية؛ مما يدعو إلى رصده وتفسيره ومحاولة فهم القواعد التي تحكمه؛ فارتباط بعض الأنساق الاجتماعية مع بعضها الآخر يجعل من أي عملية تغير – مهما كانت درجتها– عملية معقدةً ومتشابكةً ومتشعبةً، ولا تكاد تخلو أي دراسة للمجتمع من محاولة فهم تأثير التغير الاجتماعي على الموضوع المدروس؛ فالتغير الاجتماعي يلقي بظلاله على أغلب الظواهر والمشكلات الاجتماعية. ويتمحور موضوع هذه الورقة البحثية حول التغير في نسق السلطة داخل الأسرة العربية.

فانقسام الباحثين في وصف بنية الأسرة العربية – وخاصة فيما يتصل ببناء السلطة داخلها- يدعو إلى محاولة الوقوف على حقيقة الوضع داخل الأسرة العربية، حيث ينقسم الباحثون العرب إلى اتجاهين :

الاتجاه الأول : تمثله الكتابات التي انتقدت بشدة بنية الأسرة العربية ووصفتها بالتسلطوالقهر، مما ينعكس سلباً على الشخصية العربية، وتجسد هذا الاتجاه كتابات كل من حليم بركات، وهشام شرابي، وعلي زيعور، حيث يرى بركات أن العائلة العربية رغم ما تمر به من مرحلة انتقالية فإن البنية الهرمية الطبقية السائدةفي الأسرة العربية – التي تقوم على أساس الجنس والعمر- ماتزال معززة من قبل أوضاع وظروف ومعتقدات راسخة في المجتمع ككل [1]. كما يؤكد شرابي على جمود وتسلط الأسرة العربية في العديد من مؤلفاته، واصفاً إياها بـ: "السلطوية الشاملة التي ترفض النقد ولا تقبل بالحوار إلا أسلوباً لفرض رأيها فرضاً "[2]. أما زيعور فيرى أن النمط الاجتماعي السائد في الأسرة العربية يتصف بالتناقض الناجم عن استمرار النمط التقليدي في البنى الحاضرة، مما يخلق تناقضاً وازدواجية في قيم الإنسان العربي وتصرفاته، واصفاً الجو العام الذي يسود الأسرة العربية بالتسلطية والمفاضلة بين الأبناء، فيشيع الخلاف داخل الأسرة وينعكس سلباً على علاقة الأخوة وبعضهم البعض[3].

الاتجاه الثاني : يؤكد حدوث تغيرات إيجابية في بناء السلطة داخل الأسرة العربية وبداية تحولها إلى النمط الديمقراطي في تعامل رب الأسرة مع الزوجة والأبناء، ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من الباحثين اعتمدت كتاباتهم على دراسات ميدانية أكدت هذا التحول التدريجي في بنية الأسرة العربية، منها دراسات (عماد الدين سلطان وآخرون 1971 ومحي الدين خيري 1991 وقبلان المحالي 1997م).

ومن هذا المنطلق تحدد **أسلوب الدراسة ومنهجها** إذ تنتهج الدراسة منهجاًوصفياً في محاولة لاستقراء نتائج دراسات ميدانية أجريت في دول عربية متعددة، شملت دول الخليج والمشرق والمغرب العربي مستخدمة أسلوب تحليل ثانٍ لنتائج هذه البحوث؛ لجمع نتائجها ورصد ابرز مظاهر السلطة بالأسرة العربية؛ في محاولة للاستفادة من طريقة جمع البيانات من خلال الاعتماد على البيانات الجاهزة، مما يجعل هذه الدراسة تقع ضمن الدراسات الوثائقية المكتبية وهي إحدى الدراسات الوصفية التي تعتمد على التحليل الكيفي للبيانات المتاحة.

ويهدف البحث إلى تحقيق أهداف محددة تتمثل في الآتي:

- التعرف على مصادر السلطة في الأسرة العربية.

---

[1] - حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر : بحث اجتماعي استطلاعي، ط 7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص 182: .

[2] - هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ترجمة: محمود شريح، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993، ص : 16.

[3] - علي زيعور، التحليل النفسي للذات العربية : أنماطها السلوكية والأسطورية ،ط 4 ، دار الطليعة، بيروت، 1987، ص :77 .

- ❖ رصد مظاهر التغير واتجاهها ومداها، في نسق السلطة داخل الأسرة العربية.
- ❖ محاولة كشف العوامل المؤثرة في إحداث التغير في نسق السلطة داخل الأسرة العربية.

وسيتم تحقيق هذه الأهداف من خلال الإجابة على **تساؤل** رئيسي مفاده:

في خضم التغيرات والتحولات التي شهدتها المجتمعات البشرية بصفة عامة والمجتمع العربي على وجه الخصوص **ما هي** أبرز التحولات والتغيرات في بناء السلطة داخل الأسرة العربية؟ وإذا سلمنا بوجود تغيرات فما هي المتغيرات التي أسهمت في إحداثها؟ وما هي أبرز ملامح هذه التغيرات وما تأثيرها على مستوى الشراكة في الأسرة العربية؟

ثانياً:في مفهوم السلطة والقوة :

تشكل حاجة الحياة الاجتماعية للنظام والسلم والأمن أساسا لظاهرة السلطة نظراً لأهمية توفر الاستقرار الاجتماعي؛ لضمان استمرارية أداء الأنساق الاجتماعية لوظائفها[1]. مما جعل نسق السلطة متضمناً في أغلب الأنساق الاجتماعية، لتكفل قدراً من التنسيق في تسيير الأمور داخل هذه الأنساق، فكل نظام أو تنظيم اجتماعي له من الأهداف والوظائف والأدوار ما يحمله مسؤولية إنجاز مهام قام النسق أساساًلإنجازها؛ فالمجتمعات البشرية على اختلاف مستوياتها البسيطة منها والمعقدة تسير وفق ضوابط محددة تُسيَر مختلف جوانب الحياة في المجتمع، ولعل هذا ما يفسر تعدد أنواع السلطة إلى سلطة دينية و سلطة عسكرية و سلطة سياسية وسلطة والدية ...إلخ.

وتعرف السلطة بأنها "المرجع الأعلى المسلم له بالنفوذ، أو الهيئة الاجتماعية القادرة على فرض إرادتها على الإرادات الأخرى بحيث تعترف الهيئات الأخرى لها بالقيادة والفصل وبقدرتها وبحقها في المحاكمة وإنزال العقوبات وبكل ما يضفي عليها الشرعية ويوجب الاحترام لاعتباراتها والالتزام بقراراتها"[2]..

كما تعرف بأنها " نفوذ مستمد من الموافقة الطوعية من قبل الآخرين على حق فرد في سن القوانين وإصدار الأوامر متوقعاً الامتثال لها، ويمكن وصف السلطة بنفوذ مبني على شرعية "أ" وله سلطة على "ب" (ومن ثم نفوذ)، لأن "ب" يعتبر متطلبات "أ" منه شرعية أو حقه"[3].

كما تعرف بأنها " القوة المقبولة اجتماعياً، وحق لبعض الأفراد لممارسة القوة وإصدار الأوامر والتعليمات، وواجب الآخرين الامتثال والطاعة "[4].

وتشير التعريفات السابقة في مجملها إلى القدرة على حمل الآخرين على تنفيذ الأوامر استناداً إلى القوة التي تعد ضماناً لاستمرارية السلطة، ويحتل اقتران مفهوم السلطة بمفهوم القوة، مركزاً بارزاً في نظرية

---

[1] - عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج3، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993، ص :215 .
[2]- المرجع السابق، ص : 215.
[3] - فيصل السالم، توفيق فرح ، قاموس التحليل الاجتماعي، ط1، مجموعة أبحاث الشرق الأوسط، الكويت، 1980، ص:25 .
[4] - محمد علي محمد، أصول علم الاجتماع السياسي، ج2 ، القوة والدولة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص:19.

علم الاجتماع ويمكننا تمييز العديد من الاتجاهات في هذا الصدد، لعل أبرزها ما يعبر عنه ماكس فيبر في مقابل بارسونز، حيث عرف الأول القوة بأنها "احتمال أن يكون أحد الأفراد قادراً – في نطاق علاقة اجتماعية – على تنفيذ إرادته الخاصة رغم المقاومة، وذلك بغض النظر على الأساس الذي يقوم عليه هذا الاحتمال"[1].

وفي المقابل نجد بارسونز يعرف القوة بأنها "القدرة المعممة لضمان القيام بالتزامات ملزمة بواسطة وحدات في نسق ذي تنظيم جماعي، وذلك عندما تصبح هذه الالتزمات مشروعة بارتباطها بالأهداف الجماعية، حيث يتوقع في حالة التمرد استخدام الفرض عن طريق جزاءات سلبية، يقتضيها الموقف وذلك كائنة ما قد تكون الوسيلة الفعلية لهذا الفرض"[2].

ويكفي أن تذكر أسماء بارسونز وفيبر ليتضح ما عبّرا عنه من منطلق الخلفية النظرية المتبناة من قبلهما؛ فبارسونز يقدم القوة بوصفها نمطاً مبرراً يكتسب الشرعية المجتمعية استناداً على ما يهدف إليه من تحقيق الأهداف الجماعية معبراً بذلك عن الاتجاه البنائي الوظيفي، أما فيبر فيصف القوة باعتبارها نمطاً يفتقد في بعض الأحيان الشرعية ويعتمد على الفرض والإرغام معبراً عن اتجاه الصراع.

وتميز د. سامية محمد جابر بين أربعة اتجاهات في التمييز بين القوة والسلطة :[3]

الاتجاه الأول : يميز تمييزاً قاطعاً بين السلطة والقوة فهو ينظر إلى السلطة في اعتمادها أساساً على الحق وتمييزها بالشرعية وبوجود مركز رسمي، على عكس القوة التي ترتبط باستخدام العنف، وابرز من يعبر عن هذا الاتجاه ماكيفر الذي يعرف القوة بأنها "القدرة على ضبط سلوك الآخرين، إما بطريقة مباشرة، أي عن طريق الأمر، أو بطريقة غير مباشرة، ويكون ذلك بواسطة استخدام مختلف الوسائل المتاحة. أما السلطة فهي ...عبارة عن ذلك الحق القائم الذي يتخلل أي نظام اجتماعي، ويعطي الفرصة لتحديد السياسات، أو إعلان القرارات ... أو فض منازعات قائمة"[4].

الاتجاه الثاني : يحاول التقريب بين المفهومين وذلك بالنظر إلى مفهوم السلطة باعتبارها قوة نظامية ، وهي بذلك لا تختلف عن القوة إلا في كونها نظامية ، ويمكن اعتبار روبرت بيرستيد ممثلاً لهذا الاتجاه حيث عرف القوة بأنها "عنف كامن والعنف باعتباره قوة ظاهرة والسلطة قوة نظامية "5.

---

[1] - إسماعيل علي سعد، المدخل إلى علم الاجتماع السياسي، ج4، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989، ص:122 .
[2] - المرجع السابق، ص:126.
[3] - سامية محمد جابر ، علم الاجتماع المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1989، ص ص: 59-64.
[4] - المرجع السابق، ص : 60.
[5] - المرجع السابق، ص :61.

الاتجاه الثالث : يدمج مفهومي القوة والسلطة ويعبر عن هذا الاتجاه كل من لاسويل وكابلان على أساس الرابطة الطوعية التي تصبح السلطة عن طريقها قيادة نظامية، أو غير طوعية وهي التي تشير إلى قوة نظامية، ومن ثم يريان أنه لا مانع من أن تجمع القوة بين القهر والموافقة.

الاتجاه الرابع: يقوم أساساً على النظر إلى المفهومين كمظهرين للضبط يقعان ضمن متصل نظري تمثل القوة أحد أطرافه المتمثل في افتقاد الموافقة وتمثل السلطة الطرف الآخر المتمثل في الموافقة والطوعية، ويمثل هذا الاتجاه وولتر باكلي.

ومما تقدم يتضح أن السلطة تمثل علاقة اجتماعية قائمة بين أفراد متفاعلين، تعكس شكل علاقة قائمة بين من يملك القدرة والآخرين الخاضعين له، وعبر هذه العلاقة من الممكن أن نميز عدداً من المستويات [1]:

1- العلاقة غير المتكافئة وهنا الآمر لا يخضع لمن يقودهم وتقوم العلاقة بينهم على أساس إعطاء الأوامر وتنفيذها من قبل الخاضعين له من دون معارضة.

2- الاعتراف بشرعية السلطة الممارسة عليهم وتقبلها مما ييسر ممارسة السلطة.

3-غالباً ما يكون اللاتماثل الصورة الغالبة في علاقة السلطة على الرغم من أن العلاقة بين الطرفين هي الأخذ والعطاء المتبادل، بشكل غير متعادل.

4- تقييد حرية البعض دون وعي منهم، وذلك ما يعبر عنه بالأثر اللامحسوس لممارسة السلطة.

ويتضح من النقاط السابقة أبعاد السلطة بوصفها علاقة اجتماعية تقوم على عدد من العناصر منها إعطاء الأوامر، الاعتراف بالشرعية، عدم المساواة، ممارسة السلطة.

ولا يقف وصف السلطة على أنها علاقة اجتماعية بل يعدها البعض ظاهرة أساسية في السلوك الإنساني، ومن بينهم جوفيل الذي وصفها بالظاهرة في قوله "إن ظاهرة السلطة أقدم في أصلها من تلك الظاهرة التي تسمى دولة، فضلاً عن أن السيطرة الطبيعية لبعض الأشخاص على الآخرين هي المبدأ الأساسي في جميع التنظيمات الإنسانية "[2]، لذا نجد أن السلطة ارتبطت في ظهورها بأقدم التنظيمات الاجتماعية كالأسرة، ومن ثم انبثقت عنها أو تطورت سلطات أخرى لعل أبرزها سلطة الحاكم على حسب ما يرى مؤيدو نظرية التطور العائلي لتفسير أصل ونشأة الدولة من أمثال أرسطو و جون لوك و روجي الذي يشير

---

[1] - بول كلافان، المكان والسلطة، ط1، ترجمة : عبد الامير ابراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990، ص ص : 15-16 .

[2] - إسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة دراسات في النظريات والمذاهب والنظم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص : 148.

إلى أن أغلب الشعوب الآرية والسامية كانت هي الأساس الذي انبثقت عنه سلطة الحاكم في الدولة فقد كان رب الأسرة رئيساً دينياً لها وكاهنها الأكبر وحاكم أعلى لهذه الدولة الصغيرة (الأسرة).[1]

لقد عبرت التعريفات المقدمة لمفهوم السلطة عن أسس تكاد تكون مشتركة بين كافة أنساق السلطة، إلا أن ذلك لا ينفي ما يتضمنه مفهوم السلطة من اختلاف في الدلالة عند اقترانه بنمط خاص بعينه. فالسلطة الوالدية في نطاق الأسرة على سبيل المثال تتميز بعدد من المميزات عبر عنها تعريف جون لوك لسلطة الوالدين بقوله : "إن هي إلا السلطة التي تخول الوالدين أن يهيمنوا على أولادهم، من أجل خيرهم حتى يبلغوا سن التمييز أو سن الإدراك التي يمكنهم معها أن يفقهوا تلك القاعدة التي يتوجب عليهم أن يحكموا ذواتهم على أساسها، سواء أكانت السنة الطبيعية أم قانون بلادهم المدني، وأن يلموا بها إلمام عدد من أقرانهم الذين يعيشون أحراراً في ظل تلك السنة وذلك القانون. وإن الرقة والحنان اللذين غرسهما الله في نفوس الوالدين حيال الأبناء يدلان دلالة واضحة على أن الغرض من هذه السلطة ليس الحكم القاسي الجائر بل مساعدة الأولاد وتثقيفهم والمحافظة عليهم"[2].

ومن خلال هذا التعريف يتبين:

1- إحاطة السلطة الوالدية بشؤون الأبناء وفرض الوصاية عليهم بهدف رعاية مصالحهم وإرشادهم لما فيه خيرهم.

2-استمرار هذه الوصاية إلى سن التمييز والإدراك التي تتحدد وفق عدد من المحكات بعضها يرجع إلى القوانين المدنية الوضعية أو عوامل ذاتية كالنضج المتمثل في القدرة على تشرب القيم والعادات الاجتماعية، ويشكل تحديد سن التمييز عادة مثاراً للخلاف بين الآباء والأبناء من منطلق نظرة الآباء للأبناء على أنهم صغار وغير ناضجين، وفي المقابل يسعى الأبناء إلى إثبات الذات والانضمام لأفراد المجتمع كاملي الأهلية. ومن بين المحكات التي تسهم في تحديد سن التمييز طبيعة بناء السلطة داخل الأسرة.

ثالثاً :بناء السلطة داخل الأسرة :

تعرف السلطة داخل الأسرة بأنها "القدرة الكامنة لأحد الشريكين في التأثير على سلوك الآخر .. وتوضح السلطة في القدرة على اتخاذ القرارات المؤثرة في حياة العائلة"[3]، ويرتبط مفهوم السلطة في هذا المقام بمفهوم الشراكة داخل الأسرة الذي يشير إلى "تكامل الأدوار داخل الأسرة عبر الشعور بالمسؤولية والالتزام المشترك والتفاعل الإيجابي، من أجل تحقيق أهداف مشتركة ترتبط باستمرار الأسرة في الحياة كجماعة

---

[1] - علي عبد المعطي محمد وآخرون، السياسة بين النظرية والتطبيق، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1974، ص : 305 .

[2]-جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة : ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، 1959، ص:242

[3] - روي رودجرز ، التفاعل والتعامل العائلي: طريقة فهم تطورية، ترجمة: بونسوجرجرس، ط1، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، 1986.ص : 231.

اجتماعية أو مؤسسة اجتماعية وأداء وظائفها في الإنجاب وتحقيق الأمن والرعاية لأعضائها والمساواة الكاملة"[1] وتشير العديد من الشواهد إلى تمتع الأب بسلطة واسعة النطاق على جميع أفراد أسرته إلى الحد الذي كان يسمح له بتوقيع أقصى العقوبات على أفراد الأسرة، الذين لا يأتمرون بأمره، سادت هذه الصورة قديماً وأكدت وجودها مجتمعات عدة؛ ففي المجتمعات اليونانية والرومانية القديمة كانت السلطة في العائلة في يد رب البيت الذي يعد خليفة القديسين، وكانت هذه العقيدة لا تضع المرأة في مكانة مساوية مع الرجل ولا يمكن اعتبارها سيدة البيت، وتعطي القوانين اليونانية والرومانية لرب العائلة ثلاث مميزات، فهو زعيم دين بالنسبة لأعضاء أسرته، وهو صاحب الممتلكات وهو القاضي الأول في عائلته[2].

كما تُظهر المجتمعات الصينية واليابانية القديمة قدراً غير يسير من السيطرة القوية للأب على أعضاء أسرته؛ فالمجتمع الياباني التقليدي يؤمن كل أنواع السلطة للأب، وبعد وفاته تنتقل هذه السلطة إلى الابن الأكبر، وتبلغ سطوة الأب في الأسرة اليابانية الحد الذي عبر عنه الياباني ماساكو بالقول: "في مرحلة ما قبل الحرب تعلمنا الخوف من الهزات الأرضية والرعد والنار والأب"[3].

وفي المجتمع الأمريكي الذي عادة ما ينظر إليه على أنه متحرر من مثل هذه القيود والضوابط الاجتماعية يشير رودجرز في كتابه "التفاعل والتعامل العائلي" إلى ما حظيت به السلطة العائلية من سطوة أبّان بداية تكون المجتمع الأمريكي حيث استمرت هذه السلطة تمارس على أعضاء العائلة مدة طويلة بعد بلوغهم مرحلة النضج[4].

وفيما يخص المجتمع العربي يشير د. زهير حطب إلى أن أهم الظاهرات التي ميزت الأسرة العربية منذ تفكك الدولة العباسية* إلى بداية القرن العشرين ظاهرة طاعة الزوجة لزوجها والأبناء لوالديهم، حيث مثل الأب رأس الأسرة الذي يأتمر الجميع بأمره، ويرجع ذلك لجملة من الأسباب يمكن طرحها في النقاط الآتية :[5]

1. كون المجتمع العربي مجتمعاً إسلامياً فإن لتعاليم الدين الإسلامي بطاعة أولي الأمر أثر كبيراًفي امتثال أفراد الأسرة لرئيسها.
2. انعكاسات الحياة السياسية على بنية الأسرة حيث امتاز الجو السياسي في تلك الحقبة بالمركزية السياسية.
3. مثل الأب المعيل الأساسي للأسرة ومحور العملية الإنتاجية مما شكل سبباً مباشراً أوجب طاعة أفراد الأسرة له.

---

[1]- أحمد زايد،"الشراكة داخل الأسرة: مع إشارة خاصة إلى الأسرة العربية"، المجلة العربية لعلم الاجتماع، تصدر عن جامعة القاهرة كلية الآداب، القاهرة، العدد الثاني، يوليو2008، ص:9.

[2] - سامية محمد جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص : 21 .

[3] - المجالي، قبلان، "وجهة نظر الأبناء في سيطرة الأب والأم على اتخاذ القرارات الأسرية - دراسة ميدانية"، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، مؤتة الأردن، المجلد الحادي عشر، العدد الثالث، 1996، ص : 40.

[4] - روي رودجرز، مرجع سبق ذكره، ص : 62 .

* انهارت الدولة العباسية على يد المغول عام 1258م- 656هـ، محمد بك الخضري، الدولة العباسية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1995، ص : 453.

[5] - زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976، ص : 188.

وهكذا شكلت هذه العناصر الثلاثة مبرراً لنمط السلطة المركزية داخل الأسرة، حيث امتازت الأسرة حينذاك بسلطة متمركزة بيد الأب، وبالتماسك الداخلي والوحدة البنائية وبمركزيتها لقدرتها الإنتاجية والاستهلاكية.

ويتمتع الأب في الأسرة العربية باحترام أفراد الأسرة لما له من هيبة خاصة وسلطان، وشاعت عادة تقبيل يده كل صباح لإظهار الاحترام والخضوع، وشكلت قدرة الأب الاقتصادية وسيلة لردع الأبناء عند خروجهم عن التقاليد المتعارف عليها فكان يعاقب الابن الخارج عن النطاق الذي تحدده العادات والتقاليد بأن يحرمه من المصروف المخصص له، حتى يرجع عن التصرفات التي لا ترضي الأب[1].

شكل كبر حجم الأسرة وكثرة المنتمين إليها أحد أهم الأسباب التي أسهمت في إفراز تركيبة هرمية للسلطة داخل الأسرة العربية، فما امتازت به هذه الأسرة من صلابة ووحدة البنية رسخ بناءً هرمياً للسلطة بداخلها، فجاء هذا البناء سبباً ونتيجةً في ذات الوقت فهي سبب في استمرارية الهيكل العام للأسرة وتسيير أمور الحياة، ونتيجة لنمط الحياة اليومي المعاش.

ووفقاً لذلك حُدد مقام كل فرد من أفراد الأسرة وفق انتمائه إلى أحد الفئات التي انقسمت إليها الأسرة، ولكل فئة حدود واضحة المعالم تقف عندها، فهناك فئة الأطفال وفئة النساء وفئة الشباب وفئة الرجال، ورب الأسرة الذي فرض نظاماً بيروقراطياً-إن جاز التعبير – مع أفراد أسرته، ينعكس من خلال ما شاع فيها من عدم اتصال مباشر برب الأسرة فإن أراد الابن طلب شيء من والده حدث والدته والوالدة بدورها تنقل مطالب الابن لوالده، وإذا أراد أن ينجز أحد أبنائه عملاً ما، فإنه يكلف الابن الأكبر بتبليغه بذلك[2].

ولعل هذا ما دعا د.حليم بركات إلى وصف الأب في الأسرة العربية بأنه رأس الهرم ومركز السلطة التي يمارسها من فوق ومن بعيد تجاه جميع أفراد الأسرة، وهو بعيد عن الواقع اليومي والأحداث اليومية المتكررة مع أفراد أسرته حيث يقضي جل أوقاته خارج المترل[3].

ويمثل العرض الذي قدمه د.حطب لنمط السلطة داخل الأسرة العربية صورة عامة سادت في الأسرة العربية قديماً قبل أن تنتشر ظاهرة التحضر لتسهم بفرز نمطين أساسيين من الأسرة العربية لكل منها خصوصية تميزها بعض الشيء عن النمط الآخر، وتتمثل هذه الأنماط في :

أ. الأسرة الريفية والبدوية، وإن كانت هناك بعض الخصائص الفارقة التي تميز النمط الريفي عن البدوي ـــ إلا أن ما يجمعهما اتصافهما بالتقليدية.

ب. الأسرة الحضرية التي تتصف في أغلب الأحيان بالحداثة.

رابعاً أبرز مظاهر السلطة في الأسرة العربية الريفية والبدوية:

---

[1] - المرجع السابق ص: 179.

[2] - المرجع السابق ، ص:189 .

3 - حليم بركات،المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي، ط7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998، ص:190.

لا تكاد تختلف السلطة في هذا النمط عمّا يميز السلطة داخل العائلة قديماً حيث يسوده نمط العائلات الممتدة التي تميز نسق السلطة داخلها بوضوح معالمها فالقواعد العامة المنظمة لها واضحة وراسخة، وتتمثل أول مظاهر السلطة فيه في سلطة الرجال على النساء، ويتأثر توزيع السلطة داخل الأسرة بهذه القاعدة فرغم ما يشاع من أن سلطة الحقل بيد الرجل وسلطة المترل بيد المرأة، فإن سيادة الذكور تجعل سلطة المرأة داخل المترل صورية، فهي مرتبطة بالخطوط العريضة والقواعد العامة التي يسنها الرجل وما عليها إلا التطبيق.

ونتيجة لقوة العلاقات القرابية فإن متغير السن شكل عاملاً هاماً في هرمية السلطة داخل الأسرة وخارجها، حيث يصبح الامتثال والطاعة لمن هم أكبر سناً أمراً لا مناص منه، ويأتمر جميع من في المترل ذكوراً وإناثاً بأمر أكبر الذكور سناً ويدينون له بالاحترام والطاعة. وتتمثل أبرز المظاهر المميزة للسلطة داخل الأسرة في النمط التقليدي في النقاط الآتية[1]:

1. احترام السلطة :

تحظى السلطة المقررة داخل الأسرة باحترام وتقديس جميع أفراد الأسرة ممثلة في احترام رموزها القائمة على أساس السن فالأصغر يحترم الأكبر وتتدرج هذه القاعدة، حتى نصل إلى قمة الهرم الذي يتربع عليه الأب الأكبر صاحب السلطة، والذي يخضع له كافة الأبناء والأحفاد، وتسلسل السلطة بناء على السن قاعدة متبعة حتى عند الإناث؛ فالأم الكبرى تتمتع بطاعة جميع الزوجات والبنات، إلا أنها هي ذاتها تندرج تحت سلطة الأب الأكبر.

2. احترام المركز في دائرة القرابة :

تمتد سلطة الأفراد الذين يحتلون مراكز اجتماعية داخل أسرهم إلى من هم في نطاق الدائرة القرابية إلى الحد الذي يسمح لهم بتقويم سلوك الأفراد الذين تربطهم بهم صلة قرابة إذا ما قاموا بتصرفات لا تلاقي الاستحسان، ويشكل هؤلاء قوة ضابطة تسهم في ضبط سلوك الأفراد حيث يخولهم مركزهم الاجتماعي توقيع العقوبات على الأفراد الذين يخرجون عن الأعراف والتقاليد المتعارف عليها؛ فإذا صادف وأن قام أحد كبار السن أو ذوي المراكز الاجتماعية بلفت نظر شاب من غير أفراد أسرته إلى سلوك معين، و لم يمتثل فإن هذا الشاب يلاقي عقاباً من قبل الكبار في أسرته أو قد يوقع عليه العقاب مباشرة من صاحب المركز دون اللجوء إلى أسرته.

3. سيادة الذكور :

يحتل الذكور في الأسرة أعلى المراكز فسيادتهم مقررة على كافة الأمور الحياتية وجاءت هذه السيادة نتيجة لارتباطهم بالأعمال الشاقة وتحملهم لأعباء الحياة الاقتصادية، أما المرأة فتحتل مركزاً أدنى ووجودها مستمد من وجود الرجل فاحترامها وطاعتها له حق له وواجب عليها.

4. شؤون العائلة من اختصاص المسؤولين فيها :

[1] - محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت، (غير مؤرخ)، ص ص :116-117.

انسجاماً مع العناصر السابقة الذكر فإنه من المتوقع أن ينفرد بعض أفراد الأسرة على أساس النوع والسن بالبث في الأمور المتصلة بالعائلة دون سواهم، بناء على الاعتقاد السائد بأن الكبار يعرفون أكثر وهم أقدر على التصرف نتيجة لخبرتهم ومركزهم، فليس من حق أحد غير ذوي المراكز داخل العائلة تناول المواضيع المتصلة بالأسرة من خلافات وما إلى ذلك من مسائل عائلية. وبهذا تشهد الشراكة بين الزوجين في شؤون أسرتهم أدنى مستوياتها إلى الحد الذي يمكن معه القول بانعدامها في كثير من الاحيان.

وهكذا فقد قامت السلطة داخل الأسرة على أساس متغيري الجنس والسن، وبناء على ذلك يتشكل هرم السلطة داخل الأسرة حيث تشكل الإناث قاعدته ثم الأطفال الذكور، ثم الشباب، فالرجال، ويتربع على قمة الهرم أكبر الذكور سناً متمثلاً في رب العائلة.

خامساً:أبرز مظاهر السلطة في الأسرة العربية الحضرية :

لا يمكننا هنا إغفال وحدة بناء الأسرة العربية فالأعراف والتقاليد لا تكاد تكون مختلفة بين الأرياف والبوادي في مقابل المدن خصوصاً وإن سكان المدن في أغلبهم مهاجرين من الأرياف أي من خلفيات غير حضرية أساساً، فإذا أخذنا بالاعتبار صعوبة تغير الاتجاهات والقيم مقارنة بسهولة الانتقال الفيزيقي فالباحثة تفترض تشابها من الناحية الكيفية – على أقل تقدير – واختلافاً من حيث الدرجة في القواعد الأساسية المميزة لأنماط السلطة السائدة في الأسر الريفية من جهة والأسر الحضرية من جهة أخرى. فمازالت السلطة في الأسرة الحضرية في يد الأب إلا أنها أصبحت أكثر ديمقراطية ومرونة، فشهدت مشاركة من قبل الزوجة وسُمح للأبناء بمناقشة بعض الأمور مع الأب قبل إصداره للقرارات، ومازالت الأعراف والتقاليد الاجتماعية تفرض احترام من هم أكبر سناً إلا أنه لم يعد لكبار السن من خارج العائلة السلطة التي تخولهم – كما في السابق – تقويم سلوكيات الأفراد الأصغر سناً.

وشكل التحول في شكل الأسرة من الأسرة الممتدة ذات السلطة القائمة على أساس الجنس والعمر إلى الأسرة النواة التي اختلفت فيها الحسابات، شكل تهديدا للنظام الأبوي بالنظر للتحولات التي حدثت خاصة في وضعية ومكانة المرأة إذ مكنتها من التحرر من علاقات التبعية والخضوع لسطوة رجال العائلة والقبيلة لتصبح على الأقل تحت سلطة زوجها فقط.[1]

إن ما يعج به الوسط الحضري من متغيرات عديدة أسهم في خلق الفروق بين النمطين (ريفي-حضري)، لهذا شهدت السلطة في الأسرة الحضرية تغيرات جاءت استجابة للتحولات الاقتصادية والاجتماعية التي طرأت على المجتمع الحضري،وتمثلت أبرز هذه التغيرات في :

1. الإضعاف من سلطة الأب على أبنائه :

لم يعد يعترف للأب بمجموعة من الممارسات التي كانت تعد حقاً من حقوقه على أبنائه، فلم يعد من حقه إنزال العقوبات الواسعة المدى على ابنه العاق أو سيئ السلوك، أو أن يلحق به أذى جسيماً، حيث يوقع القانون في مثل هذه الحالات عقوبات على الأب، وينص القانون الليبي الصادر منذ 1954م

[1]-العياشي عنصر، "الأسرة في الوطن العربي: افاق التحول من الابوية إلى الشراكة"، عالم الفكر،اللعدد3 المجلد36، يناير – مارس 2008، ص:292.

بشأن قانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية في المادة 397 الخاصة بسوء استعمال وسائل الإصلاح أو التربية على المعاقبة بالحبس لمدة لا تتجاوز سنة لكل من استعمل وسائل الإصلاح أو التربية استعمالاً غير مشروع، على من هو خاضع لسلطته أو من عهد إليه لتربيته أو لتثقيفه، إذا كان من شأن الفعل تعريضه لمرض في الجسم أو في العقل، أما إذا نتج عن الفعل موت كانت العقوبة السجن بين ثلاث سنوات وثمان، كما تنص المادة 398 من نفس القانون الخاصة بإساءة معاملة أفراد الأسرة والأطفال على معاقبة كل من أساء معاملة أحد أفراد أسرته مدة لا تتجاوز خمس سنوات، وإذا نجم عن الفعل أذى شخص زيدت العقوبة بقدر النصف، فإذا نجم عنه الموت كانت العقوبة السجن ما بين عشر سنوات وعشرين سنة[1].

2. تغير مفهوم السلطة الوالدية :

كانت السلطة الوالدية تعني شكلاً من أشكال التملك، ثم أصبحت تشير إلى نوع من أنواع الولاية التي ينبغي أن توظف من قبل الوالدين في صالح الأبناء، مما ساهم في الحد من السلطات التي كان يتمتع بها الأب على أبنائه، وقد تسحب هذه الولاية في بعض الحالات التي يحددها القانون، مثل عدم كفاءة الوالدين للقيام بالمهام التربوية، حيث تنص المادة 36 من القانون الليبي رقم 17 بشأن تنظيم أحوال القاصرين ومن في حكمهم على سلب الولاية وجوباً من ولي النفس في الحالات الآتية: [2]

أ. إذ ا ثبت ارتكابه لجناية أو جنحة ضد الولي عليه.

ب. إذا حكم عليه بصفته أحد الوالدين أكثر من مرة في جريمة التقصير في الواجبات العائلية، أو جريمة إساءة معاملة أفراد الأسرة ، أو أي من الجرائم المخلة بالشرف.

3. إعطاء الأم قدراً أكبر من السلطة على الأبناء :

تحولت السلطة الأبوية من كونها امتيازاً لمن يباشرونها إلى مسؤولية وإجراء حماية تستهدف صالح الخاضعين لها، فأشركت الأم مع الأب في تحمل مسؤولية الإشراف على الأبناء وتوجيههم، وأسهم في ذلك انتشار الأفكار المطالبة بالمساواة بين الجنسين فتحسنت مكانة المرأة داخل المجتمع وأصبح ينظر إليها على باعتبارها كياناً ينبغي أن يحترم، وفي ضوء ذلك تم إعادة توزيع الحقوق والواجبات بين الزوجين وأعطيت الأم قدراً أكبر من السابق فيما يتصل بسلطتها على الأبناء[3].

4. تزايد مستوى الشراكة بين الزوجين:

أسهم انتشار نمط الأسرة النووية وتحسن المستوى التعليمي للمرأة وتزايد مشاركتها في سوق العمل وإسهامها في الرفع من المستوى الاقتصادي للأسرة وفي إكسابها مزيدا من الاستقلالية، ومهد لمشاركتها في اتخاذ القرارات الأسرية؛ ويشير تقرير صدر عن الأمم المتحدة –حول الشراكة في الأسرة

---

[1] - للمملكة الليبية المتحدة، الجريدة الرسمية، عدد خاص : قانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، 1954، ص : 145.

[2] - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الجريدة الرسمية العدد36، سنة 1992، ص : 1256 .

[3] - محمود سلام زناتي، نظم وعادات، القاهرة،1993، ص : 253 .

العربية*– إلى ميل الزوجين للمزيد من الشراكة في اتخاذ القرارات و التواصل والأعمال المترلية مع التأكيد على نسبية هذه التغيرات وارتباط حدوثها بمتغيرات الخلفية الحضرية والثقافية والتعليمية.

إن متغير الخلفية الحضرية يفرز اختلافاً بين النمطين الريفي والحضري في عدد من القضايا والأمور؛ ففي دراسة أجريت في لبنان نلاحظ أن متغير الخلفية الحضرية (ريف/حضر) يؤدي دوراً في خلق اختلافات بين النمطين في مجموعة من القضايا منها سلطة الأهل في اختيار الزوج أو الزوجة؛ إذ بينت الدراسة أن إجابات عينة الدراسة تظهر فارقاً واضحاً بين موقف أهل المدينة والريف في اختيار الزوج إذ يبدو أهل الريف أكثر محافظة بالنسبة لموضوع اختيار الزوج؛ فسجل اختيار الأهل للزوجة معدلاً بلغ 6% في المدينة مقابل 12% في الريف.[1] إذ إن سلطة الأهل في مسألة الاختيار للزواج أكثر في الريف منها في المدينة، وإن كانت هذه المؤشرات تشير إلى تراجع سلطة الأهل في اختيار شريك الحياة سواء في الريف أم المدينة.

سادساً :عرض بعض الدراسات السابقة ومناقشتها

ترصد **الدراسات والبحوث** التي أجريت على الأسرة العربية تغيراً في نمط السلطة داخلها، واتجاهه التدريجي من التقليدية إلى الحداثة ففي مجتمع الخليج العربي تشهد الصورة التقليدية لسلطة الأب داخل الأسرة تغيراً باتجاهها نحو النقصان في مقابل ازدياد نفوذ الأم، وتحسن وضع الأبناء داخل الأسرة؛إذ أصبح لهم حق التعبير عن الرأي وفرصة أختيار شريك حياتهم مع ضرورة موافقة الأسرة، وقد أدى التعليم دوراً بارزاً في إحداث التغيرات في السلطة داخل المترل؛ إذ أدى إلى بث روح الاستقلالية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأفراد؛ وشجعهم على رفض الصورة التقليدية للأسرة، كما أسهم في زيادة وعي الفتيات الثقافي، وأتاح لهن فرصة التعبير عن آرائهن، والحصول على العمل الذي ساعدهن هو الآخر على تحسين مكانتهن داخل الأسرة وأكسبهن حق اتخاذ القرارات واختيار شريك الحياة، فاتجهت السلطة للتعادل بين الزوجين داخل الأسرة[2].

ويشير فاروق أمين في دراسته حول واقع الأسرة **البحرينية** إلى ما تمر به السلطة في الأسرة البحرينية من مرحلة تحول من سلطة مطلقة ومتمركزة في يد الأب إلى سلطة أقل مركزية تتوزع فيها المسؤوليات على أفراد الأسرة، مع احتفاظ الأب بقدر يسير من السلطة واستمرارية النظر إليه باعتباره المرجع الأخير لها، وجاء تراجع سلطة الأب – كما ترى هذه الدراسة – متأثراً بالعوامل الآتية:[3]

1. الاقتصاد الحديث الذي وفر فرص الاستقلال الاقتصادي للأبناء عن الأب.

---

*انظر في الشراكة في الأسرة العربية، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية(31)، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، الامم المتحدة نيويورك،2001.

[1]- المرجع السابق ،ص:45

[2] – غريب سيد أحمد، ملامح الأسرة في الخليج العربي والمشكلات التي تواجهها، في: غريب سيد أحمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع العائلي، ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص:311

[3] - فاروق أمين، دراسة حول واقع الأسرة البحرينية، جمعية الاجتماعيين البحرينية، 1983، ص ص : 145-147.

2. الاستقلال في مسكن خاص بعد الزواج مما أضعف سلطة الأب على ابنه من جهة،وأضعف سلطة الحماة على زوجة الابن من جهة أخرى.

3. التعليم النظامي وما أدى إليه من تقليل الحاجة إلى خبرة الكبار في الأسرة والمجتمع.

4. ساعد الانفتاح الثقافي على التعرف على ثقافات أخرى وعادات وتقاليد مختلفة عن الأنماط الثقافية السائدة بالمجتمع مما أسهم في انتشار روح التسامح والتشاور داخل الأسرة البحرينية.

5. مشاركة هيئات ومؤسسات اجتماعية مختلفة للأسرة في وظائفها أدى إلى مشاركتها في السلطة على الأفراد.

كما يشير أحمد فلاح العموش إلى أن هناك تحولاً واسعاً نحو مزيد من الديمقراطية في الأسرة **الأردنية** ومشاركة الزوجة والأبناء في اتخاذ القرارات خاصة في مجال الاستهلاك والاستثمار والارتباطات الاجتماعية؛إذأظهرت نتائج الدراسة الميدانية التي أجراها على جنوب الأردن تحولاً في سلطة الأب وسيادة الحوار داخل الأسرة الأردنية[1].

كما أشارت دراسة محمد علي محمد – في المجتمع **المصري**- إلى أن أسلوب المناقشة هو الأكثر شيوعاً بين الأب والأبناء قياساً بأسلوب فرض الرأي أو السلطة المطلقة للأب[2].

وتوصلت دراسة باسم سرحان – للعائلات **الفلسطينية** في الكويت- إلى أن هناك تغيراً طرأ على العلاقات العائلية التقليدية عن طريق إعادة توزيع السلطة داخل العائلة، وتمتع الزوجة بقدر أكبر من المشاركة في إدارة شؤون المترل والإنفاق على مستلزمات البيت، وفي علاقة الآباء بالأبناء كانت العلاقة أقرب بكثير للديمقراطية منها إلى التسلط والقهر؛إذ بات الأهل ينفذون قراراتهم بالعاطفة والتفاهم لا بالسلطة الأبوية والقوة، وازداد تمتع الأبناء بالحرية في تقرير شؤونهم الذاتية المتصلة بالدراسة والزواج والعمل، وإن كانت هذه الحرية متأثرة بمتغير النوع فالأبناء الذكور يتمتعون بحرية أكبر من التي تتمتع بها الإناث اللواتي تمتعن بحرية تحدها رقابة الأسرة وسلطتها[3].

كما أشارت الدراسات التي أجريت في **سوريا** – خاصة تلك الدراسات التي حاولت رصد التغيرات في الأسرة جراء انخراط المرأة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية- إلى تغييرات تتعلق بمهام الإشراف على تربية الأبناء واتخاذ القرارات التي تخص العائلة كالشراء والإنفاق أصبحت هذه المهام مشتركة بين الزوجين ولا ينفرد بها الزوج.[4] كما أكدت دراسة إيمان عبود –حول عمل المرأة وتعليمها وعلاقتها باتخاذ

---

[1] - أحمد فلاح العموش ، "الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة لقرية في جنوب الأردن"، مؤتة للبحوث والدراسات ، تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، مؤتة، المجلد الحادى عشر، العدد الثالث،1996، ص : 174 .

[2] - محمد على محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة ، بيروت، 1995، ص : 240 .

[3] - عاطف وصفي، العائلة العربية، في: جميل سعيد وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، جامعة الإمارات العربية، العين، 1983.، ص : 197.

[4] -هيفاء فوزي الكبرة، المرأة والتحولات الاقتصادية والاجتماعية:دراسة ميدانية لواقع المرأة العاملة في سورية،ط1،طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ،1987، ص: 148.

القرار داخل الأسرة- أن ميزان القوى داخل الأسرة والتأثير على اتخاذ القرارات الاجتماعية والاقتصادية، شهدت تغيرات بتأثير عدد من المتغيرات أهمها عمل المرأة ومستواها التعليمي وإسهامها بدخل الأسرة.[1]

ويؤكد عبد القادر الزغل أن رغم ما تشير إليه المظاهر العامة في الأسرة **التونسية** من سلطة أبوية مطلقة وخضوع تام من قبل الزوجة، فإن الحقيقة تشير إلى إسهام الأم في ممارسة السلطة داخل المترل من خلال ما تقوم به من دور خفي، ووجود دور مميز للأخ الأكبر، ومكانة أقل للبنات[2].

وتعد السلطة داخل الأسرة **الجزائرية** التقليدية – شأنها شأن الأسر العربية – من حق الزوج؛ إذ إن له الأمر والنهي في الأمور الداخلية والخارجية للحياة الأسرية كافةً في الأفراد المكونين لها أيضاً، إلا أن تأثر الأسرة الجزائرية ببعض المتغيرات أثر على طبيعة توزيع السلطة داخلها، فقد بينت دراسة زبيدة ابن عويشة أن توزيع السلطة داخل الأسرة التي تعمل فيها الزوجة خارج المترل قد أعيد توزيعها بشكل يختلف عن الشكل السائد في الأسرة التقليدية، حيث أمست الديمقراطية تسود الحياة الأسرية، وأصبحت الزوجة تشارك في القرارات الأسرية، وباتت تنشئة الأبناء عملية مشتركة بين الأبوين،وان كانت هناك بعض المظاهر التقليدية التي استمرت داخل الأسرة؛ فالأعمال المترلية على سبيل المثال ظلت ذات حساسية خاصة؛ إذ يتحرج الرجال من أدائها ويعتبرون القيام بها يمس رجولتهم[3].

أما فيما يتعلق بالسلطة داخل الأسرة **الليبية**فنتيجة لما يجمع الأسرة العربية من خصائص مشتركة جعلت الأسرة الليبية لا تكاد تختلف في بنائها عن هذه الأسرة فيما يتصل بالسلطة داخلها، إذ نواجه النمطين ذاتهما التي سبقت الإشارة إليهما (نمط الأسرة الريفية والبدوية، ونمط الأسرة الحضرية)، وبنفس الكيفية يعكس كل من هذين النمطين درجات متفاوتة من تطبيق قواعد السلطة الأبوية، إلا أن النمط العام الشائع في الأسرة الليبية سيادة النمط الأبوي للسلطة، فالعلاقات الاجتماعية داخل الأسرة الليبية في الماضي تتميز بالبساطة والتفاعل وبحياة متجانسة قبلياً واقتصادياً والسلطة مطلقة للرجل والمكانة الاجتماعية للفرد تتحدد من خلال القبيلة والتعليم الديني[4].

واستناداً على الدراسات الاجتماعية القليلة التي أجريت على المجتمع الليبي يصف د.الأحمر الأسرة الليبية بصفة عامة بأنها أبوية السلطة والنسب والمسكن، بمعنى أن الأب هو رئيس الأسرة ومصدر السلطة فيها ومدير شؤونها والأبناء ينتسبون إليه وأبوية المسكن، حيث يفضل الابن المتزوج السكن قرب مسكن والده أو في المنطقة التي يسكنها الأب[5].

إلا أن هذه التعميمات لا تنفي وجود فروق واضحة بين النمطين، فنتائج دراسة الكبير للمهاجرين إلى مدينة طرابلس أشارت إلى فرق واضح بين الأسرة الريفية في مقابل الأسرة الحضرية من حيث نمط السلطة ، فالأسرة الريفية

---

[1]-إيمان جعفر عبود، عمل المرأة وتعليمها وعلاقتها باتخاذ القرارات داخل الأسرة في مدينة دمشق وريفها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،2002، ص:92

[2] - قبلان المجالي، " وجهة نظر الأبناء في سيطرة الأب أو الأم على اتخاذ القرارات الأسرية"، مرجع سبق ذكره، ص : 48 .

[3] - زبيدة ابن عويشة، أثر عمل الزوجة الأم في بناء الأسرة الجزائرية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع، 1987، ص : 377-383.

[4] - محمد علي الضبيع، من مشكلات الأسرة الليبية، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس، 1984، ص : 39.

[5] - أحمد الأحمر، " الأسرة الليبية الحضرية، تركيبها ووظائفها ومشكلاتها ، نتائج دراسة ميدانية"، مجلة العلوم الإنسانية، تصدر عن المعهد العالي لتكوين المعلمين، زليتن، السنة الأولى، العدد الأول، يناير، 1989، ص:21

اتسمت بالتسلط والتحكم وعدم تطبيق المساواة والاستقلالية، وفي المقابل نجد الأسرة الحضرية اتسمت بروح الديمقراطية وميلها إلى تطبيق مبدأ الاستقلال والمساواة؛ فكان الأبناء في الأسرة الحضرية أكثر استقلالية في اتخاذ القرارات التي تخصهم قياساً بأبناء الأسر الريفية، كما وجد اختلاف بين النمطين من حيث أن الأسرة الحضرية تعطي الزوجة سلطة أكبر من الأسرة الريفية ، وتسمح بمشاركتها في القرارات التي تخص الأمور اليومية في البيت[1].

ويمكن إرجاع مثل هذه الاختلافات إلى طبيعة البيئة الاجتماعية التي تحتضن هذين النمطين من الأسر الليبية، إذا ما عدتالأسر الريفية أوالأسر البدوية نمطاً يمكن أن يندرج تحت تصنيف موحد، خاصة وأن نمط السلطة السائدة فيهما يمكن عده نمطاً موحداً يتصف بالتقليدية، فإذا أمكن القول بأن النمط الأسري السائد في البادية والريف – وهو غالباً- نمط الأسرة الممتدة فإن هذا يقرب بين النمطين حيث يعطي مؤشراً على كبر حجم الأسرة وقوة العلاقات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة والوحدات القرابية الأكبر كالعشيرة، ويدعم نظام السلطة الأبوية وتقدير لمتغيري النوع والسن، وينشأ الأبناء في ظل الأسرة البدوية والريفية على القيم الاجتماعية ذاتها، فكما سبقت الإشارة فإن قيم احترام الأكبر سناً وطاعتهم من القيم الشائعة عند الريفيين، و نجد ذات الشيء عند البدو "فالطفل البدوي يربى على قيم تحثه على احترام وطاعة كبار السن واحترام المعايير السائدة في النسق القرابي والاجتماعي الذي ينشئ فيه"[2]، مما يجعل من هذين النمطين نمطاً مشتركاً فما يصدق على الأسرة الريفية فيما يتعلق بالسلطة داخلها يمكن أن يصدق على الأسرة البدوية كذلك والعكس صحيح.

أما الأسرة الحضرية الليبية فقد استجابت بشكل كبير لمتغيرات البيئة الحضرية فرغم الجذور البدوية والريفية للأسرة الليبية الحضرية، إلا أنها سجلت تأثراً واسع النطاق شمل الكثير من جوانبها وأثر على جملة من خصائصها، فأبسط هذه المظاهر وأبعدها أثراً تتمثل في تغيرها من شكلها الممتدإلى الشكل النووي، تحت تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي دعت إلى هذا التغير، وفي هذا الصدد تشير دراسة المختار إبراهيم التي أجراها على مدينة بنغازي إلى الدور الذي تؤديه البيئة الحضرية خاصة بيئة العمل الصناعي وإسهامها في تحول شكل الأسرة إلى الأسرة النووية وتأثير هذه البيئة على تغير دور الأسرة وإضعاف سلطة الآباء على الأبناء من حيث اختيار شريك الحياة، حيث جاءت نتائج دراسته لتأكد ميل الأفراد الواضح لرفض الزواج المرتب والرغبة في اختيار شريك أو شريكة الحياة دون تدخل أي طرف[3].

وخلق اختلاف دور المرأة ومكانتها بين الريف والحضر مزيداً من الفروق بين النمطين، فالمرأة في الريف كانت تسهم بشكل كبير في العمل داخل المترل وخارجه إلا أن مساهمتها هذه أقرب للعمل التطوعي منه للعمل بالمفهوم الشائع، الذي يشير إلى المردود المادي مقابل القيام بالأعمال، مما أدى إلى ترسيخ مكانتها الدونية، وتفوق مكانة الرجل الذي كان على الدوام المعيل الأساسي للأسرة. اما البيئة الحضرية فوفرت للمرأة فرصة التعليم والعمل فاكتسبت قيمة اجتماعية افضل من السابق، مما أثر على مركزها ودورها داخل الأسرة ومكنها من الإسهام بشكل أكثر فاعلية في تسيير شؤون الأسرة، وأصبحت الشريك الآخر الفعال أو "الشريك الفعلي" كما أطلق عليها البشتي الذي رصد من الدراسة التي أجراها

---

[1] - ياسين علي الكبير،" التحضر والتغير الاجتماعي في الأسرة في مدينة طرابلس" ، مجلة الحكمة : مجلة الدراسات الفلسفية والاجتماعية، العدد الرابع، 1979، ص ص: 329-341.

[2] - لوجلي صالح الزوي، البادية الليبية الحاضر والمستقبل : دراسة ميدانية شاملة لأوضاع البادية الليبية، ط1 ، منشورات قاريونس، بنغازي، 1998، ص : 227.

[3] - المختار محمد إبراهيم، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لحركة التصنيع : دراسة ميدانية لأحوال المنتجين بالصناعة بمدينة بنغازي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة قاريونس، كلية الآداب والتربية، قسم علم الاجتماع، 1991، ص :168.

على المجتمع الليبي الكثير من مظاهر التحول في نمط السلطة داخل الأسرة الليبية تحت تأثير عملية التحديث التي تتعرض لها الأسرة في البيئة الحضرية وخلص إلى [1]:

- قلّص التنقل الاجتماعي من قوة العلاقات الاجتماعية والقرابية، فسعى الأفراد إلى كسب فرص العمل بَاعَدَ مكانياً بينهم وبين من تربطهم بهم صلات القرابة، مما أضعف العلاقات الأسرية القوية التي طالما جمعت بين أفراد العائلة والعشيرة الواحدة وساعدت على استمرار القواعد الراسخة لنمط السلطة داخلها.

- أسهم ما حصلت عليه المرأة من تعليم في رفع مستواها الثقافي وآمن لها فرصة الحصول على عمل ودخل مادي مستقل عزز مكانتها داخل الأسرة وأهلها للمشاركة بفاعلية في القرارات الأسرية الخاصة بها أو بأبنائها.

- اتسمت العلاقات الأسرية بالود والتفاهم والتعاون وزوال فكرة الهرمية الاجتماعية التي كانت مسيطرة ومألوفة لدى أفراد الأسرة وأصبحت العلاقات أكثر مرونة، وظهرت فلسفة المساواة بين أعضاء الأسرة؛ مما دفع الأب إلى التراجع عن مركزه كمسير وموجه للأسرة ومسيطر على جميع شؤونها.

- تمتع الأبناء بقدر كبير من حرية التصرف في مجالات عدة كالتعليم والعمل والترفيه واختيار شريك الحياة والأصدقاء، وأصبح موقف الآباء والأمهات موقف الناصح والمرشد فقط لا الآمر المسيطر.

وهكذا رصدت دراسة البشتي تغيراً واضحاً وعميقاً في بناء السلطة داخل الأسرة الحضرية الليبية فالسلطة الأبوية على الأبناء أصبحت تميل إلى الديمقراطية، وامتلك الأبناء حرية التصرف في مجالات متعددة.

مناقشة النتائج والاستنتاجات:

إن ما تعج به الحياة الحضرية المعاصرة من متغيرات ألقت بظلالها على جوانب اجتماعية متعددة، منها الأسرة فشهد بناء السلطة داخلها تغير في عدد من جوانبها سواء من حيث المصدر أو الاتجاه أو المجالات التي تمارس فيها فلم يعد رب الأسرة أو الأب هو المصدر الوحيد لهذه السلطة، بعدما أصبح بإمكان الزوجة والأبناء المشاركة في اتخاذ بعض القرارات، ولقد كان من أكثر العوامل المؤثرة في إحداث هذه التغيرات تغير شكل الأسرة من الشكل الممتد إلى الشكل النووي؛ إذ شكل ذلك سبباً مباشراً في انهيار هرمية السلطة بالأسرة العربية وأحدث تغيراً من حيث مصدر السلطة واتجاهها، فأصبحت القرارات الأسرية أكثر ميلا نحو الديمقراطية والمشاركة في اتخاذ القرار من قبل أفراد الأسرة ، خاصة فيما يتعلق بشؤون الأبناء المتصلة باختيار مجالات الدراسة والعمل واختيار شريك الحياة. فلم يعد الأب مصدراً وحيداً للسلطة داخل الأسرة، كما لم تعد من حيث الاتجاه هرمية تتدرج حسب العمر والجنس.

كما أسهم تغير شكل الأسرة إلى الشكل النووي إلى إعطاء الأسرة قدراً من الاستقلال والخصوصية أسهم بشكل مباشر في تغير وضع المرأة كما أسهم في فتح المجال أمامها لتلقي التعليم وممارسة العمل الأمر الذي يعد أحد أبرز العوامل التي ساعدت على إحداث تغير في مكانة ومركز المرأة داخل

[1] -علي محمد الصادق البشتي، ، أثر التحديث على تغير بناء الأسرة الليبية الحضرية، دراسة ميدانية بالتطبيق على مدينة طرابلس بليبيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 1997، ص :1315-1316.

الأسرة وعكست تغيراً في ميزان القوة الأسري ومن ثم في بناء السلطة داخل الأسرة، خاصة بعدما فرضت طبيعة الحياة المعاصرة على المرأة أن تعي التغيرات الحاصلة في المجتمع وتسهم بايجابية في تنمية المجتمع وتطويره.

وهكذا يمكن القول ان تغيراً قد طرأ على مصادر السلطة داخل الأسرة العربية؛ فلم تعد امتيازاً ينفرد به رب الأسرة ، وإن هذا التغير قد لحق كافة الجوانب المتصلة بنسق السلطة داخل الأسرة سواء من حيث اتجاه السلطة أو مداها أو مجالاتها فأصبحت تتجه اتجاهاً ديمقراطياً يميل إلى إشراك كافة أفراد الأسرة في اتخاذ القرارات الأسرية، وإعطاء أفراد الأسرة قدراً من الحرية في اختيار ما يتعلق بهم من قرارات مصيرية، وقد أسهم في إحداث هذه التغيرات جملة من العوامل التي سبقت الإشارة إلى بعض منها مثل تغير شكل الأسرة، الذي ساعد بدوره في تغير مكانة المرأة ودورها، إضافة إلى التغير في طبيعة الحياة الاقتصادية للمجتمع وانعكاس ذلك على الأسرة وأفرادها.

وفي خضم كل ما تقدم هناك سؤال يطرح نفسه وهو ما مستوى الشراكة التي يتمتع بها الزوجان في الأسرة العربية؟ وما المساحة التي فسحت للزوجة لتكون شريكة فاعلة في القرارات الأسرية؟ إن تحليلاً ثانياً للمعطيات المشار إليها سابقاً، يضعنا أمام حقيقة مؤداها أن الصورة السوداوية التي رسمها حليم بركات وهشام شرابي وكل من حذا حذوهما في وصف الأسرة العربية، فرغم التغيرات التي تمت الإشارة إليها لم يتبدد هذا السواد كلياً عن مظاهر السلطة الأسرية خاصة فيما يتعلق بعلاقة الزوج بالزوجة بل إن ما رصدته البحوث المشار إليها إنما هو بداية لتحول تدريجي وتغير لم يكن معروفاً في الأسرة العربية سابقاً إلا أنه ينبغي التثبت من أبعاده ومظاهره ومكوناته. فلو أمعنا النظر في التغيرات التي حدثت في السلطة الأسرية لوجدنا أنها في صالح الأبناء ذكورا وإناثا أكثر من الزوجة، وإن كان هناك من البحوث ما يشير إلى أن مساحة الحرية وممارسة الديمقراطية مجالها أرحب للأبناء الذكور عنه عند الإناث، وهنا نضع اليد على استمرارية لتدني مكانة المرأة عن الرجل في الأسرة العربية والمفاضلة القائمة على أساس الجنس، وان كان ذلك لا ينفي في نفس الوقت تحسناً نسبياً في مكانتها عن السابق.

وعن الزوجة فيمكن القول أن وضعيتها متأثرة وبشكل أكثر من غيرها من أفراد الأسرة بالخلط بين الحداثة والتقليدية داخل الأسرة العربية وينعكس ذلك على مستويين مستوى مادي ملموس يتمثل في التغيرات المرصودة على صعيد تغير شكل الأسرة، وتزايد نسب مشاركة المرأة في التعليم والعمل والمساهمة في اتخاذ بعض القرارات الأسرية وتحملها للمزيد من المسؤوليات والالتزامات الحديثة و غير التقليدية، التي لم تكن تطلع بها في الأسرة العربية سابقاً كتحملها لبعض الالتزامات المالية للأسرة أو كلها وقيامها بمهام أسرية خارج المترل كمتابعة شؤون الأبناء والتسوق ..إلخ، في مقابل ذلك ظل المستوى الثاني اللامادي المتصل بالأفكار والمعتقدات ورواسب الماضي، يحد من مشاركة الرجل في الأعمال داخل المترل، و من توليه مسؤوليات على هذا الصعيد؛ فالزوج قد يساعد الزوجة في بعض الشؤون المترلية ولكن لا يقبل بأن يلتزم بأداء هذه الشؤون بصورة روتينية يومية، كما أنه يتحرج من أدائها أمام والديه أو أحد الزوار.

إن الأسرة العربية تهب عليها نسمات لا رياح التغير، لتدخل في مرحلة انتقالية يبدو أنها طويلة الأجل من التقليدية إلى الحداثة، ولتكن هذه العملية مثمرة وفاعلة وفي صالح الأسرة ينبغي أن يكون التغيير المقصود لا التغير التلقائي إلا مخطط هو السبيل لخوض هذه المرحلة لخلق المعادلة الصعبة للموازنة بين

التقليدية والحداثة، ذلك للحد من السلبيات والاستفادة من الايجابيات فيهما؛ فالتقليدية ليست شراً مطلقاً ولا الحداثة خيراً مغدقاً،ولأهمية وخصوصية الأسرة في عالمنا العربي تزداد المهمة صعوبة والمخاض عسراً، لميلاد نمط جديد قادر على خلق التوازن بين النمطين وليس تعايشهما جنباً لجنب فما يحمله كل نمط من نقيض للأخر يجعل عملية التعايش هذه وبالاً على الأسرة وأفرادها ويثقل كاهلهم بمزيد من الوظائف والواجبات.

المراجع

– أحمد الأحمر، " الأسرة الليبية الحضرية، تركيبها ووظائفها ومشكلاتها ، نتائج دراسة ميدانية"، مجلة العلوم الإنسانية، تصدر عن المعهد العالي لتكوين المعلمين، زليتن، السنة الأولى، العدد الأول، يناير، 1989، ص ص: 19-52.

– احمد زايد،"الشراكة داخل الأسرة: مع إشارة خاصة إلى الأسرة العربية"، المجلة العربية لعلم الاجتماع، تصدر عن جامعة القاهرة كلية الآداب، القاهرة، العدد الثاني، يوليو2008، ص:ص:7- 41.

– أحمد فلاح العموش ، "الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المعاصرة لقرية في جنوب الأردن"، مؤتة للبحوث والدراسات ، تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، مؤتة، المجلد الحادى عشر، العدد الثالث،،1996 ص ص:157-232.

– إسماعيل علي سعد، المجتمع والسياسة دراسات في النظريات والمذاهب والنظم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

– إسماعيل علي سعد، المدخل إلى علم الاجتماع السياسي، ج4، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

– إيمان جعفر عبود، عمل المرأة وتعليمها وعلاقتها باتخاذ القرارات داخل الأسرة في مدينة دمشق وريفها، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،2002.

– بول كلافان، المكان والسلطة، ط1، ترجمة : عبد الامير ابراهيم شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1990.

– جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة : ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، 1959.

– حليم بركات،المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي، ط7، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

– روي رودجرز ، التفاعل والتعامل العائلي: طريقة فهم تطورية، ترجمة: بونسوجرجرس، ط1، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية السورية، دمشق، 1986

– زبيدة ابن عويشة، أثر عمل الزوجة الأم في بناء الأسرة الجزائرية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع، 1987 .

– زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1976.

– سامية محمد جابر ، علم الاجتماع المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1989.

– عاطف وصفي، العائلة العربية، في: جميل سعيد وآخرون، دراسات في المجتمع العربي، جامعة الإمارات العربية، العين، 1983.

– عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة، ج3، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993 .

- علي زيعور، التحليل النفسي للذات العربية : أنماطها السلوكية والأسطورية ،ط 4 ، دار الطليعة، بيروت، 1977 .

- علي عبد المعطي محمد وآخرون، السياسة بين النظرية والتطبيق، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1974.

- علي محمد الصادق البشتي، أثر التحديث على تغير بناء الأسرة الليبية الحضرية، دراسة ميدانية بالتطبيق على مدينة طرابلس بليبيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 1997.

- عماد الدين سلطان وآخرون، "صراع القيم بين الآباء والأبناء"، المجلة القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية جمهورية مصر العربية، القاهرة، المجلد التاسع، العدد الأول، يناير، 1972، ص ص:1-32.

- العياشي عنصر، "الأسرة في الوطن العربي: افاق التحول من الابوية إلى الشراكة"، عالم الفكر،اللعدد3 المجلد36، يناير – مارس 2008، ص ص:281-325.

- غريب سيد أحمد، ملامح الأسرة في الخليج العربي والمشكلات التي تواجهها، في: غريب سيد أحمد وآخرون، دراسات في علم الاجتماع العائلي، ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

- فاروق أمين، دراسة حول واقع الأسرة البحرينية، جمعية الاجتماعيين البحرينية، 1983.

- فيصل السالم، توفيق فرح ، قاموس التحليل الاجتماعي، ط1، مجموعة أبحاث الشرق الأوسط، الكويت، 1980.

- قبلان المجالي، "وجهة نظر الأبناء في سيطرة الأب والأم على اتخاذ القرارات الأسرية "دراسة ميدانية"، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، مؤتة الأردن، المجلد الحادي عشر، العدد الثالث، 1996، ص ص:43-76.

- لوجلي صالح الزوي، البادية الليبية الحاضر والمستقبل : دراسة ميدانية شاملة لأوضاع البادية الليبية، ط1 ، منشورات قاريونس، بنغازي، 1998.

- محمد بك الخضري، الدولة العباسية، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1995.

- محمد عاطف غيث، دراسات في علم الاجتماع القروي، دار النهضة العربية، بيروت، (غير مؤرخ).

- محمد علي الضبيع، من مشكلات الأسرة الليبية، ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس، 1984.

- محمد علي محمد، أصول علم الاجتماع السياسي، ج2 ، القوة والدولة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994.

- محمد على محمد، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة ، بيروت، 1995.

- محمود سلام زناتي، نظم وعادات، القاهرة،1993.

– محي الدين خيري ، "أشكال التدخل الأسري في بعض شؤون الأبناء من الشباب الجامعي في الأردن – دراسة ميدانية"، مؤتة للبحوث والدراسات، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة مؤتة، مؤتة الأردن، المجلد السادس، العدد الأول، أغسطس، 1991، ص ص:237-273.

– المختار محمد إبراهيم، الآثار الاجتماعية والاقتصادية لحركة التصنيع : دراسة ميدانية لأحوال المنتجين بالصناعة بمدينة بنغازي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة قاريونس، كلية الآداب والتربية، قسم علم الاجتماع، 1991.

– هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، ترجمة: محمود شريح، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.

– هيفاء فوزي الكبرة، المرأة والتحولات الاقتصادية والاجتماعية:دراسة ميدانية لواقع المرأة العاملة في سورية،ط1،طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ،1987.

– ياسين علي الكبير،" التحضر والتغير الاجتماعي في الأسرة في مدينة طرابلس" ، مجلة الحكمة : مجلة الدراسات الفلسفية والاجتماعية، العدد الرابع، 1979، ص ص: 329-341.

– للمملكة الليبية المتحدة، الجريدة الرسمية، عدد خاص : قانون العقوبات وقانون الإجراءات الجنائية، دار النشر للجامعات المصرية، القاهرة، 1954.

– الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، الجريدة الرسمية العدد36، سنة 1992.

– الشراكة في الأسرة العربية، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية(31)، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، الامم المتحدة نيويورك،2001.

الأصول الفكرية والثقافية

للمجاهد الليبي بشير السعداوي

(1301هـ - 1376هـ / 1884م – 1957م)

الدكتور / إبراهيم على مفتاح الشويرف

قسم التاريخ –جامعة المرقب"مسلاته"

مقدمة :

إن البطولة لا تأتي من فراغ ، بل تغذيها جذور وأعـــراق تضـــرب في أغـــوار تربـــة خصـــبة ، تجمـــع عناصر شتى في النهاية تلك الشخصيات الفذة التي تؤثر في الأحداث ، وتسجل صفحات التاريخ .

ومن اليسير أن نتتبع الدور السياسي أو الميداني الـــذي تؤديـــه هـــذه الشخصـــيات الرائـــدة ، ولكـــن الأهم أن نسبر أغوارها ، ونغوص في أعماقها لنعـــرف مكوناتهـــا الثقافيـــة وموروثاتهـــا الحضـــارية ، وروافـــدها الفكرية التي هيأتها للقيام بهذا الدور القيادي المؤثر .

وقد وجدت في المجاهد الليبي بشير السعداوي ما يجذبني بقـــوة لدراســـة شخصـــيته وفكـــره ومعرفـــة منابعه ومؤثراته التي ساهمت في تكوين هذا العلم الذي شارك في حمل راية الجهاد في فتـــرة عصـــيبة مـــن تـــاريخ وطننا الليبي .

وهذه الفترة – برغم قسوتها وعنفهـــا – شـــهدت تغـــيرات تاريخيـــة هامـــة ، فقـــد ســـقط الحكـــم العثماني الخلافي ، وظهر حزب الاتحاد والترقي بما له وما عليه ، ووقـــع الـــوطن في بـــراثن الاحـــتلال الإيطـــالي الوحشي ، ونهض الأبطال يذودون عنه بكل الوسائل المتاحة لهم ، في حومـــة الـــوغي ، وفي ميـــادين السياســـة ، في الداخل وفي المهاجر ، فحفلت هذه الفترة بصورة البطولة والاستشهاد وأساطير المقاومة والجهاد .

وكانت هذه الفترة أيضاً مولداً لكـــثير مـــن الأفكـــار والمبـــادئ كالـــدعوة إلى الدســـتور والقوميـــة والجامعة الإسلامية ، وتصارعت الأفكار الوافدة من الغرب والشرق بالأفكـــار الموروثـــة والمعتقـــدات الراســـخة ، وفي وسط هذا الخضم الفكري والتجاذب الحضـــاري تـــزداد الحاجـــة إلى أصـــحاب البصـــائر ورواد الفكـــر الذين يضيئون في حالك الظلمات ، ويقودون أبناء أمتهم عبر المفاوز والمتاهات .

كان السعداوي علماً فكرياً وسياسياً من أعلام هـــذه المرحلـــة العصـــيبة الحافلـــة ، وكـــان لـــه مـــن نشأته ومخزونه الثقافي ما يؤهله لاجتياز المفاوز الصعبة ، وأتيح له بأســـفاره وقراءاتـــه ولقاءاتـــه أن يســـتفيد مـــن أعلام هذه المرحلة من مفكرين وعلماء ودعاة وهُداة وصقلته التجارب والأحـــداث ، وعلمـــه مـــا عاصـــره مـــن مواقف وما شارك فيه من أعمال في ليبيا وخارجهـــا ، وعلاقاتـــه بكبـــار المجاهـــدين والساســـة والمفكـــرين في عصره أن الولاء لا يكون إلا للمبادئ والأوطان .

وظل السعداوي عصامياً في نشأته وتكوينه ، زاهداً في المناصـــب والمطالـــب الدنيويـــة، حـــتى وافتـــه المنية في السابع عشر من يناير سنة 1957 م .

المؤثرات الطرابلسية

في ثقافة وتكوين بشير السعداوي

(1301هـ - 1376هـ / 1884م – 1957م)

الأسرة والمنشأ :

استقى بشير السعداوي ثقافته الأولى في بيئة طرابلسية عربية إسلامية صميمة ، كانت الأساس القوي لبنائه الفكري والثقافي طيلة حياته ، واستمد منها مشاعر الولاء والانتماء التي تعمقت وازدادت رسوخاً على مر السنين ، واسمه بالكامل بشير بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السعداوي .

كان مولد بشير السعداوي في أواسط سنة 1301هـ (**أوائل سنة 1884م**) في مدينة الخمس الساحلية ، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كيلو متراً ، وولاية طرابلس إحدى ولايات ليبيا الثلاث (برقة وطرابلس وفزان) وهي أصغر الولايات مساحة (حوالي 353 ألف كيلو متر مربع) بيد أنها أكثر الولايات ازدحاماً بالسكان ، وهي مركز الثقل البشري والاقتصادي في البلاد[1] .

وفي طرابلس ثلاث نواحٍ ، المناطق الساحلية ، والمناطق الداخلية والمرتفعات ، وتقع أكثر المدن بالقرب من شاطئ البحر ، ومنها الخمس حيث الطبيعة الخلابة، والمناخ المعتدل ، الذي يعرف بمناخ البحر الأبيض المتوسط ، وتكثر أشجار النخيل والزيتون التي تعتمد على مياه الآبار والسواني[2] .

والسعداوي يعتز بأصله العربي العريق ، فأسرته تنتمي إلى قبيلة "الغلالبة" التي تستوطن المناطق الساحلية عند ((قصر أحمد)) بالقرب من ((مسراته)) أو ((مصراته)) التي تقع شرق الخُمس باثنين وتسعين كيلو متراً[3].

والغلابة هم الأغالبية ، بنو الأغلب بن سالم بن عقال التميمي (ت150هـ) وإلى إفريقية زمن أبي جعفر المنصور العباسي[4] ، تولاها سنة 148 هـ وأقام في القيروان حتى أصيب بسهم في بعض حروبه فمات ، وتولى بعده ابنه إبراهيم ابن الأغلب ، وأعطاه هارون الرشيد حكم المغرب الأدنى وراثياً في أبنائه[5].

---

(1) د. عبدالعزيز شرف : جغرافية ليبيا – مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية 1963م – ص 5 وما بعدها .

(2) محمد بن مسعود : تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر – طرابلس سنة 1951 – ص 18 .

(3) أطلس العالم – مؤسسة بدران في لبنان 1419هـ / 1998م .

(4) الزبيدي (محمد مرتضى) : تاج العروس من جواهر القاموس – طبعة القاهرة سنة 137هـ - ج1 ص 415 ، عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – مؤسسة الرسالة في بيروت سنة 1418 هـ - 1997 – الطبعة الثامنة – ج1 ص 36 .

(5) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب – طبعة ليدن سنة 1948م – ج1 ص 74 . .

ومن هذه الأسرة العربية تنحدر عائلة السعداوي وصار اسم العداوي علماً عليهم وإن كانوا لا يدرون أصلاً لهذا الاسم ولا كيف جاء إليهم[1] .

وقبل مولد بشير السعداوي بثلاثة قرون انتقلت ((أسرة السعداوي)) من بلدة قصر أحمد الساحلية ، واتجهوا إلى الداخل في القرن السادس عشر الميلادي واستوطنوا بالقرب من قبيلة ((زمورة)) حتى اختلط الأمر على الكثيرين ، وظنوا أن بيت السعداوي من هذه القبيلة ، ولكن السعداويين ينفون انتاسبهم إلى زمورة ، ويؤكدون على نسبتهم إلى الغلالبة ، ولتأكيد هذا الأمر كانوا يسكنون في مساكن خاصة بهم منعزلة عن قبيلة زمورة ، وعلى أطراف المكان الذي صار يعرف بسام ((زمورة)) في نواحي مسراته .

وكان السعداويون أيضاً يستقلون عن زمورة في التزاماتهم المالية ، ويدفعون ما عليهم من ضرائب باسم ((بيت السعداوي)) ولا يشتركون مع قبيلة زمورة في ضرائبها ، وظلوا يعرفون باسم الغلالبة ويحرصون على تأكيد نسبهم هذا .

وكان هذا النسب العربي العريق حافزاً للسعداويين على الاعتزاز بالأصل العربي، والتحلي بالقيم والفضائل العربية والتي لازمت بشيراً السعداوي طوال حياته ، وصارت جزءاً من تكوينه الثقافي كالشجاعة والوفاء ، والتمسك بحق الدين والوطن ، فكان لا ينقض عهد الله من بعد ميثاقه ، ولا يقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ويعلم أن القاعدين لا يستوون مع المجاهدين في سبيل الله ، ولا يتخذ الكافرين أولياء من دون الله ، ويعلم أن من يهاجر في سبيل الله يجد مراغماً كثيراً وسعة[2] .

ونشأ بشير السعداوي في بيت علم ودين كان له أكبر الأثر في تكوينه الثقافي والفكري ، وقد توارث أبناء هذا البيت العلم والفضيلة كابراً عن كابر ، وكان السعداوي لا يكتفي بالاعتزاز بآبائه ، بل يطلب العلم ويحرص عليه ليستحق أن ينتسب إليهم عملاً بقول الشاعر العربي القديم :

إنَّا – وإن كَرمُت أوائلنا – لسنا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت تبنى أوائلنا ونفعل فوق ما فعلوا[3]

وإذا نظرنا في تاريخ أرومته الغلالبة وجدنا منهم كواكب ساطعة ونجوماً لامعة في كتب التاريخ والتراجم ، فمنهم أبو محمد عبدالسلام بن الغالب المسراتي الصوفي المتوفى سنة 704هـ ، قال عنه أحمد النائب في كتابه المنهل العذب : إنه قرأ على أكبر علماء طرابلس ، وإنه من أجل المشايخ قدراً وأعلاهم حالاً ، منفرد بحاله ووقته ، وله تأليف في التصوف ، وعلم بالقراءات وطرقها ، وكان ثقة عابداً ، وكان

---

(1) محمد فؤاد شكري : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها – مطبعة الاعتماد بالقاهرة سنة 1957 – ج1 مجلد 2 ص 388 .

(2) محمد فؤاد شكري : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها ، ص 389 .

(3) انظر البيتين في المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر – تحقيق د. محي الدين عبدالحميد – المكتبة الإسلامية في بيروت ، 2 / 56 .

يتولى الخطابة في جامع القيروان[1] ومن كتبه ((الـــوجيز)) في الفقـــه ، و((الزهـــر الأســـنى في شـــرح أسمـــاء الله الحسنى)) [2] .

ومن الغلالبة في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر المـــيلادي الشـــيخ إبـــراهيم بـــن أحمـــد بـــن سليمان ، المكنى بأبي شروحه المسراتي ، درس في الأزهر الشريف ، وأجازه الشيخ محمـــد بـــن عبـــدالله الخرشـــي (ت1101هـــ) (ويلقب أيضاً بالخراشـــي نســـبة إلى قريتـــه) ، أول مـــن تـــولى مشـــيخة الأزهـــر ولا يـــزال آل السعداوي يحتفظن بهذه الإجازة التي حصل عليها جدهم سنة 1075هـــ/ 1664 م .

ومن أعلام الغلالبة المؤرخ الفقيه محمد بن خليل بن غلبون الطرابلســـي المســـراتي، وكنيتـــه أبـــو عبـــدالله بن غلبون ، تعلم في الأزهر ، وأكمل دراسته في طرابلس ، وكان ينـــاظر أهـــل البـــدع ويشـــتد علـــيهم ، ولـــه كتاب مشهور بعنوان : ((التذكار فيمن ملك طرابلس ، ومن كان بها من الأخيار والأخبار)) .

ويعرف هذا الكتاب أيضاً بعنوان : ((تاريخ طرابلس الغرب))جعله شرحاً لقصيدة مـــن نظـــم أحمـــد بـــن عبد الدائم الأنصاري الطرابلسي مطلعها :

أرى زمناً قد جاء يقتنص المها بلا جارحٍ والأسد في فلواتها

فإذا م انتقلنا إلى أجداد السعداوي الأقربين وجـــدنا جـــده الثـــاني إبـــراهيم الســـعداوي يعمـــل كاتبـــاً للإنشاء عند الأسرة القرمانلية التي أسسها الوالي أحمد باشا القرمانلي وحكمت ولايـــة طـــرابلس الغـــرب ، مـــع الاعتراف بالولاء الاسمي للدولة العثمانية حوالي اثنتين وثلاثين سنة هجريـــة (إحـــدى وثلاثـــين ســـنة ميلاديـــة) من سنة 1126هـــ إلى 1158هـــ / 1714م – 1745م) وكان هذا الجد لا يميـــل إلى الأســـرة القرمانليـــة ويعتـــبرهم غرباء مرتزقة ؛ لأنهم من الانكشارية ، وأصلهم من قرما نيافي الأناضول[3] .

ونتيجة مواقف إبراهيم السعداوي المناوئة لهذه الأسرة أمر الوالي يوســـف باشـــا القرمـــانلي بإبعـــاده مـــع عدد من رفاقه ، وأرسلهم في سفينة إلى المنفى في استامبول، وكانـــت الســـفينة شـــراعية صـــغيرة ، فتحطمـــت بركابها في البحر ، واستطاع إبراهيم الســـعداوي أن ينجـــو بنفســـه ، ويصـــل إلى ســـواحل بنغـــازي ، وكـــان أميرها قرمانياً أيضاً ، ولكنه لحسن الحظ كان منـــافراً لـــوالي طـــرابلس يوســـف باشـــا ، فرحـــب بـــإبراهيم السعداوي وأدناه إليه ، واستعمله والياً على مدينة درنة .

ويتناقل السعداويون قصة هذا الجد ، ويضفون عليها هالـــة مـــن البطولـــة والأشـــعار الشـــعبية العاميـــة ، حتى صارت أدباً شعبياً يروى في مجالس السمر ومنها قولهم :

إمنين المراكب في غريق بحوره قطع سلاسلهم كما الجدادة

---

(1) أحمد بن حسين النائب الأوسي الأنصاري (ت حوالي 1330هـ / 1912م) المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب – الآستانة 1317هـ / ج1 ص 74 .
(2) إسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – استانبول سنة 1951 ، 1955 م – ترجمة رقم 287 .
(3) الطاهر الزاوي : أعلام ليبيا – دار المدار – طرابلس 1949م – ص 273 .

والجدادة عند أهل طرابلس هي خيوط الغـزل ، ولا يـزال أهـل درنـة يتنـاقلون حكايـات إبـراهيم السعداوي إلى اليوم [1] .

أما الجد المباشر للسعداوي فهو محمد بن إبراهيم السعداوي ، كان من أهـل العلـم والمعرفـة الواسـعة ، واشتهر بحبه للكتب واقتنائها حتى صارت له مكتبة عـامرة ، حافلـة بفنـون العلـم في الأدب والـدين واللغـة والتراجم ، وكانت هذه الكنوز المعرفية في متناول يد البشـير السـعداوي في صـباه وصـدر شـبابه ، فاسـتقى منها عَللاً بعد نَهل ، وقال : إنه كان يجد في حواشيها وعلى هوامشها تعليقـات وإضـافات هامـة مـن صـنع جده محمد بن إبراهيم ، وكان الحفيد شديد الإعجاب بجده ، واتخذه علماً يهتدى ، ومثلاً يحتذى [2] .

وكان هذا الجد المباشر يعمل رئيساً لمحكمة ((التمييـز)) الـتي تقابـل ((محكمـة الـنقض)) في عصـرنا ، وكان مقرها مدينة الخمس مقر الأسرة ، ثم نقلت إلى الآستانة ، وكان بشير السـعداوي حريصـاً علـى سمـاع سيرة جده هذا وجمع أخباره من أقران جده وزملائه وتلاميذه ، وعـرف منـهم خلـق جـده ونزاهتـه ، وأنـه كان لا يقبل الهدايا من أحد ، ويعتبرها رسوة مقنعة ، وعرف أن بعـض أبنـاء قبيلـة ((القليـل)) مـن قـرى مسلاته حملوا إليه هدية من فطير وعنب ، فقبل الهدية حتى لا يردهم خـائبين ، ولكنـه ردهـا إلـيهم بأحسـن منها ، واستضافهم في بيته عدة أيام.

وبعد قليل جاءه نفر من أبناء هذه القبيلة وقالوا له : إننا قـد أحببنـاك وجمعنـا مـالاً لنهديـه إليـك ، فاعتذر لهم وقال : إني قبلت الفطير والعنب اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأنـه يقبـل الهديـة ويردهـا بأحسن منها ، أما المال فإنه رشوة ، وإني أخاف الله في نفسـي وذريـتي مـن بعـدي ، وقـد قـال تعـالى : ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَـيْهِمْ فَلْيَتَّقُـوا اللَّـهَ وَلْيَقُولُـوا قَوْلًـا سَـدِيدًا﴾[3] . فأكبره القوم وعلت منزلته في عيونهم .

وتوفي هذا الجد محمد إبراهيم السعداوي سنة 1259هـ / 1882 م .

وكان أبو البشير السعداوي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السعداوي يتـولى منصـب ((مـأمور الإجـراء)) في الخمس ، أي : منفذ الأحكام ، ثم تولى أمانة الصندوق ، أي : الخزانـة ، ممـا يـدل علـى الثقـة في أمانتـه ونزاهته ، وكانت أسرته تملك بساتين وضياعاً في مصراته (مسراته) ، فعـاش في بحبوحـة ورغـد ، حـتى جـاء الاحتلال البغيض ، وصادر الطليان ممتلكات الأسرة .

وأنجب الأب ثلاثة من الذكور هم : نوري ، وأحمد ، وبشير ، وكـان البشـير أصـغرهم ، وتـوفي الأب سنة 1303هـ/ 1886 م .

---

(1) محمد فؤاد شكري : ميلاد ليبيا – ج1 ص 299 .
(2) المرجع السابق ص 392 ، 393 .
(3) سورة النساء / الآية 9 .

تربيته وعلومه الأولى :-

كان مولد بشير السعداوي – كما ذكرنا- في أواسط سنة 1301هـ (أوائل 1884م) ، وقد توفي أبوه إبراهيم بعد مولده بعام واحد ، فنشأ يتيم الأب ، لكنه لم يشعر كثيراً بقسوة اليتم نتيجة الترابط العائلي والأسري الذي تميز به بيت السعداوي ، فقد كفله عمه الصادق السعداوي هو وأخويه نوري وأحمد ، فعاشوا تحت رعايته مع ابنه الوحيد مختار صادق السعداوي ، الذي توفي بعد ذلك في مدينة طرابلس في صيف سنة 1951م .

ونشأ بشير في هذا الجو العائلي المترابط في بيئة علمية دينية ، وحفظ معظم أجزاء القرآن الكريم وهو في الخمس في الكتاتيب والزوايا ، ثم أتم حفظه في مدينة سرت عندما انتقل إليها مع أخيه الأكبر نوري الذي شغل وظيفة ((معين)) أي : مدير بيت المال في سرت[1] .

وقضى بشير وأخوه نوري في سرت سنة واحدة ، وعاد إلى الخمس وسبب ذلك وقوع خلاف بين الأخ الأكبر نوري ووالي سرت عمر المنتصر الذي حكم المدينة بالظلم والبطش مدة ثلاث وثلاثين سنة يساعده في ظلمه أبناؤه الأربعة ، وكان همه جمع المال والإثراء بكل الطرق الممكنة ، والبطش بمن يتعرض له بالنقد أو يخالف أوامره ، وبلغ من استبداده أنه كان يجبر أعضاء مجلس إدارة المدينة وكبار الموظفين أن يعطوه أختامهم ، ويحتفظ بها ليستعملها دون الرجوع إليهم ، ويتقرب إلى حكام الآستانة بالقبض على الأحرار من دعاة الدستور وأعضاء جمعية ((جون تورك)) أي تركيا الفتاة .

ورفض الأخ الأكبر نوري السعداوي أن يسير في فلك هذا الطاغية ، أو يوقع بالموافقة على الاتهامات التي كان يوجهها جزافاً لبعض القادة ، وآثر أن يعود مع أخيه بشير إلى الخمس بعد سنة واحدة ، واهتم بشير بالدرس والتحصيل على أيدي علماء بلدته ، فدرس الفقه المالكي ، والنحو والسيرة والتفسير وتاريخ الفتوحات الإسلامية .

وتعلم السعداوي من أخيه الأكبر دروساً عملية في رفض الظلم ، وعدم الانسياق خلف الطغاة والمستبدين ، وقوي شعوره بالعزة والكرامة التي يبعثها الإسلام في نفوس أتباعه المؤمنين ، وأحب الاقتداء بالسلف الصالح وعلماء الإسلام والمجاهدين الفاتحين .

وبدأ بشير السعداوي يؤهل نفسه للالتحاق بالأزهر الشريف في مصر ، أو في مدرسة ((العشيرة)) بالآستانة ، وكان السلطان العثماني عبدالحميد الثاني قد أنشأها ليلتحق بها أبناء العشائر من سائر الأقطار ، ثم يلتحوق بعد تخرجهم منها في الوظائف المرموقة مدينة وعسكرية .

واستشار السعداوي عمه الصادق ففضل لد الدراسة في الأزهر ، ونصحه أن يستزيد من دراساته الدينية والإسلامية قبل أن يتوجه إليه ، وحانت الفرصة للسعداوي ليؤهل نفسه عندما فتحت في الخمس مدرسة جديدة هي المدرسة الرشدية النظامية التركية ، وكان مديرها رجلاً تركياً عالماً مثقفاً عارفاً باللغات

---

(1) محمد محمد المفتي (طبيب ومفكر ليبي ، تخرج في جامعة ليدز في بريطانيا سنة 1986): السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسيان – الطبعة الأولى سنة 2005 – ص 41 .

الأوروبية ، ولكنه كان قليل المعرفة باللغة العربية ، وكان مؤمناً برسالته التعليمية، ودور العلم في إعداد جيل جديد ينهض بالبلاد ، وقبلت المدرسة الرشدية مائتين من الطرابلسيين النابهين في مقدمتهم بشير السعداوي .

كان مدير المدرسة يدعى ((حقي شيناس)) وأصله من إقليم لازستان الواقع على الساحل الجنوبي للبحر الأسود ، وكان نشيطاً حازماً ، يتابع تلاميذه بنفسه ، وبخاصة الصفوة المتميزة منهم ، ويشتد عليهم ، حتى أنه كان يمر عليهم في بيوتهم ليرى بنفسه التزامهم وتحصيلهم ، وزاد على الدروس المقررة دروساً أخرى في التاريخ والجغرافيا والرياضيات والأخلاق .

وكان هذا المدير المتفاني في عمله يبعث الثقة والعزيمة في نفوس طلابه ويقول لهم : ((أنتم طلاب علم ، وواجب الطالب أن يكون أهلاً لقيادة أمته ، فتزودوا بالعلم والمعرفة ، وتسلحوا بالخلق القويم)) وكان لقوله فعل السحر في نفوس طلابه[1] .

وكان لهذه الشخصية الجادة المخلصة في علمها وعملها الملتزمة بدينها وقيمها أكبر الأثر في ثقافة البشير السعداوي الأولى وتكوينه الفكري والنفسي ودفعته إلى اجتياز دراسته الأولية بنجاح وتفوق ، فأتم دراسته في مدرسة الرشدية في عامين ونصف فقط بدلاً من أربع سنوات ، وحصل على إجازة إتمام الدراسة بها سنة 1322هـ / 1904 م .

شخصيات وافدة إلى طرابلس :

ومن الشخصيات التي أثرت في التكوين الثقافي لبشير السعداوي – بعد أخيه وأستاذه التركي – شيخ مصري واسع الثقافة عذب الحديث هو الشيخ حسن الشاعر الذي قدم إلى طرابلس سنة 1317هـ / 1899م ، وسبب قدومه إليها ، أنه كان على خلاف مع بعض أبناء أسرته في مديرية البحيرة بمصر ، فآثر الرحيل واتجه أولاً إلى الآستانة حيث نزل ضيفاً هناك على صديق له هو الشيخ ظافر المدني شيخ السلطان عبدالحميد الثاني ، ومن المقربين إليه ، وكانت له تكية في الآستانة ، وحاول الشيخ ظافر أن يدفع بضيفه إلى مرتبة عالية ، وبذل جهداً ليجعله مقرئاً للسلطان أو بعض رجال الحاشية ، ولكن الظروف لم تساعده ، وسبقه إلى هذا المنصب مقرئ شامي .

أحس الشيخ حسن الشاعر أنه لا مكان له بالآستانة ، وكان من الصعب أن يعود مُحْبَطاً إلى مصر ، فأشار عليه الشيخ ظافر المدني بالسفر إلى طرابلس عند أقارب له هناك فاستجاب له ، وكان مستقبلوه أصدقاء لعائلة السعداوي الذين رحبوا به هم أيضاً تقديراً منهم لعلمه وحفظه وحسن تلاوته للقرآن الكريم ، وأقام الشيخ في ضيافة السعداويين حوالي ثلاث عشر سنة حتى توفاه الله تعالى سنة 1329هـ / 1911م قبيل وقوع البلاد في براثن الاحتلال الإيطالي البغيض بشهور قلائل .

---

(1) محمد فؤاد شكري ص 397 .

ورأى بشير السعداوي في الشيخ حسن رجلاً سمحاً وديعاً ، لا يغضب ولا يعنف ، فآنس إليه ، وأحب مجالسته ، ونشأت بينهما صداقة ومودة ، وكان الشيخ أديباً راوية واسع المعرفة ، فاستقى منه السعداوي كثيراً من روافد ثقافته في تلك المرحلة المبكرة .

وفي نفس الوقت ظل السعداوي على صلة وطيدة بأستاذه الأول حقي شيناس الذي كان يزهو به ، ويفخر أنه تخرج على يديه ، ويصحبه معه في زياراته لكبار الشخصيات ، ورشحه لدى متصرف الخمس خلوصي بك ، فعينه في قسم التحريرات بالديوان ، وكان أستاذه ((شيناس)) يشجعه على التحدث والكتابة باللغة التركية ، حتى امتلك ناصيتها ، وكان أستاذه يكتب إليه باللغة التركية ، ويطلب منه أن يرد على رسائله بالتركية أيضاً ، كما كان يكلفه بإعطاء دروس لزملائه في هذه اللغة حتى يزداد تمكنا منها ، وترقى بشير السعداوي حتى صار مفتشاً على الضرائب والأعشار في الخمس ونواحيها .

وتأثر السعداوي بشخصية إدارية وفكرية أخرى هي الدكتور رشيد التركي الذي تولى متصرفية الخمس سنة 1908م ، وكان يثق في بشير السعداوي ويعتمد عليه في تسويه الخلافات على الأرض والممتلكات بين الأهلين ، وظل في منصبه الحكومي حوالي تسع سنوات حتى وقع الاحتلال .

تأثير الغزو الإيطالي على فكر السعداوي :-

وعندما وقع الغزو الإيطالي الغاشم على طرابلس سنة 1329هـ/ 1911م أحس السعداوي بوهن المسلمين وتفرقهم وضعفهم ، وما أصابهم من تخلف وقصور حضاري ، ولذا كان يرى في التمسك بالولاء لدار الخلافة – برغم مآخذه عليها – حرصاً على الوحدة الإسلامية ، وكان في حديثه مع مثقفي بلاده يفضل أن تكون الخلافة عربية .

ووجد بشير السعداوي كثيراً من كتب التراث في مكتبة جده محمد ، فقرأ الكثير منها ، وتأثر بما فيها من فكر متقدم ، وتحليل دقيق ، مثل مقدمة ابن خلدون ، وتاريخ المسعودي ، وكتب الفقه السياسي الإسلامي ، وآمن بحق الإسلام في أن يكون ديناً ودولة ، وواجب المسلمين في النهوض به ، وكان يؤمن أن بني قومه هم المسلمون قاطبة ، وليسوا أهل وطنه طرابلس وحدهم [1] .

السعداوي في المهاجر :-

شارك بشير السعداوي بقوة في حركة الكفاح المسلح منذ بداية الغزو الإيطالي إلى ليبيا ، حتى تمكن الغزاة من بسط سلطانهم على برقة وطرابلس ، وتوقف الجهاد حيناً ، وتعقب المستعمرون الأحرار والمقاومين بالقمع والمصادرة وارتكبوا كثيراً من الفظائع والحماقات ، ونقضوا كل العهود والاتفاقات التي أبرموها مع أهالي البلاد فهاجر خراج ليبيا ليواصل الكفاح المسلح وحرب الأقلام من مهاجره .

وكانت هجرته الأولى إلى الآستانة سنة 1912م وتقلد عدداً من الوظائف في الأناضول والحجاز ولبنان ، وعاد إلى طرابلس سنة 1920م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فقضى ثلاث سنوات في محاولة

---

(1)محمد فؤاد شكري ص 402.

تجميع القوى الوطنية ، وتوحيد كلمة الليبيين ، وتصفية ما بين المجاهدين من خلافات ، وحضر مؤتمر غريان الذي أعقبه تأسيس هيئة الإصلاح المركزية التي تولت الحكم في طرابلس ، وكان بشير السعداوي من بين أعضائها .

وعاد الطليان من جديد لتعقب المجاهدين وتعقب حركات المقاومة مستخدمين أبشع الوسائل حتى اضطر السعداوي إلى الهجرة من جديد متخفياً سنة 1923م ، ووصل إلى مصر ، ومنها اتخذ طريقه إلى بلاد الشام فاستقر بها ، وأصدر الطليان ضده حكماً غيابياً بالإعدام .

وكانت الهجرة إلى الشام نقطة تحول كبيرة في حياة السعداوي ومساره الفكري والثقافي ، فقد تأثر بما كان يموج به الوطن العربي ، والعالم الإسلامي من أفكار إصلاحية ، وحركات تحررية ، ودعوات سياسية وأسس السعداوي في الشام جمعية باسم ((الدفاع الطرابلسي البرقاوي بالشام)) .

وشارك في حوادث سويا في عهد الانتداب البريطاني ، وشارك في المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة 1931م ، وصار للجالية الطرابلسية البرقاوية بالشام .

واستعان به الملك عبدالعزيز آل سعود سنة 1934م في التوسط لإنهاء الحرب التي وقعت بين آل سعود وإمام اليمن يحي حميد الدين ، وتوثقت علاقته منذ ذلك الحين بالعاهل السعودي ، وأصبح من كبار المستشارين له طوال الحرب العالمية الثانية ، وحضر لقاءات الملك مع رؤساء الولايات المتحدة وبريطانيا مثل روزفلت وإيدن وتشرشل ، كما حضر بصحبته مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي عُقِدَ في مدينة إنشاص المصرية في مايو سنة 1946م .

وبعد الحرب الثانية ، وهزيمة إيطاليا ، وتصفية مستعمراتها ، بدأت جولة جديدة نشطة من جهود السعداوي لعرض قضية ليبيا ، والمطالبة باستقلالها[1] .

ارتباط السعداوي بالمهاجرين الليبيين في مصر :-

كان السعداوي يمثل زعامة المهاجرين الليبيين في الشام ، وكان حريصاً على تكوين مركز قوي للنضال عن قضية بلاده ، وشحذ همم المسلمين عموماً والعرب خصوصاً وتعبئة الرأي العام في الدول المتحضرة لمؤازرة قضية الوطن .

وكان على صلة وثيقة بالمجاهدين والمفكرين الليبيين المهاجرين إلى مصر ، وقد اعتبروه عن طيب خاطر زعيماً لهم ولسائر المهاجرين الليبيين إلى مصر والشام وسائر البلاد ، ويتضح ذلك من رسالة كتبها إليه من مصر الشيخ طاهر أحمد الزاوي في 1931/11/17، وهي رسالة مطولة نصاً الدكتور محمد فؤاد شكري[2]، ويمكن تلخيص أهم بنودها فيما يلي :-

1. **أن المهاجرين الليبيين في مصر يقرون بزعامة السعداوي في ميدان الجهاد طواعية عن طيب نفس .**

---

(1) د. نقولا زيادة : محاضرات في تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال – مطبوعات معهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة سنة 1958م .
(2)شكري : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ص 302 ، 303 .

2. أن الليبيين واثقون أن وطنية السعداوي إيمان راسخ يمكن أن يذلل جميع الصعوبات التي تعترض طريقه .

3. التزام المهاجرين الليبيين في مصر بإمداده أولاً فأولاً بالمعلومات والمنشورات والرسائل التي تصلهم من ليبيا ، أو يقومون هم بطبعها للتنديد بفظائع الاستعمار الإيطالي .

وكان المهاجرين في مصر يحتاجون إلى مؤازرة السعداوي وإخوانه بالشام ؛ لأنهم يواجهون كثيراً من الضغوط والتضييق عليهم بسبب قوة النفوذ الإيطالي في مصر في تلك الفترة ، حتى أن السلطات في مصر منعتهم من الاحتفال بذكرى استشهاد البطل الشهيد عمر المختار .

وكان السعداوي يبذل جهوداً مضنية لرأب الصدع والحفاظ على وحدة الجهاد إذا ما اختلف المهاجرون في مصر أو في الشام أو في داخل ليبيا ، ويعمل على إبلاغ صوت الليبيين ورفع وجهة نظرهم إلى الدول الغربية المنتصرة في أعقاب الحرب العالمية الثانية[1] .

تأثر السعداوي بحركة الإصلاح الإسلامية

استيقظ العالم الإسلامي في أواخر القرون الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين على هجمات القوى الاستعمارية التي كانت تتنافس على احتلاله وتمزيق أوصاله ، وبدأ العلماء والمفكرون والمصلحون يبحثون عن أسباب التخلف والضعف ، وعن وسائل النهوض والعلاج ، وكان لأفكارهم وكتاباتهم وسيرتهم أثر كبير على فكر السعداوي وشخصيته ، وتكوينه الثقافي .

وقد امتدت حركة الإصلاح الإسلامية إلى كافة الميادين ، فدرست العوامل السياسية والدينية والاجتماعية والتربوية ، ووضعت الحلول والمقترحات اللازمة لإصلاحها ، وخرج بعض هذه المقترحات إلى حيز التنفيذ ، وبقي بعضها حبيس الكتب والأوراق والعقول ، وكان السعداوي يتابع بحماس واهتمام كل هذه الأفكار.

تأثره بدعوة جمال الدين الأفغاني (1254- 1315هـ / 1838 – 1897م) :

كان لظهور جمال الدين الأفغاني أثر كبير في نشاط حركة الإصلاح حتى أنه لقب بباعث النهضة الإسلامية الحديثة ، ومن أهم آثاره أنه ترك مدرسة شامخة تضم علماء أفذاذ حملوا الراية من بعده ، وعلى رأسهم تلميذ الإمام محمد عبده .

واسمه محمد بن صفدر الحسيني ، ومعنى صفدر ((مخترق الصفوف)) باللغة الفارسية ، وهي تدل على الشجاعة والإقدام[2] .

---

(1)هنري حبيب : ليبيا بين الماضي والحاضر – ترجمة شاكر إبراهيم – الطبعة الأولى – المنشأة الشعبية للنشر في طرابلس سنة 1981 – ص 76.
(2)دائرة المعارف الإسلامية ج7 ص 95 – 101 Goldziher.

وهو حسيني ينتمي إلى الأشراف العلويين ، ومولده بأفغانستان ، وطاف بأرجاء العالم الإسلامي في المشرق ، ثم استقر به المقام في مصر ، ونفي إلى باريس وبعض بلدان أوروبا ، ثم توفي في الآستانة سنة 1315هـ / 1897م عن إحدى وستين سنة هجرية[1] .

كانت دعوة جمال الدين تتجه إلى تثقيف الأمة والعناية بالطبقات المطحونة ، واستخدام الأساليب السهلة الواضحة في الكتابة بعيداً عن الزيف والتكلف أو مخاطبة الملوك[2] .

وكان مهتماً بالدفاع عن الحضارة العربية الإسلامية حريصاً على اللغة الفصحى ، رافضاً لليأس والقنوط ، ولذا واصل نضاله من منفاه بإصدار صحيفة ، رافضاً لليأس والقنوط ، ولذا واصل نضاله من منفاه بإصدار صحيفة ((العروة الوثقى)) من باريس ، وجاء في عددها الأول : ((يجب على الأمة تدارك ما فات وإزالة ما حل بها من اليأس والتمسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم)) [3] .

وقد ناقش جمال الدين مفكري الغرب الذين يزعمون إن الملمين نقلوا حضارتهم عن اليونان والفرس ، وانبرى للرد على الفيلسوف الفرنسي رينان الذي حاول أن يقلل من شأن الإسلام والمسلمين.

بيد أن أهم ما دعا إليه جمال الدين الأفغاني هو الدعوة إلى الجامعة الإسلامية ، وتنصيب خليفة مسلم يرضى عنه الجميع على غرار ما حدث في عصر الخلفاء الراشدين وعصور ازدهار الإسلام ، وحاول السلطان عبدالحميد الثاني استغلال هذه الفكرة لصالحه ، ويقول الدكتور إبراهيم العدوي : ((قد يبدو لأول وهلة أن هناك صلة بين سياسة السلطان عبدالحميد ودعوة جمال الدين ، ولكن تلك الصلة في حقيقة الأمر صلة واهية ، فعندما وطئت أقدام جمال الدين الآستانة بناء على دعوة من السلطان أحس أنه حبيس في قفص من ذهب ، وأن السلطان يماطل في الإصلاح فوصفه بأنه ((سل في رئة الدول)) ، وقال أيضاً : ((لو أنصف الأتراك أنفسهم لاستغربوا)) [4] .

ويظهر تأثير الأفغاني في السعداوي بجلاء من خلال تأثر السعداوي بمدرسة الأفغاني ، وإعجابه بآراء تلاميذه أمثال محمد عبده ورشيد رضا ومحمد فريد وجدي وغيرهم ممن حملوا أفكار الأفغاني .

كما يبدو هذا التأثير أيضاً في إيمان السعداوي بفكرة الجامعة الإسلامية ؟، وضرورة تقدم العنصر العربي إلى الصفوف القيادية ، مع الإيمان في نفس الوقت بفكرة الوطن القومي في إطار الجامعة الإسلامية ، وكان يرى في ذلك وسيلة ناجحة لمواجهة الغزو الاستعماري السياسي والثقافي ، ولم يكن الولاء للفكر الإسلامي ولاء لشخص بعينه أو دولة بعينها ، ولم يمنعه ولاؤه للإسلام من انتقاد السلطان عبدالحميد ، ومساوئ الدولة العثمانية ، والإعجاب بالأحرار والمناداة بالدستور .

---

(1)أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث – القاهرة 1948م ص 59 – 120 .

(2)عمر الدسوقي : في الأدب الحديث – القاهرة 1965 – ج1 ص 237 .

(3) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام – طبع في القاهرة – ص 296 .

(4) د. إبراهيم العدوي : قادة التحرير العربي في العصر الحديث – مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة 1958 ، ص 68 – وأحمد أمين : زعماء الإصلاح ص 101.

يقول الدكتور محمد فؤاد شكري : ((تربى السعداوي على الفكر الإسلامي منذ نعومة أظافره ، ونزلت أقوال الإمام محمد عبده والأفغاني برداً وسلاماً على فلبه ، وأشبعت ظمأه إلى ربط الدين بالدنيا والنواحي السياسية وأشعرته بالعزة الإسلامية، وأن للعرب كياناً قوياً)) .

وكانت تصل إليه في موطنه الخمس أعداد كبيرة من جريدة المنار التي بدأ إصدارها في شوال سنة 1315هـ/ مارس 1898م تحمل الكثير من آراء الأفغاني وسيرته ، وتنشر أفكار تلميذ الإمام محمد عبده ودعوته[1] .

تأثر السعداوي بفكر الإمام محمد عبده :-

وكانت الشخصية الثانية الأكثر تأثيراً في التكوين الفكري الإصلاحي للسعداوي هي شخصية الإمام محمد عبده حامل لواء الإصلاح بعد جمال الدين ، ورفيق كفاحه وأنجب تلاميذه.

والإمام هو الشيخ محمد عبده بن حسن خير الله ، ولد في قرية شنرا بمديرية الغربية بمصر سنة 1266هـ / 1849م ، ونشأ في محلة نصر في البحيرة ، وتعلم في الجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر ، وعمل بالصحافة ، وأجاد الفرنسية، وكان قد تجاوز الأربعين من عمره ، وشارك في الثورة العرابية ، ونفي إلى الشام، وسافر إلى باريس مع أستاذه جمال الدين الأفغاني ، وشاركه في إصدار صحيفة العروة الوثقى ، وعاد إلى بيروت ، ثم سُمح له بالعودة إلى مصر ، فتولى منصب القضاء ثم الإفتاء ، وتوفي بالإسكندرية سنة 1323هـ / 1905م ، وله مؤلفات كثيرة في التفسير والعقيدة والأدب والرد على المستشرقين والمشككين .

وتتلخص رسالة الإمام الإصلاحية في أمرين : الدعوة إلى تحرير الفكر من التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة وما للشعب ، فللحكومة حق الطاعة ، وللشعب حق العدالة[2] .

وكان الإمام يعلن بقوة أن العرب هم الأمناء على الإسلام وتراثه ، الحريصون على بقاء علاقات طيبة مع تركيا ؛ لأنها دولة إسلامية ، وكان بذلك يرد على محاولات الإنجليز الذين احتلوا مصر لإيجاد هوة سحيقة بين الأمة العربية والشعوب الإسلامية ، وعلى مزاعمهم بأنهم قوامون على الشعوب العربية[3] ، وكان لهذه الأفكار تأثير كبير على التكوين الثقافي للسعداوي وكثيرين من أهل طرابلس كما سنذكر .

وكان الشيخ محمد عبده ينشر أفكاره في صحيفة ((العروة الوثقى)) التي تصل أعدادها إلى بلاد الشام وإلى طرابلس وأنحاء متفرقة من العالم الإسلامي ، وكانت الصحيفة تحذر من تقليد المستعمرين والذوبان في ثقافتهم ، وجاء فيها ((يُعْتَبر أولئك المقلدون طلائع لجيوش الغالبين ، يمهدون السبيل للمستعمرين ويفتحون لهم الأبواب)) وجاء فيها أيضاً: ((ليس الخائن من يبيع وطنه بالنقد فقط ، ولكن الخائن من يكون سبباً في خطوة يخطوها العدو في أرض الوطن ، بل من يدع قدم العدو تستقر على تراب

---

(1) شكري : ميلاد دولة ليبيا ص 404 ، 406 .

(2) الزركلي : الأعلام – الطبعة السادسة في بيروت سنة 1984 – ج6 ص 252 .

(3) د. العدوي : قادة التحرير العربي في العصر الحديث – مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القاهرة سنة 1958 .

الوطن وهو قادر على زلزلتها))[1]، وكانت هذه الأفكار تلقى من السعداوي أذناً صاغية وعقلاً واعياً ، وتضاعف إيمانه بما رسخ في قلبه من حب للوطن واعتزاز بالدين .

وبعد رجوع الإمام من منفاه اتجه إلى بيروت ، وزار حواضر سورية والقدس والتف حوله المخلصون والمصلحون ، ثم عاد إلى وطنه مصر بعد ست سنوات تاركاً أثراً كبيراً في فكر الشاميين واتجاهاتهم السياسية والإصلاحية ، ووصلت هذه الأفكار إلى فكر السعداوي عندما اختار الشام مُهَاجَراً له .

ويذكر الدكتور محمد فؤاد شكري ، وهو صديق السعداوي الذي لازمه طويلاً ، المؤلفات والكتب التي أصدرها الشيخ محمد عبده ، وقرأها السعداوي بوعي ونهم، وتأثر بكل حرف فيها ، ومن هذه المؤلفات :

1. ما كانت تنشره صحيفة المؤيد التي كان يصدرها الشيخ علي بن أحمد بن يوسف (ت1331هـ/1913م) من مقالات الإمام .

2. رسالة التوحيد التي طُبعت أكثر من مرة ابتداء من سنة 1315هـ/1897م ، ووصلت إلى الشمال الأفريقي وبخاصة طرابلس الغرب وتونس .

3. رسالة ((الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة)) ، وهي سلسلة مقالات نشرت مسلسلة سنة 1319هـ/1901م ، ثم طبعت مجتمعه في السنة التالية[2] .

تأثر السعداوي بمقالات الشيخ محمد عبده في صحيفة المؤيد :

يقول د. شكري : إن السعداوي راح يقرأ كل ما ستطاع أن يعثر عليه من كتابات الإمام محمد عبده ، وساعده على ذلك أن صحيفة ((المؤيد))كانت تصل إلى طرابلس الغرب ، وكان بشير السعداوي ممن يواظب على قراءتها .

ومن أبرز ما نشرته المؤيد للإمام ، وتابعها السعداوي باهتمام شديد ، سلسلة مقالاته في الرد على ((هانوتو)) ، وهي ست مقالات نشرت سنة 1318هـ/1900م ، وكان هانوتو وزيراً فرنسياً متعصباً ، كتب مقالين في مهاجمة الإسلام نشرهما في جريدة ((الجورنال دي باري)) الفرنسية في أوائل عام 1900م عن العقائد الإسلامية والسامية والآرية والمسيحية ، واستدل على آرائه بواقع المسلمين وانحطاطهم وقصورهم الحضاري في عصره ، وتابع ((هانوتو)) هجومه على الإسلام في حوار أجراه مع صاحب جريدة الأهرام المصرية ، ونشرته الجريدة في نفس السنة[3].

---

(1) محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام ج1 ص 312 ، 366 .
(2) شكري : ص 406 .
(3) محمد عمارة : الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ج3 : الإصلاح الفكري والتربوي والإلهيات – المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت سنة 1972م .

وقد تُرجمت هذه المقاولات والأحاديث إلى العربية ، وانبرى لتفنيدها والرد عليها الشيخ الإمام بأسلوب علمي دقيق .

وقد أوضح الإمام في مقالاته فضل الإسلام على البشرية كافة ، وفضل الحضارة الإسلامية على الغرب ، وبين خطأ هانوتو وخلطه بين الأديان والعقائد وفهمه الخاطئ لعقيدة التوحيد وعقيدة القضاء والقدر في الإسلام .

وبين الإمام أن سبب انحطاط المسلمين وضعفهم هو بعدهم عن الدين ، وأن الفضائل والعفاف مرتبطة بالإسلام أينما انتشر ، والفساد والشر مرتبط بالمدينة الغربية أينما حلت .

وذكر الإمام أن الإسلام هو دين الوسطية ، لا روحياً مجرداً ، ولا جسدياً جامداً ، وأنه دين الفطرة البشرية السليمة ، وأنه دين ودنيا ، وسياسة واقتصاد وعلم واجتماع ، وأنه جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[1] .

وختم الإمام سلسلة مقالاته تلك بقوله : ((إن هؤلاء الإفرنج يأخذون مطاعنهم في الإسلام من سوء حال المسلمين ، مع جهلهم هم بحقيقة الإسلام . إن القرآن نظيف، والإسلام نظيف ، وإنما لوثه المسلمون بإعراضهم عن كل ما في القرآن ، واشتغالهم بسفاسف الأمور)) [2] .

وجاء في مقالات الشيخ محمد عبده في صحيفة المؤيد أن مساوئ الدولة العثمانية وأخطاءها بعيدة عن الإسلام ؛ إذ يقول : ((إن سياسة الدولة العثمانية مع الدول الأوروبية ليست بسياسة دينية ، ولم تكن دينية قط من يوم نشأتها إلى اليوم ، وإنما كانت في سابق الأيام دولة فتح وغلبة ، وفي أخرياتها دولة سياسة ومدافعة ، ولا دخل للدين في شيء في معاملاتها مع الأمم الأوروبية)) .

((وقد نزلت أقوال الإمام برداً وسلاماً على قلب السعداوي ، وتربى عليها منذ نعومة أظافره ، وأشبعت ظمأه إلى ربط الدين بالدنيا ، والنواحي السياسية ، وأشعرته بالعزة الإسلامية وأن للعرب والمسلمين كياناً قوياً)) .

وإلى جانب صحيفة المؤيد ، وصلت إلى يدي السعداوي أعداد كثيرة من صحيفة المنار التي كان يصدرها السيد محمد رشيد رضا منذ شهر شوال 1315هـ/ مارس سنة 1898م ، وكانت تحمل كثيراً من آراء الأفغاني وسيرته ، وتنشر أفكار الإمام محمد عبده ودعوته[3] .

رسالة ((الإسلام والنصرانية)) :-

(1) الإمام محمد عبده : مقالاته في الرد على ((هانوتو)) ج3 المرجع السابق .
(2) الإمام محمد عبده : المرجع السابق ج3 ، ص 240 .
(3) شكري : ص 404 – 406 .

وهي مجموعة رسائل كتبها الإمام محمد عبده إلى أخلص تلاميذه رشيد رضا تتعلق بالرد على مقالات الصحفي الأديب اللبناني فرج بن أنطون بن إلياس (1340هـ/1922م) الذي استقر بمصر وأصدر جريدة باسم الجامعة[1] .

وقد ادعى فرج أنطون أن الدين المسيحي أوسع صدراً في احتمال مجاورة العلم والفلسفة ، وأشاد بالعالم المسيحي الذي فصل بين الدين والدولة مما مهد السبيل للحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي ، وذلك بكلمة واحدة : ((اعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله)) .

وقد رد الإمام على ذلك بآيتين كريمتين : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2] و ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3] .

وضرب الإمام أمثلة كبيرة للتسامح في الإسلام مع الخصوم ، وأهل الذمة ، ومشاركة أهل الكتاب في بناء الحضارة الإسلامية ، وذكر أيضاً أمثلة لتعصب الكنيسة الغربية في العصور الوسطى ذد العلم والفلسفة ، ومحاكم التفتيش في أسبانيا التي أحرقت مئات الآلاف من البشر .

وقد ود السعداوي في أقوال الإمام رداً وافياً وبلسماً شافياً ، ثَبَّتَ جنانه ، ورَسَّخَ وجدانه ، وأشبع عقله ، وروى غُلَّته .

رسالة التوحيد :-

ومما قرأه السعداوي وأثر فيه أيَّما تأثير رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ، ويقول الدكتور محمد فؤاد شكري : لقد رأى السعداوي أن هذه الرسالة سلكت أسلوباً جديداً يعتمد على التفكير الهادئ الرتيب لبيان العقيدة الإسلامية وتوضيحها ، والدفاع القوي عن الإسلام ، وذلك بدحض المفتريات التي افتريت عليه زوراً وبهتاناً .

وقد وصلت هذه الرسالة إلى طرابلس الغرب ولقيت اهتماماً واسعاً وتركت أصداءها القوية في قلوب الليبيين ، وقد وصفها السيد محمد رشيد رضا بأنها ((الكتاب الوحيد الذي يصلح في هذا العصر للاعتماد عليه في الدعوة إلى الإسلام على الوجه الصحيح الذي اشترطه المتكلمون والذي يحرك المدعو للنظر فيه)) .

وهي رسالة متوسطة الحجم ليست بالمختصرة المخلة ، ولا بالطويلة المملة ، كتبت بأسلوب سهل الفهم ، ميسور التناول يناسب العصر الذي كتبت فيه ، وهي في علم العقيدة أو الكلام ، ويسمى أحياناً بأهم مباحثه ، فيقال : ((علم التوحيد))، وتناول فيها الإمام أدلة وجود الخالق ، وصفاته ، وما يجب أن

---

(1) اللجنة اللبنانية لإعداد شهر الأونسكو في بيروت سنة 1948م : أعلام اللبناني في نهضة الآداب العربية – ص 199 ، مارون عبود : رواد النهضة الحديثة – بيروت 1952م .
(2) البقرة / آية 256 .
(3) الكهف / آية 29 .

يثبت للرسل ، وما ينفي عنهم ، واستخدم أدلة عقلية و نقلية من القرآن والسنة والنظر العقلي ، وهو يختلف عن الفلاسفة الذين يستمدون آراءهم من الفكر المحض ، وما نقل عن فلاسفة اليونان .

وتحدث الإمام في رسالته عن الفرق بين أفعال الله جل شأنه وأفعال العباد ، وناقش قضية الاختيار والجبر ، والمعجزات وأنواعها ، وبين حاجة البشر إلى الرسالات والرسل ، وقضية الوحي ، ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة القرآن ، وانتقل إلى الحديث عن انتشار الإسلام بالدعوة لا بالسيف .

وللإمام رسائل جوابية تعد مكملة لرسالة التوحيد ، ألقاها في محافل ، أو كتبها في صحف رداً على أسئلة وجهها بعض السائلين إليه في قضايا عقائدية مثل القضاء والقدر والجبر والاختيار ، والدين والفطرة الإنسانية .

وهناك أيضاً حديث أو محاورة دارت بين الإمام والفيلسوف الإنجليزي سبنسر في مقره في ((برايتون)) بجنوب إنجلترا في العاشر من أغسطس سنة 1903م[1] .

وكان اهتمام السعداوي بآثار الإمام وتلاميذه اهتماماً بالغاً ، وأعجبه بصفة خاصة قول الإمام : ((لو انتبه المسلمون إلى شئونهم ورجعوا إلى الأخذ بالصحيح من دينهم لاعتصموا بجامعتهم ، واستعانوا على إصلاح أمورهم بأنفسهم ، واستغنوا عمن أدخولوه في أعمالهم من غيرهم[2] .

تأثر السعداوي بالكاتب الإسلامي محمد فريد وجدي :

ومن الشخصيات التي تأثر السعداوي بأفكارها ، وتعد امتداداً لمدرسة الأفغاني والشيخ محمد عبده : المفكر الباحث محمد فريد بن مصطفى وجدي الذي ولد ونشأ بالإسكندرية في مصر ، وكان مولده سنة 1295هـ/1878م[3]، وتنقل مع أبيه في بعض مدن مصر حيث تولى أبوه مناصب رسمية في دمياط والسويس ، وأصدر عدة مجلات ورسائل ، وأهمها صحيفة ((الدستور)) ، ورسالة في بدائع ((الأكوان)) [4] .

وأهم آثار محمد فريد وجدي ((دائرة معارف القرن العشرين))في عشرة مجلدات ، و((صفوة العرفان)) وهو تفسير موجز للقرآن الكريم ، وعندما صدر كتابا ((المرأة الجديدة وتحرير المرأة)) لقاسم أمين، رد عليه محمد فريد وجدي بكتاب ((المرأة المسلمة)) ، وله كتب أخرى عديدة في الأدب واللغة ونقد كتاب الشعر الجاهلي لطه حسين ، وكان مترفعاً عن المحافل العامة ، يأنس إلى الوحدة ، ويؤثر الراحة ، وتوفي بالقاهرة سنة 1373هـ/1954م عن ثمان وسبعين سنة هجرية[5] .

وكان أكثر مؤلفات وجدي تأثيراً في بشير السعداوي كتاب ((المدينة والإسلام)) ، كتبه أولاً باللغة الفرنسية بعنوان : ((تطبيق الديانة الإسلامية على نواميس المدينة)) ، ثم ترجمه إلى العربية بنفس الاسم في

---

(1) الإمام محمد عبده : رسالة التوحيد – ضمن أعماله الكاملة ج3 ص 353- 539 ، جمعها وحققها وقدم لها : محمد عمارة – بيروت 1972م .
(2) شكري ص 404 .
(3) هذا على الأرجح ، وذكره الزركلي ج6 ص 329 ، وبعض المصادر تؤرخ لمولده بسنة 1875م.
(4) عبدالحميد جلال : مقال في جريدة المصري بتاريخ 1954/4/1م .
(5) محمد عبدالغني حسن : مقال في جريدة الأهرام بتاريخ 1954/2/17م.

الطبعة الأولى سنة 1898م ، ثم أسماه ((المدينة والإسلام)) في الطبعة الثانية[1] . وقد ترجم الكتاب إلى لغات أخرى عديدة .

ويقول الدكتور محمد فؤاد شكري : ((ومن الكتب التي قرأها بشير السعداوي وأثرت في نفسه ((كتاب المدينة والإسلام)) لمحمد فريد وجدي لبيان تعاليم الدين في قالب حديث ، نهج فيه الإمام محمد عبده في أسلوبه وطريقة تناوله للموضوعات)) [2] .

وفي مقدمة الكتاب يقول محمد فريد وجدي : ((إن غرضه من تصنيف هذا الكتاب هو تفهيم الأوروبيين حقيقة الدين الإسلامي وماهيته ، وإثبات أنه ضامن للإنسان أن ينال السعادتين ، وكافل له راحة الحياتين ، وإقامة الحجج والبراهين العلمية على أن الإسلام ليس بالدين الذي يمكن أن ينساه أهله وذووه ، وليس بالدين الذي تعارضه علوم العصر وحقائق الفلسفة ، بل تزيده تثبيتاً وتمكيناً ، وتزيد من يتبعه إيماناً ويقيناً)) .

ويقول أيضاً : ((إن نصوص القرآن الكريم أوضح من الضياء ، وأسهل جولاناً في العقل من الشعاع في الماء ، وكل نشاط من علماء الأرض يقيم الحجج على صحة قواعد الديانة الإسلامية لقوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3].

تأثر السعداوي بالكواكبي :

واستقى السعداوي بفكره ووجدانه من منهل آخر يعد في بعض جوانبه فرعاً من فروع المدرسة الإصلاحية التي أسسها الأفغاني وتلميذه محمد عبده ، ويتمثل هذا الفرع في عبدالرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي المولود في حلب الشهباءشمالي سورية سنة 1265هـ/1849م ، وهناك أصدر جريدة أسماها ((الشهباء))، وكانت جريئة في أفكارها ، فأغلقتها الحكومة ، وظل أعداؤه يلاحقونه حتى أُلقي في السجن ، فلما خرج قام بسياحة في البلاد العربية والهند واستقر أخيراً في القاهرة ، إلى أن توفي بها سنة 1320هـ / 1902م عن خمس وخمسين سنة هجرية[4] .

وكان السعداوي معجباً بكتابي الكواكبي ((طبائع الاستبداد)) و((أم القرى)) وقد صدر الكتاب الأول سنة 1321هـ(1903م) بعنوان : ((طبائع الاستبداد في مصارع العباد)) ووصفه مؤلفه بأنه : ((صيحة في واد ، إن ذهبت اليوم مع الريح فقد تذهب غداً بالأوتاد)) .

---

(1) محمد يوسف خليفة : مقال في الأهرام بتاريخ 1954/2/10م .

(2) شكري : ص 406 .

(3) فُصِّلَتْ آية 53.

(4) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ص 249 ، فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية – بيروت سنة 1913م – ج2 ص 221 .

والكتاب عبارة عن عدة مقالات نشرت في الصحف المصرية ، ثم جمعت في سفر واحد مع بعض الزيادات ، وكان الكتاب يحمل اسماً مستعاراً هو ((الرحالة ك)) وانتشر الكتاب انتشاراً واسعاً ، وكانت نسخة تحمل سراً وتهرب إلى بلاد العالم العربي[1] .

ولم تصل نسخ هذا الكتاب إلى ليبيا ، ولكن السعداوي اطلع عليه أثناء تواجده بالشام ، وترسخ في نفسه كراهية الاستبداد والإيمان بالحرية والشورى والديمقراطية الصحيحة ، وهفت نفسه إلى سرعة إعلان الدستور في تركيا وسائر الولايات الإسلامية[2].

وعندما عرف السعداوي أن المؤلف هو الكواكبي سعى حثيثاً ليعرف مزيداً من التفاصيل عن سيرته ومسيرته ، وجهاده واجتهاده ، وعرف أنه عانى من الحبس ومصادرة الأموال ، وأن مواطنيه في حلب كانوا يكنونه ((أبا الضعفاء)) لمساعدته للمظلومين والمهضومين ، كما عرف أنه برغم عروبته الأصلية وإسلامه الراسخ كان يكره التعصب للجنس والدين ، ويرى أن الوطنية فوق الفوارق الدينية[3] .

ورفض الكواكبي الاستبداد تحت ستار الدين وقال : إن العثمانيين أخضعوا الناس لهم باسم الخلافة ، وحملوهم بذلك على أن يخلدوا للسكينة والكسل ، وترك الأمر للطبيعة تطعمهم وتسقيهم حتى انقلبت بلادهم إلى صحارى مقفرة ، وادعوا لأنفسهم ألقاباً تبيح لهم التصرف في شئون الرعية حسب أهوائهم ، وركب السلطان العثماني رأسه وسد على الناس أبواب الحرية وأذل نفوسهم ، فانهارت قواعد الأخلاق واختلت الموازين)) [4] .

ويقول الدكتور محمد فؤاد شكري : إن دراسة السعداوي لكتاب الكواكبي هذا كانت امتداداً وتأصيلاً لما قرأه في شبابه المبكر في مكتبة جده في مقدمة ابن خلدون عن الفكر السياسي والاجتماع العمراني من تقسيم الحكومات إلى استبدادية وشورية .

وبالرجوع إلى ابن خلدون نجد أنه قسم الملك أو نُظُم الحكم إلى ثلاثة أنواع : أولها الملك الطبيعي ، وهو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة ، وهذا ما يقابل النظم الاستبدادية ، والثاني : هو الملك السياسي ، وهو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية (فقط) ، ودفع المضار ، وهذا ما يقابل النظم الوضعية والديمقراطية الرغبية في عصرنا ، والثالث : هو حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الدنيوية والأخروية الراجعة إليها ؛ إذ أحوال الدنيا كلها ترجع عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، وهي الخلافة أو النظام الإسلامي[5].

والكتاب الثاني الذي ألفه الكواكبي وتأثر به السعداوي هو كتاب ((أم القرى : ضبط مفاوضات ومقررات مؤتمر النهضة الإسلامية)) وهو مؤتمر تخيله الكواكبي ، وتصور أنه انعقد في أم القرى وهي مكة

---

(1) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة ص 201 .

(2) شكري : ص 415 .

(3) المرجع السابق ص 416 .

(4) د. العدوي : قادة التحرير العربي في العصر الحديث ص 91 .

(5) عبدالرحمن بن خلدون : مقدمة كتاب العبر – الطبعة السابعة – دار القلم في بيروت سنة 1409هـ/ 1989م – ص 191 .

المكرمة في شهر ذي القعدة سنة 1316هـ/ مارس سنة 1899م لمناقشة أحوال المسلمين وأسباب ضعفهم ، ومحاولات النهوض بهم ، وضم اثنين وعشرين عضواً يمثلون العلماء والمفكرين في اثنين وعشرين قطراً إسلامياً ، عقدوا اثنتي عشرة جلسة ، وتولى الرئاسة فيه العضو الملكي ، وأُسندت إمامة السر أو السكرتارية ((للسيد الفراتي)) ، وهو اللقب الذي أُطلق على الكواكبي ولازمه بعد ذلك .

ولخص السيد الفراتي آراء المجتمعين في تحليل أسباب تأخر المسلمين في عوامل ربطوها بالدين مثل عقيدة الجبر والتواكل والزهد وترك العمل ، وتشدد بعض الفقهاء ، وانتشار البدع والخرافات ، وأسباب سياسية مثل حرمان الأمة من حقوقها في حرية القول والعمل والعلم ، وأسباب خلقية مثل الاستغراق في الجهل ، والاستسلام لليأس ، وأسباب ترجع للدولة العثمانية التي تتمسك بالإدارة المركزية وتقديم العنصر التركي وإهمال العرب .

وأما أسباب النهوض فقد أعلنها الكواكبي واضحة صريحة بأن يعود العرب إلى قيادة العالم الإسلامي ، وتصبح مكة عاصمة لهم ، وتحدث عن فضائل العرب وذكرهم بأمجادهم[1] .

وإذا كان الأفغاني ومحمد عبده قد طالبا بجامعة إسلامية فإن الكواكبي قد أضاف إليها ضرورة أن يحتل العرب مكان الصدارة في هذه الرابطة أو الجامعة ، وضرورة التخلص نهائياً من الاستبداد العثماني .

وعندما صدر الدستور العثماني في 23 يوليو سنة 1908م أحس السعداوي بفرحة غامرة ، واستبشر به خيراً ، واشترك مع أهل بلدته((الخمس)) في الاحتفالات التي أقيمت بهذه المناسبة ، واعتبر هذا انتصاراً مبدئياً للأفكار الإصلاحية التي نادى بها الإمام محمد عبده ، وعبدالرحمن الكواكبي ، وغيرها ، وعمت الفرحة أبناء الشعب الليبي ، وأقيمت الاحتفالات في كبريات المدن الطرابلسية ، وألقى بشير السعداوي بهذه المناسبة قصيدة طويلة وألقى أخوه الأكبر نوري السعداوي خطبة بليغة في مدينة الخمس[2] .

ونقتبس من قصيدة السعداوي هذه الأبيات :

بشراكم لقد زال الكدر والدهر عن وجه العدالة قد سفر

فلْتنعمن نفوسكم ، فاليوم قد أضاءت شموس المجد من فلك الغُرر

بالاتحاد والمساواة أبشروا فلقد سنا الإسلام واندثر الكدر

وغدا بدستورٍ أساسُ حكمنا من بعد ما كان كتراً مُدَّخَر

وهو في الشطر الأخير يشير إلى دستور سنة 1876م الذي ألغى بعد صدوره بحوالي عامين ، ثم طالب أحرار تركيا بإعادته من جديد.

---

(1) محمد بديع شريف : النهضة العربية الحديثة – من منشورات جامعة الدول العربية بإشراف شفيق غربال – القاهرة 1956م – ص 65.

(2) شكري ص 419 .

وقد فكر السعداوي وزملاؤه في الخمس بالبدء في الإصلاح ، وطالبوا متصرف الخمس أن يتخذ خطوات عملية ، ويتخلص من عدد من الموظفين الأتراك ، ولكن الاحتلال الإيطالي لم يمهلهم ليروا ثمرة جهودهم ، بل أصدر المحتلون قرارات تعسفية بطرد الأحرار من أنحاء طرابلس ومنهم السعداوي وعدد من الليبيين والأتراك .

تأثر السعداوي بالصحافة العربية المتحررة :

وأتيح للسعداوي قبل الاحتلال أن يطلع على كثير من الصحف والأفكار الداعية إلى الحرية والدستور ، واللامركزية في الحكم ، وكان حريصاً على الاشتراك في عدد كبير من الصحف التركية والشامية والمصرية التي تصل إلى موطنه الخمس، وكان يقضي الليل مع صديقه عبدالرحمن الزقلعي (ت1372هـ/1953م) باشكاتب المحكمة الشرعية في الخمس ، يقرآن هذه الصحف بتمعن ، ويتبادلان الرأي حولها ، ومن هذه الصحف :

1. بعض الصحف التركية مثل : الصباح – إقدام –طنين – تصويري أفكار – حريات .

2. جريدة الإقبال لصاحبها عبدالباسط الأنسي ، التي بدأ صدورها سنة 1320هـ/ 1902م في بيروت .

3. صحيفة الاتحاد العثماني للشيخ أحمد حسن طبارة التي أصدها في بيروت سنة 1326هـ/1908م ، وكانت صحيفة يومية ، وكان يطالب باللامركزية والدستور ، ويدعوا إلى القومية العربية ، فأغلقت الحكومة صحيفته ، ثم اعتقله الأتراك وأعدموه شنقاً سنة 1334هـ/ 1916م[1] .

4. صحيفة المفيد : وهي صحيفة يومية كانت تصدر في بيروت اشتراك في إصدارها عبدالغني بن محمد العريسي (1334هـ/1916م) مع الصحفي اللبناني فؤاد مصطفى حنتس (ت1331هـ/1913م) ، وقد سافر عبدالغني العريسي إلى باريس لدراسة الصحافة والسياسة الدولية ، ثم عاد بعد وفاة زميله فؤاد حنتس ، واستمر في إصدار هذه الصحيفة ، وشاركه فيها الأمير عارف الشهابي ، ونقلاها إلى دمشق ، ثم حاولا السفر إلى الحجاز فقبض عليها الأتراك ، وعذبوا العريسي، ثم أعدموه شنقاً في بيروت .

وكانت هذه الصحيفة من أوائل الدعاء إلى الفكرة العربية ، وإيقاظ الروح القومية ، واستطاعت أن تصمد طويلاً أما اضطهاد ومناوأة الحكومة العثمانية[2] .

5. المقتبس : وهي مجلة أصدرها العلامة محمد كرد على بعد هجرته من الشام إلى مصر سنة 1324هـ/1906م ، وشارك فيها كبار الكتاب ، وكانت تناوئ جمعية تركيا الفتاة ، وحزب الاتحاد والترقي لسياسته التعصبية ضد العرب[1] .

---

(1) لطف الله نصر الله : نبذة من وقائع الحرب الكونية (أي الحرب العالمية الأولى) طبع في بيروت سنة 1922م – ص 317 ، حنا أبو راشد : القاموس العام – طبع في صيدا بلبنان سنة 1923م – ج 17 .

(2) لطف الله نصر الله : نبذة من وقائع الحرب الكونية – مرجع سبق ذكره – ص 300 .

وكان محمد كرد علي برغم أصله الكردي ومولده في السليمانية ، عربي الولاء ، وله من الكتب : الإسلام والحضارة العربية في مجلدين ، وكتاب ((الإدارة الإسلامية في عز العرب)) ، وكان يقول : ((أحب النظام والحرية والصراحة وأكره الفوضى والظلم ، وأحارب التعصب ، وأمقت الرياء)) ، وهو الذي أسس المجمع العلمي في دمشق سنة 1919م ، وتولى رئاسته ، كما تولى وزارة المعارف مرتين وتوفي في دمشق سنة 1372هـ/ 1953م عن سبع وسبعين سنة ميلادية[2] .

6. جريدة القبس : وهي جريدة يومية أصدرها شكري بك بن علي بن محمد العسلي (ت1334هـ/1916م) في دمشق ، وكان صاحبها عضواً في مجلس النواب العثماني / ثم مفتشاً في حلب ، وكان يطالب بحقوق العرب ، واللامركزية، وله عدة مؤلفات في التاريخ الإسلامي ، وهو من أوائل الذين نبهوا إلى خطر الصهيونية ، وفي الحرب العالمية الأولى قبض عليه الأتراك ، وحكموا عليه بالإعدام في دمشق[3] .

7. جريدة الحضارة : وهي جريدة أسبوعية كانت تصدر في دمشق ، وصاحبها هو السياسي السوري الشيخ عبدالحميد بن محمد شاكر الزهراوي (ت1334هـ/ 1916م) ، وقد أنشأ حزب الحرية والاعتدال وحزب الائتلاف ، وكانا مناوئين للاتحاديين ، وبعد الحرب الأولى قبض عليه الاتحاديون وأعدموه شنقاً في دمشق[4] .

8. صحيفة المؤيد : للشيخ علي بن أحمد بن يوسف الحسيني ، الصحفي المصري (ت1331هـ/1913م) وكان صحيفة يومية ، بدأ صدورها سنة 1307هـ، واستمرت إلى أواخر أيامه ، وكان لها تأثير كبير في عالم السياسة في مصر والشرق الإسلامي ، وكانت تحوي مقالات لكثير من مفكري العصر[5].

9. المنار : وهي مجلة كان يصدرها بمصر محمد رشيد بن علي رضا (ت1354هـ/1935م) وهو أديب مصلح ولد بطرابلس الشام ، وكان من أنجب تلاميذ الإمام محمد عبده ، وأحد زعماء الإصلاح ، هاجر إلى مصر واستقر بها ، وأصدر من هذه المجلة أعداداً كثيرة جمعت في أربع وثلاثين مجلداً ، وكانت تنشر مقالات الإمام محمد عبده[6] .

10. جريدة ((اللواء)) : التي كان يصدرها الزعيم المصري مصطفى كامل ، ثم أسند تحريرها للشيخ عبدالعزيز بن خليل جاويش ، وهو أديب خطيب ، درس في الأزهر وفي مدرسة دار العلوم ، وعمل في جامعة كمبردج أستاذاً للأدب العربي، وتولى تحرير جريدة اللواء سنة 1908م ، وكان شديد الحملة على

---

(1) محمد كرد علي : المذكرات – طبع في دمشق سنة 1370هـ ، ج1 ص 99 ، 307 .

(2) د. سامي الدهان : مقال في مجلة المجمع العلمي بدمشق ج30 ، ص 211 - 252 .

(3) محمد أديب الدين الحصني : منتخبات التواريخ لدمشق – طبع في دمشق سنة 1346هـ/ 1927م – ص 883 .

(4) رشيد رضا : مجلة المنار عدد 19 ص 169 – 181 ، فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية – مرجع سبق ذكره – ج3 ص 28.

(5) إلياس زخورة : مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر مصر- طبع في مصر سنة 1916م – ص 537 .

(6) الأمير شكيب أرسلان : السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة ، بيروت ، سنة 1942م .

المحتلين وعملائهم ، وحوكم وسجن عدة أشهر ، فرحل إلى الآستانة ثم عاد إلى مصر ليواصل جهاده وإصلاحه ، وتوفي بالقاهرة سنة 1347هـ/ 1929م[1] .

وقد أشار الدكتور محمد فؤاد شكري بوضوح إلى حرص السعداوي ومواطنيه على قراءة هذه الصحف ، واشتراكه في كثير منها ، وأنها كانت تصله في موطنه بالخمس .

وقد ساهمت هذه القراءات في اتساع نطاق الرؤية السياسية عند السعداوي ، فلم مقصورة على دائرته الوطنية المحلية ، بل امتدت لتشمل ما يجري على الساحة العربية والمجالات العالمية ، فكان يتناول سياسة بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الدول المؤثرة في الأحداث ، ويتابع ما يجرى في شبه جزيرة البلقان من أحداث وصراعات ، ويربط ذلك بما يتوقعه من مصير الدولة العثمانية ومستقبل البلاد الخاضعة لها أو المرتبطة بها[2] .

وكانت هناك صحف أخرى تصل من سوريا إلى طرابلس الغرب مثل : الترقي والمرصاد والكشاف ، وكانت تنادي باللامركزية وإعزاز العرب وإعطائهم حقوقهم ، ثم تألفت في سورية الجمعية القحطانية وضمت عبدالحميد الزهراوي وصحبه ، وكانت تنادي بدولة ذات تاج مزدوج عربي تركي على غرار الإمبراطورية التي ضمت النمسا والمجر .

وزادت كراهية الليبيين للاتحاديين بسبب مواقفهم العدائية للإسلام والخلافة وفرض سياسة التتريك على العرب ، و لم يقبل أحد أن ينضم إلى جمعية الاتحاديين التي أنشأت لها فرعاً في الخمس وطرابلس ، وحضر مصطفى كممال أتاتورك بنفسه من أجل هذا الهدف ، لكنه لم يلق نجاحاً يذكر .

وأنشأ السعداوي ورفيقه الشيخ عبدالرحمن الزقلعي نواة الجمعية سرية ، وانضم إليهما عدد من المخلصين والمقربين ، واتخذوا من بيت السعداوي مقراً يجتمعون فيه لتدارس أحوال الوطن ووسائل الإصلاح ، وكان مفتي طرابلس محمود أبو رخيص يتردد عليهم ويشارك معهم .

وكان من بينهم عين للوالي يدعى زروق المقيرفي ، فأبلغ متصرف الخمس الدكتور رشيد بك بخبرهم ، وكان رجلاً حكيماً ، فشكا للأخ الأكبر نوري السعداوي ، لكن ((نوري)) استطاع أن يقنعه بأنها مجرد وشاية لا أساس لها[3] .

تأثر السعداوي بفكر الزعيم المصري مصطفى كامل :

يعد مصطفى كامل بن على محمد (ت1326هـ/ 1908م) علماً من أعلام النهضة الحديثة والفكر السياسي الذي يجمع بين الوطنية والإسلامية ، وكان مولده بالقاهرة سنة 1291هـ/ 1874م ، ودرس الحقوق في جامعة تولوز بفرنسا ، وتأثر بالفكر التحرري الغربي ومبادئ الثورة الفرنسية : الإخاء والحرية

---

(1) الزركلي : الأعلام ج4 ص 17 .
(2) شكري ص 423 .
(3) شكري ص 424 .

والمساواة ، وكرس حياته للكفاح السياسي من أجل تحرير بلاده من الاستعمار الإنجليزي ، وكان يخطب في المحافل المحلية ، ويكتب في الصحف الفرنسية ، ويتصل بالشخصيات العالمية الداعية للحرية والإصلاح.

وأصدر مصطفى كامل ثلاث صحف بالعربية والإنجليزية والفرنسية كلها تحمل اسم ((اللواء)) وكانت أهمها ((اللواء)) العربية اليومية التي أصدرها في مصر سنة 1900م ، وأنشأ الحزب الوطني سنة 1907م ، وانتخب رئيساً له ، وتوفي شاباً في الرابعة والثلاثين نتيجة مرض أصاب سنة 1326هـ / 1908م[1] .

وكانت جريدة اللواء تصل إلى طرابلس الغرب ، ويحرص السعداوي الحرص على قراءتها ، وقد أعجبه في فكر الزعيم المصري الشاب دعوته إلى التمسك بدولة الخلافة باعتبارها رمزاً للإسلام ، وإيمانه بفكرة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني ، وفي نفس الوقت الإيمان بأن يكون لكل شعب وطن قومي في نطاق الدولة العثمانية ، دون أن ينجم عن ذلك انشقاق أو انفصال عن دولة الخلافة .

وكان السعداوي يؤمن بهذه الفكرة من قبل ، ويرى في تاريخ ليبيا سابقة مشابهة لها ، عندما حققت الأسرة القرمانلية نوعاً من الاستقلال ، مع اعترافهم بالسيادة العثمانية عليهم ، وكانوا يتلقون فرمان التقليد من استانبول ، ولكن غالبية الطرابلسيين لم يكونوا راضين عن هذه الأسرة ؛ لأنها غريبة عنهم ، لا تتورع عن الظلم والقمع وبخاصة في عهد يوسف باشا القرمانلي .

ويقول د. شكري : إن السعداوي أعجبه من أقوال مصطفى كامل : ((الدولة العلية العثمانية هي الدولة الإسلامية الوحيدة التي تخشى أوروبا من قوتها ونفوذها ، وأعداء الإسلام يودون من صميم أفئدتهم أن يزول اسمها من الوجود .. إني لست ممن يتمنون اجتماع العالم الإسلامي ضد العالم المسيحي ، ولكني أتمنى أن يسير العالم الإسلامي بأسره في طريق النور والعلم ، وأن يجتمع كله حول دولة الخلافة العظمى لرد اعتداء المعتدين)) [2] .

وتأثر السعداوي أيضاً بدعوة مصطفى كامل إلى الحياة النيابية ، وتكوين مجلس نيابي يمثل الأمة تكون له السلطة التشريعية ، وبقوله في جريدة اللواء : ((إن الدستور هو الأنشودة الكبري التي يترنم بها المصريون بعد طلب الاستقلال)).

والتقت أفكار مصطفى كامل بالفكرة التي شاعت في طرابلس الغرب وهي ضرورة عودة تركيا إلى دستور سنة 1876م الذي انتزعه الأحرار الأتراك ، وعلى رأسهم مدحت باشا من السلطان عبدالحميد الثاني مقابل مؤازرته في تولي الخلافة ، لكنه ما لبث أن عطله[3] .

---

(1) جرجي زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر – القاهرة 1922م – ج1 ص 310 . ومارون عبود : رواد النهضة الحديثة – مرجع سبق ذكره – ص 206 .
(2) شكري ص 409 .
(3) د. إسماعيل العبيكان : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث – لبنان ، الطبعة الأولى 1996م – ص 183 ، على محمد الصلابي : الدولة العثمانية - دار اللبيارق في لبنان سنة 1420هـ/ 1999م .

ويقول د. شكري : إن السعداوي كان معجباً بشيرة الزعيم مصطفى كامل وأكبر فيه الثبات على المبدأ ، والتفاني في الدعوة ، لا تصرفه عنها مشاغل الدنيا ، ولا يقعد به المرض مهما اشتدت عليه وطأته ، وكان السعداوي من أولئك الأصدقاء الذين ارتبطوا بهذا الزعيم أوثق ارتباط من غير حاجة إلى أن يكون بينهما اتصال شخصي)) .

وفي السابع من المحرم سنة 1326هـ/ العاشر من فبراير سن 1908 م توفي الزعيم المصري الشاب ، وكان لهذا النبأ وقع الصاعقة على نفس بشير السعداوي، عندما أبلغه صديقه ومواطنه الشيخ عبدالرحمن الزقلعي بذلك بعد أيام قلائل من الوفاة ، وكان السعداوي في بلدته الخمس ((فبكى عليه بكاءً شديداً)) كما ذكر صديقه الدكتور شكري[1] .

وقد جُمعت أعمال مصطفى كامل وسيرته وأخباره في كتاب يحمل اسمه ، جمعها أخوه علي فهمي[2] .

تأثر السعداوي بفكر عبدالله النديم :

كان عبدالله بن مصباح بن إبراهيم الإدريسي الحسني (ت1314هـ/1896م) من أبرز رجال الصحافة في الوطن العربي ، وهو ينتسب إلى الحسن بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده بالإسكندرية سنة 1261هـ/ 1845م ، امتاز بأسلوبه التهكمي الساخر ، وقد أصدر عدة صحف منها ((التنكيت والتبكيت)) و((الطائف)) ، وشارك في ثورة أحمد عرابي ، وطلبته السلطات المصرية ، فاضطر إلى التخفي والتنكر عشر سنوات حتى تم القبض عليه ، ثم أطلق سراحه بعد فترة قصيرة ، فرحل إلى فلسطين لمدة سنة ، ثم عاد إلى مصر، وأصدر مجلة ((الأستاذ)) ثم شغل عدة وظائف بالآستانة ، وظهرت عروبته ووطنيته بجلاء في روايتيه ((العرب)) و ((الوطن)) [3] .

وقد أُعجب السعداوي بالنديم فكراً وأسلوباً ، وكان يبحث عن مؤلفاته وآثاره في مهاجره بالشام ، وقرأ أعداد مجلته ((الأستاذ)) التي جمعت في مجلد واحد ، كما أعجبه دعوته للإصلاح الاجتماعي ونشر التعليم ومحاربه الجهل ، والتحذير من نشاط المبشرين ، ودحض مفتريات الغرب على الإسلام .

واستهوى السعداوي أسلوب النديم الساخر الشيق الذي استخدمه في هجاء بعض شخصيات عصره ، وأشهرهم ((أبو الهدى الصيادي)) وهو محمد ابن حسن وادي الرفاعي الحسيني السوري ، أشهر علماء الدين في عصره ، وشيخ مشايخ الإسلام في الآستانة في عهد السلطان عبدالحميد ، وكان متصوفاً ذكياً عارفاً بالأدب ، لكن الآراء اختلفت حوله ، فهناك من يراه عالماً فاضلاً ، ومنهم من يراه متزلفاً أفوكاً[4] .

---

(1) شكري ص 409 .

(2) يوسف إلياس سركيس : معجم المطبوعات العربية – مصر سنة 1928م – ص 1754 .

(3) أحمد محب الدين إبراهيم : مقال في جريدة الأهرام بتاريخ 1949/4/24م . ومقال بعنوان ((عبدالله نديم)) في جريدة الأخبار بتاريخ 1958/6/18م .

(4) قسطاكي الحمصي : أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر ، طبع في حلب سنة 1925 ص 105 ، عبدالحفيظ الفاسي : معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة – الرباط بالمغرب سنة 1350م .

وقد انبرى النديم لهجاء أبي الهدى الصيادي ، وخصص لذلك كتاباً بعنوان ((المسامير)) جعله في شكل رواية رمزية مزينة بالرسوم تخيل فيها حواراً بين الشيطان ورفاقه ، يقول فيه : إنه وجد من البشر من يفوقه لؤماً وخبثاً ، وهو أبو الهدى الصيادي ، فأصبح الشيطان يخشى على نفسه من شر فتنته وخداعه وشعوذته ، وقرر أن يرحل عن كوكب الأرض !!

وفي نهاية الكتاب يحذر النديم الأمة الإسلامية من الانسياق خلف الدجالين والمشعوذين ، ويحذر ولاة الأمور من التأثر بأقوالهم أو الاستماع إلى أكاذيبهم .

وظل بشير السعداوي يذكر أحداث هذه الرواية ، وما فيها من حوار وسخرية ، ويرويها لأصدقائه[1] .

متابعة السعداوي لفكر المصلح الشامي أحمد رضا :

كان أحمد رضا بن إبراهيم العاملي ، من أوائل المدافعين عن القضايا القومية والوطنية في بلاد الشام ، ومولده في النبطية في جبل عامل جنوبي لبنان سنة 1289هـ/ 1953م ، وهو من كبار علماء اللغة ، وعضو المجمع العلمي ، وله مؤلفات عديدة في اللغة والفقه[2].

وقد تم اعتقاله سنة 1915م في حركة التنكيل والقمع التي قام بها الأتراك في سوريا ولبنان ، وراح ضحيتها كثير من الشهداء ، ثم نفى إلى باريس ، وكان يصدر نشرة أسبوعية ينددد فيها بمفاسد الحكم في تركيا والولايات التابعة لها ، وكانت هذه النشرة تصل إلى طبيب عثماني مبعد إلى طرابلس الغرب ، وكان يعمل في مدينة الخمس اسمه سليمان بك ، وكان السعداوي على علاقة طيبة به ، ويقرأ هذه النشرة بانتظام .

وكانت هذه النشرة تعرض آراء الأحراء المنفيين ، ودعاة الحرية والدستور ، وتعرض أيضاً مساوئ الحكم العثماني ، وتترك أثراً واضحاً في نفس السعداوي وفكره[3].

السعداوي والأمير شَكِيب أرسْلان :

وكان من أبرز الشخصيات التي اتصل بها السعداوي اتصالاً مباشراً وكان بينهما أعجاب وتقدير متبادل والأمير شكيب أرسلان ، هو شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان ، ينتمي إلى أصول عريقة ، فهو من سلالة قبائل ((تنوخ العربية)) التي كانت تحكم إمارة الحيرة جنوبي العراق[4] .

---

(1) شكري ص 414 ، 415 .
(2) جريدة الحياة البيروتية في 1953/7/13 .
(3) شكري ص 413 .
(4) مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق – عدد22 ص 86 .

وهو مؤرخ أديب من أعضاء المجمع العلمي العربي ، ولد في الشويفات في لبنان سنة 1286هـ/ 1898م ، جنوب بيروت وبعبدا ، وقريبة من ساحل البحر ، وتلقى تعليمه فيها ، ثم زار مصر ودمشق وألمانيا وسويسرا ، وتوفي في بيروت سنة 1366هـ/ 1946م عن سبع وستين سنة ميلادية[1] .

وكان شكيب أرسلان يلقب ((بأمير البيان)) ومن هنا عرف ((بالأمير)) ، ولقبه الشاعر خليل مطران ((بأمير المترسلين)) مثلما كان أحمد شوقي يلقب ((بأمير الشعراء)) ، وكانت بين الأميرين صداقة حميمة ، مما دجعل أرسلان يؤلف كتاباً بعنوان : ((شوقي أو صداقة أربعين سنة)) .

وكان شكيب أرسلان يسير على نهج مدرسة الأفغاني ومحمد عبده ، ورشيد رضا، الحريصة على الوحدة الإسلامية ، والجمع بين الإسلام والوطنية ، وله في تلك ((السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة)) وكتاب ((حاضر العالم الإسلام)) ، و((تاريخ العرب والخلافة العثمانية حتى سنة 1914م)) ، وكان يجيد عديداً من اللغات الشرقية والأوروبية[2] .

وكان شكيب أرسلان من المدافعين بقوة عن القضية الطرابلسية ، وكان على اصتال وثيق بالسعداوي ، وتبادل معه رسائل كثيرة حول قضية ليبيا واستقلالها ، وكان السعداوي يلقب بذي الهجرتين ، (إلى تركيا والشام) وحامل لواء الدعوة الوطنية ، وكان الأمير شكيب يخاطبه في رسائل ((بحضرة الوطني العربي الأجل الأمثل السيد البشير السعداوي المحترم أطال الله بقاءه)) ، و((بالأخ الأجل الهمام))[3].

ومن وسائل الأمير شكيب في فضح الاستعمار الإيطالي أنه نشر أغنية إيطالية عرفت بأغنية الفاشست ، وجدت مطبوعة في أيدي جميع الجنود الإيطاليين الغزاة في بنغازي ، ونشرتها جريدة الشرق البيروتية في عددها رقم 543 ، وفي هذه الأغنية يقول شاب إيطالي مجند وهو يودع أمه : إنه ذاهب للحرب في طرابلس تحت راية بلاده المثلثة الألوان والموسيقى الحربية تثير نفوس الشجعان : ((أنا ذاهب إلى طرابلس مسروراً ؛ لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني ، وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدك ، وإن سألتك أحد فأجيبيه ، إنه مات في محاربة الإسلام!))[4].

وكان بشير السعداوي يمد الأمير شكيب بالمعلومات ، ويزوده بما يصله من أخبار وحقائق عما يجري على الأراضي الليبية من فظائع استعمارية ، وأعد له تقريراً وافياً ، فأبدى الأمير إعجابه بما كتبه السعداوي ، وقال : ((هذا يحرك الجماد ، وأمر بترجمته إلى اللغات الثلاث الرئيسية في أوروبا ، وهي : الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ، ووزعت منه خمسة آلاف نسخة في أنحاء أوروبا .

وفي مايو سنة 1931م اقترح الأمير شكيب على صديقه السعداوي أن يصدر كتاباً في هذا الموضوع ، ونتج عن ذلك صدور كتاب ((الفظائع السود أو التمدن بالحديد والنار)) أصدره السعداوي عقب

---

(1) مارون عبود : رواد النهضة الحديثة – مرجع سبق ذكره – ص 109 - 114 .
(2) الزركلي : الأعلام 3 / 175 .
(3) انظر هذه الرسائل في : شكري : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ص 656 ، 658 .
(4) شكري ص 660 .

استشهاد المجاهد عمر المختار سنة 1350هـ/1931م ، واعتمد فيه على المعلومات التي كان المجاهدون يمدونه بها من أمثال الشيخ عمر الشيباني ، والشيخ عبدالجليل سيف النصر ، وأحمد المُرَيَّض، وقد شارك في تأليف هذا الكتاب الأديب محمد علي الشافعي ، وصدرت منه طبعات أخرى سنة 1932م[1] .

***

وهكذا كان فكر السعداوي وتكوينه الثقافي يعتمد في الأساس على مخزونه النفسي المتوارث عن أسرته الليبية العربية المسلمة ، وعلى ما اكتسبه من مؤثرات وثقافات طرابلسية في نشأته وشبابه ، وما كان يصل إلى موطنه الخمس من مؤثرات مشرقية تتمثل في الصحف والكتب والرسائل والأخبار ، وما حصله في رحلة حياته من تجارب في ميادين الكفاح المسلح والجهاد السياسي ، ثم ما عاصره وشارك فيه في مُهَاجرِه في الشام وتركيا والحجاز ، وما استوعبه من أفكار المصلحين والمفكرين والقادة والزعماء ، فأصبح نسيج وحده ، ونموذجاً للإنسان الليبي الأصيل في عربته ، المخلص في وطنيته ، المؤمن بدينه وربه وعقيدته ، المتطلع إلى التمدن والتقدم والإصلاح .

ذلكم هو البشير السعداوي ، نبتة طرابلسية تضرب جذورها في أرض ليبيا ، وتمتد فروعها إلى المشرق الإسلامي ، نجمة وضاءة في تاريخنا الحديث ، ومثلاً يحتذى عبر الأجيال .

قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد أمين :

زعماء الإصلاح في العصر الحديث – القاهرة سنة 1948م .

2. أحمد محب الدين إبراهيم :

مقال عن ((عبدالله النديم))- جريدة الأهرام بتاريخ 1949/4/24م .

3. إسماعيل العبيكان :

الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث – الطبعة الأولى – بيروت سنة 1996م.

4. إلياس زخورة :

مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر مصر – القاهرة سنة 1916م .

(1) المرجع السابق ص 297 ، 298.

5. البغدادي (إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي الباباني) (ت1339هـ/ 1220م) .

هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين – استانبول سنة 1951 – 1955م .

5. جرجي زيدان :

تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر – القاهرة سنة 1922م .

6. الحصني (محمد أديب تقي الدين الحصني) :

منتجات التواريخ لدمشق – طبع في دمشق سنة 1346هـ/ 1927م .

7. حنا أبو راشد :

القاموس العام – صيدا – لبنان سنة 1923م .

8. ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد بن خلدون – ت 808هـ) :

مقدمة كتاب العِبَر – الطبعة السابعة – دار القلم في بيروت سنة 1409هـ/1989م .

9. دائرة المعارف الإسلامية :

الأفغاني وعبده مقال بقلم Goldziher .

10. الزبيدي (محمد مرتضى الزبيدي) :

تاج العروس من جواهر القاموس – القاهرة سنة 1370هـ .

11. الزركلي (خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي) :

الأعلام – قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعمرين والمستشرقين – دار العلم للملايين في بيروت – لبنان – الطبعة السادسة سنة 1984م .

12. سامي الحكيم :

استقلال ليبيا بين جامعة الدول العربية والأمم المتحدة – دار الكتاب الجديد بالقاهرة سنة 1965م – الطبعة الأولى .

13. د. سامي الدهان :

مقال عن محمد كرد علي – مجلة المجمع العلمي بدمشق – الجزء الثلاثون .

14. د. شكري (محمد فؤاد شكري) :

ميلاد دولة ليبيا الحديثة ووثائق تحريرها واستقلالها – مطبعة الاعتماد شارع حسن الأكبر بالقاهرة – سنة 1957م .

15. الأمير شكيب أرسلان :

السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة – طبع في بيروت سنة 1942م .

16. الصلابي (علي محمد محمد الصلابي):

الدولة العثمانية : عوامل النهوض وأسباب السقوط – دار البيارق في لبنان – بيروت- الطبعة الأولى سنة 1420هـ/ 1999 م .

17. الطاهر أحمد الزاوي :

أعلام ليبيا – دار المدار في طرابلس سنة 1949 م .

18. عبدالحفيظ الفاسي :

معجم الشيوخ (المسمى : رياض الجنة) – الرباط بالمغرب سنة 1350هـ.

19. عبدالحميد جلال :

مقال عن محمد فريد وجدي – صحيفة المصري بتاريخ 1954/4/1م .

20. د. العدوي (إبراهيم أحمد العدوي) :

قادة التحرير العربي في العصر الحديث – مكتبة نهضة مصر – شارع الفجالة بالقاهرة سنة 1958م .

21. ابن عذاري المراكشي :

البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب – ليدن بهولندا سنة 1948م .

22. د. عبدالعزيز شرف :

جغرافية ليبيا – مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية سنة 1963م .

23. عمر الدسوقي :

في الأدب الحديث – القاهرة سنة 1965م .

24. فيليب دي طرازي :

تاريخ الصحافة العربية – بيروت سنة 1913م .

25. قسطاكي الحمصي :

أدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر – طبع في حلب – سوريا سنة 1925م .

26. كحالة (عمر رضا كحالة) :

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة – مؤسسة الرسالة في بيروت سنة 1418هـ/1997م – الطبعة الثامنة .

27. لطف الله نصر الله :

نبذة من وقائع الحرب الكونية – بيروت سنة 1922م .

28. مارون عبود :

رواد النهضة الحديثة – بيروت سنة 1952 م .

29. محمد بديع شريف :

النهضة العربية الحديثة – من منشورات جامعة الدول العربية – القاهرة 1956م .

30. محمد رشيد رضا :

تاريخ الأستاذ الإمام – طبع في القاهرة في ثلاثة أجزاء .

31. محمد عبدالغني حسن :

مقال عن مؤلفات محمد فريد وجدي – جريدة الأهرام المصرية بتاريخ 1954/2/17م .

32. الإمام محمد عبده :

رسالة التوحيد – جمعها وحققها محمد عمارة – بيروت سنة 1972م .

33. محمد عمارة :

الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده – المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت سنة 1972م .

34. محمد كرد علي :

المذكرات – طبع في دمشق في أربعة أجزاء صدرت تباعاً من سنة 1376هـ – 1370هـ .

35. محمد بن مسعود :

تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر – طرابلس سنة 1951م .

36. محمد يوسف خليفة :

مقال عن محمد فريد وجدي وآثاره – جريدة الأهرام بتاريخ 1954/2/10م .

37. المُفتي (محمد محمد المفتي – طبيب ومفكر ليبي تخرج في جامعة ليدز في بريطانيا سنة 1968م) :

السعداوي والمؤتمر بين التمجيد والنسيان – الطبعة الأولى سنة 2005م .

38. مؤسسة بدران :

أطلس العالم – لبنان –بيروت – سنة 1419هـ/ 1998 م .

39. المسعودي (على بن الحسين – ت سنة 347هـ) :

مروج الذهب ومعادن الجوهر : تحقيق د. محي الدين عبدالحميد – المكتبة الإسلامية في بيروت 1368هـ/ 1948م .

40. هنري حبيب :

ليبيا بين الماضي والحاضر – ترجمة شاكر إبراهيم – الطبعة الأولى – المنشأة الشعبية للنشر في طرابلس سنة 1981م .

41. النائب (أحمد بن حسين النائب الأوسي الأنصاري – توفي حوالي 1330هـ/1912م) :

المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب – الآستانة 1317هـ .

42 . د . نقولا زيادة :

محاضرات تاريخ ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال – مجموعة محاضرات ألقاها على طلاب قسم الدراسات التاريخية والجغرافية بمعهد الدراسات العربية بجامعة الدول العربية – القاهرة سنة 1958م .

43. يوسف إلياس سركيس :

معجم المطبوعات العربية – مصر سنة 1928م .

ملخص البحث

الأصول الفكرية والثقافية للمجاهد الليبي بشير السعداوي

اخترت لهذا البحث شخصية بارزة في تاريخ الجهاد الليبي الحديث تجمع بين الجهاد العسكري والجهاد السياسي ، وجمعت فيه ما استطعت من مؤثرات وروافد شاركت في تكوين هذه الشخصية ، من مؤثرات بيئية وأسرية وتراث ثقافي ونسب، ومدارس وأساتذة ومعلمين ، وما طرأ على موطنه من متغيرات وما وفد عليه من حكام وغزاة ، وما لقيه في هجرته ، وما أتيح له من ثقافات أثناء مقامه بالشام.

وقد بدأت البحث بمقدمة موجزة عن صعوبة الفترة التي عاش فيها السعداوي وأهميتها لأنها لحظة فارقة في تاريخ العرب والمسلمين .

ثم تناولت المؤثرات الطرابلسية التي كونت ثقافة السعداوي الأولى وهي أسرته وبيئته ونسبه العربي الأصيل ، واعتزازه بتاريخ آبائه وأجداده الأقربين في تحدي الظلم والطغيان حتى صار جده الثاني أسطورة يتناقلها العامة في قصصهم .

وتحثت عن تربيته وعلومه الأولى ، واقتدائه بأخيه الأكبر ((نوري)) ، وإفادته من مكتبة جده العامرة ، واستئناسه بنصائح عمه ((الصادق)) ، وارتباطه بأستاذه ومعلمه حقي شيناس التركي .

وذكرت دور الشخصيات الوافدة إلى الخمس في تنمية ثقافته مثل الشيخ الأديب حسن الشاعر ، والدكتور رشيد متصرف الخمس .

وأشرت إلى الظروف التي اضطرته إلى الهجرتين : إلى تركيا ثم الشام ، ومشاركته في حركات الجهاد والجمعيات المطالبة بتحرير وطنه ، ورئاسته للجالية الطرابلسية بالشام .

وخصصت مبحثاً مختصراً لعلاقته بأبناء وطنه المهاجرين إلى مصر حتى اعتبروه عن طيب خاطر زعيماً لكل الليبيين في مهاجرهم ، والرسائل المتبادلة مع مؤرخ الأديب الطاهر الزاوي .

وانتقلت إلى دائرة ثقافية أوسع وهي تأثر السعداوي بحركة الإصلاح في العالم الإسلامي ، فذكرت تأثره بالسيد جمال الدين الأفغاني فكراً وسيرة ، واطلاعه على مقالاته في رد الشبهات والدعوة إلى الجامعة الإسلامية .

وكانت الشخصية الأكثر تأثيراً في ثقافة السعداوي هي شخصية الإمام محمد عبده بمؤلفاته العديدة ، وأفكاره الهادئة الواضحة ، وذكرت المصادر التي قرأها السعداوي للإمام ، ومدى تأثره بها ، وبخاصة ((رسالة التوحيد)) ومحاوراته مع فلاسفة الغرب .

وتأثر السعداوي أيضاً بفكر الكاتب الإسلامي السكندري محمد فريد وجدي وبخاصة ((المدينة والإسلام)) كما تأثر بالكواكبي وكتابيه الشهيرين ((أم القرى)) و ((طبائع الاستبداد)) ، وحرص السعداوي على متابعة كل ما يكتب عن الكواكبي وسيرته وفكره ، وتأثر به في الاعتزاز بالعنصر العربي ، وعدم الرضوخ لسياسة التتريك ، وقد ربطت بين ما قرأه السعداوي للكواكبي وما سبق أن قرأه من آراء ابن خلدون السياسية ، وكيف تحول هذا التأثر الفكري إلى خطوات عملية في مناداة السعداوي والطرابلسيين بالدستور ، والاحتفال به .

وخصصت صفحات لاستعراض الصحف الشامية والمصرية والتركية التي واظب السعداوي على قراءتها ، وأوضحت سياسة هذه الصحف واتجاهات أصحابها ، وكيف تأثر بها السعداوي ، وبينت أنها كانت تصله بانتظام قبل هجرته ، في موطنه بالخمس .

وأوضحت مدى تعلق السعداوي بفكر الزعيم الشاب مصطفى كامل وإعجابه بسيرته وجهاده ، حتى صار صديقاً له دون أن يراه أو يتصل به ، وكيف بكى عليه مرا عند وفاته ، وبينت أنه أخذ عنه بعض المبادئ السياسية .

وذكرت من بين الشخصيات المؤثرة في فكر السعداوي الصحفي الأديب عبدالله النديم ، وبخاصة أسلوبه التهكمي الساخرة من بعض الشخصيات السياسية ومن يراهم مشعوذين ودجالين .

وأوضحت الروابط الوثيقة والصلات الشخصية بين بشير السعداوي وأمير البيان شكيب أرسلان ، وما كان من تنسيق وتخطيط مشترك للدفاع عن القضية الطرابلسية .

وبعد .. فإن كنت قد أصبت فنعمة من الله ، أحمده وأشكره عليها ، وإن كنت قد أخطأت فمن نفسي ، وأسأل الله الهداية ، وحسبي أجر المجتهدين .

***

منهج الأوائل في دراسة العربية

الدكتور ونيس مفتاح القماطي

قسم اللغه العربيه – جامعة بنغازي

أغفل معظم مؤرخي اللسانيات (Linguistics) الجهود العربية في بناء النظرية اللغوية (مونان ، 1981 : 162 ــ 165، المسدّي ، 1981 : 23 ــ 24)؛ وعلى الرغم من أن بعضهم أشار إلى مساهمة العرب ، لكن تلك الإشارات كانت عابرة (روبرت، 1979: 172 ــ 173)؛ بل إن بعضهم ذهب إلى القول بتأثر الدرس اللغوي عند العرب بغيره من المناهج (Lyons, 1975., P.19)؛ ولذلك كان الحديث عن المنهج العربي غامضاً ومشوّشاً عند الباحثين العرب ، فتارة يُوصف بأنه معياري (Prescriptive) (حسان، 2001 : 13 ، 1980 : 23 ــ 26 ، 171 ــ 172 ، 1979 : 24 ــ 25)، وتارة بأنه وصفي (Descriptive) (الراجحي ، 2008 : 60 ، حسان ، 1980 : 22 ــ 23)، وتارة بأنه توليدي (Generative) (زكريا ، 1986 : 5 ، 1982 : 47 ــ 49، الراجحي، 2008)، وتارة أخرى ينكر بعضهم وجوده (بشر ، 1971: 52 ــ 53 ، 56).

وتبرز هذه الدراسة الإطار النظري لمنهج الأوائل ، المنبثق من الرؤية الإسلامية الشاملة للكون (النشار ، 1981 : 35، 39)، التي جعلت منه منهجاً تفاعلياً (Interactive) حيث تفاعلت فيه الوصفية وتكاملت مع التوليدية ، كما طرح في الوقت ذاته المعيارية؛ إذ اعتمد على الشكل المكتوب من اللغة مادةً لدراسته ، كما اعتنى بكل المستويات اللغوية (دي سوسير ، 1985 : 48 ــ 50 ، السيوطي ، 1987 : 14/1 ــ 15، Lyons, 1975., P.19 ، البكوش ، 2004 : 75).

وبهذه الأبعاد ولد المنهج التفاعلي لدى الأوائل ، وأصبح عَلَماً على حضارة أمة وثقافتها ، متفرداً بين مناهج الدراسة اللغوية ، ولو أنصف المؤرخون الغربيون لعلوم العرب في عرضهم للمنهج العربي :"في اللغويات العامة عند نقلهم لعلومهم في فجر النهضة، لكانت اللسانيات المعاصرة على غير ما هي عليه اليوم "(المسدي ، 1981: 26).

لعب الإسلام دوراً أساسياً في نقل المجتمع العربي من الثقافة الشفهية التي كانت تسيطر على مختلف شؤون الحياة ، إلى الثقافة الكتابية التي أصبحت مكوّناً من مكوّنات حضارته . فالدين الجديد يدعو إلى المعرفة والعلم ، والأخذ بأسباب ذلك عن طريق القراءة والكتابة (الشكعة ، 1979 : 11 ، 17 ــ 19)، وقد تمثلت هذه الدعوة من خلال الآيات الأولى من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (سورة العلق ، الآيات : 1 ــ 5)؛ ولهذا شكّل القرآن الكريم محور اهتمامهم ، أداءً، وفهماً ، قراءةً ، وتدبّراً . ومن ثم أصبح حجر الزاوية في الدراسات العربية الإسلامية (ابن خلدون ، 1960 : 949/3 ، بروكلمان ، 1983 : 30/2 ــ 33 ، روبرتز ، 1997: 171 ، زيدان ، (د.ت): 44/2).

ونتيجة لهذا الاهتمام كان علم القراءات أول علم يولد في الإسلام (زيدان، (د.ت): 43)، وفي هذا العلم الجديد حظي النص القرآني بالعناية والاهتمام ، كيفيةً وأداءً إذ تأسس منهجه على "الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل " (السيوطي ، (د.ت): 75/1). وفي الوقت ذاته توجه الاهتمام إلى فهمه ، وتدبره ؛ امتثالاً لقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (سورة ص ، الآية : 25)؛ لأن القراءة وحدها دون تدبّر أو فهم، لا طائل تحتها ، ولا هدف لها ، (الزركشي ، 2004 : 220/1 ــ 223، 171/4، الزمخشري ، 1947 : 90/4)، وقد أخذت المباحث الإسلامية حول النص القرآني تنمو وتتطور ، فنشأت علوم إسلامية أخرى مثل : التفسير ، والفقه ، وعلم الكلام ، والنحو ، وغيرها من العلوم ، (ابن خلدون ، 1962 : 1247/4 ــ 1248، زيدان، (د.ت): 42/2 ــ 44 ، السيوطي ، (د.ت): 6/1 ــ 7).

في هذا الجو العلمي ، الذي تنوّعت فيه المباحث القرآنية ، نشأت الدراسات النحوية ؛ حيث اشتهر الكثير من القراء بتأملاتهم اللغوية ، وآرائهم النحوية ، مثل : أبي الأسود الدؤلي ، الذي تُعزى إليه بدايات النحو العربي (ابن النديم ، 1988 : 40 ــ 45، القفطي ، 1950 : 14/1 ــ 15)، ونصر بن عاصم ، والسيرافي ، وأبي عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب ، والكسائي ، وغيرهم (ابن النديم ، 1988: 30 ــ 37) ولهذا كان تأثير المباحث القرآنية المختلفة كبيراً ، وعميقاً في توجيه الدراسات النحوية، وتأسيسها؛ حيث استعارت من القراءات مبدأ الصحة في النقل ، والثبوت في الرواية، كما أخذت من التفسير الاهتمام بعنصر المعنى ، والربط بين المذكور في الكلام ، والمقدر منه ، إلى جانب أخذها الاستقراء ، والاستنتاج من الفقه وأصوله (فيرستيج ، 2007، 80/3 ــ 81، الجابري ، 1996 : 137).

وبالجمع بين هذين المبدأين : النقل الموثق للمادة اللغوية من جهة ، وإعمال العقل فيها من جهة أخرى ، تمكّن الأوائل من علماء العربية ، من الوصول إلى قواعد عامة، وقوانين كلية ، تفسر بنية الملكة اللغوية ، وأنظمتها الداخلية ، والعلاقات القائمة بينها، وتجمع شتات المادة اللغوية ، وتفسر أجزاءها ، في إطار كلي ، ونظرة شمولية (ابن جني، (د.ت):1/48 ــ 55 ، 3/30 ــ 31 ، السيوطي ، 1987 : 59/1 ، ابن خلدون ، 1960: 3/1027 ــ 1030 ، الجابري ، 1998 : 76 ، الأنباري ، 1971 : 136 ــ 137، دمشقية، 1976: 17 ــ 24)، وبهذا العمل الرائع والمبتكر يعتبر الأوائل من النحاة من علماء القرن الأول والثاني من الهجرة المتمثلين في أساتذة الخليل ، وسيبويه ، ومن تتلمذ لهما فيما بعد، أو عاصرهما من النحاة ــ المؤسسين الحقيقيين للنظرية اللغوية العربية ، التي ابتكرت المنهج التفاعلي (Interactive) واتخذته أساساً في دراسة الظاهرة اللغوية وتحليلها ، ويمثل كتاب سيبويه هذا المنهج أصدق تمثيل ، حيث بنيت معالجات هؤلاء العلماء اللسانية وتحليلاتهم اللغوية على خلفيات فكرية سليمة ، لم تتأثر بعلوم دخيلة ، أو فلسفات وافدة؛ بل انطلقت من خلال إيمان هؤلاء المؤسسين بفطرية اللغة ، وتفاوت المتكلمين في قدراتهم اللغوية ، كفايةً وأداءً ، إلى جانب اعتمادهم على الاستنتاج والاستنباط مع الملاحظة، والاستقراء ، إدراكاً منهم بأن الدراسة اللغوية لا تصبح مجديةً إذا لم تتوفر لها هذه العناصر جميعاً (طحان وطحان ، 1982 : 16 ــ 27 ، عبده ، 1973 : 10 ــ 26 ، بروكلمان، 1983 : 2/128 ــ 135 ، أنيس ، 1972 : 17 ــ 20 ، السيد ، 1968 : 102 ــ 105، البكوش، 2004 : 36 ، 63 ، 75 ، حسان ، 1980 : 20 ــ 23 ، 27 ، جهامي ، 1986 : 15، فك ، 1980 : 59 ــ 60 ، الجرجاني ، 1992 : 4 ــ 5 ، 8 ، الراجحي ، 1979 : 33 ــ 44 ، عيد ، 1978 : 20 ، الرضي ، 1978 ، 3/428 ، الطنطاوي ، 1968 ، 164، فيرستيج ، 2007 ، 3/68 ، Stekevychi, 1970., P.3).

لقد تميّز عمل الأوائل بالأصالة ، والابتكار ، وهذا ما دفع بعض الباحثين إلى الإعجاب به ، والإشادة بالعقلية العربية ، حيث يقول :"إذا كانت الفلسفة هي معجزة اليونان ، فإن علوم العربية هي معجزة العرب "(الجابري ، 1998 : 80)؛ لأن الوصول إلى فهم آلية اللغة ، ومعرفة أسرارها ، واستخلاص قوانينها ، أمر في غاية الصعوبة ، فهو أقرب ما يكون إلى المعجزة ، وهذا ما يؤكده باحث آخر بقوله :"لا تنطوي مهمة النحوي على وضع القواعد لتلك البنى الكاملة التي يعرفها العرب معرفةً تامةً كونها لغتهم الأم ، ولكنه يفعل ذلك من أجل الكشف عن الأسرار الكامنة وراء اللغة "(فيرستيج، 2007 : 3/8)، وبهذه النظرة الكاملة والشاملة للظاهرة اللغوية من خلال ما تعكسه أبنية اللغة وتراكيبها ، صار هذا المنهج ممثلاً لروح الحضارة الإسلامية ، ومكوّناً من مكوّنات العقل العربي، حيث تمثل :"جوانب النحو فلسفة إسلامية خالصة : فكرة الزمان، الماضي والحاضر والمستقبل ، فكرة العلية ، فكرة القياس العقلي النحوي ، وفي إيجاز كل مقولات العقل الإسلامي ينبغي أن تستمد في أعماق النحو واللغة"(النشار، 1987: 56).

بدأ الأوائل تأسيس منهجهم من خلال تحديدهم الهدف من دراسة اللغة ، ومن ثم تحديد الآليات والإجراءات ، التي تؤدي إلى تحقيق ذلك الهدف ، المتمثل في فهم القرآن الكريم ، وإدراك معانيه (طحان

وطحـــان ، 1982 : 22 ــ 23 ، الراجحـــي ، 2008 : 51، الســـامرائي ، 1987 : 11)، وقـــد أدركوا أن فهم أبعاد النص القرآني لن يتحقق إلاَّ من خلال معرفة الفصـــحى ، وامـــتلاك ناصـــيتها (الزركشـــي ، 2001 : 370/1 ــ 378، الســـيوطي، (د.ت): 114/1 ، 179)؛ ولهـــذا اتجهـــوا إلى دراســـة قـــوانين الملكة اللغوية ، التي تحكم أداء الناطقين ، واستخراج قوانينها الثاوية وراء نظـــام العربيـــة ، وهـــذا مـــا يؤكـــده أحد الباحثين؛ إذ يقول إن النحاة العرب "استنبطوا من مجاري كلامهـــم قـــوانين لتلـــك الملكـــة، مطّـــردة شـــبه الكليات ، والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام "(ابن خلدون، 1962: 1256/4).

إن الاتجاه إلى دراسة قوانين الملكة اللغوية مكّن الأوائل من تفسير تفـــاوت الكـــلام العـــربي فيمـــا بينـــه ، قوةً وضعفاً ، خفاءً ووضوحاً ، عن طريق ربطه بقدرات الناطقين اللغويـــة ، وهـــذا مـــا يعـــبر عنـــه بعضـــهم بقوله :"كلام الناس في طبقات ، كما أن الناس أنفسهم في طبقـــات ، فمـــن الكـــلام : الجـــزل ، والســـخيف ، والفصـــيح ... وكلـــه عـــربي"، (الجـــاحظ ، 1990 : 133/1). فالكفايـــة اللغويـــة (Linguistic Competence) لدى الناطقين باللغة متفاوتة ، ومتباينـــة ، ولا يوجـــد مجتمـــع لغـــوي واحـــد وموحـــد ، كما يزعم بعض البنيـــويين (تشومســـكي (أ)، 1993 : 74 ــ 75)؛ لأن :"اللغـــات كلـــها ملكـــات ... وجودها ، وقصورها بحسب تمام الملكة ، أو نقصانها ، ولـــيس ذلـــك بـــالنظر إلى المفـــردات، وإنمـــا بـــالنظر إلى التراكيب"(ابن خلدون ، 1962: 1268/4). ولهذا قسّم الأوائـــل الكـــلام العـــربي إلى :"مســـتقيم حســـن ، ومحال ، ومستقيم كـــذب ، ومســـتقيم قبـــيح ، ومحـــال كـــذب"، (ســـيبويه ، 1966 : 25/1)، ونتيجـــة لاختلاف الناطقين من حيث قدراتهم اللغوية ، الـــتي يعكـــس الأداء جـــزءاً منـــها ؛ فقـــد اضـــطروا إلى تحديـــد المستوى اللغوي موضوع الدراسة على أنه المستوى الفصيح من الكلام العـــربي ، الـــذي تمثـــل في لغـــة القـــرآن الكـــريم ، كمـــا تمثـــل في لغـــة الشـــعر الجـــاهلي ، ولغـــة الفصـــحاء مـــن العـــرب (الأنبـــاري ، 1971 : 81 ــ 83 ، فـــك، 1980 : 15 ــ 16 ، حســـن ، 1966 ، 20). والفصيح من الكلام العربي ــ كما يراه الأوائل ــ هو الكـــلام الأكثـــر شـــيوعاً ، واســـتعمالاً بـــين العـــرب ، شعراً كان ، أم نثراً ، وهذا ما يعبر عنه أبو عمرو بن العلاء مخاطباً أحـــدهم حـــين قـــال لـــه :"أخـــبرني كيـــف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال : أحمل على الأكثر وأسمي مـــا خـــالفني لغـــات" (الســـيوطي ، 1987، 184/1 ــ 187). والشيوع ــ كما يرونه ــ يعـــني موافقـــة الكـــلام لقـــوانين الملكـــة اللغويـــة، ولذلك لا يأخذون اللغة إلاَّ عمّن وافق أداؤه اللغوي تلك القوانين ؛ أما إذا أظهـــر النـــاطق عـــدم موافقتـــه لهـــا :"يهجروه و لم يسمعوا منه" (الجاحظ ، 1990 : 146/1)؛ لأنه خرج عـــن النســـق العـــام لنظـــام العربيـــة ، كمن يستبدل (لم) (بلن) في حالة النصب (الأنبـــاري، 1971 : 82)، فـــالانحراف عـــن قـــوانين الملكـــة هو الذي يجعل الكلام غير فصيح. وهذا ــ تقريباً ــ ما عناه ابن جني عنـــد تفســـيره عـــدم أخـــذ اللغـــة عـــن سكان المدن بقوله :"كلام أهل الحضر مضاهٍ لكلام فصحاء العرب في حـــروفهم ، وتـــأليفهم ، إلاَّ أنهـــم أخلـــوا بأشياء من إعراب الكلام الفصيح "(ابن جـــني ، (د.ت): 29/2)، فالفصـــاحة في الكـــلام موافقتـــه قـــوانين الملكة ليس إلاَّ ، فالفصيح قد يكون بدوياً ، كما قد يكون حضرياً ، إذ "لو علم أن أهـــل مدينـــة بـــاقون علـــى فصاحتهم ، و لم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجـــب الأخـــذ عنـــهم كمـــا يؤخـــذ عـــن أهـــل الـــوبر ، وكذلك لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر مـــن اضـــطراب الألســـنة وخبالهـــا ، وانتقـــاص عـــادة

الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها، وترك تلقي ما يرد عنها "(ابن جني ، (د.ت): 5/2). وهذا بالفعل ما اعتمده الأوائل ؛ إذ أخذوا اللغة عن الفصحاء جميعاً دون تفريق بين بدوي أو حضري ، وهو ما يشير إليه قول سيبويه :"والبيان في كل هذا عربي جيد حجازي "(سيبويه ، 1975: 347/3)، فهو هنا يصف لغة أهل الحجاز ــ وهم الحضر ــ بالجيدة ، كما يصفها أحياناً بالقديمة الجيدة كقوله :"وهي اللغة العربية القديمة الجيدة" (سيبويه ، 1975 : 497/3). فالفصاحة ــ وإن شاعت بين أهل البادية ــ ليست مرتبطة بالبداوة كما يرى البعض (السيوطي ، 1987 : 212/1 ــ 214)، فالأخذ عن العرب لم ينحصر في القبائل البدوية وحدها ؛ إذ بلغت نسبة الأخذ عنها حوالي 86% من مجموع ما أخذ عن العرب ، كما بلغت نسبة الأخذ عن القبائل الحضرية أيضاً حوالي 14% (زكريا ، 1982 : 38 ــ 40، الهامش رقم 4 ، 53 ــ 54 ، سيبويه ، 1975 : 197/5 وما بعدها)، وكما أن الفصاحة ليست مرتبطة بالبداوة؛ فهي أيضاً ليست مرتبطة بالعامل الديني كما يزعم البعض (حمزاوي ، 1986 : 14 ــ 15)؛ بل إنها مرتبطة بالمستقيم من الكلام ، ودرجته في الاستقامة ، كما عبر عن ذلك الأوائل (سيبويه ، 1966 : 25/1)، ونتيجة لهذا اعتبر القرآن الكريم أفصح الكلام العربي (السيوطي ، 1987 : 213/1 ، فك ، 1980: 16 ــ 17). فبقدر تدرج الكلام في سلم الاستقامة يندرج في سلم الفصاحة أيضاً ؛ لأن الملكة اللغوية عند الناطقين بالعربية متدرجة، ومن ثم صارت الفصاحة أنواعاً ، أو فصاحات (السيوطي ، 1987 : 212/1، حمزاوي ، 1986 : 7).

ولهذا اتخذ الأوائل الناطق الفصيح (Ideal speaker – hearer) موضوعاً لدراستهم ؛ لأن الهدف كان منصبّاً على دراسة اللغة المبنية داخلياً (Internalized Language) التي تبرز صور التمثيل العقلي ، لكل المستويات اللغوية : النحوية، والصرفية ، والصوتية ، والدلالية ، وربطها بالأداء اللغوي ، أو مخرجات الكلام الفعلية (تشومسكي (أ)، 1993 : 104 ــ 107). وبعد حوالي خمسة عشر قرناً أو يزيد ، أخذت المدرسة التوليدية المعاصرة ذلك المبدأ ، وجعلته أحد أركانها ، حيث اعتبرت أن "نحو اللغة وصف للكفاية الفطرية عند الفصحاء" (Chomsky, 1976., P.4)، والناطق الفصيح ــ كما يراه الأوائل ــ يتصف بالطلاقة في التعبير ، والدقة في الفهم ، فهو متمكن من ناحية اللغة فهماً وإفهاماً على حدٍّ سواء (السيوطي ، 1987 : 184/1 ، الجاحظ ، 1990: 133/1). ويقترب وصف التوليديين مع وصف الأوائل هذا ؛ إذ تعتبره هذه المدرسة "مالكاً لمعرفة تامة بلغته" (Ibid, 1976., P.30)، فهو لا يجد صعوبة في استخدام اللغة، ويظهر ذلك من خلال :"القدرة على صياغة جمل جديدة ، وفهم أي خطاب لم يسبق له أن سمعه من قبل" (Chomsky, 1970., P.111).

وانطلاقاً من هذا ، اعتمد الأوائل في جمعهم المادة اللغوية على الفصحاء من العرب، فارتحلوا إليهم ، وشافهوهم ، كما ساءلوا حدسهم أيضاً (السيوطي ، 1987: 57/1 ــ 59 ، 234 ، ابن جني ، (د.ت): 313/3 ــ 319، طحان وطحان، 1982 : الهامش 16، سيبويه ، 1966 ، 409/1 ــ 412 ، 415 ، 189/4 ، الجاحظ ، 1990 ، 133/1 ــ 134، فك 1980 : 15 ، 60 ــ 61 ، حسان ، 1980 : 27 ، الفهري ، 1993 : 18، زكريا، 1982 ، 48 ــ 49 ،

نحلة ، 2004 : 31 ــ 33). وقد تمثل هؤلاء الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة في عدد من القبائل جمع بينها قاسم مشترك وهو الفصاحة ، أي عدم الانحراف عن النسق العام لقواعد الملكة اللغوية (الفارابي ، 1969 : 147 ، السيوطي، 1987: 212/1 ــ 214 ، زكريا ، 1982 ، 38 ــ 40 ، الهامش رقم 2 ، 53 ــ 54)، كما جمعت بينها أيضاً البيئة الجغرافية ؛ حيث عاشت هذه القبائل جنباً إلى جنب داخل شبه الجزيرة العربية (حسن ، 1966 : 24 ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، (د.ت): 11).

فالعربية الفصحى نشأت "واطّردت وتكاملت ، بالخصال التي اجتمعت لها في تلك الجزيرة ، وفي تلك الجيرة" (الجاحظ ، 1990 : 163/1)، وقد أكدت المدرسة الوصفية مبدأ تحديد البيئة المكانية ــ رغم إقرارها بصعوبة تطبيقه ــ باعتباره ركيزة أساسية في الدرس اللغوي ، إلاَّ أن ذلك التأكيد تأخر عن أخذ الأوائل به حوالي اثني عشر قرناً من الزمان (دي سوسير ، 1985 : 159)، كما أكدته ــ فيما بعد ــ المدرسة التوليدية ؛ إذ اعتبرت الساحل الشرقي من أمريكا بيئة مكانية للمتكلم الفصيح (Green, 1977., PP.27-28).

لم يكتفِ الأوائل بتحديد المكان فقط ؛ بل ذهبوا إلى تحديد الزمان أيضاً ؛ باعتباره يمثل حالة من حالات اللغة ؛ حيث ينعدم التطور اللغوي ، أو يكاد في تلك الفترة ، سواء على مستوى التراكيب ، أم الأصوات ، أم الدلالة . وقد حددت بداية تلك الفترة الزمنية (حالة الفصحى) بمائة وخمسين عاماً قبل الإسلام ، كما حددت نهايتها بنهاية القرن الرابع الهجري ، بالنسبة لسكان البادية ، ونهاية القرن الثاني ، بالنسبة لسكان المدن (إبراهيم مصطفى وآخرون ، (د.ت): 11 ، حسن ، 1966 : 24)، وقد كان المنطق في تحديد تلك الفترة مؤسساً على الثبات النسبي ، والاستقرار التقريبي للفصحى ، وليس المطلق؛ إذ لا يمكن للغة بصورة عامة ، إلاَّ أن تتطور ، وتتغير ، بتجدد المواقف ، وتغيّر حاجات الناطقين بها ؛ ولهذا فإن حالة اللغة التي تخضع للدراسة :"قد تطول وقد تقصر وقد يكون مجموع ما يطرأ أثناءها من تغيرات طفيفاً جداً ، فقد تبلغ تلك الفترة عشر سنوات ، أو جيلاً ، أو قرناً ، بل وأكثر من ذلك ... ولما كان حد الحالة اللغوية المطلقة هو انعدام التغيرات ، ولما كانت اللغة تتغير رغم ذلك ــ مهما يكن ذلك التغير ضئيلاً ــ فإن دراسة حالة من حالات اللغة يؤول بنا عملياً إلى أن نهمل تلك التغيرات الطفيفة على غرار ما يفعل الرياضيون عندما يهملون في بعض عملياتهم الحسابية الكميات المتناهية في الصغر" (دي سوسير ، 1985 : 158).

لم يقف الأوائل في عملهم عند حدود ملاحظة المادة اللغوية (Observational Adequacy)، كما لم يقفوا عند حدود الوصف لتلك المادة ، أو ما يسميه التوليديون بكفاية الوصف (Descriptive Adequacy)؛ بل ضموا إلى الوصف عنصر التفسير، أو ما يسميه التوليديون بكفاية التفسير (Explantory Adequacy)(Chomsky, OP.,Cit, P.29) إدراكاً منهم أن ربط المخرجات اللغوية بالنظام الداخلي للملكة اللغوية لن يتحقق إلاَّ من خلال دمج عنصر التفسير مع عنصري الملاحظة والوصف ؛ فهم كانوا يعتبرون اللغة نظاماً مجرّداً يقوم على الفروض التي يستنبطها العقل من خلال تراكيب الكلام وأبنيته المختلفة ، وهذا ما يشير إليه الخليل بقوله :"إن العرب نطقت على

سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها، واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته به" (الزجاجي ، 1968 : 66) فالتعليل ، أو التفسير كان مطلباً لفهم أسرار ذلك النظام التجريدي الذي سعوا إلى الكشف عنه، والمتمثل في اللغة المبنية داخلياً ، التي تعكس الكفاية اللغوية لدى الناطقين بالعربية ، ولذلك لم يعتمدوا بشكل مطلق على لغة الأداء (External Language) ــ وإن توسلوا بها إلى معرفة ذلك النظام الداخلي ــ ويؤكد هذا التفسير عدم اكتفائهم بالمدونة اللغوية (Language Corpus)، التي تتمثل في كتاب سيبويه أحسن تمثيل (نحلة ، 2009 : 20؛ زكريا ، 1982 : 37)، حيث جعلوها مفتوحة ، وموسعة ، ولا يعتمد فيها على راوٍ بعينه كما يفعل الوصفيون (حسان، 1980 : 153 ؛ باي، 1983 : 121 ــ 122 ، 132 ــ 133) بل تعدد فيها الرواة؛ لأن الكفاية اللغوية ــ كما يرون ــ لا تتمثل في شخص بعينه ؛ بل في كل من لا يحيد عن النسق العام للنظام اللغوي. ويظهر عدم اكتفائهم بالمدونة من خلال مساءلتهم الحدس اللغوي ، سواء على مستوى المتكلم ، أم على مستوى الباحث. وباستخدام الحدس إلى جانب المدونة خالفوا الوصفيين ، الذين لا يعتمدون الحدس مصدراً للدراسة ، كما خالفوا التوليديين بأخذهم بالمدونة ، فالتوليدية لا تعتبر المدونة مصدراً لدراسة اللغة (تشومسكي ، (أ) 1993: 98 ــ 99).

لقد استخدم الأوائل الحدس اللغوي بصورة موسعة فساءلوا حدسهم ، كما ساءلوا حدس المتكلمين الفصحاء ، إلى جانب مساءلة حدس أساتذتهم باعتبارهم متكلمين فصحاء من جهة ، وباعتبارهم باحثين لغويين من جهة أخرى . وتنتشر مساءلة الحدس في كتاب سيبويه ؛ بحيث لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته دون استخدامه لها . ويمثل ذلك ما يعرضه من أمثلة افتراضية كقوله :"وتقول لمن كان شيء من هذه الأشياء صفته، لبّان ، وتمّار ، وبقّال ، وليس في كل شيء من هذا قيل هذا : ألا ترى أنك لا تقول لصاحب البر برّار ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ، ولا لصاحب الشعير شعّار ، ولا لصاحب الدقيق دقّاق" (سيبويه ، 1973 : 382/3)، فسيبويه هنا يسائل حدسه ويأتي بأمثلة افتراضية (شعّار ، دقّاق)، لا يعتمد فيها على سماع ، أو مشافهة ؛ بل على نظام الملكة الثاوي خلف كفايته اللغوية ، ويشير إلى ذلك في قوله :" وهذا تمثيل لم يُتكلَّم به" (سيبويه ، 1966 : 83/1).وقد جاءت التوليدية تؤكد صحة ما ذهب إليه الأوائل؛ حيث اعتمدت استخدام الأمثلة الافتراضية وسيلة للكشف عن قوانين الملكة اللغوية. (Lyons, 1981., PP. 125 – 126 ; Chomsky, 1968., P.15 ; Culicover, 1976., : P.136 ; Stockwell, 1977., PP. 16 – 18).

ويضم سيبويه استخدامه حدسه إلى جانب استخدامه حدس أساتذته أيضاً ، من خلال أمثلة افتراضية كقوله :"وإذا حقرت رجلاً اسمه قبائل قلت: قبيئل، وإن شئت قلت: قبئيل ، عوضاً عما حذفت ... وهذا قول الخليل ، وأما يونس فيقول: قبيّل" (سيبويه، 1973 : 439/3)، فهو هنا يعرض ثلاث صور افتراضية لما يمكن أن تكون عليه صورة هذه الكلمة (قبائل) إذا استخدمت في التحقير ؛ وذلك وفقاً لحدسه، وحدس الخليل، ويونس . ويكثر سيبويه من مساءلة حدس أستاذه الخليل ، وذلك مثل سؤاله عن بعض الظروف المبهمة ، مثل : أمام ، وغيرها ، ويجيب الخليل بأنهن :"نكرات إذا لم يضفن إلى

معرفة ، كما يكون أيمن وأشمل نكـرة " (سـيبويه ، 1973 : 290/3). ولكـن سـيبويه لم يكتـفِ هنـا بحدس أستاذه ، بل يضم إليه حدس الفصحاء من العرب؛ ليتأكد مـن سـلامة حـدس أسـتاذه ، عـن طريـق موافقة الفصحاء له ، فيقول معقّباً على قول الخليل :"وسألنا العرب فوجـدناهم يوافقونـه ... وسـألنا العلـويين ، والتميميين فرأيناهم يقولون من قديديمة ومن وريئـة ، لا يجعلـون ذلـك إلاَّ نكـرة " (سـيبويه ، 1973 : 290/3 ــ 291).

لقد بدأ الأوائل دراسة العربية عن طريـق الملاحظـة والوصـف فـرأوا أن أواخـر الكـلام العـربي :"تجري على ثمانية مجار : على النصب والجر والرفع والجزم ، والفـتح والضـم والكسـر والوقـف "(سـيبويه ، 1966 : 13/1) حيث تختص الأربعة الأولى بالإعراب، والأخرى بالبنـاء ، فالكلمـات المكوّنـة للتراكيـب العربية قد تتغير حركة إعرابها فتنصب، أو تجر ، أو تجزم أو ترفـع ، حسـب موقعهـا ؛ ومـن ثم تصـبح هـذه الحركة مميزة لها . وقد لاحظوا أيضاً أن تغير موقـع الكلمـات ، إلى جانـب الحركـة (العلامـة الإعرابيـة) المميزة لها، ينشأ عنهما تغيّر في وظائفها التركيبية ؛ بحيث قد تصبح فـاعلاً نحويـاً ، أو صـفة ، إلى غـير ذلـك من الوظائف ، وسمّوا هذا التغيّر في حركة الأواخر إعراباً ، أما عدم تغيّر حركة الأواخـر ؛ رغـم تغيّـر مواقـع الكلمات في التركيب ، فقد لقبوه بالبناء .

ولم يكتفِ الأوائل بملاحظة الكلام العربي ووصفه تركيبياً فقط ، بـل ذهبـوا يبحثـون عـن السـبب وراء ذلك ؛ بهدف تفسير تلك الاختلافات الإعرابيـة ، والموقعيـة لمكونـات التراكيـب في العربيـة ، واهتـدوا إلى فكرة العامل باعتباره عنصراً مهيمناً ومسيطراً في التركيب اللغوي ، ومن ثم فهـو الـذي يحـدد أبعـاد هـذه المكوّنات التركيبيـة وظيفيـاً ودلاليـاً (فيرسـتيج ، 2007 : 76/3 ــ 77 ، سـيبويه ، 1966 : 13/1 ، طحان ، 1983 : 265)، وقد أدت فكرة العامـل إلى نشـأة مبـدأ تفسـيري جديـد وهـو التقـدير ؛ إذ وجدوا أن بعض العوامل لا وجود لها في اللفظ ، كما أن بعض معمولاتهـا قـد تحـذف أيضـاً مـن الكـلام، وهذا ما يشير إليه سيبويه بقوله إن العرب في كلامهم قـد :"يحـذفون ويعوضـون، ويسـتغنون عـن الشـيء بالشيء" (سيبويه ، 1966 : 25/1)؛ ولذلك لجأوا إلى مبـدأ التقـدير ، الـذي يفتـرض وجـود بنيـتين : أصـلية أو عميقـة (Deep structure)، وبنيـة فرعيـة أو سـطحية (Surface structure)، بحيـث تمثـل الأولى الكفايـة اللغويـة (Linguistic competence) بينما تمثل الثانية الأداء اللغـوي (Linguistic performance). فالبنيـة السـطحية غالبـاً لا تعطـي كل المعلومات ، بل تختزل بعضها ، أو تحذفه ، ولهـذا لا يعتمـد عليهـا وحـدها في الـدرس اللغـوي الـذي يهدف إلى استنباط قوانين الملكـة اللغويـة وتفسـير آلياتهـا (تشومسـكي (ب) 1993 : 42 ــ 43 ، 53).

وقد ربط الأوائل بين هاتين البنيتين من خلال مجموعة من القواعـد التحويليـة الجوازيـة والوجوبيـة ، بحيث تتحول البنية العميقة إلى ما نلحظه في البنية السطحية عن طريق ترتيب عناصـرها إمـا بصـورة طبيعيـة ، أو بتغيير هذا الترتيب ، وهو ما يُعرف بالتقديم والتأخير ، الذي قد يكون واجبـاً ، وقـد يكـون جـائزاً مثـل : الضمير المنفصل إذا وقع مفعولاً به ، أو الاسم الظاهر إذا وقع مفعولاً به ، وكـذلك مثـل : الحـذف الواجـب والجائز، كحذف العامل في باب الاشـتغال ، أو الاختصـاص ، وكحـذف (أن) الناصـبة بعـد لام التعليـل ،

واستتار الضمير وجوباً وجوازاً ، إلى غير ذلك من القواعد التحويلية ، التي تمكنوا عن طريقها من ربط الأداء اللغوي ، بالكفاية اللغوية من خلال تطبيق نظرية العامل، وبذلك تجاوزوا حدود الملاحظة والوصف إلى التفسير بهدف معرفة نظام الملكة اللغوية، وتحديد كيفية عمل المنظومة القواعدية ، وهذا ما رفع من قيمة عملهم المعجز والمبدع وأعطاه مكانة متميزة في حقل الدراسات اللغوية ، وإلى ذلك يشير أحد الباحثين بقوله :"النحاة العرب يستحقون تقديرنا لكونهم علماء محترفين ومستقلين بذاتهم ، وأن بوسعهم أن يعلمونا درساً مهماً جداً ، وهو أن علم اللغة لا يتعلق باكتشاف البنى الصحيحة في اللغة ، ولا بنماذج الصياغة وحسب ؛ بل يعبر عن الواقع باللغة ، لا بل اللغات عامة "(فيرستيج ، 2007 : 8/3).

ثبت بالمصادر والمراجع

أولاً ـ العربية والمعربة:

1- القرآن الكريم.

2 - ابن جني ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى، بيروت ، دون تاريخ.

3 - ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة ، الجزء الثالث ، تحقيق علي عبدالواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، مصر ط1 ، 1960م.

4 - ابن خلدون ، عبدالرحمن ، المقدمة ، الجزء الرابع ، تحقيق علي عبدالواحد وافي ، لجنة البيان العربي ، مصر ط1 ، 1962م.

5 - ابن النديم ، أبو الفرج ، الفهرست ، تحقيق رضا تجدد ، دار المسيرة ، ط3 ، 1988م.

6 - الأنباري ، أبو البركات كمال الدين ، الإغراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة، تحقيق سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، 1971م.

7 - أنيس ، إبراهيم ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1972م.

8 - باي ، ماريو ، أسس علم اللغة ، ترجمة أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة، 1983م.

9 - بروكلمان ، كارل ، تاريخ الأدب العربي ، الجزء الثاني ، ترجمة عبدالحليم النجار، دار المعارف ، مصر ، ط5 ، 1983م.

10 - بشر ، كمال ، دراسات في علم اللغة (القسم الثاني)، دار المعارف ، مصر ، ط2، 1971م.

11 - تشومسكي ، ناعوم (أ) ، المعرفة اللغوية : طبيعتها وأصولها واستخدامها ، ترجمة محمد فتيح ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط1 ، 1993م.

12 - تشومسكي ، ناعوم (ب) ، اللغة والعقل ، ترجمة إبراهيم مشروح وزميله ، دار تينمل ، مراكش ، 1993م.

13 - الجابري ، محمد عابد ، بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1996م.

14 - الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

15 - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح حسن السندوبي، دار المعارف ، سوسة ، تونس ، 1990م.

16 - الجرجاني ، عبدالقاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط3 ، 1992م.

17 - جهامي ، جيرا ، الإشكالية اللغوية في الفلسفة العربية ، دار المشرق ، بيروت، 1994م.

18 - حسان ، تمام ، اللغة العربية : معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 2001م.

19 - حسان ، تمام ، اللغة بين المعيارية والوصفية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1980م.

20 - حسن ، عباس ، اللغة والنحو بين القديم والحديث ، دار المعارف ، مصر ، 1966م.

21 - حمزاوي ، محمد رشاد ، العربية والحداثة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1986م.

22 - دمشقية ، عفيف ، تجديد النحو العربي ، معهد الإنماء العربي ، لبنان ، 1976م.

23 - دي سوسير ، ف ، دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي وآخرين، الدار العربية للكتاب ، 1985م.

24 - الراجحي ، عبده ، فقه اللغة في الكتب العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1979م.

25 - الراجحي ، عبده ، النحو العربي والدرس الحديث ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2008م.

26 - الرضي ، محمد بن الحسن ، شرح الرضي على الكافية ، تحقيق وتعليق يوسف حسن عمر ، جامعة قاريونس ، 1978م.

27 - روبنز ، ر. هـ.، موجز تاريخ علم اللغة ، ترجمة أحمد عوض ، عالم المعرفة ، العدد: 207 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، نوفمبر ، 1977م.

28 - الزركشي ، بدر الدين محمد ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق مصطفى عبدالقادر ، دار الفكر ، بيروت ، 2001م.

29 - الزجاجي ، أبو القاسم ، الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، بيروت ، 1968م.

30 - زكريا ، ميشال ، الألسنية (علم اللغة الحديث): المبادئ والأعلام ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 1983م.

31 - زكريا ، ميشال ، بحوث ألسنية عربية ، المؤسسة الجامعية ، بيروت ، 1982م.

32 - الزمخشري ، محمود بن عمر ، الكشاف ، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، 1947م.

33 - السامرائي ، إبراهيم ، المدارس النحوية ، أسطورة وواقع ، دار الفكر ، عمان، 1987م.

34 - السيد ، عبدالرحمن ، مدرسة البصرة النحوية ، دار المعارف ، مصر ، 1986م.

35 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، الجزء الثالث ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973م.

36 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، الجزء الأول ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، دار القلم ، 1966م.

37 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، الجزء الثاني ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، دار الكتاب العربي ، 1968م.

38 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، الجزء الرابع ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1975م.

39 - سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان ، الكتاب ، الجزء الخامس ، (الفهارس التحليلية للكتاب)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977م.

40 - السيوطي ، عبدالرحمن ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق جاد المولى، والبجاوي ، وأبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987م.

41 - السيوطي ، عبدالرحمن ، الإتقان في علوم القرآن ، دار نهر النيل ، القاهرة ، دون تاريخ.

42 - الشكعة ، مصطفى ، مناهج التأليف عند العلماء العرب ، دار العلم للملايين، بيروت ، 1979م.

43 - طحان ، ريمون ، فصول في فقه اللغة العربية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1983م.

44 - طحان ، ريمون ، وطحان ، دنيز ، فنون التقعيد وعلوم الألسنية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982م.

45 - الطنطاوي ، محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، مطبعة السعادة ، مصر، ط1، 1968م.

46 - عبده ، داود ، أبحاث في اللغة العربية ، مكتبة لبنان ، 1973م.

47 - عيد ، محمد أصول النحو العربي ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1978م.

48 - الفارابي ، أبو نصر ، الحروف ، تحقيق محسن المهدي ، بيروت ، 1969م.

49 - الفاسي الفهري ، عبدالقادر ، المعجم العربي : نماذج تحليلية جديدة ، دار توبقال، الدار البيضاء ، 1998م.

50 - فك ، يوهان ، العربية ، ترجمة رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي ، مصر، 1980م.

51 - فيرستيج ، كيس ، أعلام الفكر اللغوي ، الجزء الثالث ، التقليد اللغوي العربي ، ترجمة أحمد الكلابي ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، 2007م.

52 - القفطي ، جمال الدين ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، الجزء الأول ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، 1950م.

53 - المسدي ، عبدالسلام ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، الدار العربية للكتاب، 1981م.

54 - مصطفى ، إبراهيم وآخرون ، المعجم الوسيط ، المكتبة الإسلامية ، استانبول، تركيا، بدون تاريخ.

55 - مونان ، جورج ، تاريخ علم اللغة ونشأتها حتى القرن العشرين ، ترجمة بدر الدين القاسم ، جامعة حلب ، ط1 ، 1981م.

56 - نحلة ، محمود أحمد ، النحو العربي : أعلام ونصوص ، دار المعرفة الجامعية، 2009م.

57 - نحلة ، محمود أحمد ، أصول النحو العربي ، دار المعرفة الجامعية ، 2004م.

58 - النشار ، علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعارف ، 1981م.

ثانياً - المراجع الأجنبية :

1 - Chomsky, N. Aspects of the Theory of Syntax. The M.I.T. press, 1976.

2 - Chomsky, N. Current Issues in Linguistic Theory .Mouton & Co Printers, The Hague, 1970.

3 - Chomsky, N. Syntactic Structures.Mouton & Co Printers, The Hague, 1968.

4 - Culicover, P. W. Syntax, Academic press ITC, 1976.

5 - Greene, J. Psycho Linguistics, Penguin Books LTP, 1977.

6 - Lyons, J. Introduction to Theoretical Linguistics,CambridgeUniversity press, 1975.

7 - Lyons, J. Language and Linguistics : An Introduction,CambridgeUniversity press, 1941.

8 - Stetkevych, J. The Modern Arabic Literary Language, The University of Chicago press, 1970.

9 - Stockwell, R. P., Foundations of Syntactic Theory, prentice Hall., INC, Englewood cliffs, NewJersy, 1977.

إجراء المقابلة الفعال (Active Interviewing)

بقلم: J. A . Holstein and J. F. Gubrium

ترجمة: الدكتور ميكائيل إدريس الرفادي

قسم التخطيط وإدارة التعليمية- جامعة بنغازي

في "**مجتمع المقابلة**"(Silverman,1993)؛ الإعلاميون، و مقدمو الخدمات الإنسانية، و الباحثون، هؤلاء جميعاً يتزايد استخدامهم للمقابلة بوصفها أداة لجمع البيانات، فمن الواضح أن عدد البرامج الإخبارية والبرامج الحوارية والمقالات الصحفية التي تمدنا بنتائج المقابلات لا تعد ولا تحصى. و بالنظر إلى طرق جمع البيانات،يُقدر أن 90% من البحوث الاجتماعية تستخدم المقابلات بطريقة أو بأخرى (Briggs,1986). فالمقابلة بلا شك هي الأسلوب الأكثر استخداماً عند إجراء بحث اجتماعي منظم، كما يعدها علماء الاجتماع وعلماء النفس والأنثروبولوجيون والأطباء والإداريون والسياسيون وغيرهم أنها نافذتهم على العالم(Hyman et al,1975).

إجراء المقابلة هو طريقة للحصول على معلومات تجريبية عن العالم الاجتماعي بجعل الناس يتحدثون عن حياتهم الخاصة. و بهذا، فالمقابلات هي صورة من صور المحادثات، في حين أن هذه المحادثات يمكن أن تتباين في كونها مبنية بإحكام و مقننة و ذات طبيعة كمية، ومحادثات شبه موجهة إلى كونها مجرد تبادل حر للمعلومات، فكل المقابلات ذات طبيعة تفاعلية. فالقصص والروايات التي تنتج عن المقابلات يمكن أن تختصر في صورة إجابات لتقصٍ ذي بدائل قصرية أو محددة أو تُعامل على أنها سير حياتية شفوية، ولكنها جميعاً يمكن اعتبارها ناتجاً لحديث بين المشاركين في المقابلة.

في حين أن أغلب الباحثين يَعرفون الخصائص التفاعلية للمقابلة، فإن الأدب الفني للمقابلة يؤكد الحاجة إلى جعل هذا التفاعل رهناً للفحص والتدقيق ، والقائمون على المقابلة، بخاصة المهتمون بالبحوث المقننة يركزون اهتمامهم على تدفق معلومات تتصف بأقصى درجة من الصدق والثبات ويحدون بقدر الإمكان من تشويه أو تحريف معلومات المستجيب (Gorden,1987).

المقابلة إذاً صنفت على أنها مصدر محتمل للتحيز، أو الخطأ، أوسوء الفهم، وجملة من المشكلات الدائمة التي تحتاج إلى تحكم. والتصحيح بسيط: فإذا قدم المقابل الأسئلة بطريقة سليمة فإن المستجيب سيعطي المعلومات المرغوبة.

من وجهة النظر التقليدية هذه، فالمحادثة التي تتم في أثناء المقابلة هي وسيلة لنقل المعرفة. وقد كشفت الحساسية المتنامية للاحتجاجات التي ظهرت أخيراً (انظر (Gobriom and Holstein, 1997) – بين خصائص الدراسات وأبحاث ما بعد الماديين البنيويين،و ما بعد الحداثيين، والمفسرين، والإثنيين – كشفت مجموعة من التساؤلات حول إمكانية جمع معرفة بواسطة الطريقة التقليدية المقترحة.

بطرق أخرى، فوجهات النظر البديلة هذه تتضمن أن هذا المعنى دستور اجتماعي، إن المعرفة تصنع من الأنشطة والأفعال التي يتم تبنيها للحصول على تلك المعرفة انظر مثلا: (Cicourel, 1964,1974; Garfinkel, 1967).اعتبر المقابلة لقاءً اجتماعياً تُبنى فيه المعرفة، ويقترح احتمالية

أن تكون المقابلة مناسبةً لإنتاج معرفة قابلة للنقل في حد ذاتها و ليست قناة طبيعية أو مصدراً للتشويه أو التحريف.

يجادل عالم الاجتماع (Charles Briggs, 1986) في أن الظروف الاجتماعية أثناء المقابلة تعد أكثر من معيقات للمستجيبين، فهي التي تقرر ما يريدون ذكره من حقيقة، ولاحظ (Briggs) أن المقابلة كغيرها من الحوادث أو المناسبات الخطابية، فهي أساساً -ليست بشكل عارض- تحدد الشكل، والمحتوى لما يقال، (Aaron Cicourel,1970) و يذهب أبعد من ذلك ويقول إن المقابلة عملياً أو واقعياً تفرض طرقاً معينة على فهم حقيقة استجابات المبحوثين.

فالخلاصة هي أن القائمين بالمقابلة يتورطون بشدة وبشكل شبه مقصود في صنع معانٍ تُضمن بشكل مزعوم أو غير حقيقي في استجابات المبحوثين، انظر كذلك (Mishler1967, Manning,1986,1991; Silverman, 1993)

فكلا طرفي المقابلة فاعلان بشكل ضروري وإلزامي، فالمعنى أو المقصود لا يستنبط فحسب بواسطة الأسئلة الملائمة ولا ينقل ببساطة من خلال استجابات المبحوثين، ولكنه يجمع أو يرتب أثناء إجراء المقابلة بشكل تفاعلي وتواصلي.

فليس المستجيبون مجرد مستودعات أو مدخرات للثروات المعرفية (المعلومات) في انتظار من ينقب عنها حتى يتكلموا وكأنهم منشئون للمعرفة في تعاون مع الباحثين، فالمشاركة في المقابلة تتضمن مهمة صنع المعنى أو المقصود منها(Holstein and Gobrium1995).فإذا كانت المقابلات فعالة تأويلاً أو تفسيراً، ومناسبة لصنع المعاني، فالمعلومات التي مصدرها المقابلة هي بالضرورة معلومات تم الحصول عليها عن طريق التعاون، انظر: (Alasuotari, 1995; Holstein and Staples, 1992).

لذلك تعد المحاولات التقنية لتجريد المقابلات من مكوناتها التفاعلية لا طائل من ورائها أو تعد عبثا. وبدلاً من إعداد قائمة طويلة من القيود المنهجية التي يجب أن تجرى المقابلة المقننة وفقاً لها، نقترح على الباحثين اتخاذ وجهة نظر أكثر فاعلية بأن يؤسسوا للمعرفة اعتماداً على الإسهامات البنيوية للقائمين بالمقابلة و المستجيبين وفَهْم المقابلة على أساس أنها معانٍ فعالة يلازم بشكل أكثر طرق تشكيل المعرفة أكثر مما هو معتاد في الطرق التقليدية، وبعبارة أخرى، فَهْم "كيف" (How) يُوضح عملية صنع المعنى في المقابلة هو أمر أساسي مثل إدراك "ماذا" (What) في الواقع سَأل أو بَلغ، وبالطبع "كيف" في المقابلة لا ترمز فحسب إلى تكنيكيات المقابلة بل ترمز إلى تفاعل، وطرق سردية في إنتاج المعرفة."ماذا" (What) تتعلق بقضايا تحكم المقابلة، ومحتوى الأسئلة ومعلومات أساسية بُلغت أو نُقلت بواسطة المستجيب. والاهتمام المزدوج بـ"كيف" "وماذا" للمعنى المنتج يلازم التقدير للمكون الأساسي لتفعيل عملية المقابلة.

يُشتق هذا التثمين من طريقة البحوث الإثنية ذات التفسير الاجتماعي المعمق التي تعد في حد ذاتها عملية لإنتاج المدلول، ولتكون هذه الطريقة على درجة من الأهمية للبحث الاجتماعي تعادل أهمية المدلول الذي أنتج (Berger and Luckmann, 1967; Blumer, 1969; Garfinkel, 1967; Heritage, 1984; Poller, 1987) بطرق مهمة ومتعددة، ويتردد هذا أيضاً على الانتقادات المنهجية وجهود إعادة الصياغة التي يقوم بها عدد كبير من العالمات الإناث انظر:(Devalult,1990; Harding,1987; Reinharz,1992; Smith,1987) .ففي

أساليبهن المتميزة، البحث الإثني، والتفسيرية،و ما بعد التفسيرية، و ما بعد الحداثة، وبعض الترجمات النسوية لا تهتم بقضايا لها علاقة بالذاتية والتعقيد، ووجهة النظر، ووضع المدلول ؛ و لهذا تظل ذات قيمة و دلالة، فهذه الطرق أو الاستشرافات ذات النغمة اللغوية يمكن أن تؤكد ال "كيف" للعملية الاجتماعية على حساب ال "ماذا" للتجربة الحياتية.

نحن نرغب في اتخاذ موقع وسط بين ال "كيف" (Hows) وال "ماذا" (Whats) كطريقة لإعادة توزيع معنى المادة والمحتوى للدراسات المتعلقة بعملية البناء الاجتماعي، فالغرض ليس تفاديالمادة المقابلة عن طريق إعادة بنائها، ولكنه جني لثمارها وتفاعلاتها من أجل تحليل سردي.

في حين أن التأكيد في العملية كان منصباً – وله جدال حول الوضع المعرفي (Epistemology) لبيانات المقابلة، فمن المفيد أن لا نفقد تتبع مسار ماحوله سُئِلت "ماذا" في المقابلة (محتوى السؤال) وفي المقابل ما نُقل بواسطة المستجيب (محتوى الاستجابة).و التركيز الواسع على "كيف" يميل إلى أن يحل محل أهمية ال "ماذا" (Whats) – الدلالات – التي تعد أرضيات للأسئلة وإجاباتها.

باعتبار فعالية "صنع الدلالة" في كل المقابلات كنقطة للانطلاق، سوف نناقش كيف تصقل المقابلة بياناتها، سنبدأ بتحديد موقع رؤية الفاعلية في علاقاتها بالمفاهيم الأكثر تقليدية في المقابلة، مقارنين الصور البديلة أو المغايرة للمبحوث الكامنة خلف استجابته في أثناء المقابلة.

- **الصور التقليدية للمقابلة** (Traditional Images of Interviewing)

تقليدياً، يعتقد الذين يرغبون في معرفة شعور الآخرين، وأفكارهم، وأفعالهم أن عليهم فقط أن يسألوا الأسئلة الصحيحة أو الملائمة لتصبح حقيقة الآخرين بين أيديهم.تركل (Terkel) الصحفي البارع، والمتخصص في إجراء المقابلات الاجتماعية يقول:إنه ببساطة يشغل مسجل الصوت ويدعو الناس للحديث، ويكتب المقابلة، هذا ما فعله في دراسته الرائعة العمل (Working).

هناك أسئلة بالطبع ولكنها عرضية في طبيعتها... ذلك النوع من الأسئلة الذي نسأله لشخص في جلسة شراب، وهي ذات النوعية التي تسأل أنت بها.. باختصار، فهي محادثة في الوقت الذي فيه أزيلت السدود وفتحت الأحلام (1972xxv).بالرغم من كونها غير طموحة، فمنشورات Terkel للمقابلة تغلغلت في العلوم الاجتماعية، فإجراء المقابلة يمكن أن يكون مصدراً لحقائق صادقة وتكشف مشاعر تسكن داخل المستجيب. بالطبع هناك تكنولوجيا متقدمة تخبر الباحثين عن كيف تسأل الأسئلة، وأن يُتلف أو يُلوث البيانات ويجعلها غير محايدة (Fowler and Margione, 1990; Hyman et.al, 1975). يظل النموذج الرئيسي شبيها بالذي استخدمه Terkel ببراعة.فصورة المُنقب العلمي الاجتماعي تُجسد المقابلة على أنها مهمة للبحث والاكتشاف مع رغبة القائم بالمقابلة في كشف ما هو مكنون داخل المستجيبين المتعاونين لفظياً. و يكمن التحدي في استخلاص المعلومات بشكل مباشر بقدر الإمكان.

أساليب المقابلة المنقحة بشكل كبير تجعل العملية انسيابية،و منتظمة وصحيحة، هذا يمكن أن يتضمن درجات مختلفة من التقنين ،انظر:(Maccoby and Maccoby 1954) بالتدرج من مقابلات تتمحور حول تساؤلات صممت بطريقة خاصة و لفظية تركز على القابلية للقياس إلى مقابلات تتصف بالمرونة وتوجهها أسئلة أكثر عمومية تهدف إلى كشف دلالات المبحوث.

يقارن جون مادجي (John Madge) بين ما يسميه مقابلات تكوينية (Formative) وأخرى كتلية (Mass) ويصنف هذه المقابلات حسب درجة الحرية التي تمنح للمبحوث في اختيار موضوع المناقشة والطريقة التي تتم بها (1965, 165).المقابلات التكوينية تشمل المقابلات غير الموجهة كالمستخدمة في إرشاد روجرز انظر: (Rogers1945,). أغلب المسوح الكبيرة تصنف نوعاً ضمن المقابلة الكتلية (Mass interview). بشكل أساسي، وهذا التصنيف يركز على خصائص عملية المقابلة وأغراضها مع اهتمام أقل بكيف تختلف المقابلات كمناسبات لإنتاج المعرفة.

- **المبحوث القابع خلف المستجيب** (The subject behind the repondent)

بغض النظر عن نوع المقابلة، دائما يوجد تصور للمبحوث القابع خلف الأشخاص الذين أوكل لهم دور المستجيب في المقابلة.(Holstein and Gubrium,1995)تخيل مبحوث خلف المستجيب يهب الإحساس بفعلالنظرية المعرفية الذي له علاقة بفهمنا للصدق النسبي للمعلومات المروية أو المنقولة. ففي الطرق التقليدية، يتم تصور المبحوثين أساساً على أنهم ناقلون (أوعية) غير فاعلين (سلبيين) لأجوبة الأسئلة التي صيغت للمستجيبين بواسطة القائمين بالمقابلة (Interviewers)، وكذلك يتم تصورهم أيضاً على أساس أنهم مستودعات للحقائق والتفاصيل ذات العلاقة بالتجربة

في بعض الأحيان، مثل المقابلات ذات الموضوعات الحساسة أو في الحالات التي يكون فيها المستجيبون غير متعاونين (متحررين)، قد يصعب إدراك المبحوثين لمعلومات تجريبية دقيقة، ولا يقل عن ذلك أهمية صعوبة أن تكون المعلومات التي تم الحصول عليها غير ملوثة بوعاء استجابات المبحوث. فالضربة الصائبة هي صياغة أسئلة وتوفير جو يساعد على فتح التواصل وعدم تشويهه بين المقابل والمستجيب. فجزءٌ كبير من أدبيات طرق البحث المتعلق بالمقابلة تتناول الفروق بين هذه الأمور المعقدة. وتحذر وجهة النظر المستمدة من وعاء الاستجابة (Vessel-answers)، القائمين بالمقابلة ليكونوا حذرين في طريقة طرح الأسئلة، مخافة التحيز (bias) المتعلق بالسلوك الاستعلامي (التحقيقي) الذي يكمن في المبحوث.

يوفر الأدب عدد كبير من طرق الحصول على حقائق غير مزيفة وتفاصيل من النوع الذي يعتمد حيادية القائمين على المقابلة وحيادية السؤال. على سبيل المثال، يفترض أن القائمين على المقابلة الذين يطرحون أسئلة تقر بوجود أوجه بديلة لقضية يكونون أكثر حياداً مقارنة بغيرهم، فالتطبيق الناجح لحيادية الممارسات يُكبح داخل وعاء الاستجابات خلف المبحوث. الصدق ينتج عن التطبيق الناجح للطرق.

يعد تصور المبحوث سلبياً في إنتاج المعرفة طبقاً لمفهوم وعاء الاستجابات أي أنه لا يسهم في إنتاجها.إذا تمت عملية المقابلة حسب التعليمات (By the book)، وتمت بشكل غير توجيهي وبدون تخيير فالمستجيبون بصدق سوف يقدمون فحسب ما افترض المبحوثون أنهم يحتفظون به (الحقائق غير المعرفة وتفاصيل الخبرة).والتلوث (Contaminations) ينبثق من إطار المقابلة، والمشاركين فيها وليس من المبحوث الذي يقدم- تحت الظروف المثالية تقارير موثوق بها كلما طلب منه ذلك.

من ناحية أخرى، فإذا أنعشنا أو نشطنا صورة المبحوث القابع خلف المستجيب، وأُول على أساس أنه فاعل، فالمبحوث خلف المستجيب ليس فقط مالكاً للحقائق وتفاصيل الخبرة، ولكنه وفي العملية

الحقيقية لتقديمه لهذه الحقائق والخبرات يضيف إليها بذاتية استنتاجية ويحذف منها ويحولها. فالمستجيب بالكاد يفسد (Spoil) في الواقع ما يصنعه أو تصنعه بطريقة ذاتية.

هذا المبحوث المُفعل يجمع الخبرة قبل أن يتبنى دور المستجيب وخلاله وبعده. وكعضو في المجتمع، فالمستجيب يسوّى (Mediates) المعرفة التي ينقلها إلى القائمين بالمقابلة ويغيرها ، فالمستجيب دائماً (Always, Already) صانع فاعل للدلالة. والنتيجة، فإن استجابات المستجيب باستمرار تُجمع وتُحور، والقيمة الحقيقية لهذه الاستجابات لا يكمن الحكم عليها من زاوية ما إذا كانت تطابق ما يكمن في وعاء المعرفة الموضوعية. من وجهة نظر تقليدية، ما إذا كانت الاستجابات موضوعية وحقيقية يمكن أن يقيم من زاوية الثبات (Reliability) والذي يقصد بهِ:الحصول على نفس الاستجابات بغض النظر عن متى وأين طرحت الأسئلة، والصدق الذي يعني قدرة الاستقصاء على إعطاء الاستجابات الصحيحة (Kirk and Miller, 1986).

عندما تنظر للمقابلة على أنها مناسبة ديناميكية لصنع الدلالة، فإن معياراً آخر تم تبنيه. وهو التركيز على كيف تم بناء الدلالة وظروف عملية البناء والترابطات ذات الدلالة التي تمت للمناسبة، في حين أن الاهتمام بمحتوى الاستجابات يظل مسيطراً، هذا الاهتمام أساساً بكيف وماذا للمبحوث، المستجيب الفاعل – في تعاون مع القائم بالمقابلة مساوٍ في الفاعلية – ينتج وينقل ما يتعلق بخبرة المبحوث، تحت الظروف التفسيرية المتوفرة.

لا يستطيع أحد ببساطة أن يتوقع أن استجابات في مناسبة معينة تصلح للتنبؤ باستجابات في مناسبة أخرى، وذلك لأنها تنبثق من ظروف مختلفة للإنتاج. وبالمثل، فصدق الاستجابات لا يشتق من توافقها مع الدلالات القابعة داخل المستجيب ولكن من قدرتها على نقل حقائق تجريبية قائمة من زاوية أنها يمكن فهمها كلياً.

هذه الصورة الفعالة للمقابلة من الأفضل وضعها في الاعتبار عن طريق مقارنتها بطرق تقليدية محددة.والطريقتان اللتان اخترناهما تختلفان بشكل واضح في نزعتهما أو ميلهما نحو الحقائق التجريبية القابعة داخل المبحوث غير الفعال (السلبي) فالأولى تميل نحو القيمة المنطقية والدافعية لما تم نقله. فنموذجية المسح المعتمد على المقابلة تركز على التعبيرات الواقعية والتفسيرات والمبررات التي بواسطتها يوضح المستجيب الخبرة. نستخدم كتاب جين كونفيرسي وهاورد سوشمان (Jean Converse and Howard Schuman) غير المتحيز "محادثة بعشوائية"(Conversion at random) (1974) كمرجع نموذج.

الطريقة الثانية تميل نحو قيمة مشاعر المبحوث المزعومة بقوة والأكثر صدقا، وهي تؤكد عاطفة جوهر ولب التجربة الإنسانية ووجدانها ومشاعرها. نحن نستخدم كتاب جاك دوقلاس (Jack Dooglas) "إجراء المقابلة الإبداعي"(Creative Interviewing 1985) لتوضيح الطريقة.

- **المسح بالمقابلة** (Survey Interviewing).

في حين أن كيونفيرسي وسيوشمان (Converse and Schuman) حاولا تطوير أغلب طرق إجراء المقابلة المقننة، في كتابهما ووضعا أيضا في اعتبارهما المقابلة المسحية (Survey

Interview) كما يراها القائمون بالمقابلة – وبشكل مستفيض وضح الكتاب كيف تكون هذه الأساليب جذابة من الناحية التأويلية (التفسيرية والسردية) وكيف يكون المستجيب صعباً ومُغْضباً. الكتاب يصف الشخصيات الممتعة وكذلك المعقدة والدلالات أو المعاني التي يواجهها القائمون بالمقابلة في أثناء إجراء المقابلة ويصف كل هذا على التوالي حسب رغبات الأشخاص ومعارف الأفراد.

لكن المؤلف يحذر القارئ، كما هو واضح في أغلب أجزاء الكتاب من أن المستجيب يمكن أن يكون –تأويلياً- فعالا بشكل كبير إلا أن ذلك لا يتعارض مع مواصلة السعي وراء الحصول على بيانات موضوعية، وهذه المعلومات التي يتعلمها القارئ هي مشتقة من مستودع للمعلومات يقبع دون فاعلية خلف المستجيب. والمؤلف لا يعتقد أن أسلوب المستجيب يورط "مبحوثه أو مبحوثها" في بناء الدلالات والمعاني فيقدر ما يمكن أن يكون المستجيب نشطاً، غير مثبط، ممتعاً وصعباً في بعض الأوقات فمبحوثه أو محبوثها يظل في النهاية ساعيا وراء الاستجابات في البحث أو الدراسة.

كتاب كونفيرسي وسيوشمان (Converse and Schuman) مليء بالحكايات النادرة التي تركز على ما يجب أن يتعلمه القائمون بالمقابلة من أجل أن يظل وعاء الاستجابات للمبحوث مكشوفاً والمستجيب في الهدف. الأمر يتعلق بتحكم الشخص في نفسه كقائم بالمقابلة حتى لا يتعارض هذا الشخص فقط مع ما يرغب او يقترح المبحوث غير الفاعل بالكشف عنه بشدة. وعلى القائم بالمقابلة أن يتخلص من مشاعره، أو يقمع معتقداته الشخصية، ويجنب المستجيب النمطية. وتعلم قواعد المقابلة، هو كذلك أمر يتعلق بالتحكم في ظروفها ليسهل التعبيرات التريهة عن المشاعر والعواطف.

مثالياً، يجب أن تتم المقابلة في خصوصية، فهذا يساعد على أن المستجيبين سيتكلمون مباشرةً من وعاء الاستجابة الخاص بهم ولا يتكلمون استجابةً لحضور الآخرين، القائم بالمقابلة المتمرس يتعلم أن ما يسمى بالمحادثة المنتزعة (Poll of conversion). التي يمكن أن يكون لها تأويلها الديناميكي الخاص الناتج عن الموضوعية الفعالة لكلٍ من المستجيب والقائم بالمقابلة (الباحث) ،وهذا التأويل يجب أن يتم التحكم فيه أو يدار بحيث يصبح نفوذ الاستقصاء (Push of inquiry)p(26) يمكن تعديله ليكون أكثر وضوحا ونموذجياً، أما الضغوط المتقاطعة لإدارة الاستقصاء التي ستنتج معلومات صلبة وجيدة (Good Hard Data) ،فيتحكم فيها بواسطة محادثة لينة (Soft conversion) p(22) .

يقدم كتاب كونفيرسي وسيوشمان (Converse and Schuman) برمته، لمحات عن كيفية تصور ما يمكن أن يكون عليه تصور المبحوث الفعال عمليا، فالتوضيحات باستمرار تخبرنا أن المقابلات هي محادثات لا يتم فيها فقط نقل الدلالات، ولكن- وبشكل تعاوني- يتم فيها بناء هذه الدلالات ، واستقبالها وتفسيرها، وتسجيلها بواسطة القائم بالمقابلة (interviewer). في حين أن القائم بالمقابلة المتمرس يتعلم إدارة ضغوط المحادثة لأغراض الاستقصاء ويتوجه ليكون فعالاً، فمناسبة صنع الدلالة يبدو أنها مجرد خطوة معرفية بعيدة المنال.

- **المقابلة الإبداعية** (Creative Interviewing).

تختلف المقابلة الإبداعية عن الطريقة التي جسدت في كتاب دوقلاس (Dougals) ، ولكن يوجد بعض أوجه التشابه التي استعيرت من التصورات التقليدية. فكلمة مبدع (Creative) في عنوان دوقلاس تشير أساسا إلى القائم بالمقابلة وليس إلى المستجيبين، وطبقا لدوقلاس تُشتق من الصعوبات التي

واجهها في أثناء محاولته سبر الخبرة العميقة للمستجيب. وكتب دوقلاس هـذا في دراساته التجريبية العديدة، أنه باستمرار يكتشف مدى ضحالة التوصيات المقننة للقيام بالمقابلة البحثية.وكلمة الحيادية التقليدية كالتي يعتنقها كونفرسي وسوشمان لم تفلح في أسر ما يسميه دوقلاس مَعِين المستجيب الانفعالي الذي لا ينضب، ودعت إلى طرق بحث للكشف العميق. و ترتبط صعوبات دوقلاس بتصوره للمبحوث غير الفعال كارتباطها بالضعف في تكتيك المقابلة المقننة، كالتصور للمبحوث القابع خلف المستجيب ، و يتصور دوقلاس كذلك مبحوثه كمستودع للاستجابات، لكن في هذه الحالة فأوعية المشاعر محروسة بعناية. فالمستجيب يتواصل بتلقائية من خلال معين مشاعر لا ينضب، وذلك حسب طلب قائم بالقابلة يعرف أن مجرد كلمات لا تستطيع أن تسحب أو تنقل ما تتمحور حوله الخبرة في الأساس. أسئلة المسح المقننة والاستجابات تلامس فقط سطح الخبرة، و يهدف دوقلاس– بعمق أكثر – للإبداع إلى أن تعرف (Getting to know) المبحوث الحقيقي القابع خلف المستجيب.

فالمقابلة الإبداعية عبارة عن مجموعة من الأساليب والتكنيكات لتحريك الكلمات المجردة، والجمل المتبادلة إلى الماضي في عملية المقابلة. لتحقيق هذا، وعلى القائم بالمقابلة توفير مناخ للإفصاح المتبادل. فالمقابلة يجب أن تكون مناسبة تظهر رغبات القائم بالمقابلة ليشرك مشاعره الخاصة وأفكاره العميقة. وهذا يتم من أجل ضمان أن المستجيبين يستطيعون كذلك أن يشركوا مشاعرهم وأفكارهم. وعمق القائمين بالمقابلة يكشف كلتا المناسبتين ويشرعن (يجعله شرعيا) الإلهام المتبادل للمستجيب، مقترحات دوقلاس هذه مقموعة بشكل خاص بواسطة الحيادية المصقولة للمقابلة المسحية المقننة لتأسيس قاعدة أساسية يكتب دوقلاس قائلاً:

" المقابلة الإبداعية، وكما سنرى تباعا، تتضمن إستراتجيات عديدة ووسائل للتفاعل، تعتمد بشكل أساسي على فهم المشاعر الصديقة والألفة لتُكمل التعاون، والكشف التعاوني، والبحث الإبداعي للفهم المتبادل " (1985:25).

ويقدم دوقلاس مجموعة من الخطوات للمقابلة الإبداعية، لُيفهم الأمر كما صاغه دوقلاس: فإن العبقرية في المقابلة الإبداعية تتضمن 99% إفراز للعرق (تعرق) (1985:27) ،حَمْل المستجيب على الإفصاح بعمق يتطلب عمل أكثر من الحصول على آراء مجردة. الدليل الثاني، من أجل الغوص في أعماق النفس البشرية (الباحث يعرف نفسه) (1985:51)، التحليل الذاتي من جانب القائم بالمقابلة (الذي هو في أغلب الأحيان الباحث) خشية أن تعمل الميكانيزمات الدفاعية الإبداعية للقائم بالمقابلة ضد الإفصاح والتعاون المتبادلين. الدليل الثالث، هو أن تظهر التزاماً بالإفصاح عن طريق تجسيد اهتمامٍ راسخٍ بالمشاعر؛ بالإشارة إلى القائم بالمقابلة المبتدئ والمبدع الذي أنجز مجموعة من الدراسات الحية والبارعة والملهمة، كتب دوقلاس: "القائم بالمقابلة المبدع مُسير بكونه صدوقاً، ومبالياً، ويُوقر المشاعر، ولكن يضيف إلى ذلك مُحَبباً، عينه واسعة للإحساس والإعجاب بالأسرار غير المكشوفة (المحجوبة) قبل المرأة (1958:29)

توصف الينابيع التي تُقرع بواسطة القائم بالمقابلة المبدع، بأنها عاطفية، في تقابل مغاير للتصور المنطقي المفضل للحقائق التي ترشح من خلال كتاب كونفيرسي وسيشومان. كما يوضحها دوقلاس ،المعرفة والحكمة هما جزئياً نتاج للتفاعلات الإبداعية للأبحاث الإبداعية لفهم جوهر المشاركة (P55).فعندما يتصوردوقلاس أنّ المبحوث عاطفي في الأساس ، فهو في دور المستجيب يتبادل بفاعلية

مع القائم بالمقابلة لخلق دلالات محايدة يمكن إدراكها، هذا يوازى اعتبارات القائمين بالمقابلة في مقترح كتاب كونفيرسي وسيوشمان.

في هذا الشأن، تُوسط حيادية الإفصاح – الدفع الإبداعي في اتجاه المقابلة الإبداعية –، وتُضيف، وتُشكل ما تم قوله بطُرقها الخاصة ما لم يلاحظه دوقلاس، من ناحية أخرى أن هذا المبحوث المتعاون بنموذجية يمكن بشكل بديل، أن ينشئ ينابيع لا تنضب للخبرة بمنطقية أو تعبيرات أخرى ليس بالضرورة عاطفية ، لذا يظل المبحوث القابع خلف المستجيب عند دوقلاس فعالاً جوهريا، وعاطفياً إذا كان جماعياً، ومصدرا للخبرة، يختلف عن المستجيب الذي ينفتح أثناء جلسة شراب مع ستودز تريكيل (Studs Terkel).

- **المقابلة الفعالة** (the active Interview)

جادل أثيل دي سولا بول (Ithiel de Sola Pool) (1957) – وهو ناقد بارز في أبحاث الرأي العام- ذات مرة،:"أن الاحتمالات الديناميكية للمقابلة هي –فعلاً- تنشط آراء المستجيبين، و يقترح أن كل مقابلة، هي دراما شخصية بحبكة تطورية" (1957:19).هذه الاستعارة، تنقل معنى لإجراء المقابلة أكثر تفاعلية بكثير من الذي تم فهمه تقليدياً، كما تنقل تصوراً للمقابلة على أنها مناسبة لبناء المعلومات وليس مجرد اكتشافها ونقلها. كما يكتب بول (Pool): "البيئة الاجتماعية التي يتم فيها التواصل (المقابلة) لا تُعدل ما يرغب الشخص في قوله، بل حتى فيما يفكر في اختياره ليقوله. هذه الاختلافات في التعبير لا يمكن إظهارها على أساس أنها محض تباينات عن بعض الآراء الحقيقية المتضمنة لوضع غير محايد وليس اجتماعياً، وغير مُؤثر فيه، لتوفير ذلك الأساس" (1957:192).

- **المقابلة الفاعلة وممارسة التأويل** (The active interview and interpretive practice)

أنّ فهم المقابلة على أساس أنها دراما شخصية بحبكة متطورة، جزء من تصور أوسع للحقيقة على أساس أنها إنجاز تأويلي منظور. ولذا يعد المشاركون في المقابلة ممارسين للحياة اليومية، يعملون باستمرار ليبينوا ويوصلوا مظاهر الخبرة المرتبة التي يمكن إدراكها. ولكن صنع الدلالات ليس صناعياً (Garfinkel, 1967) فحسب، فالدلالات لا تبنى من عدم في كل مناسبة تأويلية، بالأحرى، فالتأويل محكوم ومقيد بواسطة المصادر الجوهرية واحتمالات التفاعل.فالدلالات، أنشئت على الصلة بين "كيف" (Hows) و"ماذا" (Whats) للخبرة بين - بواسطة ممارسة التأويل – الطرق والمصادر المستخدمة لإدراك الحقيقة وتنظيمها وعرضها (Holstein,1993; Holstein and Gubrio,1994).

يعد إجراء المقابلة الفعال شكلاً من أشكال ممارسة التأويل يتضمن المستجيب والقائم بالمقابلة في أثناء تنسيقهم للبنى التأويلية المتطورة والمصادر والتوجهات مع ما يسميه (Garfinkel,1967) الاستنتاج العملي (Practical Reasoning)، ربط الاصطناعية بالاحتمالات المستقلة يدل ضمنياً على أنه في أثناء كون الحقيقة باستمرار تحت الإنجاز أو البناء تُشكل باستخدام مصادر التأويل المتوفرة. فالدلالات تعكس شروط التأويل الثابتة نسبياً مثل الموضوعات البحثية للقائم بالمقابلة، والسير الذاتية

والطرق المحليـــة لتكييـــف هـــذه الموضـــوعات (Gubrium,1988, 1989, 1994; Holstein and Gubium,1994, 1995). هذه المصادر بذكاء ومهارة صنعت وفقاً لمطالـــب المناســـبة بحيـــث لا تكـــون المعاني محددة سلفاً ولا فريدة بشكل مطلق.

- **المبحوث الفعال** (An active subject)

يُحول تصور المقابلة الفعالة المبحوث القابع خلف المســـتجيب مـــن مســـتودع لـــلآراء أو الأســـباب أو ينبوع للعواطف إلى مصدر منتج للمعرفة مع بداية مرحلة تحديـــد موضـــوع البحـــث، إلى اختبـــار المســـتجيب، إلى السؤال والإجابة، ثم إلى النهاية .فتفسير الاستجابات، وإجراء المقابلة في حـــد ذاتـــه يعـــد مشـــروعاً جماعيـــاً لإنتاج المعاني، فينبثق المبحوث المتخيل خلف المستجيب كجزء مـــن المشـــروع ولـــيس قبـــل بدايـــة المشـــروع، خلال المقابلة نفسها المستجيب يُكسي – منطقياً، وعاطفياً، في جماعة أو بطـــرق أخـــرى في علاقـــة مـــع الأخـــذ والعطاء(Give and take) لعملية المقابلة وأهداف البحث الواسعة للمقابلة.

يوجد احتمالان تواصليان يؤثران في بناء المبحوث الفعال القـــابع خلـــف المبحـــوث. أحـــدهما يتضـــمن ال "ماذا" (Whats) الحقيقية لمشروع المقابلة. ويقـــدم مركـــز اهتمـــام المشـــروع البحثـــي وبياناتـــه الناشـــئة مصادر تأويلية لتطوير كل من المستجيب واستجاباته أو استجاباتها. على ســـبيل المثـــال: مشـــروع يركـــز علـــى نوعية الرعاية ونوعية الحياة للمقيمين في دار للعجـــزة انظـــر (Gubrium, 1993). هـــذا يمكـــن أن يكـــون جزءاً من دراسة لها علاقة بنقاش وطني حول تنظيم الدار والرعاية المؤسسية.

إذا استخدمت المقابلة، فالمشاركون سيتحدثون أو يظهرون واقعية هـــذه الموضـــوعات، رابطـــين هـــذه الموضوعات بالسير الذاتية أو الشخصية خلال عملية المقابلة، وبالتبعيـــة ســـينتجون مبحوثـــاً يســـتجيب للأمـــور محور النقاش أو يتأثر بها على سبيل المثال: فالمقيمة دار الرعاية يمكن أن تتكلم بحيوية أثنـــاء المقابلـــة عـــن نوعيـــة الرعاية في مقرها مستخدمةً براعتها مؤكدة أنه "بالنسبة للمرأة" تركـــز نوعيـــة الرعايـــة علـــى المشـــاعر محاكيـــة مبحوث دوقلاس (Douglas) العاطفي، وموضحةً الـــرابط الـــذي يمكـــن إدراكـــه بـــين الشـــعور والنـــوع (Gendr).

ومبحوثة أخرى، يمكن بهدوء ومنهجية أن تعدد نوعيـــات الرعايـــة في مقرهـــا دون أن تتحـــدث ولـــو مرة عن شعورها نحو هذه النوعيات من الرعايـــة. بعرضـــها لتبنيهـــا الخـــاص للمســـألة، فالمســـتجيبة يمكـــن أن تقول: " شعورك بالعاطفة حول هذه الأشياء، يعتم الحكم الواضح،و يُضـــمِن مبحوثـــاً مـــن نـــوع آخـــر أشـــبه بنوع المستجيب المنطقي الذي صوره كونفرسي وسيشومان". فمصادر جوهرية معينـــة – مثـــل الـــرابط الثقـــافي الاعتيادي بين المرأة والمشاعر، أو الرأي الثقـــافي التقليـــدي حـــول الـــتفكير الواضـــح أو الجلـــي والعاطفـــة – استخدمت لتشكيل المبحوث.

واحتمال تواصـــلي ثـــانٍ للقيـــام بالمقابلـــة يقودنـــا إلى ال "كيـــف" (Hows) للعمليـــة. فنقطـــة الاستشراف التي تقدم منها البيانات تُطور باستمرار في ضوء العلاقة بالتفاعـــل المتطـــور للمقابلـــة، فـــلا يقـــدمون فقط أفكاراً واقعيةً و مشاعرً تتعلق بالموضوع محل الاهتمام بل تزامنياً وباستمرار يراقبون مـــن هـــم علـــى علاقـــة بالشخص الذي يقدم لهم الأسئلة. على سبيل المثـــال: اســـتهلالها لملاحظـــات حـــول نوعيـــة الحيـــاة في مقرهـــا بالجملة: "حدثني كامرأة" ،فالمقيمة في دار الرعاية تخبر القائم بالمقابلة أنـــه يجـــب الاســـتماع إليهـــا علـــى أنهـــا امرأة، وليست كشخص آخر – مجرد قاطن، أو مريض بالســـرطان، أو أم مُتخلـــى عنـــها. إذاً و عنـــدما تعقـــب

لاحقاً "إذا كُنت رجلاً في هذا المكان" فالمقيمة تصوغ أفكارها ومشاعرها حول نوعية الحياة بشكل مختلف، منتجة مبحوثاً بديلاً، يعمل بوضوح على كيفية إنهاء المقابلة.

- **دافع سردي، تحول موقعي، ومورد نشاط**

Narrative incitement, Positional shifts, and resource activation

لا تفرض المقابلات، بالطبع حكراً على الممارسة التأويلية، وليست هي المناسبات الوحيدة التي بناءً عليها يُنشئ المبحوثون وعواطفهم وآراءهم، وتقديراتهم تأويلياً.

لماذا إذاً يعد إجراء المقابلة صيغة مفيدة من نوع خاص للاستقصاء الاجتماعي المنتظم؟ جواب واحد يتضمن في قدرة حالة المقابلة على حث إنتاج الدلالات التي تواجه القضايا ذات العلاقة باهتمامات بحث معين.فحسب وجهة النظر التقليدية لإجراء المقابلة، المبحوث الفعال ملتزم بالحد الأدنى من الممارسة التأويلية، ومدرك أو راوٍ للخبرة عندما يُسأل بطريقة صحيحة. من ناحية أخرى، فَهْمُنا الفعال للمقابلة، يُزين المبحوث بمستودع واقعي للطرق التأويلية أو مصدر للمواد التجريبية.

تتحاشى وجهة النظر الفعالة انتظار قرع وعاء التصور تأييداً لفكرة أن القدرات التأويلية للمبحوث لابد أن تُفعل، وتُحفز، وتُصقل، المقابلة تعد عموماً مناسبة للقيام بهذا بشكل رسمي ومنتظم. هذا لا يعني القول بأن القائمين بالمقابلة الفعالة مجرد قائمين بملاطفة مستجيبيهم للحصول منهم على أجوبة لتساؤلاتهم. بدلا من ذلك، يتحدثون عن مستجيبيهم على نحو تنتقل معه الاهتمامات المتبادلة .فالمستجيبون يمكن أن يقترحوا الميل نحو مظاهر مختلفة للمستجيبين والربط بينها ، يشيرون إلى – وحتى دعوة إلى – تفسيرات تعتمد على مصادر معينة، وارتباطات، واستشرافات.

يمكن أن يكتشف القائمون بالمقابلة بشكل غير كامل مظاهر واضحة للخبرة، ويشجعوا المستجيبين ليطوروا موضوعات ذات علاقة بحياتهم اليومية الخاصة (Devault,1990). الهدف ليس إملاء تأويلات، ولكن توفير بيئة تساعد على إنتاج مدى تعقيد الدلالات ودرجته التي توجه القضايا ذات العلاقة، ولا تحكم بأجندات محددة مسبقاً.

فاستعارة بول (Pool) المسرحية، تعد ملائمة لأنها تنقل كل من شروط البناء وفن صناعة المقابلة، وكدراما من نوع رديء، توصف سرديتها على أساس أن لها موضوعاً أو موضوعات، وقواعد يمكن تمييزها أو بنية للمحادثة. ولكن لها أيضاً حبكة تطورية يتم فيها تشكيل الموضوعات والقواعد والبنية خلال "الأخذ – العطاء (give and take) للمقابلة. هذه المقابلة الفعالة هي نوع من الأداء الارتجالي المحدود. فالإنتاج عفوي، علاوة على ذلك بنائي و مركز في معالم (برامترات) حرة غير مقيدة مقدمة من قبل القائم بالمقابلة الذي يعد أيضاً مشاركاً فعالاً.

عندما يبني المستجيب الاستجابات ويشكلها بفعالية، هو أو هي ليس ببساطة يهيئ للكلام (Breakout talking) حيث لا سرديات تطور ولا ردود بكلمة واحدة تظهر دون إثارة. فوظيفة القائم بالمقابلة الفعال هي حث استجابات المستجيبين.

في حين أن الطرق المقننة للمقابلة تحاول تجريد المقابلة من كل أو من أغلب المثيرات الحيادية والموضوعية، و للاطلاع على مناقشة الفشل الحتمي لهذه المحاولات، انظر هوليستن وقويريوم (Gubrium and Holstein, 1995).القائم بالمقابلة الفعال بشكل مقصود يثير المستجيبين عن

طريق الإيحاء – وحتى الاقتراح – بأوضاع سردية، ومصادر وتوجيهات، وحوادث سابقة مماثلة. بمعنى أوسع، القائم بالمقابلة يقوم بمحاولات لتفعيل المخزون المعرفي للمستجيب (Schutz,1967)، بحيث يؤثر هذا المخزون على المحادثة القائمة بما يتلاءم مع موضوع البحث.

ضع في الاعتبار، على سبيل المثال، الطرق التي تُفعل بها وتُضمن المظاهر المختلفة لمعارف المستجيب، ووجهات نظره، وأدواره، وتوجيهاته في مقابلة مع ابنةٍ راشدةٍ تقوم برعاية والدتها التي تعاني من الخرف في البيت، الابنة تعمل جزءاً من الوقت (Part-time) ويشاركها السكن زوجها الذي يعمل وابناها الاثنان، أحدهما طالب جامعي جزء من وقته، والآخر يعمل دواماً كاملاً حارساً أمنياً.

الاقتباس:"عندما سأل القائم بالمقابلة (I) الابنة الراشدة (R) لتصف شعورها نحو حاجتها إلى توازن بين عدة احتياجات وجداول زمنية ،هذا له علاقة بما يسمى جيل السندوتشات (Sandwich Generation) الذي يقال عنه أنه وقع بين الحاجة إلى تربية أطفاله والتطلع إلى رعاية والدين متقدمين في السن وضعاف. لاحظ كيف بعد أن يسأل القائم بالمقابلة المستجيبة: ماذا تعني بقولك أن لديها مشاعر مختلفة؟ المستجيبة تضع إشارة واضحة للطرق المختلفة للتفكير حول الأمر، وكأنها تقترح أن هناك أكثر من مصدر سردي (باستجابات متناقضة) يمكن أن يحضر بحيث يؤثر على الأمر. المستجيبة تظهر تحكماً سردياً جديراً بالاهتمام، هي لا تشير فقط إلى ال "ماذا" الممكنة لمنح الرعاية والحياة العائلية، ولكن في أثناء العملية – تعلم القائم بالمقابلة كيف تبني استجاباتها.

I – نحن نتحدث عن، أنت قلتِ إنكِ عضوة في ... ماذا تسميه؟

R – هم يقولون أنتِ في جيل السندوتشات (Sandwich Generation) أنت تعرف. كأننا ساندويتش بين واجبات رعاية والدتي... وأطفالي في مرحلة النمو وزوجي. الناس الآن يعيشون أطول عمراً ويوجد لديك أجيال مختلفة في البيت أنا أخبرك. إنها نعمة مختلفة.

I – كيف تشعرين نحوها في وضعك أنتِ؟

R– أنا لا أعرف. بعض الأحيان أنا أعتقد أنني أنانية بعض الشيء، أنا تشبثت بأن أراعي أمي كل الوقت. إذا تخليت عن حراستها فربما تجدها في الحديقة الخلفية للمنزل أو تخرج إلى الخارج إلى الشارع.. هذا ليس مزاحاً عندما زوجك يريد انتباهك. أيضاً نورم (Norm) يعمل في الوردية الثانية. ففي النهار فهو يتواجد في البيت بكثرة. أستطيع أن أحصل على بعض الوقت من العمل، ولكن هو لا يحب ذلك. لدي شعور مختلط حول هذه القضية.

I– ماذا تعني؟

R– حسناً. لا أقول ذلك كابنة، أشعر بالذنب إلى حد بعيد حول ما أشعر به في بعض الأحيان. يمكن أن تسوء الأمور إلى حد بعيد، أتمنى لوأن أمي كانت ميتة. أنت تعرف ماذا أعني؟ هي أم رائعة، وأنا أحبها كثيراً، ولكن عندما تسألني كيف أشعر كزوجة وأم هذا أمر أخر. أشعر وكأنها (الأم) اقتحمت حياتنا وجعلت من رعاية أسرة كأنها جحيم. بعض الأحيان أضع نفسي مكان زوجي، حينها أعرف كيف يشعر؟ هو لا يتكلم كثيراً، ولكن أعرف أنه فقد مرافقتي، بالطبع أنا فقدت مرافقته {توقفت عن الكلام }وبالتالي كيف يمكنك أن تجيب؟

استمر القائم بالمقابلة في شرح أن المستجيبة يمكن أن تستجيب بطريقة نعتقد أنها تمثل أفكارها ومشاعرها أفضل تمثيل. و لكن كلما ظهر التبادل (Exchang Unfold) ،فهذا دليل على وجود أفضل تحريف في التعقيد السردي لأفكار المستجيب ومشاعره. في الاقتباس الذي يتبع، لاحظ كيف أن المستجيبة تكافح لتصف آرائها لتلائم هويات تصنيفية متغايرة. وفي نقطة، تشرح أنها تعرف كيف تستطيع وكيف يجب أن تشعر، لأنها عرفت من طُرق تصرف زوجها وأبنائها أن الرجال لا يشعرون بالأشياء بنفس الطريقة، هذه معرفة متعلقة بالنوع (gender)، في نفس الوقت لاحظ أيضاً، أنه في مواضع عدة، القائم بالمقابلة يتعاون مع المستجيبة لتعرف هويتها على أساس أنها مستجيبة، في نهاية الاقتباس، تقترح المستجيبة أن استجابات مستجيب آخر يمكن أن تخدم لإيضاح الطريقة التي رتبت هي إجاباتها. موضحةً أن السرد الظرفي (السياقي) يمكن أن يشجع كذلك ترجمات إضافية لخبرتها الشخصية.

R– أنا أحاول أن نكون في مكانهم (الزوج والأبناء) ونرى حسب وجهة نظرهم. أنت تعرف من الطريقة التي يفكر بها الرجل، أنا أسأل نفسي كيف يبدو أن لك زوجة لبعض الوقت (Part-time) وأماً. أنا أسأل نفسي كيف شَعر. صدقني، أنا أعرف أنه (الزوج) يشعر برداءة إلى حد بعيد حيال هذا ، الرجال يسلكون هذا المسلك ، يريدون ما يريدون، وبقية الوقت، حسناً، هم هادئون، كأن شيئاً لم يحدث. كنت أفكر، كدت أُجن جراء ما يدور في ذاكرتي، وعلى أن أفكر حول كل شيء دفعة واحدة وليس في وسعي إنجاز شيء للانتقال إلى شيء آخر. أنت تعرف كيف تنجز شيئاً ولديك شعور سيىء عن كيف أنجزت شيئاً آخر. وتنتظر لتعيد ما أنجزت أو ما قلت. الطريقة التي تعمل بها امرأة، أنا أعتقد، أنا أفكر، أنا تعلمت ذلك عن نفسي، أنا لا أعرف، أن التفكير فيه معقد إلى حد كبير {توقفت عن الكلام} دعنا نرى كيف أشعر حقيقة؟

I – حسناً. أنا فقط مستغربٌ، أنتِ ذكرتِ سابقاً، أنتِ ساندويتش، بماذا تشعر المرأة؟

R– ياه، أنا أعتقد، لم أكن متأكدة بشكل كبير، بماذا تشعر امرأة مثلي، حتى اكتشفت ذلك بنفسي كيف شعر نورم (Norm) والأولاد. عرفت بشكل أكيد أن الرجال جيدون بشكل كبير في تصنيف الأشياء، بطريقة أعجز أنا عنها، دافع، حسناً "الرجال لا يشعرون بالأشياء بالطريقة نفسها". أنا بشكل دقيق سوف لا أفعلها بنفس الطريقة ،على أي حال. سوف لا اشعر بارتياح حيالها كامرأة ، أنت تعرف ماذا أعنى؟ وبالتالي كما يقولون: عش ودع غيرك يعيش، أنا أعتقد.

I– ولكن كابنة؟

R– ياه: ذلك أيضاً، وبالتالي إذا سألتني عن شعوري أن لدي أماً على الأرض (Underfoot) كل الوقت، سوف أقول ذلك، أنا أتذكر وليس ببعيد أنني كنت على الأرض مدة طويلة عندما كنت فتاة صغيرة، وأمي لم تشتكِ، وكانت تساعد أبي في المحل أيضاً، لذا أعتقد أنني أستطيع أن أخبرك أنني سعيدة، أنا بصحة جيدة، وموجودة لرعايتها، وبأمانة، أنا سعيدة، أنا على استعداد أن أقوم بهذا العمل مرة أخرى إذا كان لابد من ذلك، أنا لا أعرف أنت تحدثت مع نساء أخريات حول هذا، فماذا قلن؟

I– حسناً، يوه.

R– الآن لا نريد أن نضعك في مأزق، أنا فقط كنت أفكر، إن ذلك ممكناً، إذا عرفت كيف يفكر من هم في وضعي، ربما أكون قادرةً على ترتيب الأشياء بشكل أفضل مما فعلته لك.

تظهر ملاحظات المستجيب حول الموضوع محل الاهتمام وكيف يقوم الشخص أو كيف يجب أن يشكل استجابته، أن المستجيب في تعاونٍ مع القائم بالمقابلة، يفعل المصادر السردية المتنوعة كجزء متمم للأسئلة والاستجابات المتبادلة.

إنَّ معاملة المقابلة على أنها فعالة، تسمح للقائم بالمقابلة بتشجيع المستجيب لتبديل المواضع في المقابلة من أجل اكتشاف وجهات النظر البديلة، ومصادر المعرفة، بدلاً من البحث عن أفضل استجابة أو أكثرها موضوعية، فالغرض هو – بانتظام- تفعيل طرق للمعرفة قابلة للتطبيق – الاستجابات الممكنة – تلك التي يستطيع المستجيب البوح بها، وعلى أقصى درجة ممكنة من التنوع والتناقض. حيث يضع القائم بالمقابلة الفعال المعالم الرئيسية للاستجابات كابحاً العواطف والمشاعر ومثيراً الاستجابات التي تناسب اهتمامات المبحوث.

فهو لا يخبر المستجيبين ماذا يقولون، ولكن يقدم لهم الطرق ذات الصلة بفهم القضايا وصيغ الارتباطات – وذلك يقترح أفقاً ممكنة للمعنى وروابط سردية تندمج في الاستجابات المنبعثة (Gubrium, 1993) .فقد عرف ما له صلة بما تمت مناقشته، جزئياً بواسطة موضوع البحث وجزئياً بواسطة الآفاق الحقيقية للاستجابات المستمرة. في حين أن المستجيب الفعال يمكن أن يسخر بانتقائية مدى فسيحاً للمصادر السردية، فهي وظيفة القائم بالمقابلة الفعال، وتوجيه الرواية البنائية وتسخيرها للمستجيب لمهمة البحث القائم.

- **تضمينات للتحليل** (Implications for Analysis)

يبدو أن الطريقة الفعالة مقارنة بأكثر وجهات النظر التقليدية في إجراء المقابلة، تدعو أشكالاً غير مقبولة من التحيز، بالرغم من ذلك، ... فالاستمرار في ذلك ببساطة يعد استرجاع المعلومات من مستودعات المستجيبين "التلوث في كل مكان". ويكون هذا النقد، من ناحية أخرى، قائماً فقط إذا اتخذت وجهة نظر واسعة في الممارسة التأويلية، وفي بناء الدلالة، يكون التحيز مفهوماً ذا معنى فقط إذا كان المبحوث مُشكلا مسبقاً، ويمكن أن تكون السلعة المعلوماتية النقية التي تعالجها المقابلة بطريقة أو بأخرى ملطخة (Taint)، ولكن إذا نظرنا إلى عمليات المقابلة على أساس أنها نتاج للممارسة التأويلية، فهذه النتائج لم تكن معدة مسبقاً و لم تكن نقية (Pure). فأي موقف للمقابلة – بغض النظر عن كيفية تشكله، مقيداً أو مقننا – يعتمد على التفاعل بين المشاركين، لأن بناء الدلالة حتماً تعاوني (Garfinkel, 1967; Sacks et al. 1974). فمن المستحيل أن يحرر أي تفاعل من العوامل التي يمكن أن تُبنى على أساس أنها ملوثات، فكل المشاركين في المقابلة مدعوون بشكل حتمي للتورط في صنع الدلالة.

في حين أن الحدوث الطبيعي للكلام والتفاعل، يمكن أن يبدو أكثر تلقائية وأقل تنظيماً (Staged) من المقابلة، فالمحادثات الناتجة ليست بالضرورة أكثر منطقية (Realistic) أو جدارة بالتصديق (authentic) فهي تحتل مكانها فيما عُرف بالأوضاع القطرية (الأهلية) (Indigenous). مع تطور مجتمع المقابلة، وزيادة الحرمان من الخبرة الشخصية انظر (Gubrium and Holstein,

(Gubrium et al 1994 ;1995c, 1995b, 1995a بـاطراد تصـبح المقابلـة مألوفـة، وبـاطراد أيضاً تُجعل مناسبة إحداث طبيعي لإظهار الخبرة.

ومع ذلك، تعد مناقشة بعض الموضوعات- في حين إنها جد مهمـة، ويمكـن أن تكـون- تعـد نسـبياً نادرة في سياق الحياة العادية وحتى في مجتمع المقابلة، على سبيل المثال، بـالرغم مـن أن الحـديث عـن العائلـة والحياة العائلية غير واضح، فقد وجدناه مفيداً لدراسة المحادثـات العائليـة، في أوضـاع مقيـدة المـدى نسـبياً كالتي تثير- عن قصد- الحديث عن العائلة كجزء متمم لإدارة الأعمال الروتينية مثـل وكالـةٌ للعـلاج العـائلي على سبيل المثال، انظر (Gubrium and Holstein, 1990; Gubrium,1992).

يمكن أن تستخدم المقابلات الفعالة لكسـب وسـيلة نفـوذ علـى الممارسـة التأويليـة ذات العلاقـة بالأمور التي قد لا تكون موضوعية صدفة، وفوق ذلك تكون وثيقـة الصـلة اجتماعيـاً، عـن طريـق تحـريض الإنتاج السردي، فالقائم بالمقابلة يمكن أن يحدث تطـورات تأويليـة،و يمكـن أن تظهـر بشـكل نـادر جـداً لتكون مأسورة بفاعلية في مواطنها (مثواها) الحيادي لكي تحكي (تنطق).

باعتبار الطبيعة غير التقليدية لإجراء المقابلة الفعال، كيـف يسـتطيع شـخص أن يصـنع معـنى مـن بيانات المقابلة؟ تتعلق تحليل بيانات المقابلة بالممارسة التأويلية هو شـيء مـن أمـر "صـنعه" (Craft) بطريقـة خاصة. هذا لا يعني أن التحليل يقل صرامة عما يطبق على بيانـات المقابلـة التقليديـة، ففـي المقابـل تتطلـب بيانات المقابلة الفعالة حساسية منتظمة لكل من العملية والمادة.

يتم تحليل المقابلات- تقليدياً كأكثر أو أقل أوصـافاً دقيقـة للخـبرة، كتقـارير أو شـروح (حرفيـاً، وإعادة شرح) للحقيقة. يستلزم التحليـل ترميـزاً منتظمـاً، واختصـار الأوصـاف أو وضـعها في مجموعـات بالإضافة إلى تقديم إطار منتظم مترابط يغلف مظاهر العالم الاجتمـاعي الـذي يصـفه المسـتجيبون ويشـرحه. ففاعلية المستجيبين التأويلية تخضع لجوهر ما يعرضونه. فـ (ماذا) الخبرة تُغرق "الكيف".

وفي المقابل، يمكن أن تحلل بيانات المقابلـة لبيـان العلاقـة البينيـة الديناميكيـة بـين ال "مـاذا" وال "كيف". فاستجابات المستجيبين وملاحظاتهم لا تُبين على أساس أنهـا تقـارير للحقيقـة سُـلمت مـن مخـزن ثابت. بدلاً من ذلك، اعتبرت هذه الاستجابات على أسـاس الطـرق الـتي تـبنى بهـا – أي الاسـتجابات – مظاهر الحقيقة في تعاون مع القائم بالمقابلة. فإنّ التركيز علـى عمليـة التجميـع (التركيـب) يضـاهي التركيـز على ماذا يُجمع. باستخدام نماذج موجهة اجتماعياً مـن التحليـل السـردي والمحـادثي، وتحلـل التسـجيلات التحادثيـة للممارسـات التأويليـة لإظهـار حقيقـة بنائيـة الممارسـات (Reality-contructing practices) بالإضـافة إلى الـدلالات الذاتيـة الـتي نُقلـت تفصـيلياً. انظـر (De vaut,1990; Gubrium and Holstein, 1994; Hostein and Gubrium, 1994; Propp, 1968; Rissman, 1993; Silverman, 1993).

فإنّ الهدف هو إظهار كيف تُنتج استجابات المقابلـة في تعـاون بـين القـائم بالمقابلـة والمسـتجيب، دون فقدان رؤية الدلالات المُنتجة والظروف التي تحكم عملية صنع الدلالـة. والهـدف التحليلـي لـيس فقـط وصف الإنتاج القائم للمحادثة، ولكن بيان كيف يرتبط ما قيل مع الخبرات وأنماط الحياة التي دُرِست.

يعد كتابة نتائج من بيانات مقابلة، ما في حـد ذاتـه- مغـامرة تحليليـة فعالـة. بـدلاً مـن التقيـد بنموذجية "ترك البيانات تتحدث عن نفسها" فالمحلل الفعال يوثـق تجريبـاً عمليـة صـنع الـدلالات بإيضـاح

مسهب وبالرجوع إلى تسجيلات المحادثة، و يصف المحلل الفعاليات الاستطرادية المعقدة التي من خلالها ينتج المستجيبون الدلالة.

فالهدف هو شرح كيف أنشئت الدلالات، وكيف أنشئت ارتباطاتها وأفقها في كل من علاقتها ببيئة المقابلة وداخل بيئة المقابلة. وتقارير المحلل لا تلخص ولا ترتب ما يجب أن يقوله المشاركون في المقابلة بنفس القدر الذي تهدم (Deconstruct) فيه هذه التقارير حديث المشاركين لتُبين للقارئ ال "كيف" وال "ماذا" للدراما السردية التي نُقلت والتي بازدياد تعكس مجتمع المقابلة.

References

Alasuutari. P. (1995) *Researching Culture: Qualitative Method and Cultural Studies*. London: Sage.

Berger. P.L. and Luckmann. T. (1967) *The Social Constructions of Reality*. New York: Doubleday.

Bulmer. H. (1969) *Symbolic Interactionism*. New York: Prentice Hall Briggs, C. (1986*) Learning How to Ask*: Socialinguistic Appraisal of the Role of the Interviewer in Social Science Research. Cambridge: University Press.

Cicourel. A.V. (1964) *Measurement in Sociology*. New York: Free Press.

Cicourel. A.V. (1974) *Theory and Method in a Study of Argentine Fertility*. New York: Wiley.

Converse. J.M. and Schuman. H. (1974) *Conversations at Random: Survey Research as interviewers See It*. New York: Wiley.

DeVault. M. (1990) Talking and Listening from women's standpoint: Feminist strategies for interviewing and analysis. Social Problems, 37: 96-117.

Douglas. J.D. (1985) *Creative Interviewing*. Beverly Hills. CA: Sage.

Fowler. F.J. and Mangione T.w. (1990) *Standardized Survey Interviewing*. NewburyPark. CA: Sage.

Garfinkel, H. (1967) Studies in Ethnomethodogy. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall.

Gorden, R. L. (1987) Interviewing: Strategy, Techniques, and Tactics. Homewood. IL: Dorsey.

Gubrium. J.F. (1988) Analyzing Field Rield Reality. Beverly Hills, CA: Sage.

Gubrium, J.F. (1989) 'Local cultures and service policy'. In J.F. Gubrium and D. Silverman (eds), The Politics of Field Research. London: Sage.

Gubrium, J.F. (1992) Out of Control. Newbury Park, CA: Sage.

Gubrium, J.F. (1993) Speaking of life: Horizons of Meaning for Nursing Home Residents. Hawthorne, NY: Aldine de Gruyter.

Gubrium, J.F. (1994) 'Interviewing', in Exploring Collaborative Research in Primary Care. Thousand Oaks, CA: Sage. Pp. 65-76.

Gubrium, L.F. and Holstein. J.A. (1990) What is Family? Mountain View, CA: Mayfield.

Gubrium, J.F. and Holstien. J.A. (1994) 'Analyzing talk and interaction' , in J.F. Gubrium and A. Sankar (eds), Qualitative Methods in Aging Research. NewburyPark. CA: Sage. pp. 173-88.

Gubrium, J.F. and Holstien, J.A. (1995a) 'Biographical work and new ethnography', in R. Josselson and A. Lieblich (eds), The Narrative Study of Lives, Vol. 3. NewburyPark. CA: Sage. pp. 45-58.

Gubrium, J.F. and Holstien, J.A. (1995b) ' Life course malleability: Biographical work and deprivatization', Sociological Inquiry, 65: 207-23.

Gubrium, J.F. and Holstien, J.A. (1995c) 'Qualitative inquiry and the deprivatization of experience', Qualitative Inquiry, 1: 204-22.

Gubrium, J.F. and Holstien, J.A. (1997) The New Language of Qualitative Method. New York. OxfordUniversity Press.

Gubrium, J.F. and Holstien, J.A. and Buckholdt, D.R. (1994) Constructing the Life Course. Dix Hills, NY: General Hall.

Harding, S. (ed.) (1987) Feminism and Methodology. Bloomington: IndianaUniversity Press.

Heritage, J. (1984) Garfinkel and Ethnomethodology. Cambridge: Polity.

Holstien, J.A. (1993) Court-Ordered Insanity: Interpretive Practice and Involuntary Commitment. Hawthorne. NY: Aldine de Gruyter.

Holstien, J.A. and Gubrium, J.F. (1994) ' Phenomenology, ethnomethodogy, and interpretive practice', in N.K. Denzin and Y. Lincoln (eds), Handbook of Qualitative Research. Newbury Park, CA: Sage. pp.262-72.

Holstien, J.A. and Gubrium, J.F. (1995) The Active Interview. Thousand Oaks.CA: Sage.

Holstien, J.A. and Staples, W.G. (1992) 'Producing evaluative knowledge: The Interactional bases of social science findings', Sociological Inquiry, 62:11-35.

Hyman. H.H., W.J., Feldman , J.J., Hart, C.W. and Stember, C.H. (1975) Interviewing in Social Research. Chicago: University of Chicago Press.

Kirk, J. and Miller, M.L. (1986) Reliability and Validity in Qualitative Research. Beverly Hills, CA: Sage .

Maccoby, E.E. and Maccoby, N. (1954) 'The interview: A tool of social science', in G. Lindzey (ed.), Handbook of Social Psychology. Reading, MA: Addison-Wesley. Pp.449-87.

Madge, J. (1965) The Tools of Social Science. Garden City, NY: Anchor Books.

Manning, P.L. (1967) 'Problems in interpreting interview data', Sociology and Social Research, 51:301-16.
Mishler, E.G. (1986) Research Interviewing. Cambridge, MA: HarvardUniversity Press.
Misher, E.G. (1991) 'Representing discourse: The rhetoric of transcription', Journal of Narrative and Life History, 1: 255-80.
Pollner, M. (1987) Mundane Reason. Cambridge: CambridgeUniversity Press.
Pool, I. de S. (1957) 'A critique of the twentieth anniversary issue', Public Opinion Quarterly, 21: 190-8.
op, V.I. (1968) The Morphology of the Folktale. Austin: University of Texas Press.
Reiinharz, S. (1992) Feminist Methods of Social Research. New York: Oxford university Press.
Riessman, C.K. (1993) Narrative Analysis. Newbury Park,CA: Sage.
Rogers, C.R. (1945) ' The non-directive method as a technique for social research', America Journal of Sociology, 50:279-83.
Sacks, H., Schegloff, E.A. AND Jefferson, G.(1994) 'A simplest systematics for the organization of turn-taking for conversation', Language, 50: 696-735.
Schutz, A. (1967) The Phenomenology of the Social World. Evanston, Northwestern University Press.
Silverman, D. (1993) Interpreting Qualitative Data: Methods for Analyzing Talk, and Interaction. London: Sage.
Smith, D.E. (1987) The Everyday World as Problematic A Feminist Sociology. Boston: Northeastern University Press.Terkel, S. (1972) New York: Avon.

أهمية منهج النظام فى الدراسات والأبحاث فى الجغرافيا الطبيعية

الدكتور جبريل امطول علي

قسم الجغرافيا – جامعة بنغازي

ملخص

حتم اهتمام الجغرافيا الطبيعية بالبيئة الطبيعية كموطن يحفظ الإنسان ويوفر له احتياجاته، أن تواكب ما نتج عن التقدم التقنى للإنسان من تزايد متطلباته من البيئة. وقد انعكس اهتمام الجغرافيا الطبيعية بالبيئة الطبيعية فى استمرار تطور مادتها العلمية وتبنى منهجيات حديثة تجمع بين الحاجة الى فهم دقيق للكيفية التى تعمل بها هذه البيئة، وكشف طبيعة ما بين مكوناتها من علاقات من ناحية وبين حقيقة وحدة مكوناتها الطبيعية، وأهمية علاقات التبادل بين هذه المكونات من ناحية اخرى. امام عدم جدوى معالجة موضوعات البيئة مجزأة، اتجه الجغرافيون تدريجيا الى منهج النظام بوصفه نهجا يحقق النظرة الشمولية للبيئة الطبيعية من خلال ما يوفره من امكانيات تضمن دراسة البيئة الطبيعية بصورة موحدة دون إهمال اهمية علاقات التفاعل بين مكوناتها.

تهدف هذه الورقة إلى توضيح فكرة النظام وأهمية تبنيه كنهج فى دراسة الجغرافيا الطبيعية. وفى سبيل تحقيق ذلك تناولت هذه الورقة بالتعريف والشرح المبسط ما يزخر به هذا الموضوع من مفاهيم وتعبيرات جوهرية، ونظرا لأن اغلب هذه التعبيرات غير متداوله فى الكتابات الجغرافية، فقد تم تفسيرها

وشرحها بالاستعانة بأمثلة ضمن موضوعات الجغرافيا الطبيعية، خاصة الجيومورفولوجيا متمثلة فى نظام حوض التصريف المائى، والجغرافيا الحيوية متمثلة فى النظام البيئى. كما اقتصرت هذه الورقة على تناول ايجابيات تبنى هذا النهج فى الدراسات الجغرافية الطبيعية ، وهى إيجابيات كثيرة يتفق عليها جل الجغرافيين، اما الجوانب السلبية فقد ذُكر بعضها فى شكل ملاحظات محدودة دون الخوض فى تفاصيلها .

لا يشكل ما جاءت به هذه الورقة إضافة جديدة فى هذا المجال، وانما هو عبارة عن تجميع لمفاهيم وأراء من مصادر باللغة الانجليزية حيث تُرجمت و أُعيدت صياغتها باللغة العربية لتكون فى متناول الجغرافيين المتخصصين وطلبة الأبحاث . ولكن نظرا لتعدد المصادر واختلاف التخصصات التى تناولت مفهوم منهج النظام خاصة الجغرافيا الطبيعية وعلوم البيئة والايكولوجيا، فقد تطلب صياغة كل ذلك فى قالب علمى ولغوى موحد ومتجانس بعض التصرف والذى حرصت أن يظل بعيداً عن جوهر هذه المفاهيم. إن أملى كبير فى أن تشكل هذه الورقة إضافة ذات قيمة للمكتبة الجغرافية العربية، وان تستمر الإضافات فى هذا المجال حتى يتمكن الجغرافيون العرب من العبور ابعد من النظرة التقليدية للجغرافيا وصولا إلى آفاق أرحب .

1. مقدمة

تطورت الجغرافيا الطبيعية عبر مراحل عديدة حتى وصلت إلى ما هى عليه فى الوقت الحاضر كونها حقلاً للمعرفة له مفهوم ومضمون ومناهج محددة، كما ظلت فى نفس الوقت على علاقة ارتباط قوية بفروع الجغرافيا الأخرى وبغيرها من العلوم . وقد أعطت هذه الحقيقة للجغرافيا الطبيعية شخصيتها المميزة والمتمثلة فى نظرتها الشمولية لعناصر البيئة الطبيعية مع الأخذ فى الاعتبار دور الإنسان بوصفه احد عناصر هذه البيئة. انعكست شمولية هذا الفرع من الجغرافيا وعلاقة ارتباطه القوية بغيره من العلوم على هويته ومناهجه ومجاله . وانطلاقا من حقيقة أن كل شىء يمكن أن يكون موضوعا للبحث العلمى وان الذى يحدد العلم ليس الموضوع بل المنهج، تطلبت هذه الحقيقة البحث بشىء من التفصيل فى احد المناهج التى تبناها الباحثين فى الجغرافيا الطبيعية حديثا ألا وهو منهج النظام، وذلك للتعريف بهذا المنهج وتحديد أهميته بالنسبة للبحث فى الجغرافيا الطبيعية. يرجع السبب فى اختيار نهج النظام دون غيره موضوعاً لهذه الورقة إلى ما أثير حوله من جدل من قبل الجغرافيين، حيث رأى البعض انه يمثل قيمة كبيرة فى مجال البحث الجغرافى ، بينما يرى البعض الآخر ان هذا النهج لم يقدم كل ما كان مرجوا منه مما استدعى إجراء التعديلات، كما انه لا يمثل نهجا بديلا عن النهج العلمى التقليدي ، بل يشكل امتداداً مهماً لسبل علمية تلائم بشكل خاص دراسة الظاهرة الطبيعية ذات الطبيعة المركبة (Thompson et all. 1986, p.2) . فهى وان كانت فكرة عظيمة الفائدة لما توفره من سبل تساعد على فهم الظواهر المعقدة ، إلا ان ذلك يجب ان يبقى ضمن حقيقة ان النظم تحاول وصف ما يحدث فى الطبيعة ، وان الطبيعة لا يمكن صياغتها وفق تصور أُعد سلفا (Lockwood, 1976, p.4) . ويرى Summerfield انه رغم الاستخدام الواسع لمفاهيم ومصطلحات منهج النظام فى الدراسات الجيمورفولوجية، الى جانب تحليل الظاهرة الجيمورفولوجية وفق هذا المنهج إلا أنه لم يقدم كثيرا فيما يتعلق بفهم الظاهرة.

تستعرض هذه الورقة، من منظور جغرافى، ما قيل فى مفهوم النظـــام ومـــا أهميـــة تبنيـــه منـــهجاً فى الدراسة فى فروع الجغرافيا الطبيعية. علما بأن تناول هذا الموضـــوع قـــد اقتصـــر علـــى اســـتعراض الجوانـــب الايجابية لتبنى هذا المنهج دون الخوض فى تفاصيل سلبياته والتى اشير الى بعضها فى الفقرة السابقة.

2. تعريف النظام

لم تكن فكرة النظام جديدة، فقد كتب نيوتن عـــن النظـــام الشمســـى واهـــتم علمـــاء الأحيـــاء بالنظم الحية، كما وردت هذه الفكرة ضمن أعمال الكثير مـــن الجغـــرافيين، غـــير أنهـــا ظلـــت علـــى هـــامش الاهتمام العلمى لفترة طويلـــة. فى عـــام 1937 وفى مـــؤتمر فى شـــيكاغو اقتـــرح عـــالم الأحيـــاء Ludwig von Bertalanffy نظرية النظم العامة بوصفها إطاراً تحليلاً ونهجاً لجميـــع العلـــوم ولكنـــها لم تجـــد قبـــولا كـــبيرا فى حينها، فقد كان يسود الوسط العلمى حينذاك التركيز علـــى التحلـــيلات المحـــدودة ، و لم يكـــن هـــذا الوســـط مهيأً لتبنى النهج الموسع لنظرية النظم العامة. وباستثناء علم الفيزياء، كان معظـــم علمـــاء تلـــك الفتـــرة يســـعون إلى اعتماد نهج بسيط وحيد الاتجاه فى شكل علاقة متتالية من الأسباب والنتـــائج. اســـتمر هـــذا الاتجـــاه العـــام، المتمثل فى التركيز على الدراسات التفصيلية وتحاشى النظريات العامة، سائداً حـــتى خمســـينيات القـــرن الماضـــى، ثم اخذ بعد ذلك فى التغير نتيجة تطور علوم جديـــدة مثـــل علـــم الضـــبط*(cybernetics) ونظريـــة المعلومـــات ودراسات التشغيل. النظام مصطلح شائع الاستعمال، فقد يكون الشخص مرتبطاً بنظـــام تعليمـــى وينتقـــل مـــن البيت الى المدرسة بواسطة نظام النقل ويستخدم نظام للتدفئة فى بيته أو مكان عمله. مـــا يمكـــن ملاحظتـــه هنـــا هو احتواء كل من هذه النظم على مجموعة من المكونـــات او الوحـــدات مثـــل مـــدارس، جامعـــات أو قاعـــات دراسة فى النظام التعليمى، وقطارات أو حـــافلات ومحطـــات فى نظـــام النقـــل، وغلايـــات ومواســـير فى نظـــام التدفئة. كما ان هذه المكونات منظمة بطريقة ما وتتصل مع بعضها بروابط ، فـــالطرق أو ســـكك الحديـــد تمـــر عبر مجموعة محطات وصولا الى محطات نهائية. يضاف الى ذلك أن تعـــبير نظـــام لا يعطـــى معـــنى محـــددا، وإنمـــا يدل ضمنا على التعميم، فنظام النقل لا يحدد نوع وسيلة النقل إن كانت حافلـــة أم قطـــاراً ناهيـــك عـــن لونهـــا وشكلها. والنظام لا يمثل مجموعة من الوحدات المرتبة فحسب، بل يؤدى وظيفـــة بطريقـــة مـــا ، فعـــن طريـــق نظام النقل ينتقل الركاب والبضائع. وتلتقى وظائف الـــنظم فى صـــفة مشـــتركة وهـــى نقـــل شـــيء مـــا بـــين وحدات النظام، قد يكون هذا الشيء واضحا مثل انتقال الماء فى المواســـير فى نظـــام التدفئـــة أو انتقـــال تلاميـــذ من مستوى الى مستوى أعلى فى نظام التعليم، وقد يكون انتقـــال لأفكـــار أو تـــدفق لمعرفـــة. كمـــا يمكـــن ان تكون الأشياء المنقولة غيرُ مدركة مثل التوجهات السياســـية والقـــرارات والأفكـــار والأيـــديولوجيات فى النظـــام السياسى. تتطلب حركة هذه الأشياء والأفكار بعض التحريض أو التحفيـــز، هنـــا أيضـــا قـــد يكـــون التحفيـــز واضحا فى بعض النظم، مثل الحرارة المستخدمة لتسخين الغلاية الرئيسية في نظـــام التدفئـــة، بينمـــا يكـــون اقـــل وضوحا فى نظم أخرى مثل الرغبة فى اكتساب معرفة أو نيل مؤهل يساعد فى الحصـــول علـــى وظيفـــة فى حالـــة نظام التعليم (White et al., 1989,p.9) .

*(علم الضبط هو علـــم الاتصـــالات ويهـــدف إلى تحريـــك المعلومـــات والتوجهـــات الإداريـــة بكفاءة أكثر عبر القنوات الإدارية، وقد جاء من هذا المنـــهج الجديـــد التطبيـــق الآلى فى الصـــناعة، automation

to industry والتحليلات الآلية computerized analysis للمشاكل الإدارية المعقدة لدى الحكومات، فعلم الضبط هو تطبيق خاص لنظرية النظم العامة (James and Martin, 1981, p.409).

1.2 الخصائص العامة للنظم

للنظام حد boundary يفصله عما يحيط به ، ضمن هذا الحد يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الخصائص هى: 1. عناصر النظام elements، وهى تلك الأجزاء المكونة له، فقد تكون حبات رمال، قطرات مطر أو نوع من الحياة النباتية أو الحيوانية. 2. لكل عنصر منها مجموعة من الخصائص أو الحالات attributes، مثل كمية، حجم، لون أو حرارة ، ويمكن أن تُدرك هذه العناصر وخصائصها بالحواس أو بالقياس أو بالتجربة. 3. توجد علاقات relationships بين كل اثنين أو أكثر من العناصر أو اثنين أو أكثر من الحالات ، وهى علاقات تعمل لتحدد تنظيم النظام (the organization of the system). فمثلا فى نظام حوض التصريف المائى يشكل خط تقسيم المياه حد النظام ، وتتمثل عناصره فى القنوات والمنحدرات والطبقات الصخرية ومفتتاتها والماء. وتعرف المعالجة الكمية لخصائص هذا النظام وعلاقاتها المكانية بالتحليل المورفومترى morphometric analysis وهى قياسات ابتكرت لتحليل المظهر الطولى للحوض وخواصه المساحية ومميزاته التضاريسية.

تتفق النظم فى أن لكل منها شكل من أشكال البناء structure ، ويقصد بالبناء تنظيم أجزاء النظام الفيزيائية المدركة بالحواس، كما يؤدى كل منها وظيفة function، وتعنى وظيفة النظام مجموع ما يحدث داخله من عمليات وتفاعلات، علما بأن هذه العمليات تساعد على ربط وتوحيد مختلف مكونات النظام فى وحدة متكاملة، لهذا توجد علاقات وظيفية كما توجد علاقات تركيبية بين مكونات النظام. يتضمن أداء الوظيفة تدفق وانتقال المادة ويتطلب دفع النظم وجعلها تعمل وجود قوة مسيرة أو مصدر للطاقة، كما تُظهر جميع النظم مستوى من التكامل أو الاندماج. يتمثل العمل الأساسى لنظام التصريف المائى فى إفراغ أو إخلاء الجريان المائى والحطام الصخرى من حوض التصريف.

تحافظ النظم على بنائها وتنظيمها التركيبى أثناء عملية التدفق المتواصل للطاقة والمادة خلالها. فى نظام حوض التصريف المائى، يحفظ النظام تنظيم شبكة الجريان وما يرتبط بها من منحدرات وسفوح رغم المرور المتواصل للماء. كما لا يمكن تخيل وجود الكائنات الحية بما فيها الإنسان، دون حفظ للتنظيم الوظيفى والبناء البالغ التعقيد لأجسامها فى ظل المرور المنتظم للمواد الغذائية والطاقة. أى أن النظام يجب أن يحفظ حالة مستقرة فيما يتعلق بعناصره وخصائصه وعلاقاته عبر الزمن، وهى ما يعرف بحالة التوازن أو حالة الثبات فى النظام المفتوح steady state equilibrium .

بناء على ما تقدم يمكن القول أن النظام عبارة عن بنية مؤلفة من مجموعة عناصر أو مكونات مترابطة تُظهر علاقات مميزة مع بعضها البعض، وتعمل مجتمعة كمركب واحد وفق نمط ما، فالمكونات تشكل النظام والعلاقات تحفظ تماسك هذه المكونات. والنظام جزء من العالم الطبيعى محدد فى

المكان وفى الزمن ولا يميزه خصائص مكوناته وعملياته منفردة فقط، بل وطبيعة العلاقات المتداخلة بين مكوناته بوصفها وحدة واحدة (Thompson et all.1986,p.4).

2.2 آليات الاسترجاع والضوابط فى النظم

اغلب النظم التى يهتم بها الجغرافى الطبيعى هى نظم مفتوحة تترع الى ضبط ذاتها مع تدفق المادة والطاقة عن طريق تعديل العلاقات المتبادلة بين مختلف مكونات النظام، وبذلك يتوازن دخول وخروج المادة والطاقة فى النظام منتجة حالة ثابتة من التوازن الديناميكى(Chorely and Kennedy,1971). تتمثل أهمية ذاتية الضبط فى النظم المفتوحة فى انها تطور حالة الثبات، وهى حالة لا تتبدل إلا بوقوع أحداث متطرفة يكون لها القدرة على استهلال تغير مفاجئ فى الحالة threshold وإنتاج عوامل تحكم جديدة، وعند ذلك يتحتم على النظام أن يتلاءم مع حالة جديدة من الثبات الديناميكى. بالرغم من ذلك، تمثل نزعة التغير فى النظم إحدى خصائصها المهمة ، فهى تترع لأن تنمو وتتطور عبر الوقت، ومن الأمثلة على حدوث ذلك التغير، تطور الإعصار أو نمو الكائن الحى. لا تمثل هذه التغيرات أحداثا عشوائية ، وإنما هى أمثلة للتغير الموجه directional change ضبطت بواسطة آليات الاسترجاع. لا تكون الاستجابة للتغير فى النظم سريعة بل تأتى متأخرة ،أى أن هناك فترة زمنية lag time تفصل بين حدوث التغير وبين استجابة النظام لهذا التغير، يختلف طول هذه الفترة باختلاف درجة تعقيد النظام وحجم ما به من ضوابط. ففى نظام الصرف النهرى، عادة ما يكون هناك فترة زمنية تفصل بين وصول العاصفة المطرية إلى أعلى كثافة لها وبين حدوث أعلى معدل للجريان المائى فى المجرى ,White(1989,p.269).

يعنى الاسترجاع feedback، انه عندما يؤثر احد المتغيرات على متغير ثان، يحدث المتغير الثانى بدوره تغيرا فى المتغير الأول ، فالاسترجاع هو تلك العملية التى بواسطتها ينتقل التبديل فى احد متغيرات النظام وعبر بنائه، لتعود التأثيرات فى نهاية المطاف إلى المتغير الأصلى، فالاسترجاع بذلك يمثل آلية تساعد النظام على ضبط وتنظيم ذاته وحفظ توازنه. يمكن أن يكون الاسترجاع مباشرا بحيث يتأثر به المتغيران فقط وغالبا يكون غير مباشر عندما يكون تأثيره من خلال تعديل متغيرات أخرى. كما يمكن أن يكون الاسترجاع سالباً أو موجباً، فى الاسترجاع السالب يسبب التغير فى المتغير الثانى تغيرا فى الأول لدرجة انه يترع إلى العودة إلى حالته الأصلية ، محدثا ضبطاً ذاتياً للنظام ومنتجاً حالة من الثبات الديناميكى. أى أن الاسترجاع السالب هو تلك التغيرات التى تعمل على إبطال اتجاه التغير والتقليل من فاعليته، وبناء على ذلك، تكون هذه النظم ذاتية الضبط (self-regulating) . تتضح آلية الاسترجاع السالب عندما تحدث زيادة فى درجة انحدار منحدر جانب الوادى، تؤدى إلى زيادة نشاط التعرية فوق سطحه والتى يترتب عليها زيادة حمولة قاع المجرى، يقود هذا التغير إلى تراجع فى معدل تعرية المجرى والتى تسمح بدورها بتراجع درجة انحدار جانب الوادى، وتكون النتيجة تراجع معدل التعرية فوق المنحدر، وبذلك يعود النظام بواسطة الاسترجاع إلى حالته السابقة وهى التوازن الثابت (steady equilibrium). للحفاظ على حالة الثبات يتعين على النظام أن يكون قادرا على الضبط الذاتى والذى يتأثر بآليات الاسترجاع السالب ذات القدرة على التقليل من فاعلية التغير، ويماثل عملها عمل الترموستات فى نظام

التدفئة، أى أن هذه الآليات قادرة على تحسس بعض الفعاليات، كما يستشعر الترموستات تغير درجة الحرارة. تغذى الآليات بعد ذلك إسترجاعيا هذه المعلومات لتؤثر على فاعلية العملية ذات الاهتمام ، بنفس الطريقة التى يفتح بها الترموستات أو يقفل مصدر الحرارة. يختلف عدد ونوع ودرجة تعقيد آليات الاسترجاع السلبى فى النظم اختلافا كبيرا، فكثير من النظم الطبيعية تستطيع التآلف مع مجال واسع من التقلبات حول وسط (mean) لحالة الاتزان دون تعريض وظيفتهما للخطر، مثلا، ربما تختلف كثيرا الخصائص التفصيلية لطول مجرى مائى حول الحالة الأكثر فاعلية، ولكنها تظل قائمة بنقل الماء والرواسب. بينما يكون الضبط الذاتى فى النظم الحية محددا بشكل دقيق، مثلا يضبط حرارة أجسادنا حشد من آليات الاسترجاع ذات العلاقات المتبادلة، غير أنها إذا سمحت بمجال كبير من التقلبات نشعر بالإعياء وإذا لم يوضع ضابط لذلك يتوقف الجسم عن أداء وظائفه كنظام حى.

فى حالة الاسترجاع الموجب، ينتج عن التغير فى المتغير الثانى المزيد من التغير فى الأول فى اتجاه حالة التغير، وهو ما يقود بدوره الى الخلق الذاتى للتغير self-generation of change والزيادة فى مقداره. فالاسترجاع الموجب يمثل تبدلات تعمل على تعزيز اتجاه التغير، مثلا إذا حدث انخفاض فى درجة حرارة الأرض فانه سوف يزيد من تشكل الثلج ما يؤدى إلى زيادة نسبة ما ينعكس من الاشعاع الشمسى فتنخفض كمية ما يتحصل عليه سطح الأرض من طاقة حرارية وبذلك يزداد تبريد سطح الأرض.

يرافق الاسترجاع الموجب وجود العتبات (thresholds)، وهى متغيرات ، عندما تصل قيم معينة، تكتسب القدرة على إحداث تغيرات فى حالة النظام تكون غالبا مفاجئة، فالعتبة هى انتقال النظام من حالة إلى أخرى، وقد يعبر عن العتبة بأنها استجابة كبيرة لتغير صغير، مثلا يمكن أن يكون منحدر ما فى حالة من الانضباط مع النبات والأمطار ومع المواد التى تمر عبره بشكل بطىء والناتجة عن نشاط التجوية، ويظل كذلك حتى تحدث عاصفة مطرية تسبب سيول فجائية تتعدى عتبة حالة التوازن، وعند ذالك تُطلق عمليات من تحرك للمواد فى شكل حدوث انزلاق أرضى ضخم ينهار معه نظام المنحدر لترسخ بعده ظروف يعاد معها ضبط النبات والتربة والانحدار فى حالة ثبات جديدة . (King,1980,p.7)

3. تصنيف النظم

تصنف النظم وفق الكيفية التى يؤدى بها النظام وظائفه وبناء على طبيعة سلوك حد النظام، فهناك نظام معزول وآخر مقفل وثالث مفتوح. للنظام المعزول حدود مقفلة تمنع تفاعله مع محيطه ، وهو نوع من النظم يندر وجوده فى العالم الحقيقى ولكن يمكن تحقيقه فى المعمل. ورغم عدم وجود هذا النوع عمليا فى البيئة الطبيعية إلا أن هناك حالات يكون فيها افتراض وجود مثل هذا النظام أمر مفيد لغرض نمذجة كيفية سلوك النظم (يمكن اعتبار الكون ككل نظاماً معزولاً) . فى حالة النظام المقفل لا يوجد تبادل للمادة بين النظام وبيئته ولكن يوجد تبادل عام للطاقة (يقصد ببيئة النظام جميع النظم الأكبر منه والتى يعتبر ضمنها او جزء منها (Kolars,1975,p.50). تمنع حدود النظام المقفل دخول وخروج المادة ولكنها تسمح بانتقال الطاقة فى الاتجاهين ، فكوكب الأرض وغلافه الغازى نظاماً مقفلاً نسبياً ، حيث يستقبل الطاقة من خارج حدود النظام الارضى ، من نجم الشمس. بخلاف النوعيين السابقين، ليس للنظام المفتوح حدود

محكمة ما يسمح بتبادل المادة والطاقة ويحقق اتصالا وتفاعلا قويين بين النظام وبيئته ومع غيره من النظم، ولذلك تعتبر النظم المفتوحة هى الأقرب لوصف الواقع. يعتبر نظام الحوض النهرى نظاما مفتوحا، تتمثل مدخلاته فيما يدخل المجرى من مياه أمطار وطاقة ومخلفات التجوية، بينما تكون المخرجات فى شكل مياه ورواسب مختلفة المصادر تغادر النظام عند المصب. من أهم خصائص النظام المفتوح قدرته (على المدى الطويل) على تحقيق حالة عامة من التوازن الثابت steady-state equilibrium، وهى حالة وسط لا يتغير فيها مسار النظام عبر الوقت ، بمعنى أن المواد التى تدخل النظام تتوازن مع تلك التى تخرج منه، كما أنها حالة مؤقتة من المفترض أن لا يتعرض فيها النظام للنمو ولا للتقلص. ويقصد باستقرار النظام نزعته لان يبقى قريبا من حالة التوازن ، بينما تعنى هشاشة النظام السهولة التى يمكن أن يضطرب بها (Pears, 1993,p.108).

من الخصائص المهمة للنظم تنظيمها المرتبى او تسلسلها الهرمى، فقد يحتوى نظام ما على عدد كبير من النظم الصغيرة، إلى جانب انه يشكل جزء من نظام اكبر. فى الجيومورفولوجيا يظهر التنظيم فى أحواض التصريف، فقد يحتوى حوض تصريف متوسط الحجم على عدد من أحواض اصغر يشكل كل منها نظاماً ثانوياً، وقد يكون الحوض المتوسط نفسه جزء متمم لنظام اكبر (Summerfield, 1991,p. p.10). بنفس المفهوم، يمثل كوكب الأرض نظاما يتكون من الأغلفة الأربع، وهى الغلاف الصخرى والمائى والغازى والغلاف الحيوى، وفى الوقت الذى تؤلف فيه هذه الأغلفة مكونات النظام الارضى فان كل منها يمثل نظاما اصغر ضمن هذا النظام ، ثم إن كوكب الأرض بوصفه نظام يعتبر جزء من نظام اكبر وهو المجموعة الشمسية (Gabler et al., 1975).

كما يمكن ان تصنف النظم وفقا لتعقيدها الداخلى إلى، نظم مورفولوجية ونظم تتابعية ونظم الاستجابة للعمليات، يعد هذا التصنيف مهما بالنسبة للجغرافيا الطبيعية. لا تمثل هذه الأنواع من النظم أقسام مختلفة من البيئة، ولكنها تعكس الاراء المتزايدة التعقيد حول عمل النظم . فالنظام المورفولوجى، يتكون من خواص طبيعية تشكل مجتمعة قسماً من الواقع الطبيعى، وتتميز هذه الخواص المورفولوجية بقوة ما بينها من علاقات، مثلا، نظام من كثيب رملى يمكن أن يتميز بمتغيرات الشكل، مثل زاوية الانحدار والارتفاع بالإضافة إلى خصائص الرمل مثل حجم الحبيبات ومدى مقاومتها لقوة الرياح. أما النظام التعاقبى أو المتسلسل (cascading system) فيشمل تدفق متعاقب للطاقة أو المادة أو كلاهما، فهو نظام له موقع جغرافى محدد وامتداد يتضمن نظامين ثانويين أو أكثر مرتبطين ديناميكيا بتعاقب من المادة أو الطاقة. من أمثلة هذا النوع، النظام الشمسى، حيث تتعاقب الطاقة الشمسية، فهى تدخل الغلاف الجوى للنظام الارضى متحولة لأشكال مختلفة من الطاقة ومؤثرة فى جميع النظم التى يهتم بها الجغرافى الطبيعى. كما يعتبر نظام المنحدر من الناحية الوظيفية نظاما متسلسلا، مدخلاته من الغلاف الجوى والتجوية والنظم البيولوجية، وتنتهى مخرجاته فى شبكة القنوات المائية، وفى الغلاف الجوى والحياة النباتية فوق المنحدر. تحكم الضوابط (regulations) عمل هذا النوع من النظم، عن طريق تحديد الجزء من الطاقة أو المادة الذى يخزن وذلك الذى ينتج بوصفه مدخلات إلى النظام الثانوى التالى. من الامثلة على الضوابط سعة الرشح (infiltration capacity) وهو معدل امتصاص سطح المنحدر لما يصله من ماء، فإذا فاقت كمية الماء المتوفر

معدل الرشح، يحدث الجريان والذى بدوره ينقل الماء من هذا الجزء من نظام المنحدر. لا يقتصر اهتمام اغلب الجغرافيين الطبيعيين على الحالة الفيزيائية الآنية للبيئة، كما وصفت بواسطة النظم المورفولوجية، أو على التتابع التسلسلى للطاقة أو المادة، وإنما يشمل هذا الاهتمام أيضا العلاقات المتبادلة بين الاثنين والتى وصفت فى نظم الاستجابة للعملية (systemsprocess-response). يميز هذا النوع من النظم ائتلاف أو تقاطع نظام مورفولجى وآخر تتابعى. عادة يعمل هذا النظام للوصول ،على المدى القصير على الأقل الى تحقيق توازن بين المتغيرات المورفولوجية، وهو توازن يتحقق غالبا بواسطة حلقات الاسترجاع السالب(Thompson et al., 1986,p.5). يمكن أن تعطى التجوية توضيحا لعلاقة الارتباط بين العملية (عملية التجوية) والاستجابة (تبدل الصخور وتغيرها). فالصخور قد تشكلت ضمن الغلاف الصخرى تحت ظروف من الحرارة الشديدة او الضغط المرتفع أو كلاهما، وتبقى مستقرة نسبيا من الناحيتين الفيزيائية والكيمائية حتى تواجه ظروف مختلفة عن تلك التى تشكلت فيها،عادة يحدث هذا التغير عند حدود الاتصال مع الغلافين، الجوى والحيوى، من امثلة هذه الظروف انخفاض الضغط الواقع عليها أو تذبذب الحرارة كما قد يتوفر الأكسجين والماء بكميات وفيرة فى بيئتها الجديدة ، تحت هذه الظروف تأخذ الصخور فى التغير بفعل عمليات التجوية حتى تصل إلى حالة من الاستقرار تحت الظروف الجديدة.

4. استخدام منهج النظم فى دراسة الجغرافيا الطبيعية

من نتائج تأثر شعوب الغرب بفلسفة العلم ومناهجه، أن أصبحت نمذجة العالم بشكل مختزل اتجاه سائد، وذلك بتجزئة النظم الرئيسية إلى أخرى ثانوية، وإذا لم يوصل ذلك إلى إجابة واضحة، تستمر التجزئة إلى المركبات الأصغر فالأصغر. فقد لاحظ Bertalanffy أن العلماء يسعون إلى الحصول على المزيد من المعرفة حول طبيعة الكائنات الحية عن طريق تجزئتها (تشريحها) إلى وحدات اصغر فأصغر، ورأى أن فحص الكائن الحى مجزأً ، وهو بناء من الوحدات المتوقف احدها على الآخر، لا يمكننا من الوصول إلى فهم حقيقى للقوانين التى تحكم الحياة العضوية.

فى الجغرافيا الطبيعية، التى تهتم بدراسة البيئة الطبيعية باعتبارها موطناً للإنسان، شجع تعدد موضوعاتها الى جانب الحاجة الى دراستها بشكل تفصيلى أن يتبنى الجغرافيون منهج التجزئة أو الاختزال reductionist approach، والذى يمثل نوع من التجريد لعزل الحقائق المعينة فى فئات ، حقائق المناخ والتضاريس والنبات، ودراسة كل منها مستقلا، وهى أساساً محاولة للتقريب بين هدف الجغرافيا وهدف العلوم الموضوعية، إلا أنها تهمل بشكل شبه كامل الحقيقة التى تدرسها الجغرافيا وهى واقع الترابط المتعدد لهذه الحقائق. وفقا لأسلوب التجزئة، يجب أن تفكك البيئة إلى وحدات وتُدرس مستقة لمعرفة مما تتركب وكيف تعمل للحصول على الصورة الكلية أو الكاملة، ورغم ما يوفره ذلك من معلومات تفصيلية إلا أن دراسة هذه الوحدات منفصلة عن بعضها ومعالجة كل منها وفق منهجيات مختلفة يجعل من امكانية إعادة تجميعها لتكوين صورة حقيقية متكاملة للبيئة امرا صعب التحقيق. فالبيئة توفر ما يحتاجه الإنسان من طاقة وغذاء ومسكن وهواء، ومع نمو عدد السكان وزيادة الطلب على المصادر الطبيعية للغذاء وعلى المواد الأولية ، التى كثير منها غير متجدد، أصبح الإنسان محتاجا الى فهم كيف تعمل الطبيعة حتى يستخدمها

بشكل آمن. يتطلب فهم البيئة بشكل كامل التناول الدقيق لمكوناتها الفيزيائية والكيمائية والحيوية وفحص العلاقات بين هذه المكونات من ناحية وبينها وبين الانسان من ناحية اخرى. ولهذا، وفقا للنظرة الشمولية تسبب عملية تجزئة البيئة إلى مكوناتها، ابتعاد عن العالم الواقعي إن لم يكن فقد لهذه الواقعية (Simmons,1991,p.13). ولذلك أصبحت الدراسة الشمولية للنظم المركبة صفة رئيسية للعلم خلال الثلاثين سنة الاخيرة من القرن الماضى(Smithson et al.,2008, p.9).

ان تبنى نهج تجزئة البيئة لا يحقق ما نصبوا إليه، حيث يتطلب فهم بيئات الأرض ومكوناتها والكيفية التى تعمل بها هذه المكونات، دراسة علاقة التداخل بين هذه المكونات وهو أمر يحتم التجميع أو التركيب وليس التجزئة (White et al., 1989,p.8). ومن هذه الناحية يوفر نهج النظام مجموعة من الإجراءات العقلانية لتجزئة البيئة إلى أقسام وظيفية تسهل إدارتها كما تسهل دراسة أهمية العلاقات وروابط الصلة ضمن وبين النظم المكونة للبيئة، وهى علاقات بالغة الأهمية لتحقيق فهم البيئة وتحديد خصائصها. وبذلك يوفر تحليل النظام system analysis إمكانية كشف تفاصيل مكونات نظام ما لمعرفة كيف يعمل، ثم إعادة جمعها ضمن النظام الرئيسى(Courtney and Trudjill,1984,p.50). فإلى جانب أن نهج النظام يساعد على استنتاج بعض التنبؤات الصعبة، مثل الكيفية التى يمكن أن تتغير بها البيئة مستقبلا، فهو أيضا يعزز إمكانيات تقدير الآثار المترتبة على أنشطة الإنسان، فقد استطاع الإنسان فى حالات كثيرة تعزيز الإمكانات للوصول الى بيئة مُتحكم فيها لتحسين استعمالها والمحافظة على مواردها (Thompson et al., 1986, p.5). يدخل ضمن النهج التقليدى المعتمد على تجزئة موضوعات الجغرافيا الطبيعية، التركيز على الدراسة التفصيلية للعمليات التى تشكل سطح الارض. وإذا ما عرفنا أن الجغرافيا علم يعتنى بوحدة التنوع على سطح الأرض ، وان غاية الجغرافيا الطبيعية هى معرفة الارض بخصائصها الكلية المتمثلة فى المجموع الكلى لمظاهرها وليس من خلال ظواهر معينة، لأن ارتباط هذه الظواهر وتداخلها هو الذى يعطى مشهد الأرض الكامل، ناهيك عن أن التركيز على طبيعة العمليات دون إعطاء اهتمام كبير لنتائجها يزيد من عدم جدوى هذا النهج، ولحل هذه الإشكاليات، أصبحت الدراسة التفصيلية للعمليات تعزز بتوضيح العلاقات المتبادلة بينها. كما يدخل أيضا ضمن نهج التجزئة، اهتمام الدراسات المناخية خلال النصف الاول من القرن الماضى بالتوزيع المكانى والزمانى لعناصر المناخ الرئيسية، مثل الحرارة والرطوبة، وفى الوقت الذى تعطى فيه هذه المعلومات انطباع عن حالة المناخ فى مكان ما، فهى لا تقدم الكثير فيما يتعلق بكيفية حدوث ذلك. فالحرارة والرطوبة تمثل قياسات مرتبطة بدورة الطاقة ودورة الماء على الأرض وفى غلافها الجوى، وتشمل دراسة هذه الدورات تلك العمليات التى بواسطتها تنتقل وتحول وتخزن الطاقة والكتلة والتى تشكل أساس الدراسات المناخية الحديثة (Oke,1993,pp.6&7). لعل من اهم ما توضحه هذه الدراسات، علاقة الارتباط بين العملية (تدفق الطاقة) والاستجابة (تغير درجة الحرارة) حيث تعرف هذه العلاقة بنظام الاستجابة للعملية process response system، والتى فى جوهرها تصف الارتباط بين السبب والنتيجة.

ارتبط بتطور استخدام منهج النظم تحول من الدراسات الوصفية لتاريخ المشاهد الأرضية ووصف المكونات المختلفة للاندسكيب، إلى الاهتمام بما بينها من ترابط وعلاقات تفاعل متبادلة. ان

الكشف عن طبيعة هذه العلاقات، من خلال الإجابة على تساؤلات مثل كيف تتأثر التربة بما يقع أسفلها من طبقات صخرية، أو كيف يتأثر شكل قاع المجرى المائى بدرجة انحداره، سوف يحقق الكثير من المعرفة والفهم ولكن يتطلب تحقيق ذلك ان يتبنى الباحث نهج تحليلى يعتمد عليه المنهج الوصفى. من وجهة نظر جغرافية، يكشف هذا الجانب قيمة منهج النظام متمثلة فى التركيز على التفاعلات بين مكونات المشهد الارضى (اللاندسكيب)، حيث يفترض انه لا يمكن ان يتحقق فهم عملية او شكل ما إلا عند تفاعله او تكيفه مع غيره من العمليات او الاشكال فى البيئة الطبيعية. وعلى الرغم من ان كل عنصر من عناصر النظام يؤدى دورا انفراديا إلا انه يعتمد اعتمادا كليا على باقى العناصر الأخرى ، كما أن أى تغير فى عمل أى عنصر ينتج عنه تأثيرا على سائر عناصر النظام. فالاهتمام فى منهج النظام يشمل النظام بأكمله وليس بعض مكوناته وذلك من خلال التركيز على وحدة النظام وحركته وفاعليته وتداخل عناصره (الفرا،1980 ص90). لذا، فهو منهج شمولى holistic approach يضمن المحافظة، ولو جزئيا، على حقيقة ان الجغرافيا الطبيعية علم توليفى يعتنى بوحدة التنوع فوق سطح الارض.

اصبحت وجهة النظر المرتبطة بالنظم تمثل النموذج فى الجغرافيا الطبيعية لعدة أسباب أهمها، اقتصار المناهج التقليدية على انتاج المزيد من الحقائق الوصفية والقليل من الافكار حول العلاقات بين المكونات المختلفة وطبيعة العمليات التى تربط هذه المكونات ببعضها. وفى هذا الصدد يؤكد هارتشورن أن مجرد تراكم وصف الظواهر، مهما كان مفصلا، لا يتجاوز كونه وصفاً سطحيا للحقائق الملاحظة، وأحوج ما تحتاجه الجغرافيا هو تطوير أساليب أو مناهج فكرية جديدة وطرق اكثر فعالية لقياس العلاقات بين الظواهر، (هارتشورن، 1958، ص11). وحتى يكون ادراكنا لهذه العمليات كاملا يجب ان نكون قادرين على تحديد علاقات سببية (السبب والنتيجة) فيما يتعلق بالخصائص المكانية والبيئية لهذه المكونات. لهذا اصبح اعتماد تقنية موحدة أمراً مهماً لرؤية متزامنة لمجموعة من المتغيرات والعمليات التى تربطها مع بعضها، ولتحقيق ذلك كان على الجغرافيين الاتجاه نحو فكرة نظرية النظم العامة وتحليل النظم (Kolars,1975,p.48). وقد تم تبنى هذا النهج فى الجغرافيا بواسطة دراسات فى النظم الطبيعية، مثل النظم الجيومورفولوجية والنظم البيئية إلى جانب دراسات عن النظم البشرية مثل النظم الحضرية والنظم الزراعية. وفى الوقت الذى تم فيه تبنى هذا النهج بنجاح فى الجغرافيا الحيوية وجغرافية التربة والمناخ والجيومورفولوجيا مبكرا نسبيا، انتظر تبنيه فى جميع فروع الجغرافيا الطبيعية نشر كتاب Physical Geography: A System Approach (Chorley and Kennedy, 1971). حيث أكد الكاتبان على اهمية استخدام نهج النظم فى الجغرافيا الطبيعية، نظرا لأنه يمكن من دراسة العالم الحقيقى البالغ التركيب بطريقة منطقية وعلى نحو منظم.

4.النظام البيئى بوصفه مثالاً للنظام المفتوح

إن أكثر ما يميز الغلاف الحيوى هو الدرجة العالية من التعقيد فى مكوناته وفى طبيعة العلاقات بين هذه المكونات، ومع تطور البحوث والدراسات التى تتناول هذا الغلاف تواصلت جهود المهتمين بالايكولوجيا فى البحث عن مفاهيم يمكن بواسطتها معالجة هذا التعقيد. رغم إدراك هؤلاء

المهتمون، ومنذ فترة طويلة، للطبيعة الكلية أو الشمولية للبيئة، إلا أن ما شهده القرن العشرين من هيمنة التخصص على اعتبار انه أسلوب فى الدراسة فى جميع العلوم بما فيها الايكولوجي، أنتج دراسات تناولت أجزاء محددة من الغلاف الحيوى واتسمت بالدقة والاهتمام البالغين بالتفاصيل. فى السنوات الأخيرة بذلت جهود كبيرة لدراسة الجانب الايكولوجي ضمن إطار فكرى واحد، وقد وفر هذا الإطار مفهوم النظام البيئى. تتمثل القيمة الأساسية لمنهج النظام البيئى فى مفهوم تكاملى يدمج بين المجموعات الحيوانية والنباتية والتربة باعتبارها مكونات لنظام واحد، وبذلك تؤكد هذه الفكرة على النظرة الشمولية للبيئة .(Pears,1993,p.97,98)

اقترح تانسلى عالم ايكولوجية النبات سنة 1936 مصطلح النظام البيئى ليعبر عن ذلك المركب من الكائنات الحية النباتية والحيوانية (biome) والموطن (habitat) الذى توجد به هذه الكائنات مع بعضها بشكل طبيعى كوحدة اجتماعية. اى ان النظام البيئى يشمل الفحص او الدراسة الشاملة للبيئة متضمنة التربة والنبات والحيوان والإنسان والمناخ وتفاعلاتها، بمعنى ان هذا النظام يحتوى على كائنات حية وبيئتها الطبيعية والكيمائية. يمثل النظام البيئى نظاما مفتوحا يتم فيه تبادل المادة والطاقة مع البيئة المحيطة، ويمكن أن تكون النظم البيئية على مختلف المقاييس مثل بركة ماء أو بحيرة صغيرة، أو على مستوى اكبر مثل الاقاليم الاحيائية biomes وهى تختلف وفقا لطبيعة الغطاء النباتى السائد، مثل الغابات والحشائش والصحارى ، فهذه الاقاليم البيئية عبارة عن وحدات نباتية مميزة مع ما يعيش فيها من حيوانات (إلى جانب الإنسان) وظروفها الطبيعية التى تشمل المناخ وخواص التربة وطبيعة التضاريس، ولهذا فان خريطة العالم للأقاليم الاحيائية الكبرى هى عبارة عن خريطة للحياة النباتية الرئيسية.

نظرا لأن الكائنات الحية لا تعيش فى معزل عن بيئاتها فإن دراسة النظام البيئى تتضمن جميع فروع الجغرافيا الطبيعية. في النظام البيئى، لكل نبات أو حيوان مكانه الملائم ومتطلباته (الى جانب ما يقدمه للكائنات الأخرى)، الكل عبارة عن نظام مركب حى ديناميكى، تمر عبره المادة وتتغير ولكنها لا تفقد. تعيد معظم العمليات فى النظام البيئى نفسها وفق قواعد منتظمة، فالنباتات تنمو ويكتمل نموها وتنتج البذور ثم تموت وتتحلل لتنتج مغذيات جديدة، تنمو عليها البذور وتتواصل الحياة ، فالموت ثم إعادة الحياة. يقدم هذا التتابع (التواصل) جانب آخر مهم للجغرافيا الطبيعية والذى من الممكن دراسته بطرق مختلفة وهو مفهوم الدورة (the cycle concept) .

يمكن توضيح مدى أهمية فكرة النظام كنهج فى الجغرافيا الطبيعية من خلال شرح العلاقة بين هذه الفكرة وبين كل من الجغرافيا الحيوية والنظام البيئى. كما هو واضح من الاسم تهتم الجغرافيا الحيوية بدراسة توزيع الكائنات النباتية والحيوانية وعلاقاتها البيئية، فهى حيوية لأنها تتناول الكائنات النباتية والحيوانية ضمن الغلاف الحيوى، كما انها جغرافية لاهتمامها بتوزيع هذه الكائنات والعوامل البيئية المتحكمة فى هذا التوزيع. يرى البعض أن هناك خصائص للنظام البيئى شجعت الجغرافيين على تبنيه كنهج فى دراساتهم، منها فكرة الأحادية، أى وضع مكونات البيئة والإنسان وعالم النبات والحيوان فى إطار واحد، يمكن ان يحلل ضمنه التفاعل بين هذه المكونات، وبذلك يمثل النظام البيئى فكرة موحدة أو دامجة تربط بين مكونات النظام الواحد، أى أنها تؤكد النظرة الموحدة للبيئة. ونظرا لأن الاهتمام يكون منصبا

على عمل وطبيعة النظام كله فان الثنائية dualism فى الجغرافيا يجب ان تستبعد. وهنا يرى هارتشورن أن الثنائية فى الجغرافيا (الطبيعية والبشرية) والتى حاولت فصل الإنسان عن بقية الطبيعة، لم تظهر من الحاجة الداخلية للجغرافيا، ولكن من فكرة تجريدية وفلسفية ومن اهتمام العلوم الموضوعية بدراسة اصناف الظواهر فى معزل عن بعضها البعض بوصفه منهجاً يساعد على تطبيق القوانين الطبيعية (هارتشورن،1988،ص99).

يتمثل بناء النظام البيئى فى مكوناته الحية النباتية والحيوانية مع مخلفاتها وبقاياها الميتة فى التربة الى جانب المكونات غير الحية، مثل الصخور والرواسب وعناصر المناخ. وتشمل وظيفة النظام البيئى مجموع العمليات والتفاعلات التى تحدث ضمن النظام، والتى تساعد على جمع مختلف عناصره فى وحدة متكاملة. لجميع النظم البيئية نوعان من العمليات الرئيسية هما، تدفق الطاقة ودورة المغذيات، تساعد هاتان العمليتان واللتان تسيرهما الطاقة الشمسية، على ربط أجزاء النظام البيئى (O'Hare,1994,p.94). من الناحية الوظيفية، للنظام البيئى اثنان من المكونات الحية، هما ذاتية التغذية وهى تلك الكائنات التى تصنع غذائها بنفسها باستخدام الطاقة الضوئية مع مواد اخرى لإنتاج مركبات عضوية مثل الكربوهيدرات. وكائنات حية غير ذاتية التغذية وتشمل تلك الكائنات التى تقوم باستعمال وإعادة ترتيب وتحليل المركبات العضوية التى أنتجتها ذاتية التغذية. الى جانب المكونات غير الحية والتى تتمثل أساسا فى المواد غير العضوية والعضوية الميتة التى تحتويها التربة. تتفاعل فى النظام البيئى الكائنات الحية مع المكونات غير الحية لتنتج تبادل فى المواد، ما يجعلها تشترك فى تهيئة الظروف الضرورية لإعالة الحياة وحفظها.

رغم إمكانية وجود مدخلات خارجية للطاقة على شكل بقايا عضوية متحللة تدخل النظام من النظم المجاورة عن طريق الجريان السطحى والرياح، إلا انه فى معظم النظم البيئية تمثل الطاقة الشمسية القوة المشغلة للنظام وهى المسؤولة عن جميع دورات المواد وفاعلية العمليات فى النظام . تستخدم مدخلات الطاقة على شكل اشعة الشمس فى عملية التمثيل الضوئى التى تقوم بها النباتات الخضراء والتى عن طريقها توفر الطاقة فى صورة يمكن أن تسخدمها النباتات ذاتها (المنتجات الأولية) كما تستخدمها المستهلكات، يثبت جزء صغير من الاشعاع الشمسى بواسطة النباتات الخضراء متحولا الى طاقة غذائية محتملة تحفظ فى انسجة النبات محتجزة مع المكونات غير العضوية التى امتصتها الجذور لتشكل بروتوبلازما جديدة. تصبح الطاقة الكيمائية لهذه الانسجة العضوية مصدر الطاقة للعشبيات، بينما يتحول معظم الاشعاع الشمسى الى طاقة حرارية تفقد اخيرا من النظام البيئى. تخلق العشبيات بدورها انسجة جديدة عندما تنمو وتوفر بذلك الطاقة للمفترسات، بينما يتوفر مصدران للطاقة فى حالة الكائنات التى تأكل الأعشاب واللحوم (omnivores) والتى من ضمنها الإنسان .

يرتبط بعملية نقل او تحويل الطاقة (وبشكل معقد) دورة المغذيات والغازات والماء من الغلاف الغازى ومن التربة، عبر المنتجات إلى المستهلكات وأخيرا الى الانسان او خارج النظام البيئى بالكامل. يوضح هذا ان العمليات ضمن النظام البيئى ترتبط بشكل محكم بأنظمة بيئية اخرى بما فيها تحويل الغذاء. ترتبط مدخلات النظام البيئى بشكل كبير بتدفق طاقة الشمس الضوئية، والتى تستخدمها النباتات الخضراء فى عملية التمثيل الضئوى لصنع الغذاء، بينما تكون المخرجات فى الحصاد عن طريق الإنسان أو الحيوان.

يتطور النظام البيئى مثل غيره من النظم المفتوحة، فى اتجاه تحقيق توازن بين المدخلات والمخرجات والعناصر والعمليات العاملة فى النظام . وحتى يتمكن من أداء وظائفه على الوجه الاكمل دون تغيرات رئيسية فى مميزاته وخصائصه، يمتلك النظام البيئى ضوابط ذاتية التحكم يستجيب عن طريقها للتغيرات او الاضطرابات غالبا خلال كل مكونات النظام البيئى. تساعد آلية الاسترجاع النظام على ضبط وتنظيم ذاته وحفظ توازنه، ويقصد بالاسترجاع هنا تلك الخاصية التى تؤثر بها المخرجات على المدخلات، حيث يكون للاسترجاع السالب تأثير توازنى دائم على النظام البيئى، فهو يحول دون حدوث تغير رئيسى فى اى من مكونات النظام. مثلا، ربما يزداد عدد الحيوانات فى النظام البيئى فيسبب نقص أو نفاد للموارد الغذائية ينتج عنه موت بعض الحيوانات التى يتراجع عددها حتى يعود التوازن بين المفترس والفريسة وترجع بذلك الخصائص الاصلية للنظام البيئى. فى حالة الاسترجاع الموجب،لا تقوم الآليات بتثبيت واستقرار النظام ، ولكن يكون لها تأثير تراكمى يعزز اتجاهات معينة للتغيير فيكون لها نتائج ضارة على توازن النظام البيئى، لان حدوثه يعطى الهيمنة لواحد او مجموعة من مكونات النظام على حساب مكونات أخرى، وهو ما يقتضى ضمنا تغير الخصائص الأصلية للنظام البيئى وتحوله إلى نظام مختلف فى خصائصه وتنظيمه ، مثلا، تعتبر الحرائق وسيلة مهمة تحافظ على استمرار وجود بعض المجتمعات النباتية فى كثير من المناطق المعتدلة من العالم، إذا توقف حدوث الحرائق فان النظام البيئى سوف يتعرض تدريجيا لغزو انواع جديدة وربما يتطور إلى ارض حراجية وأخيرا إلى ارض من الغابات.

تكون الحالة المثالية للنظام البيئى، تلك التى يتحقق فيها التوازن الديناميكى، بينما يعرف الوضع او النقطة التى عند عبورها يتحول النظام من حالة الى اخرى بالعتبة threshold. اذا كان الدافع للتغير من خارج النظام البيئى من القوة بحيث تفشل آليات التحكم ضمن النظام من التغلب عليه فان حالة من عدم التوازن سوف تحدث ويتبعها توطيد نظام بيئى جديد. قد يكون التغير تدريجى مثل تعاقب مراحل التطور النباتىplant succession، أو يكون سريع مثل إزالة مساحات واسعة من الغابات المطيرة والذى ينتج عنه استنفاد المغذيات من التربة وانجرافها ثم تدهور عام فى النظام البيئى. لذلك ربما يترتب على تدخل الانسان فى النظم البيئية الطبيعية عواقب خطيرة اذا لم يستوعب طبيعة عملها بالشكل الصحيح.

بسبب تعقد النظام البيئى وكبر حجم ما به من ضوابط، لا تكون جميع استجاباته للتغير مباشرة وسريعة، بل تأتى بطيئة ومتأخرة، لهذا تستغرق المدخلات من طاقة ومغذيات وقت طويل لتعبر خلال النظام . ونظرا لأن الاستجابة المتباطئة تمثل ردة فعل أكثر شيوعا من التغير السريع فى النظم البيئية اصبح التنبؤ بالعتبة صعبا.

خاتمة

ان نمو عدد السكان وما صاحبه من زيادة الطلب على المصادر الطبيعية للغذاء وعلى المواد الاولية الى جانب تنامى قدرة الإنسان على التدخل فى الحالات الطبيعية بوصفها نتيجة لما حققه من تطور تقنى، زادت جميعا من حاجة الإنسان إلى معرفة كيف تعمل الطبيعة حتى يستخدمها بشكل آمن. ونظرا لان فهم البيئة لا يتحقق باستخدام منهج يعتمد على تقسيمها الى وحدات ومعالجة كل منها بشكل منفصل دون النظر الى أهمية ما بينها من علاقات، جعل من إعادة جمع هذه الوحدات لتكوين الصورة الكاملة للبيئة أمر لا يمكن الوصول إليه، لذا كان منهج التجزئة غير قادر على تحقيق فهم ظواهر وموضوعات معقدة يتطلب فهمها المحافظة على وحدة مكوناتها . لحل هذه المشكلة تبنى بعض الجغرافيين الطبيعيين نهج النظام الذى رأوا انه يضع حلولا لكثير من سلبيات المنهجيات السابقة، فهو يحقق النظرة الشمولية فى دراسة الظواهر الجغرافية المختلفة ودراسة البيئة الطبيعية على اعتبار أنها وحدة واحدة وحل مشكلة تجزئة موضوعاتها وتناولها بالدراسة بوصفها وحدات مستقلة عن بعضها ما يغيب حقيقة وحدة مكونات البيئة ويهمل علاقات التبادل بينها بل ويزيد من احتمال ان تقود مثل هذه الدراسات الى نتائج مضللة.

ان ما يوفره منهج النظام من سبل تساعد على فهم الظواهر المعقدة من خلال التركيز الشامل على جميع عناصر المشكلة أو الظاهرة ، يأتى فى مقدمتها التركيز على أهمية العلاقات المتداخلة بين وحدات النظام وما يحدث بين النظم من تفاعلات، تمثل جوانب تعطيها الجغرافيا الطبيعية الحديثة اهتمام كبير. يلتقى معظم الجغرافين المنادين بمعالجة الجغرافيا باعتبارها فرعاً موحداً، على الرغم من التنوع الكبير للظواهر التى يحتويها، فى أن الأخذ بهذا النهج فى دراسة موضوعات الجغرافية الطبيعية قد رسخ تقنية موحدة تمكن من الفحص المتواصل لعدة متغيرات والعلاقات التى بينها والعمليات التى تربطها ببعضها (Kolars and Nystuen,1975,p.49).

المراجع

الفرا، محمد (1980) علم الجغرافيا:دراسة تحليلية نقدية فى المفاهيم والمدارس والاتجاهات الحديثة فى البحث الجغرافى ، (رقم 22) نشرة يصدرها قسم الجغرافيا : جامعة الكويت.

هارتشورن، ريتشارد (1988) نظرة فى طبيعة الجغرافيا، ترجمة، عبدالعزيز بن عبداللطيف آل الشيخ وعيسى بن موسى الشاعر ، الرياض: دار المريخ.

Chorely,R.J. and Kennedy,B.A. (1971) Physical Geography: A System Approach. Prentice Hall, London.

Courtney F.M and Trudgill S.T. (1984) The Soil , An introduction to soil study. Hodder & Stoughton, London.

Gabler, R.E., Sager, R ., Brazier, S., Pourciau, J. (1975) Introduction to Physical Geography. Rinehart Press, USA.

Gilson Peter, M.A., (1980) Success in Geography: Physical and Mapwork. John

Murray, London.

James E.P. and Martin J.G. (1981) All Possible Worlds : A History of geographical Ideas. Wiley, New York.

King C.A., (1980) Physical Geography. Blackwell, Oxford.

Kolars, J.F and Nystuen, J.D.(1975) Physical Geography: Environment and Man. McGraw-Hill, New York.

Lockwood, (1976) The Physical Geography of the Tropics: An Introduction. Oxford University Press, London.

Mottershead, D.N. and Harrison, S.J. (1989) Environmental Systems : An Introduction. Unwin Hyman, London.

O'Hare,G., (1994) Soils, Vegetation, Ecosystems. Oliver &Boyd, London.

Oke,T.R., 1993 Boundary Layer Climates. London, Routledge.

Pears, N., (1993) Basic Biogeography. Longman, London.

Simmons I.G., (1991) Earth, Air and Water, Resources and Environment in the Late 20th Century. London, Edward Arnold.

Smithson P., Addison K. and Atkinson K (2008) : Fundamentals of the Physical Environment. London: Routledge.

Summerfield, M.A., (1992) Global Geomorphology: An introduction to the study of landforms. Longman, England.

Thompson, R.D., Mannion, A.M. , Mitchell, C.W., Parry, M. and Townshend, J.R.G. (1986) Processes in Physical Geography. Longman, London.

دراسة وصفية عن مشكلة الطلاق في مدينة المرج

((من واقع سجلات المحكمة الشرعية))

الدكتورة سلطنة مسعود أبوبكر المسماري

قسم علم الاجتماع-جامعة بنغازي

مقدمة :

مما لا شك فيه أن تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة وتكوين الأسرة قد نال اهتمام المفكرين منذ زمن طويل. حيث نجد في كل الشرائع والقوانين فصولاً واسعة لتنظيم هذه العلاقة وضمان وجودها واستمرارها،كما يهتم الدين والمفكرين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس بهذه العلاقة كل منهم يحاول من جانبه أن يقدم ما يخدم نجاح هذه العلاقة لأن في ذلك استمرار الحياة نفسها .

وبما أن مشكلة الطلاق تعد من أبرز المشكلات التي من شأنها المساس بالحياة الزوجية وإفسادها، كما أن لها آثار وتداعيات نفسية واجتماعية مدمرة على الأسرة والأطفال والمجتمع بأسره، لأجل كل ذلك حازت مشكلة الطلاق على الاهتمام الرسمي والمجتمعي في كل المجتمعات.

فالطلاق أصبح مشكلة عامة تعاني منها جل المجتمعات الإنسانية، وإن كانت تختلف من مجتمع لآخر حسب ظروف وطبيعة كل مجتمع، ولعل ما زاد هذا الاهتمام قوة هو الإحصاءات المفزعة التي تؤكد تزايد معدلات الطلاق.

فمثلاً وصل معدل الطلاق في جمهورية مصر العربية إلى (40%) من نسب الزواج، منها حوالي (70%) تحصل في الزواج الأول ، ونصفها يقع في السنة الأولى من الزواج.

أما في الخليج العربي فقد أكدت دراسة على مستوى دول الخليج"[1]" بعنوان "الطلاق في دول مجلس التعاون الخليجي:المخاطر و التداعيات" أعدتها شركة " بوزآند كومباني بإشراف المستشارة **منى صلاح الدين المنجد** أن معدلات الطلاق الإجمالية كنسبة مئوية من جميع حالات الزواج في دول الخليج بلغت (20%) في السعودية عام 2008، و(24%) في البحرين عام 2007، و(26%) في دولة الإمارات عام 2008، و(35%) في قطر عام 2009، و(37%) في الكويت عام 2007.

كما أشارت نتائج الدراسة إلى أن نسبة الطلاق من إجمالي السكان تكاد تتساوى مع نسبة الزواج في الفئة العمرية (20-24) وأن معدلات الطلاق بلغت حدها الأقصى في الفئة العمرية (30-39) ما يشير إلى أن الأزواج الشباب غالبا هم أكثر عرضة للطلاق خاصة في السنوات الأولى من الزواج.

أما في مصر فقد بينت دراسة قام بها مركز المعلومات بمجلس الوزراء"[2]"إن الطلاق في تزايد مستمر حيث وصل إلى (40%) من نسب الزواج في كثير من المحافظات، وكان نصف هذه الحالات في

---

www. Kwse.info\for wm\show thread.php?t=2208.1-

http: Harb 3.mak toob. Com\ vb\rab 238743.
2-

السنة الأولى من الزواج، وحوالي(70%) منها في الزواج الأول، ومعظم الحالات من الشريحة العمرية التي تتجاوز (30سنة). كما أشارت الدراسة إلى أن معدلات الطلاق زادت بعد إقرار قانون الخلع.

والمجتمع الليبي لا يشذ عن بقية المجتمعات العربية، حيث أصبحت العديد من الأصوات تتعالَ سواءً من (القضاة الشرعيين أو المحامين أو أساتذة علم الاجتماع، وغيرهم) لتحذر من تزايد معدلات الطلاق في المجتمع الليبي، وإن كان لا توجد حتى الآن إحصاءات دقيقة وحديثة عن هذه المشكلة.

صحيح أن هناك بعض المحاولات الجادة لدراسة مشكلة الطلاق؛ مثل المؤتمر الأول لشؤون الأسرة في مدينة البيضاء في بداية عام 1975؛ ثم أجريت ندوة عن ذات الموضوع عام 1976، ورغم أن تلك المحاولات تدل على أن هناك إحساساً عاماً بهذه المشكلة إلا أن هناك المزيد من الجهود التي يجب أن تبذل في سبيل مواجهتها.

من هنا جاء اهتمامنا بدراسة هذه المشكلة في (مدينة المرج) فقلة الدراسات الاجتماعية الخاصة بالطلاق في المجتمع الليبي بشكل عام ومدينة المرج بشكل خاص كانت من أهم الدوافع التي دعتنا إلى دراسة هذه المشكلة، إضافة إلى تزايد معدلات الطلاق بشكل لافت في السنوات الأخيرة مما جعل الحاجة ملحة لدراسة هذه المشكلة للوقوف على حجمها وأبعادها ومسبباتها.

تعريف المصطلحات الأساسية في البحث :

1. الطلاق :

الطلاق مأخوذ عن الإطلاق وهو الإرسال والترك، وفي الشرع يعني حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية.

وبشكل عام يعني الطلاق إنهاء العلاقة الزوجية نتيجة الخلافات التي تصل إلى مستوى لا يمكن إعادة الحياة الزوجية معه إلى وضعها الطبيعي. بمعنى أن الطلاق يصبح هو الحل الأمثل عندما تستنفذ كافة محاولات الإصلاح بين الزوجين (لأنه أبغض الحلال عند الله)، فالإسلام لم يضع الطلاق إلا كحل أخير للفصل بين الزوجين، ووضع حلولاً أولية قبل اللجوء إلى الطلاق، فقد شرع الله الإصلاح بين الزوجين، واتخاذ الوسائل التي تجمع الشمل وتبعد شبح الطلاق، ومن ذلك الوعظ والهجر والضرب اليسير، إذا لم ينفع الوعظ والهجر كما في قوله سبحانه : (اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع و اضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا) النساء: الآية 34 ومن ذلك بعث الحكمين من أهل الزوج وأهل الزوجة عند وجود الشقاق بينهما للإصلاح بين الزوجين، كما في قوله تعالى: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا) النساء:الآية 35. فإذا لم تنفع هذه الوسائل و لم يتيسر الصلح واستمر الشقاق، شرع للزوج الطلاق وشرع للزوجة المفاداة بالمال " الخلع ".

2. **الخلع أو الافتداء**:

يكون هذا النوع من الطلاق إذا حصل بين الزوجين نوع من النفرة والشقاق ما يخرجهما عن الاتفاق، وتخاف المرأة أن لا تقيم حدود الله، وأن لا تؤدي حق زوجها، فأباح لها الإسلام افتداء نفسها بالمال لتحصل على الطلاق، أما إذا كان الخلع من دون سبب فهذا وإن وقع فإنه منهي عنه"[1]."

3. **الطلاق قبل الدخول**:

وهو فسخ عقد الزواج قبل إتمام مراسم الزواج، وغالباً لا تحصل فيه خلوة بين الزوجين.

4. **الطلاق العاطفي** :

وهو الذي يحدث حتى وإن استمر الزوجان بالعيش تحت سقف واحد، حيث يصبح لكل منهما حياته الخاصة التي لا يعرف عنها شريكه إلا القليل، وهذا غالباً ما يكون له بعض العوامل المسببة منها: اختلاف البيئة الثقافية، وعدم التكافؤ بشكل عام، واختلاف نظرة كل من الزوجين لمفهوم الزواج، أو النظرة إليه على أنه وسيلة لتحقيق رغبة جنسية أو مصلحة مادية وليس على أنه سكن ومودة ورحمة، خاصة مع وجود فارق كبير في السن بين الزوجين، وكذلك عدم وجود معرفة سابقة بين الزوجين.

أهداف البحث :

تهدف الباحثة من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف هي :

1. معرفة حجم مشكلة الطلاق داخل مدينة المرج.
2. التعرف على خصائص الأفراد الذين واجهوا مشكلة الطلاق.
3. معرفة أهم الأسباب المؤدية إلى مشكلة الطلاق.

الدراسات السابقة :

حظيت مشكلة الطلاق التي تتزايد معدلاتها يوماً بعد يوم باهتمام العديد من الباحثين والمهتمين، لذا أعدت العديد من الدراسات في مختلف المجتمعات الإنسانية التي حاولت تناول هذه المشكلة وأسبابها وتداعياتها على الأسرة والمجتمع.

فيما يتعلق بحجم المشكلة أجريت العديد من الدراسات التي تبين أنها في تزايد مستمر، ففي الكويت تشير إحصاءات رسمية صادرة عن إدارة التوثيق الشرعي بوزارة العدل الكويتية إلى أن نسبة الطلاق وصلت إلى (40%) عام

---

[1]- محمد بن إبراهيم الشيخ وآخرون، فتاوى المرأة المسلمة، الجزء الأول والثاني، دار ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى،2001،ص739.

2003، كما أشارت إلى أن إجمالي حالات الطلاق منذ عام 1996م وحتى منتصف عام 2003 بلغت (25.534)"[1] "حالة طلاق، أما في دولة الإمارات فتصل نسبة الطلاق إلى (34%) من حالات الزواج"[2]".

كذلك كشفت إحصاءات صادرة عن الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في جمهورية مصر العربية أن معدلات الطلاق خلال الخمسين عام الماضية ارتفعت من (7%) إلى (40%)، وان اليوم الواحد يشهد (240) حكماً بالطلاق يصدر في محاكم الأحوال الشخصية، وطبقاً لأحدث إحصاء سكاني تم إصداره مؤخراً فإن النسبة الأكبر من حالات الطلاق تقع بين المتزوجين حديثاً"[3]".

كما أكدت دراسة أجرتها وزارة التخطيط في السعودية أن عدد حالات الطلاق عام 2006م بلغت (25) ألف حالة طلاق، مقابل (120) ألف حالة زواج، أي أن نسبة الطلاق إلى الزواج تقارب (21%) أي أن هناك (69) حالة طلاق تتم في اليوم"[4]".

كذلك أشارت إحصاءات صادرة عن وزارة العدل المغربية إلى أن هناك ارتفاع كبير لأحكام الطلاق، حيث ارتفع من (14.791) حكم بالطلاق عام 2006 إلى (21.328) حكم بالطلاق عام 2007، كما أشارت الإحصاءات إلى أن الطلاق ألاتفاقي (بالاتفاق) ارتفع من (6741) عام 2006م إلى (8243) عام 2007.

وتشير دراسة أجريت حول (دليل مؤشرات الزواج والطلاق في الأردن) إلى ارتفاع معدلات الطلاق قبل الدخول، حيث وصلت إلى (44%) من إجمالي عدد حالات الطلاق المسجلة، ولعل أبرز نتيجة توصلت إليها الدراسة هي أن نسبة المتعلمين في مجموع حالات الطلاق بلغت (94%) بينما بلغت نسبة الأميين (6%) فقط.

والجدير بالذكر أن ارتفاع معدلات الطلاق ليست مشكلة تعاني منها المجتمعات العربية فحسب بل إنها مشكلة عالمية تعاني منها مختلف المجتمعات بدون استثناء ففي تايون على سبيل المثال تشير الإحصاءات لعام 2006م أن معدلات الطلاق ترتفع بشكل ملحوظ لتصل إلى (5.4%)، كما أكدت أن هناك (7.5) حالة طلاق في كل ساعة، كما ذكرت الإحصاءات أنه من المرجح أن تنتهي معظم الزيجات التي تمت عام 2006 بالطلاق"[5]"

كذلك أجريت العديد من الدراسات التي حاولت رصد أهم الأسباب الكامنة وراء الطلاق، وقد تباينت فيما بينها حول تحديد تلك الأسباب.

4- www.lahaon line. Com\index.php?option=contion&task= viewsio

5- http://www.iahaonline.com\Index.php?option=content&task=view8sectionid=1&id=5262

6- www.kwse.info\forum\show thread.php?=2208

7- www.aman Jordan.org\a-news\ w mview.php?ArtiD= 9546

8-http: \\www. Kenanaonline. Com \ ws \ motolove \ 610g \ 4863 \ page \ 3 motolove

حيث أكدت دراسة أجريت في الصين عام "1992[1] عن اتجاهات الطلاق أن معدلات الطلاق المتدنية تمت المحافظة عليها نتيجة إلى القيم الاجتماعية القوية، والضغوط الاجتماعية والتزام الناس بالزواج، إلا أن هناك استثناءات لذلك كالمرأة المتعلمة تعليماً عالياً، وخاصة المقيمة في المناطق الحضرية فهي أكثر عرضة للطلاق، وكذلك الإناث في الفئة العمرية الشابة، والزواج الذي تم بترتيب من العائلة هو أكثر عرضة للطلاق، غير أن الدراسة لم تجد أي تأثير لعمل المرأة أو مدة الزواج في معدلات الطلاق.

وفي دراسة عن الطلاق والتنمية أجريت في إندونيسيا، تبين أن السن عند الزواج له علاقة سلبية باحتمال وقوع الطلاق، كما أن هناك علاقة مماثلة بين التعليم والطلاق؛ فقد وجدت الدراسة بأن أدنى معدلات الطلاق هي بين النساء الأكثر تعليماً، وهناك عوامل أخرى كالإنجاب أثناء الزواج لها علاقة قوية بالطلاق"[2]".

كما أكدت بعض الدراسات أن العنف ضد النساء يعد من أهم العوامل المؤدية للطلاق، مثل الدراسة التي قامت بها الدكتورة (سمية نعمان) في المغرب والتي أكدت فيها أن هناك عدد كبير من حالات الطلاق تقع بفعل ممارسة العنف من قبل الازدواج على زوجاتهم، واللافت أن الدراسة أشارت إلى أن العنف ضد الزوجة لا يقتصر على فئة اجتماعية دون سواها، بل إنه يقع في أوساط مثقفة وراقية وليس مقصوراً على الفقراء وحدهم"[3]".

كذلك أشارت دراسة قامت بها وزارة العدل في الكويت عام 2000 حول الطلاق إلى أن عدم القدرة على الإنجاب تعد من اهم الأسباب المؤدية للطلاق؛ حيث بينت النتائج أن (10.6%) من أفراد العينة أكدوا على أن عدم الإنجاب كان سبب طلاقهم، في حين بين (34.5%) إن عدم قيام أحد الزوجين بواجباته التربوية اتجاه الأبناء كان هو سبب الطلاق. كما كشفت الدراسة أن (20.5%)من المبحوثين يروا أن طبيعة عمل الطرف الآخر وخاصة الزوجة كان عائقا لاستمرار الحياة الزوجية"[4]".

كما بينت دراسة أصدرها مركز الاستشارات العائلية في قطر أن معدلات الطلاق الحالية راجعة إلى انخفاض مستوى التعليم وقلة الحوار والتفاهم.

كما أشارت دراسة أخرى أجراها المركز نفسه في قطر عام 2008م إلى أن نسبة الطلاق تنخفض في الحالات التي يتم فيها استشارة الأهل، وتزداد معدلات الطلاق في المستويات الدنيا من التعليم، كما أشارت النتائج إلى أن تلقي الاستشارات الزوجية سواءً من الأسرة أو من الأصدقاء أم من المراكز الاستشارية له دور إيجابي في التقليل من نسب الطلاق، كما اعتبرت الدراسة أن ضعف المستوى الاقتصادي للأسرة يعد سبباً من الأسباب المؤدية للطلاق، وذكرت الدراسة أن ضعف أسلوب الحوار يمثل

9- Liao ,cailian &Heaton,Tim,(Divorce trends & Defferentials in china) Joumal of comparative family studies , 1992.pp 413-429.

10- Guest ,Philip (Marital Dissolution &Development in Indonesia) Joumal of comparative family studies.1992.pp95-113

11- http: \\www.grenc . com\show – article – main. Cfm ?id =955

12- www.Kune.net.Kw\ News\ Agencies Public Site\ Article Details. Aspx? L.

العامل الأكثر شكوى لدى المطلقين وأن (53%) من المطلقين يروا أن عدم الالتزام الديني لأحد الطرفين كان عاملاً مهماً لحدوث الطلاق.

وفي اليمن أثبتت دراسة أعدها فرع منظمة (أوكسغام) البريطانية، أن الفقر مسئول عن (90%) من قضايا الطلاق، حيث يعجز الزوج عن تحمل الإنفاق المادي على زوجته وأبنائه، ووزعت النسبة المتبقية وهي (10%) على الخلافات الأسرية، وخصومات الإرث، وتدخلات الآخرين في الحياة الزوجية"[1]".

كما بينت دراسة أجريت في مدينة الموصل (العراق) أن حالات الطلاق ارتفعت من (179) حالة طلاق عام 2006 إلى 202 عام (2007)، وأشارت الدراسة إلى أن ارتفاع معدلات الطلاق راجع إلى تردي الأوضاع الأمنية في البلاد، كما أشارت إلى ظهور ما يعرف (بالطلاق على الهوية) أي الطلاق بسبب البغض الطائفي والقومي. كما أن الهجرة الإجبارية ساهمت في رفع معدلات الطلاق، حيث ترفض الزوجة في كثير من الأحيان الهجرة مع الزوج، لذا لا يجدوا حل سوى الانفصال، كما أشارت الدراسة إلى ارتفاع معدلات فسخ الخطوبة لذات الأسباب السابقة"[2]".

وفي دراسة أخرى أجريت في المملكة السعودية تبين أن ضعف الوازع الديني، وعدم تقدير العلاقة الزوجية، واستخدام العنف، والزواج من امرأة أخرى نكاية في الزوجة الأولى، والعين الزائغة، والبخل، إلى جانب حرمان الزوجة من الاتصال بأهلها والطمع في مرتب الزوجة إذا كانت عاملة، كلها أسباب تؤدي إلى وقوع الطلاق.

وخلصت الدراسة إلى أن العوامل المؤثرة في ارتفاع معدلات الطلاق والتي تتعلق بالمرأة تتمثل في كثرة طلب الطلاق مع كل مشكلة، وخروج الزوجة إلى بيت أهلها وغيابها الدائم عن المنزل، وانتقادها المتواصل لزوجها إلى جانب عنادها وتمور الرجل"[3]".

وفي دراسة أجرتها وزارة العمل الإماراتية تبين أن الزواج الأول يحتل المرتبة الأولى في الزواج الذي انتهى بالطلاق، حيث بلغت نسبته (77%) من حالات الطلاق، كما أكدت نتائج الدراسة أنه كلما كانت سنوات الزواج قليلة زادت نسبة الطلاق، كما أشارت الدراسة إلى أن (13.5%) من المطلقات تزوجن في سن يقل عن (14) سنة أي في مرحلة الطفولة المتأخرة، كما أن هناك (23.7%) من الأزواج المطلقين هم من صغار السن الذين تتراوح أعمارهم ما بين (20-24) عاماً، وإن (43%) من حالات الطلاق كانت بطلب الزوجة.

وما تجدر الإشارة إليه هو أنه على الرغم من اختلاف النتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة تبعاً لاختلاف المجتمعات، وما تم استخدامه من أدوات وعينات ومناهج، على الرغم من كل ذلك هناك اتفاقاً عاماً بين تلك الدراسات على أن هناك ازدياد في معدلات الطلاق وان الأسباب المؤدية إلى ذلك مختلفة وعديدة.

13- http: \\www. Awan . com\ node\ 171875.

14- http://www.ashargalwsat. Com \ details. Asp? Section=181ssueno= 9961&article=351769=8 feature.

15- http: \\ www.aman Jordan .org\ auabic. News\ wmview. Php? Art I=9697.

أما بالنسبة للمجتمع الليبي فهناك قصوراً واضحاً في الدراسات الاجتماعية المعمقة حول مشكلة الطلاق؛ بالغرم من التنامي المتزايد في معدلاتها، ومن بين الدراسة التي أجريت حول هذه المشكلة تلك التي أجريت في منطقة الجبل الأخضر"[1]" عام 1981م والتي شملت كل من (مدينة البيضاء، وشحات، والمرج)، وقد توصلت إلى مجموعة من النتائج أكدت في مجملها أن هناك مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الحياة الزوجية، أهمها :

- تدخل أهل الزوج والزوجة في شؤون الأسرة الصغيرة، وتتجلى مظاهر هذا التدخل في عدة صور منها: جبر أبنائهم وبناتهم على الزواج من شخص معين، ومنها كذلك عدم موافقة أهل الزوج على تأسيس بيت مستقل بابنهم وزوجته، ومنها أيضاً رغبة أهل الزوج أو الزوجة في إنهاء العلاقة الزوجية على الرغم من عدم موافقة الزوجين.

كذلك بينت الدراسة أن صغر سن أحد الزوجين، وفارق السن بينهما، وعدم الإنجاب وانخفاض المستوى التعليمي، والتباين في الخلفية الحضارية وتعدد الزوجات، ووجود أطفال من زواج سابق، إضافة إلى الشك والغيرة، وعدم اهتمام أحد الطرفين بالآخر، كلها أسباب مؤدية للطلاق في منطقة الدراسة.

كما أشارت الدراسة إلى أن (57.1%) من حالات الطلاق تمت خلال الثلاث سنوات الأولى من الزواج، إضافة إلى أن (48.8%) من المطلقات لم تكن لهن معرفة بأزواجهن قبل الزواج، مقابل (36.7%) من المطلقين. كذلك بينت الدراسة أن (36%) من المطلقين كانوا يسكنوا مع أهلهم عند وقوع الطلاق، كما أكد (29.6%) من الأزواج أنهم طلقوا زوجاتهم لأنهن طلبن بيوتاً مستقلة، في حين أكد (45.3%) من المطلقات أنهن كن يسكن مع أهل أزواجهن وقت الطلاق، ومنهن (39.8%) قد طلقن لأنهن طلبن بيوتاً مستقلة.

وفي دراسة أخرى قام بها أحد القضاة الشرعيين في محكمة جنوب بنغازي تبين أن هناك ارتفاع في معدلات الطلاق للضرر، وذلك راجع إلى بطالة الأزواج، وأزمة السكن الخانقة في البلاد، وانتشار تعاطي المخدرات، إضافة إلى سوء معاملة الزوجة بالضرب والإهانة، كذلك عدم الوعي والإسراف على المظاهر الاجتماعية. كما أشارت الدراسة إلى أن استقلال الزوجة من الناحية المادية يعد من أبرز أسباب إصرارها على الطلاق في كثير من الأحيان.

كما أشارت الدراسة إلى ما يسمى بالطلاق (للغيبة) وذلك بسبب زواج بعض الليبيات لرجال غير ليبيين، حيث يسافر الزوج فتنقطع وسائل الاتصال به مما يضطر الزوجة إلى اللجوء للمحاكم لتطليقها منه.

ما نخلص إليه مما سبق عرضه هو أنه هناك اختلاف في نوعية الأسباب المؤدية للطلاق في الفترة من (1981-2006)، وذلك في تصوري راجع إلى أن طبيعة المشكلات التي يعاني منها المجتمع اختلفت، فكثير منها لم تكن معروفة قبل عقدين من الزمن، كالبطالة وأزمة السكن وانتشار آفة المخدرات، ومما لا شك فيه أن هذه المشكلات تلقي بضلالها على الأسرة الليبية وتؤثر على استقرارها.

كذلك تبين أن الدراستين ركزتا على الأسباب المؤدية إلى مشكلة الطلاق و لم تركزا على تحديد حجم هذه المشكلة، ونحن في هذه الدراسة سيكون تركيزنا بالدرجة الأولى على تحديد حجم المشكلة، وأهم صفات الأشخاص الذين تعرضوا لهذه المشكلة، أما الأسباب المؤدية إليها فسنعرضها بشكل عام وسريع، على أن تكون نتائج هذه الدراسة نواة لإنطلاق دراسة أخرى بعون الله تتعمق في البحث عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء مشكلة الطلاق.

---

[1]- محمد سليمان فتاح ، الطلاق في المجتمع الليبي:دراسة ميدانية عن ظاهرة الطلاق في الجبل الأخضر، منشورات مركز البحوث، بنغازي، عام 1981.

تساؤلات الدراسة :

تنطلق الدراسة من عدة تساؤلات هي :

1. ما حجم مشكلة الطلاق داخل مدينة المرج.
2. ما هي خصائص الأفراد الذين تعرضوا لمشكلة الطلاق في مدينة المرج.
3. ما أهم الأسباب المؤدية لمشكلة الطلاق من وجهة نظر الخبراء القانونيين(القضاة الشرعيين والمحامين).

منهج الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي المسحي للحصول على البيانات الخاصة بمشكلة الطلاق، حيث قامت بمسح جميع ملفات الطلاق الموجودة في أرشيف المحكمة الشرعية بالمرج والتي تخص الفترة (2004- 2008) وهذه الملفات تحتوي على معلومات خاصة بالمطلقين (رجالاً ونساءً) مثل العمر، المهنة، مدة الزواج، سبب الطلاق، كما قامت الباحثة بإجراء مقابلات مفتوحة مع(ثلاث قضاة شرعيين وأربع محاميات، واثنان من كتبة الجلسات السرية) من أجل التعرف على أهم الأسباب المؤدية إلى وقوع الطلاق.

مناقشة النتائج :

من خلال المعلومات التي جمعت سواءً من الملفات الخاصة بالمطلقين الموجودة في محكمة المرج أم من الخبراء والقانونيين، توصلنا لمجموعة من النتائج أهمها:

أولاً: فيما يتعلق بحجم المشكلة :

تبين من خلال الدراسة أن عدد حالات الطلاق في مدينة المرج في الفترة من (2004-2008) بلغت (363) حالة طلاق، (25%) منها وقعت قبل الدخول ، كما تبين لنا أن حوالي (22%) من حالات الطلاق وقعت في نفس السنة التي تم فيها الزواج.

كذلك بينت الدراسة أن سنة (2008) سُجلت فيها أعلى معدلات للطلاق حيث بلغت (46%) من مجموع حالات الطلاق، وعند البحث عن تفسير منطقي لذلك، وعند التحري عن الأسباب من خلال النقاش مع الخبراء القانونيين (القضاة الشرعيين والمحامين) في محكمة المرج، تبين أن السرعة في إجراءات الطلاق تعد السبب الرئيس في تزايد معدلات الطلاق في عام 2008. حيث أن القضاة مجبرين على الفصل في عدد معين من القضايا في كل شهر، وإن هناك لجان تفتيش تُسأل القضاة عند التأجيل المتكرر في أي قضية بغض النظر عن طبيعتها، لذلك غالباً ما يتم الفصل في قضايا الطلاق من أول جلسة.

كل ذلك يحدث على الرغم من أن الشرع حدد مجموعة من الخطوات التي على الزوج أن يتبعها قبل طلاقه لزوجته، حيث يقول عز وجل في محكم آياته: (**اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع و اضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا" وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا)** [سورة النساء آية 34- 35].

ذلك يعني أنه على القاضي قبل الفصل في قضايا الطلاق أن يتأكد من أن الزوجين قد استنفذوا كل الفرص، و لم يعد أمامهم فرصة للاتفاق أو الحياة المشتركة. ومما يجدر الإشارة إليه أن هذا السبب رغم أهميته إلا أنه ليس السبب الوحيد المسئول عن رفع معدلات الطلاق عام 2008، وهذا ما سيرد تفصيله لاحقاً.

كما بينت الدراسة أن أعلى معدلات للطلاق كانت بين الزيجات التي مر عليها من سنة واحدة إلى سنتين حيث بلغت نسبتها (37%) من مجموع حالات الطلاق، وهذا لا يبدو غريباً حيث أن احتمالات تصدع الأسرة في السنوات الأولى من الحياة الزوجية أمر وارد لأنها تعد سنوات تكيف تكثر فيها المشكلات والخلافات في وجهات النظر بين الزوجين، إضافة إلى قلة الخبرة وصغر السن في معظم الأحيان، لكن من اللافت للانتباه أن الإحصاءات أشارت إلى أن حوالي (21%) من المطلقين كانوا من الذين مر على زواجهم أكثر من (سبع سنوات) على الرغم من أن المنطق يقول أن حالات الطلاق من المفروض أن تقل بين الأزواج الذين تمر على حياتهم الزوجية سنوات طويلة لأنهم غالباً ما يكونوا كبار في السن ولديهم النضج الكافي، كما أنهم تعودوا على بعضهم البعض، وغالباً ما يثمر الزواج بأطفال، وفي تقديري أن مثل هذه الزيجات كانت فاشلة منذ البداية غير أن الأزواج يستمروا بسبب وجود الأطفال أو الضغط العائلي أو الخوف من الوصم الاجتماعي (خاصة للمرأة المطلقة)، ومن الممكن أن تكون الرغبة في الزواج من امرأة أخرى، وعدم موافقة الزوجة الأولى على ذلك من الأسباب التي تضطره إلى طلاقها، وهذا ما سوف نتعرض له بشيء من التفصيل عند الحديث عن أسباب الطلاق.

كما بينت الدراسة أن حالات الطلاق التي وقعت قبل الدخول والبالغة (25%) كان معظمها في عام 2008، حيث بلغ معدل حالات الطلاق التي تمت قبل الدخول حوالي (30%) من مجموع الحالات الواقعة عام 2008، في حين بلغت عام 2004 (21%)، وبلغت في عام 2005 (25%).

والسبب في ذلك ربما يرجع إلى توفر خدمات الهاتف النقال، فقد أصبح من المتعارف عليه أن الأسرة بعد أن تأتي لخطبة الفتاة وتأخذ الموافقة من أهلها تعطي الفتاة هاتف نقال، وشريحة كهدية من العريس وبالتالي يتمكن كل من المخطوبين من الاتصال ببعضهما البعض بشكل مستمر، لأن العادات في المنطقة لا تسمح باللقاءات المنفردة بين الشاب والفتاة حتى لو كان هناك عقد زواج، وبذلك تحل المشكلة بتوفر الهاتف النقال، ومع استمرار الاتصال والحوارات بين المخطوبين يبدأ كل منهما يتعرف على الآخر، ويعرف طريقة تفكيره، ووجهات نظره حول معظم الموضوعات؛ ومن هنا قد تظهر نقاط الخلاف وعدم الارتياح مما يؤدي إلى إنهاء العلاقة وفسخ العقد أو الخطوبة.

ثانياً : فيما يتعلق بخصائص الأفراد الذين تعرضوا لمشكلة الطلاق:

بينت النتائج أن أعلى نسبة للمطلقين (الرجال) تركزت في الفئة العمرية (26-32) حيث بلغت (38%)، كما تبين أن نسبة الطلاق تقل بين الرجال كلما تقدم بهم العمر، حيث بلغت نسبة المطلقين الذين تزيد أعمارهم عن (55سنة) فقد (8%).

أما بالنسبة للمطلقات فتركزت أعلى نسبة في الفئة العمرية (26-35 سنة) حيث بلغت (42%) تليها الفئة العمرية (16-25) حيث بلغت نسبتها (31%)، وتشير الإحصاءات كذلك إلى أن نسبة الطلاق تنخفض بين النساء اللاتي تزيد أعمارهن عن (56 سنة) حيث بلغت فقط (4%) وبذلك يتضح أن حالات الطلاق ترتفع بين الأزواج الأصغر سناً، وهذه النتيجة تتفق مع ما توصلت إليه معظم الدراسات التي أشرنا إليها سابقاً.

وإذا ما تتبعنا هذه النسب في مختلف السنوات تتأكد لنا هذه النتيجة بوضوح، ففي سنة 2004 كانت أعلى نسبة للمطلقين في الفئة العمرية (26-32) حيث بلغت (43.6%)، أما بالنسبة للمطلقات فقد كانت أعلى نسبة في الفئة العمرية (16-25) و (26-35) حيث بلغت (34.6%) في كل منها.

وفي عام 2005 كانت أعلى نسبة للمطلقين في الفئة العمرية (26-35)، أما المطلقات فكانت أعلى نسبة لهن في الفئة العمرية (26-35).

وفي عام 2006 كانت أعلى نسبة للمطلقات في الفئة العمرية (26-35) حيث بلغت (50%) في حين بلغت أعلى نسبة لهن في عام 2007 (56%) في الفئة العمرية نفسها، ولا تشذ سنة 2008 عن ذلك، حيث كانت أعلى نسبة للمطلقين في الفئة العمرية (26-32) فقد بلغت (42%).

أما أعلى نسبة للمطلقات فكانت في الفئة العمرية (16-25) حيث بلغت (37%) والنسبة نفسها سجلتها الفئة العمرية (26-35). غير أن اللافت للانتباه هو ارتفاع نسبة المطلقين الرجال في الفئة العمرية (40-47) عام 2007 حيث بلغت (33%)، وكذلك الأمر في العام 2006؛ حيث كانت أعلى نسبة للمطلقين الرجال متركزة في الفئة العمرية (33-39) فقد بلغت (44%).

وتبين من خلال الدراسة أن أعلى نسبة للمطلقين كانت بين الموظفين، حيث بلغت حوالي (53%) تليها نسبة أصحاب الأعمال الحرة، حيث بلغت (29%)، أما بالنسبة للمطلقات فكانت أعلى نسبة بين ربات البيوت، حيث بلغت (47.6%).

ومما يجدر الإشارة إليه هو أن هناك (21%) من المطلقات مازلن طالبات وهذا يعني أنهن صغيرات في السن، إضافة إلى التزامات الزوجة كطالبة يتطلب منها التفرغ للدراسة وحضور المحاضرات أو الحصص المدرسية، وإذا أضفنا ذلك إلى التزاماتها كزوجة وربة بيت وأم في بعض الأحيان، كل ذلك من الممكن أن يمثل مصدر للخلافات بينها وبين زوجها.

وبالرجوع إلى توزيع النسب حسب سنوات الدراسة ، وجدنا أنها تسير في نفس الاتجاه حيث كانت أعلى نسبة للمطلقين بين الموظفين، حيث بلغت (47%) عام 2004، و(43%) عام 2005، و (64%) عام 2006، أما في عامي 2007، 2008 فقد بلغت (72%) و (57%) على التوالي.

أما بالنسبة للمطلقات، فقد كانت أعلى نسبة بين ربات البيوت عام 2004، وكذلك الأمر في عام 2005 حيث بلغت نسبة ربات البيوت (55%) من مجموع المطلقات، وحافظت هذه النسبة على الارتفاع في السنوات التالية (2006-2007-2008) ، حيث بلغت على التوالي (50%)، (60%)، (37%).

ثالثاً : فيما يتعلق بالأسباب المؤدية إلى مشكلة الطلاق:

من خلال المقابلات التي أجرتها الباحثة مع عدد من القضاة والمحامين وكتبة الجلسات السرية، تبين أنه، لا يوجد سبب واحد ومحدد لكل حالة من حالات الطلاق وإنما هناك مجموعة من الأسباب المتداخلة التي يمكن أن نفسر بها مشكلة الطلاق بشكل عام، ولعل من أبرزها ما يلي :

1. من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الطلاق هو عدم توفر سكن مستقل، ففي ظل أزمة السكن الخانقة في مدينة المرج يضطر العديد من الشباب إلى الإقامة في بيت العائلة بعد الزواج الأمر الذي قد يترتب عليه العديد من الخلافات بين الزوجة وأسرة زوجها، إضافة إلى رغبة الزوجة في أن تعيش في سكن مستقل، وهذا بطبيعة الحال يولد خلافات بينها وبين زوجها الأمر الذي يؤدي إلى وقوع الطلاق.

2. الزواج المبكر يعد عاملاً سلبياً يؤدي في كثير من الأحيان إلى حدوث الطلاق، وذلك بسبب نقص الخبرة والمرونة وعدم النضج.

3. من الأمور التي تسبب الطلاق صعوبة التفاهم بين الزوجين، ويغذي صعوبات التفاهم بعض الاتجاهات في الشخصية مثل العناد والإصرار على الرأي، إضافة إلى حب السيطرة والاندفاعية، والتسرع في اتخاذ القرارات، وفي ردود الأفعال، والعصبية، واللجوء إلى العنف في بعض الأحيان.

4. تدخل الآخرين (أهل الزوج أو أهل الزوجة) في شؤون الزوجين الخاصة مما يعمق الخلافات ويباعد بين وجهات النظر.

5. كذلك يعد غياب الوسيط أو (الحكم) الذي من المفروض أن يتدخل بين الزوجين من أجل الصلح وتقريب وجهات النظر بينهما، فهناك مشكلات عديدة سطحية وعابرة من الممكن أن تحل بالحكمة والموعظة والصلح، وفي ذلك يقول عز وجل: (**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا)** [سورة النساء آية 35]

وفي غياب الحكم تحل لجان فض المنازعات محله فهي التي تتدخل لحل الخلافات بين الزوجين وهذه اللجان غالباً تتكون من أفراد غير مختصين في شؤون الأسرة، وليس لديهم آليات عملية في حل الخلافات بين الزوجين، إضافة إلى أن أعضاء اللجنة لا يتناقشوا مع الزوجين حول موضوع الخلاف، وإنما يتم عادة النقاش مع الزوج ووكيل الزوجة الذي غالباً ما يكون غير ملم بكافة أبعاد الخلاف، حيث قد تكون هناك بعض القضايا المحرجة التي لا تستطيع الزوجة البوح بها لوكيلها، وبذلك لا يتحقق الهدف من تدخل اللجنة في فض الخلافات الزوجية، وغالباً ما تنتهي مساعيها بالفشل ويقع الطلاق بين الزوجين.

6- يعد عدم التوافق في العلاقة الخاصة بين الزوجين من أبرز وأهم الأسباب المؤدية إلى الطلاق إضافة إلى الحب الرومانتيكي الذي يسبق الزواج والذي يصدم بواقع الحياة ومشقاتها، وكذلك تعد الخيانة الزوجية من الأسباب الدافعة للطلاق.

7- مرض أحد الزوجين أو عدم قدرته على الإنجاب يعد من الأسباب المؤدية للطلاق.

8- لعل من أكثر النتائج مفاجأة بالنسبة للبحاثة هو أن التشريعات القانونية قد تكون في بعض الأحيان من العوامل المؤدية إلى رفع معدلات الطلاق، حيث أشار بعض القضاة في محكمة المرج إلى أن التعديل الذي طرأ على القانون رقم (10 لسنة 1984) بشأن أحكام الزواج والطلاق وآثارهما قد ساهم إلى حد ما في وقوع العديد من حالات الطلاق. فالمادة رقم (13) من القانون رقم (10 لسنة 1984) تنص على ضرورة أن يأخذ الزوج الإذن من المحكمة عند رغبته في الزواج من امرأة ثانية، ثم شدد القانون في فرض هذا القيد، وتدخل المشرع ودعم المادة (13) بالقانون رقم 022 لسنة 1991م) واشترط في تعدد الزوجات الحصول على موافقة كتابية رسمية من الزوجة التي في عصمته، أو صدور إذن المحكمة بذلك، ثم فرض المشرع قيوداً أخرى على التعدد، حيث عدل القانون رقم (22) لسنة 1991 بالمادة الأولى من القانون رقم (9) لسنة 1423، والذي ينص على أنه لا يجوز للرجل أن يتزوج بامرأة أخرى إلا إذا وجدت أسباب جدية و بتوافر شرطين هما :

- موافقة الزوجة في عصمته أمام محكمة جزئية مختصة.

- صدور حكم بالموافقة من المحكمة الجزئية المختصة في دعوى تختصم فيها الزوجة.

ويترتب على عدم مراعاة أحد هذين الشرطين بطلان الزواج، وللمرأة الأولى أن تتقدم بدعوى شفوية أو كتابية ترفعها لطلب تطليق الزوجة الثانية لأقرب محكمة.

وتقول الأستاذة / (سالمة عبد الكريم محمود محامية وقاضية سابقة في محكمة المرج) أن تطبيق هذا القانون على أرض الواقع تسبب في الواقع في أضرار عديدة لأن الزوج إذا لم يتحصل على إذن بالموافقة من زوجته الأولى أو من المحكمة فإنه يقوم بتطليق الزوجة الأولى بالإرادة المنفردة ضارباً بالقانون – الذي فرض عليه القيد – عرض الحائط، وهنا تتكبد الزوجة الأولى المشاق إلى جانب الآلام النفسية لكي تحصل على حقوقها مقابل الطلاق.

ومما يزيد الأمر تعقيداً أن هناك ضرر يلحق أيضاً بالزوجة الثانية فالزوجة التي يتزوج عليها زوجها بدون إذن منها يعطيها القانون حق رفع دعوى بطلان عقد الزواج الثاني أي تطليق الزوجة الثانية، ويصبح الضرر أكبر إن نتج عن الزواج الثاني أطفال، فما هو مصيرهم إذا حكم ببطلان الزواج أو حكم بتطليق الزوجة الثانية؟

في ضوء النتائج السابق ذكرها تقترح الباحثة مجموعة من التوصيات لعلها تساعد على حل مشكلة الطلاق الآخذة في التفاقم، وهي :

1. مساعدة الشباب المقدمين على الزواج وذلك بتوفير مساكن شعبية تسدد أقساطها بشكل مريح لأن توفر السكن المستقل يجنب الزوجين العديد من المشكلات الاجتماعية التي قد تؤدي إلى الطلاق في أحيان كثيرة.
2. عدم التسرع في إنهاء إجراءات الطلاق، حيث ينبغي على القاضي أن يتأكد من أن الزوجين قد استنفدا كل فرص التصالح، إضافة إلى التأكيد على دور الحكم في حل الخلافات التي تنشب بين الزوجين.
3. التأكد على ضرورة إنشاء مراكز الإصلاح الأسري داخل المحاكم الشرعية، والاستعانة برجال الدين والمختصين في مجالات الإصلاح الأسري، إضافة إلى ضرورة تأهيل القضاة الشرعيين اجتماعياً ونفسياً وتوعويا للتعامل مع قضايا الطلاق والخلافات الزوجية من منطلق إصلاحي.
4. أهمية نشر ثقافة المعاملة الحسنة ضمن نطاق الأسرة، وذلك من خلال توظيف مختلف وسائل الإعلام، والمناهج التربوية، إضافة إلى ضرورة إقامة دورات تدريبية للمقدمين على الزواج لتبصيرهم بالحياة الزوجية ومتطلباتها، مع ضرورة مساندة الشباب على تجاوز الأزمات المالية المؤدية إلى انهيار الأسرة، وذلك عن طريق إنشاء جمعيات وصناديق خاصة بدعم الشباب.

قائمة المراجع

1. محمد بن إبراهيم الشيخ وآخرون، فتاوي المرأة المسلمة، الجزء الأول والثاني، دار ابن حزم، الرياض، الطبعة الأولى، عام 2001، ص 739.

2. محمد سليمان فتاح، الطلاق في المجتمع الليبي، دارسة ميدانية عن ظاهرة الطلاق في الجبل الأخضر، منشورات مركز البحوث، بنغازي، عام 1981م.

- Guest ,Philip (Marital Dissolution &Development in Indonesia) Joumal of comparative family studies.1992.pp95-113

-Liao ,cailian &Heaton,Tim,(Divorce trends & Defferentials in china Joumal of comparative family studies , 1992.pp 413-429

-http://www. Kwse.info\for wm\show thread.php?t=2208

-http://www. Harb 3.mak toob. Com\ vb\rab 238743.
-http://www.lahaon line. Com\index.php?option=contion&task= viewsio

http://www.iahaonline.com\Index.php?option=content&task=view8sectionid=1&id=5262
-http://www.kwse.info\forum\show thread.php?=2208

-http://www.aman Jordan.org\a-news\ w mview.php?ArtiD= 9546

-http: \\www. Kenanaonline. Com \ ws \ motolove \ 610g \ 4863 \ page \ 3 motolove

-http://www.Kune.net.Kw\ News\ Agencies Public Site\ Article Details. Aspx?.
http: \\www.grenc . com\show – article – main. Cfm ?id =955

-http: \\www. Awan . com\ node\ 171875

-http: \\ www.aman Jordan .org\ auabic. News\ wmview. Php Art I=969714

-http:// www.ashargalwsat. Com \ details. Asp? Section=181ssueno=
9961&article=351769**.**

(فَاعِ لاَ تُنْ) و(مُسْ تَفْعِ لُن)

تفعيلتان مفروقتا الوتد مرفوضتان!

(دراسة في علم العَروض العربي)

الدكتوره هنية علي يوسف الكاديكي

قسم اللغة العربيه- جامعة بنغازي

قد جعل الخليل بن أحمد الفراهيدي تقسيمه للبحور الشعرية داخل الدائرة العَروضية ــ وقد جعلها خمس دوائر تضمّنها علم العَروض الذي وضعه في العربية ــ يقوم على الأوتاد والأسباب ؛ فرأينا نوعين من الأسباب : السبب الخفيف والسبب الثقيل، ورأينا نوعين من الأوتاد : الوتد المجموع والوتد المفروق ، وأن الوتد المجموع عبارة عن مجموع ثلاثة أحرف ؛ اثنان متحركان وثالثهما ساكن[i] مثل (عِلُنْ)، أي عبارة عن مقطع قصير يليه مقطع طويل بحسب نظام المقاطع[ii](ب ــــ)، وأن الوتد المفروق عبارة عن مجموع ثلاثة أحرف ؛ متحركان يتوسطهما حرف ثالث ساكن ، وقد عبّر الدماميني عنه بقوله : "سُمِّي وتداً مفروقاً لِفَرْق الساكن بين متحركيه"[iii] مثل (لاتُ)، أي عبارة عن مقطع طويل يليه مقطع قصير بنظام المقاطع (ــــ ب). وجعل الخليل أربعاً من دوائره الخمس تقوم على الأوتاد المجموعة ، بينما جعل دائرة المشتبه وحدها كل بحر من بحورها فيه وتد مفروق ليبرر الدماميني ذلك بقوله :

"والمجموع أشرف من المفروق لقوّته ؛ ولهذا لم يأت إلاَّ في دائرة المشتبه وحدها ، والمجموع أتى في الدوائر كلها"[iv].

بل هناك من ظن أن يكون الخليل نفسه عندما سمَّى دائرة السريع دائرة المشتبه قد شكَّ أو اشتبه في أوتادها أهي مفروقة أم مجموعة ، معلّلاً لتسميتها بهذا الاسم "لاشتباه أبحرها ، حكى ابن القطاع أن فحول الشعراء غلطوا في بحورها فأدخلوا بعضها على بعض في القصيدة الواحدة توهُّماً منهم أنه بحر واحد ، منهم المهلهل ومرقش وعبيد ابن الأبرص"[v].

وقد أورد المحلّي والإسناوي صراحةً أن هذه الدائرة سميت باسمها "لاشتباه ما وقع فيها على (مستفع لن) و(فاع لا تن) الْمَفْرُوقَي الوتد بالْمَجْمُوعَي الوتد "[vi].

فالوتد في هذه الدائرة جعله الخليل مفروقاً في جميع بحورها ؛ فهو في أول التفعيلة على هيأة (فاعِ لا تن[vii](ـــ ب) ـــ ـــ) وذلك في بحر المضارع الذي قاسه على : (مفا عيلُ فاعِ لا تن) مرتين ، وهو في وسطها على هيأة (مُسْ تفع لن = ـــ ـــ (ـــ ب) ـــ)[viii] وذلك في بحر الخفيف الذي قاسه على (فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن) مرتين ، وفي بحر المجتث الذي قاسه على (مستفع لن فاعلن) مرتين ، وهو في آخر التفعيلة على هيأة (مف عو لا تُ ـــ ـــ (ـــ ب)) وذلك في بحر السريع الذي قاسه على (مستفعلن مستفعلن مف عو لاتُ) مرتين ، وفي بحر المنسرح الذي قاسه على (مستفعلن مف عو لاتُ مستفعلن) مرتين، وفي بحر المقتضب الذي قاسه على (مفعولاتُ مستفعلن) مرتين.

وقد أنكر الجوهري تفعيلة (مفعولاتُ) لأنها ليست جزءاً صحيحاً "على ما يقوله الخليل وإنما هو منقول من (مستفعلن) مفروق الوتد ؛ لأنه لو كان جزءاً صحيحاً لتركّب من مفرده بحر كما تركّب من سائر الأجزاء"[ix]، وهذا يعني أنه قد اعترف بالوتد المفروق زحافاً من زحافات الرجز عندما عبّر عنه بالْفَرْق في قوله :"زحاف[x] الرجز ستة : الخبن والطّيّ والخبل والقطع والفرق والوقف وهو ما يسكّن آخره مما يحذف للزحاف"[xi]، ولكنه لم يذكر التفاعيل التي وقع فيها عندما ذكر الأجزاء التي يقطّع عليها الشعر فهي عنده "سبعة ؛ اثنان منها خماسيان وهما فعولن وفاعلن ، وخمسة سُباعيات وهن : مفاعيلن ، فاعلاتن ، مستفعلن ، مفاعلتن ، متفاعلن "[xii].

وقد أهمل ابن القطّاع تفعيلتي (فاع لا تن ومس تفع لن) المشتملتين على الوتد المفروق مع إثباته لـ(مفعولاتُ)؛ وذلك عندما قال :" وأجزاء التقطيع ثمانية : جزءان خماسيان وستة سباعية وهي : فعولن ، فاعلن ، مفاعيلن ، فاعلاتن ، مستفعلن، مفاعلتن، متفاعلن ، مفعولاتُ "[xiii]، فعلّق محقق البارع على هذا القول بقوله :" أهمل ابن القطاع جزءين مهمين مع معرفته بهما ، ونقده للخليل في إهمالهما[xiv] في ص10 ، نسخة (أ) من هذا الكتاب ـــ المخطوط ـــ وهما (مستفع لن و فاع لا تن) والفرق بينهما وبين (مستفعلن) و(فاعلاتن) فرق كبير وواضح"[xv]، وذلك عندما اشتبه الوتد المفروق على الخليل في هذا المكان[xvi] فزعم أن هذا الضرب مقطوع وليس كذلك ؛ لأن القطع لا يكون إلاَّ في

وتد ، ولا وتد ها هنا ، إنما هو سبب لأن وتد (مستفعلن) هـا هنـا مفـروق (في هـذا المكـان قبـل سـببه)"[xvii]، ذكر هذا عقب البيت :

كُلُّ خَطْبٍ مَا لَمْ تَكُو نُـوا غَضِـبْـتُـمْ يَسِـيـرُ

كُلْلُ خَطْبِنْ مَا لَمْ تَكُو نُـوا غَضِبْتُـمْ يَـسِيـرُو

فـاعـلاتـن مستفـعلـن فـاعـلاتـن فـعـولـن

فقد اعتبر الخليل هذا الضرب مقطوعاً ، وهو عند ابن القطاع مجزوء مقصور مخبـون، والحـقّ مـع ابـن القطـاع لأن هذا الضرب (مستفع لن) وهو كما عندي آخره سبب خفيف والقطع لا يكون إلاَّ في وتد"[xviii].

وقد التمس الدماميني للخليل العذر في هذا الغلط بقوله :" وقد وقـع لبعضـهم التعـبير هنـا بـالقطع وهو سهو !"[xix].

ووقع ابن القطاع نفسه في اللبس عندما قطّع البيت على الخفيف :

لَيْتَ شِعْرِي بَلْ لَيْتَ هَلْ آتِيَنْهُمْ أَمْ يَحُولَنْ مِنْ دُونِ ذَاكَ الرَّدَى

على هذه الصورة :

لَيْتَ شِعْرِي ــ بَلْ لَيْتَهَلْ ــ آتِيَنْهُمْ أَمْ يَحُولَنْ ــ مِنْ دُونِذَاكَرْرَدَى

فـاعلاتن ــ مستفع لن ــ فاعلاتن فـاعلاتن ــ مستفعلن ــ فاعلن[xx]

فجعل التفعيلـة الثانيـة في الصـدر (مسـتفع لـن) والتفعيلـة الثانيـة في عجـز البيـت نفسـه (مستفعلن) فعلّق محقق البارع بالخصوص بقوله :" على هـامش النسـخة (أ) ص20 مـن المخطـوط كـلام قيّم نصه كالآتي : كان على المؤلف أن يذكر (فاع لا تـن) و(مسـتفع لـن) ذات الأوتـاد المفروقـة عنـد ذكر أجزاء التفعيلة أو يسكت عن تغليط الخليل ، وكان عمله أن يـذكر البحـور الـتي يقعـان فيهـا ، وكـان عليه أن يذكر العلة التي أوجبت الحكم أن يكون الوتد فيهما مفروقاً في بعـض الأشـطار ، إلاَّ أنـه قـد أوحـى إلى العلة في (مستفع لن) وهي أنه لا يقع فيه الطّيّ "[xxi].

كما أورد ابن القطاع بحر المضارع على :

مفـاعيـلُ فاعـلاتـن مفـاعيـلُ فاعـلاتـن

عند تقطيعه للبيت :

فَإِنْ تَدْنُ مِنـْهُ شِـبـْراً يـُقـَرِّبـْكَ مِنـْهُ بـَاعَا

فقطّعه هكذا :

فَإِنْ تَدْنُ | مِنْهُ شِبْرَنْ يُقَــرْبِكَ | مِنْهُ بَــاعَا

مفاعيــلُ | فاعــلاتــن مفــاعيــلُ | فاعلاتن[xxii]

فعلّق المحقق على ذلك بعدما قام بتصــحيح (فــاعلاتن) إلى (فــاعِ لا تــن) بقولــه: "فــاعلاتن في النسخة أ و ب . وهذا مما أخطأ فيه ابن القطّاع لأنه لو كان (فــاعلاتن) لَمَــا جــاز فيــه القــبض"[xxiii]. وإن كان ابن القطاع في نهاية باب المضارع قد أورد أنــه "ولا يجــوز في عروضــه الخــبن ولا القــبض ولا المعاقبــة بينهما لأنه وتد مفروق"[xxiv]. فقام المحقق بالتعليق على ذلك بقوله :" هذا دليــل علــى معرفــة ابــن القطّــاع بأن (فاعلاتن) في هذا البحر هي (فاع لا تن)، أي أن وتدها مفروق ، وعلــى هــذا قمــت بتصــحيح كتابــة التفعيلة لأنها وردت (فاعلاتن)"[xxv].

ولعلّ المحقق هو الذي أوقع نفسه في العنت عندما شكّ في مــدى معرفــة ابــن القطّــاع لنــوع الوتــد أهو مجموع أم مفروق ، وقد وجد ما يُبعد عنه هذا الشك في الباب نفســه، وهــذا إنمــا يــدل علــى أن ابــن القطاع كغيره من العلماء القدامى لم يكن يقوم بنسخ كتبه بل هنــاك مــن كــان يقــوم عنــه بهــذا العــبء ، وبذلك يتحمل الناسخ وزر أخطاء نســخه لا المؤلــف! بالإضــافة إلى أن الخليــل نفســه قــد وقــع في هــذا اللبس![xxvi].

وقد وقع للمحقق نفسه هذا اللبس عندما قطّع البيت التالي على المجتث :

وَلَوْ عُلِــقْتَ سُلَــيْمَــى عَلِمْتَ أَنْ سَتَــمُــوتُ

على هذه الشاكلة :

وَلَوْ عــلُــقْ | تَسُلَــيْمَــا عَلِمْتَ أَنْ | سَتَمُــوتُو

o/o/// | o//o//o/o/// | o//o//

مفــاعــلــن | فعــلاتــن مفــاعــلــن | فعــلاتــن [xxvii]

وقياس المجتث على :(مستفع لن فاعلاتن) مرتين ، أي بتفعيلــة أولى مفروقــة الوتــد ولكنــه عاملــها على أنها مجموعة الوتد عندما خُبنت تفاعيل البيت فكتب التفعيلة بعد التقطيــع علــى أنهــا (مفــاعلن //o//o) وليست (مُ تَفْعِ لُنْ //o//o).

أما أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي صاحب كتاب (الجامع في العروض والقوافي) فقد أورد مقاييس دائرة المشتبه كما ترد في الواقع الشعري ؛ فجاء السريع عنده على :

1 ــ مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلانْ

2 ــ مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فاعلن

3 ــ مستفعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن مستفعلن فَعْلن

4 ــ مستفعلن مستفعلن فَعِلن مستفعلن مستفعلن فَعِلُن

5 ــ مستفعلن مستفعلن مفعولانْ وهو المشطور .

6 ــ مستفعلن مستفعلن مفعولن وهو المشطور أيضاً [xxviii]

وليس هناك من ذِكْر لـ(مفعولاتُ) التي أوردها الخليل في مقياس السريع إلاَّ عند ذكر الزحاف ؛ فذكر أنه في السريع "المكشوف وهو فاعلن في العروض الأولى كان أصله (مفعولاتُ) فحُذفت الواو ، فصار (مَفْعُلاتُ) ثم حُذفت التاء فصار (مَفْعُلا) فنُقل إلى (فاعلن)، وهو مطوي مكشوف"[xxix]. وكذلك الحال بالنسبة إلى الموقوف فلا ذِكْرَ للوتد المفروق صراحةً .

والمنسرح عنده جاء على :

1 ــ مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ مفتعلن

2 ــ مستفعلن مفعولانْ

3 ــ مستفعلن مفعولن [xxx]

و(مفعولاتُ) عنده "يجوز سقوط فائها حتى تصير (معولاتُ) فتنقل إلى (مفاعيلُ) وذلك المخبون ، ويجوز سقوط واوها حتى تصير (مَفْعُلاتُ) فتنتقل إلى (فاعلاتُ) وذلك المطوي ، ويجوز سقوطهما جميعاً حتى تصير (فَعِلاتُ) وذلك المخبول و(مفعولانْ) و(مفعولن) يجوز سقوط فائهما حتى يصيرا (فعولانْ) و(فعولن) وذلك المخبون..." [xxxi]. وهو هنا أيضاً لم يذكر المفروق صراحةً.

وقد تصدّى الدكتور محمد العَلمي للدفاع عن إيراد الخليل صورتين لكل من تفعيلتي (مستفعلن) و(فاعلاتن)؛ فهما تارة مفروقتا الوتد وتارة أخرى مجموعتا الوتد؛ فعندما وصف الدكتور إبراهيم أنيس هذا العمل بأنه غير مؤسس على الأسس العلمية من الناحية الصوتية[xxxii]، ردَّ عليه مستنكراً [ولست أدري كيف غاب عنه أن الخليل لا يقصد بالتمييز بين (مستفع لن) و(مستفعلن) وبين (فاع لا تن) و(فاعلاتن) تفريقاً بين الأسس الصوتية المجردة في الصورتين بل تفريقاً بين الأسس الصوتية الإيقاعية بصفة خاصة؛ فتقسيم (فاعلاتن) إلى صورتين ، و(مستفعلن) إلى صورتين كذلك ذو أساس وظيفي إيقاعي. ويعكس اختلاف الأساس الإيقاعي بين الصورتين في كل تفعيلة أن (مستفعلن) تتكون من سببين خفيفين "يجوز حذف أحد ساكنيهما أو هما معاً" ووتد مجموع "لا يجوز أن يُمس بتغيير إلاَّ في العروض والضرب" فبينما (مستفع لن) تتكون من سبب خفيف "يجوز حذف

ثانيه" ووتد مفروق "لا يجوز أن يُمس ثانيه الساكن أبداً ، وسبب خفيف يجوز حذف ثانيه"، وما قيل عن الفرق بين هاتين يقال في الأخريين بما يناسب وضعهما الإيقاعي ووضع مكوناهما][xxxiii].

ولكن بعضاً من (العروضيين) المحدثين لا يعترف بخصوصية الوتد المفروق ــ في البحر المضارع خاصة ــ إذ يدخل فيه الخبن ، كما أن بعض الزحاف والعلل الأخرى تؤثر على هذا الوتد[xxxiv].

كما يرى الدكتور سيد البحراوي في وجهة نظر بعض المحدثين بعض الصحة ــ فمنهم "من ينكر وجود الوتد المفروق أصلاً ، ويعتبر أن الخليل قد اخترعه هو والسبب الثقيل (ردّاً منه على مخالفة التركيب الطبيعي لهذه البحور لشرطه الوزني المركزي الذي يبدو أنه استقاه من تركيب عدد من البحور الرئيسية في الشعر العربي بينها الطويل والبسيط)" [xxxv]. ومنهم من يذهب إلى أنه لا فرق بين (مستفعلن) ذات الوتد المجموع وبين (مستفع لن) ذات الوتد المفروق عندما نحللهما صوتياً[xxxvi]ــ فينبري الدكتور سيد البحراوي مناقشاً ومرجّحاً بقوله :" لا فارق على المستوى الكمي بين الوتد المجموع وبين الوتد المفروق مجردين ، فالأول يتكون من مقطع قصير ومقطع طويل ، والثاني يتكون من مقطع طويل ثم مقطع قصير ، أي أن الفارق ليس في الكم وإنما في ترتيب المقاطع ، وهذا الفارق وإن كان هامّاً فهو لا يؤثر تأثيراً فعلياً في حالة دخول الوتد في سياق يندمج فيه، إذ في هذه الحالة يصبح التكوين المقطعي واحداً في (مستفعلن) و(مستفع لن) (ـــ ـــ ـــ ب ـــ ـــ) وفي (فاع لا تن) و(فاعلاتن) (ـــ ب ـــ ـــ) ولا يبقى متميزاً سوى تفعيلة (مفعولاتُ) حيث يظل تركيبها المقطعي مختلفاً عن مثيلاتها ذات الوتد المجموع والتي يمكن أن تكون (مستفعلن) الأولى (ـــ ـــ ـــ ب) والثانية (ـــ ب ـــ). ومن ثَمّ فإن التفرقة بين حالتي (مستفع لن) و(فاع لا تن) تبدو تفرقة مصطنعة!" [xxxvii].

ومنهم من يشير إلى ضرورة التفريق بين ذات الوتد المجموع وأختها ذات الوتد المفروق صناعةً ؛ بمعنى أنه "يجب صِنَاعةً على قارئ التفاعيل أن يقف وقفةً لطيفة على آخر الوتد المفروق ليعلم السامع من أول الأمر أن هذا الجزء هو ذو الوتد المفروق بخلاف ذي الوتد المجموع فلا يقف في أثناء النطق به ليعلم السامع أنه ذو الوتد المجموع"[xxxviii]. ليعلّق الدكتور البحراوي على هذه الوقفة أو السكتة بأنها أمر مقصود يتعلق بالقارئ ينبغي أن يمارسه في أثناء قراءته للتفاعيل ، وليس بالتكوين الفعلي للوتد[xxxix]. ليخلص إلى أن الوتد المفروق في الواقع الشعري موجود بقلّة في أوزان دائرته "فإذا أضفنا إلى هذه القلة احتمالات وضع العروضيين للشواهد ، زادت نسبة الشك في حقيقة وجوده إلى الدرجة التي تجعله وحدة أساسية من وحدات العروض العربي"[xl].

ويفعل الدكتور علي يونس الفعل نفسه بالنسبة إلى تفعيلتي الوتد المفروق حين يرى في إضافتهما إلى التفاعيل الأساسية أمراً لا يغيّر شيئاً "لأنهما لا تختلفان مقطعياً عن (مستفعلن) و(فاعلاتن)"[xli]. ويعلّق على جَعْل العروضيين الوحدة (مستفعلن) في بحري الخفيف والمجتث مغايرة لها في بحر الرجز ؛ فهم "لا يقسمونها إلى سببين ووتد مجموع ، بل يجعلونها سبباً يليه وتد مفروق (ـــ ب) يليه سبب ، ويكتبها بعضهم (مستفعلن) ويكتبها البعض الآخر (مستفع لن)"[xlii]، مُفَسِّراً ذلك "بأن المقطع الطويل المسبوق

بمقطع قصير في هذه التفعيلة تجوز مزاحفته تبعاً لقواعد العروضيين ، ولكن مزاحفة هذا المقطع ــ فيما يعلم الدكتور يونس[xliii] ــ لا ترد إلاَّ في أمثلة العروضيين ولو وردت في غيرها فهي من الشذوذ بحيث لا يقاس عليها "[xliv]، لافتاً النظر إلى أنه قد اختار خمس قصائد على وزن : فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ــ مرتين، وهو أحد أوزان الخفيف وأحصى في كل قصيدة مرّات ورود الصورتين (مستفعلن) و(مُتَفعلن) أو كما يفضّل بعض العروضيين (مستفع لن) و(مُ تفع لن)[xlv]، فوجد أنها "تدل على ذلك إلى حدّ ما ؛ فليس بها تفعيلة واحدة على وزن (مستفعلْ) وذكر الأخفش في كتابه العروض ص155 أن (مستفعلْ) لم ترد في الخفيف إلاَّ في شعر لابن قيس الرقيّات"[xlvi].

أما تفعيلة (فاعلاتن) فيعلّق عليها عندما تستعمل في المضارع بأن "العروضيين يعدّونها وتداً مفروقاً (ـــــ ب) يليه سببان ويكتبها بعضهم (فاع لا تن) أي أن المقطع الطويل الثاني ليس جزءاً من وتد مجموع بل هو سبب خفيف ، ومع ذلك فالعروضيون ــ فيما يعلم ــ لا يذكرون مزاحفة هذا السبب"[xlvii].

ولا يترك الأمر على عواهنه بل يخلص إلى أنه "لا ضرورة لافتراض الوتد المفروق"[xlviii] في الخفيف والمجتث والمنسرح والمقتضب والمضارع ؛ لأنه "في كثير من الحالات تمتنع مزاحفة السبب دون أن يكون جزءاً من وتد ، ثم إن التتابع المكوّن من مقطع طويل يليه مقطع قصير يوجد في أكثر التفاعيل ولكنه لا يُعدّ وتداً مفروقاً إلاَّ في هذه الحالات الثلاث[xlix]"[l].

أما الشيخ عزّ الدين التنوخي فيلفت النظر إلى عدم وجود الوتد المفروق بقوله: "فكان من الأَوْلى أن تكتب العين من (مستفع لن) متصلة ، فيكون الوتد مجموعاً لا مفروقاً"[li]، وينبّه على أن التكهن بتمام بحور لم يرد الشعر عليها إلاَّ مجزوءاً وأن مسألة تفريق الأوتاد وهي في الحقيقة مجموعة إنما هي أمور من فعل دوائر الخليل ليس إلاَّ! [lii].

ولكن الشيخ جلال الحنفي يبدو أكثر حدّة ورفضاً لفكرة الوتد المفروق ؛ وذلك عندما يعترض على ورود تفعيلة (مستفعلن) في المجتثّ على هيأة (مستفع لن) ... وهي تكرار لتفعيلة (مستفعلن) قائلاً :"لسنا بحاجة إليها بهيأتها هذه ، وإن كان العروضيون قد استخدموها في أغراض تتلاءم ونظام عروضهم القديم"[liii]. ثم يبني البحر المجتثّ على (مستفعلن فاعلاتن) مرتين المجموعة الوتد ، مبرّراً ذلك بأن "الحقيقة الظاهرة أن المجتث من الأصول وليس من الفروع وذلك أنه يتكون من تفعيلتين هما (مستفعلن) و(فاعلاتن)، وهاتان التفعيلتان موجودتان في الأرجاز والأرمال ، ومن الخلط بينهما نشأ المجتث ، و...، ولا عبرة بما يميل إليه العروضيون من كتابة هذه التفعيلة على هيأة (مستفع لن)" [liv].

كما يبني البحر الخفيف على :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن ــ مرتين[lv]. ويعترض على كتابة (فاعلاتن) على هيأة (فاع لا تن) بقوله :" ليس عندنا من التفاعيل ما يُكتب (فاعِ لا تن) وإنما عندنا ما يكتب (فاعلاتن)، ولا نجد

ضرورة لهذا التقسيم ، وكذلك فعلنا في (مستفعلن) التي لا نرى لها من ضرورة مادامت العين لا تُلفظ ساكنة"[lvi].

ويتكرر سؤال قديم حديث مفاده "إذا كان الخليل قد قدّم لوصف نظامه عشر تفعيلات (أصلية)؛ فلماذا لا توجد بحور صافية إلاَّ لسبع منها فقط ؟"[lvii]، بمعنى لماذا لا يوجد بحر على هيأة :

(فاع لا تن ، فاع لا تن ، فاع لا تن) مرتين ؟ وآخر على هيأة :

(مستفع لن ، مستفع لن ، مستفع لن) مرتين ؟ وثالث على هيأة :

(مفعولاتُ ، مفعولاتُ ، مفعولاتُ) مرتين ؟

وقد تولّى الإجابة على هذا السؤال الْمَحَلِّيّ صاحب (شفاء الغليل) بقوله: "وأما (فاع لا تن) المفروق الوتد فلم يديروه منفرداً استغناءً عنه بالرمل ، وعن فرعه الثاني بالرجز ، وأما فرعه الأول فكان يكون مهملاً"[lviii]. وهذا يعني أن لا وتد مفروق .

كما يتكرر سؤال آخر مفاده :

"إذا كانت هناك في نظام الخليل تفعيلة مثل (فاع لا تن) فلماذا لا توجد أيضاً التفعيلة (فاع لن)؟" [lix]، ليتولى صاحب العيون الغامزة الإجابة مكرراً السؤال ذاته بقوله :" فإن قلتَ لِمَ لا يجوز أن يكون (فاعلن) مركباً من وتد مفروق وهو (فاع) فسبب خفيف وهو (لن)، فلا يكون على هذا التقدير فرعاً عن هذا الأصل كما ادَّعَوْه؟ قلتُ : (فاعلن) حيث وقع يجوز حذف ألفه زحافاً وهو المسمّى عندهم بالخبن ، فلزم أن يكون ثاني سبب وهو محلّ الزحاف ، ولو كان ثاني وتد مفروق كما توّهّمتَه لامتنع حذفه لأن ثاني الوتد لا يُزَاحَف"[lx].

وعلى كل هذا فالتفاعيل ــ عندي ــ التي يقطّع عليها الشعر العربي خمسٌ فقط، اثنتان صُغريان هما :(فعولن وفاعلن) وثلاث كُبرى هي : (مفاعي لن وفاعلاتن ومس تف علن)[lxi].

أهمية الاكتشاف والتدخل المبكر وآثارهما الإيجابية على تنمية مهارات الطفل التوحدي

الدكتور مصطفى مفتاح الشقماني

قسم علم النفس – جامعة مصراته

مقدمة الدراسة:

يعتبر اضطراب التوحد من أشد الإعاقات بعد التخلف العقلي ذلك لان هذا الاضطراب يصيب الأطفال قبل الثالثة عمراً ، وتصل نسبة حالات التوحد التي تبقى دون تحسن 70% حتى مرحلة الرشد والشيخوخة ، كذلك فإنهم يظلون في حاجة إلى رعاية كاملة في المترل أو في مراكز متخصصة بعد ذلك . " ويرجع عدم الوصول إلى علاج طبي شافٍ للتوحد إلى عدم الكشف عن العوامل المسببة للإعاقة على وجه اليقين إلا أن هناك سبب رئيس للإعاقة يكمن في تلف أو قصور عضوي أو وظيفي في المخ "[1].

وفي بحثنا هذا نتحدث عن اضطراب مميز ومشكلٍ عالمي استقطب اهتماماً ملحوظاً من كافة الدوائر والمؤسسات والطبية والنفسية والتربوية على مستوى العالم قاطبة.

وفي ليبيا، وربما في غيرها من البلاد العربية ، كان الإهتمام بإضطراب التوحد اهتماماً متأخراً ، ولم تضع العيادة النفسية ذلك ضمن مفرداتها إلا في العقد الأخير من الزمن ، وكما كان هذا الاضطراب عقدة تشخيصية في جل دول العالم كان الحال في ليبيا أيضاً ، وحتى نتحلى بالأمانة العلمية فإنه لا يمكننا وضع نسبةً محددة للمصابين بهذا الإضطراب في بلادنا ، كما أن التقديرات في هذه الحالة لن تفيد، ومكمن الأمر يرجع إلى عدم وجود إحصائيات دقيقة يمكن الاستناد إليها ، ورغم كل ذلك فإن المراكز النفسية لاسيما الأهلية منها تولي اضطراب التوحد أهميةً خاصة ، ويوماً بعد آخر تتعزز قدراتها في تشخيص وعلاج أعراضه ، وتضع برامجاً إرشادية مرافقة للعلاج الطبي المساعد ، كما أن بعضاً منها تتولى الرعاية اليومية

---

[1] إبراهيم محمود بدر: الطفل التوحدي تشخيصه وعلاجه مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 2004 ص 11

لأطفال التوحد ، وتحظى برضى ذوي أولئك الأطفال على مستوى العلاج النفسي والخدمات الإرشادية التي تقدمها تلك المراكز.

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة من خلال عمل الباحث كمستشارنفسي ومتابع لحالات التوحد ، وقد بلغ عدد الحالات المتابعة (98) حالة تم تشخيصهاعيادياً منذ بداية العام 2010 حتى تاريخ 2010/11/15. ومن خلال الملاحظة والتقييم المستمر- ظهر التحسن جلياً في نمو المهارات لدى هؤلاء الأطفال.

إن خبرتنا مع الطفل التوحدي جعلتنا نقف مندهشين - بين تساؤلات شتى محيرة من جهة وتفاؤل واقعي ايجابي نحو مستقبل هذه الفئة من جهة أخرى ، ومصدر هذا التفاؤل هو التحسن المطرد الذي يظهر تدريجياً على أولئك الأطفال جراء البرامج السلوكية التي نتداولها رغم بساطتها ! ذلك لأننا تابعنا بعضاً من حالات هؤلاء الأطفال منذ نعومة أظفارهم في الثانية عمراً ، وهم الآن بين سن الثامنة والثانية عشر ربيعاً ، ووجدنا أن نتائج العلاج السلوكي كانت مرضية للغاية ، تأتى ذلك من خلال التفهم الكامل لطبيعة هؤلاء الأطفال والتدخل المبكرلتعديل سلوكهم، مما جعلهم أكثر استقلالية ، وتجلت بوادر مشجعة نمت عن إبداعهم في الرسم والموسيقى كما تم دمج بعضهم - ممن تحسنت حالاتهم - في المدارسالعادية فواصلوامسيرتهمبنجاحٍ نسبي، وهكذا فإن اكتشافالاضطراب لايعد كافياً ، كما أن الوقوف على أسبابه لا يعد حلاً ! ... إن الطفل التوحدي في هذه الحالة لهو بأمس الحاجة للتدخل السريع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه قبل استفحال الأعراض وتداعي الشخصية ، .. والأمرهنا يتطلب من الاختصاصي في هذا المجال اتخاذ إجراءاته العاجلة أولاً بأول وفقاً لما يتاح له من أدوات ، ولا شك أن ذلك يعني استخداماً لبرامج محددة مدروسة تعالج الأعراض كلٍ على حدة ، وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأمر قد يستعصي على الاختصاصي قبل استقراره على تشخيص التوحد ، ذلك لأنه متلازمة بها أعراض شديدة التداخل والتعقيد تتشابك مع أعراض نفسية وطبية أخرى يصعب الفصل بينها، وهنا تكمن أهمية المراس والخبرة الذين اكتسبهما المعالج خلال مسيرته العملية ، فهو سيواجه كماً كبيراً من المظاهر الخادعة لأعراضالإعاقة الذهنية أوالسمعية أو أعراض متلازمات طبية أخرى على سبيل المثال ، ويزيد الحال سوءاً أن عدم دراية الأسرة بماهية ذاك الإضطراب تفاقم المشكلةوتجعل أفرادها يضربون طوقاً من العزلة والخجل الإجتماعي على طفلهم وعلىذواتهم أيضاً ، فلا هم بحالهم،ولاهم بحالة طفلهم الذي يحتاج لرعايةٍ منظمةوفقبرنامج علمي دقيق تراعى فيه الأولويات العلاجية والإرشادات الموضوعةمن قبلالاختصاصي النفسي.

وتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1. ما الأعراض المبكرة للطفل التوحدي؟
2. ما الآثار الإيجابية للاكتشاف والتدخل المبكر للطفل التوحدي؟

أهمية الدراسة:

تتحدد أهمية الدراسة فيما يلي:

1. تناول الدراسة لموضوعتشخيص الطفل التوحدي مبكراً ، ذلك لأهمية هذا التشخيص في مستقبل حياة الطفل وعلاجه .

2. حدوث طفرة كبيرة في أعداد الأطفال التوحديين .

3. محاولة البحث عن آليات جديدة تمكنمنتتبعالتطورالمرضي للطفل التوحدي وفقاً لقاعدة بياناتمنظمةيمكن للمعالجينالنفسيين التدرج معهافي متابعة الأعراض إضافة إلى مواكبتها بالعلاج وفقاً لبرامج متسلسلة تعد لهذا الغرض.

أهداف الدراسة:

تحدد أهداف الدراسة فيما يلي:

التقييم الشامللطفل التوحديمن خلال فريق متعدد التخصصات .

التعرف على نقاطالقوة والضعف لدى الطفل التوحدي في سنٍ مبكرة .

إبرازالاتجاهاتالحديثة فيتشخيص وتقييم اضطراب التوحد مبكراً.

التعرفعلىدورالإرشاد النفسي الأسريفي مساعدة وتدريبالأسرة على الإكتشاف والتدخل المبكر ، وقيام الأسرة بدورها الأساسي والفعال في هذا المجال.

استجلاء خصوصية التمايزالذي تحظىبه فئة الأطفال التوحديينفي ليبيا عنغيرها من الدول العربية .

مفاهيم الدراسة

يرى عبد الرحمن سليمان (2002) أنه يتعين على من يتصدى لتعريف التوحد أن يشير إلى عدة أمور"

1. أن التوحد هو أحد الاضطرابات الارتقائية (النمائية) المنتشرة .
2. أنه يتميز بنمو أو ارتقاء غير طبيعي يتضح وجوده قبل عمر 3 سنوات .
3. أنه يتميز باضطراب في الاستجابة للمثيرات الحسية.
4. أنه يتميز باضطراب في اللغة والكلام.
5. أنه يتميز بشخصية مغلقة والتفات إلى داخل الذات والإنشغال الكامل بالحاجات والرغبات الخاصة التي تجد الإشباع التام لها على مستوى الخيال.
6. أنه يتميز بأنماط سلوكية مقولبة (نمطية متكررة).
7. أنه يتميز بشذوذ في التفاعل الإجتماعي والتواصل مع الآخرين.

8. أنه نادر الحدوث أو تتراوح نسبة حدوثه ما بين 2-4 في كل عشرة آلاف طفل".1

التوحد: يعرفه زكريا الشربيني بأنه " اضطراب نمائي يعزل به الطفل المصاب عن المجتمع دون شعور المصاب بما يحدث حوله من أحداث في محيط البيئة الاجتماعية فينخرط في مشاعر وأحاسيس وسلوكيات ذات مظاهر تعتبر غير عادية أو شاذة بالنسبة لمن يتعاملون مع الطفل بينما يعايشها الطفل بصفه دائمة مستمرة لأنها الوسيلة الوحيدة التي يعبر بها عن أحاسيسه ومشاعره وبطريقته الخاصة ".2

الإكتشاف المبكر:ونقصد به التعرف على اضطراب التوحد في سن مبكرة.

التدخل المبكر:"عبارة عنمجموعةشاملةمنالخدمات الطبيةوالاجتماعية والتربوية والنفسية تقدم للأطفال دون السنالسادسة الذين يعانون من إعاقة أو تأخر نمائي أو الذين لديهم قابلية للتأخر أو الإعاقة".3

مهارات الطفلالتوحدى:نقصدبها هنا المهارات الاجتماعية ومهاراتالتواصل ومهاراتالعناية بالذاتوالمهارات اللغويةوالمهارات الحركيةومهاراتالتفاعل الاجتماعي بغية الوصول بالطفل التوحدي إلى مستوى متقدم من التوافق والاستقلالية . وهنايجب التنويه إلى معادلة بسيطة، فكماأن الاستعداد الفطري لشيءما موجود لدى الطفل التوحدي كمالدى غيره من الأطفال الأسوياء ،والمهارةهيذروة اتقانه لذلك الشيء،فإنالوصوللتلك المهارةيتأتىببساطةعن طريق تكوين القدرةلدى ذلك الطفلعنطريق البرامج السلوكية واضحة الأهداف.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على الأطفالالمترددينوالمسجلينبمركز " نورالغد " لتدريب وتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة بمصراته – ليبيا ، وكان عددهم عشرة أطفال تراوحت أعمارهم ما بين (2 ــ 6) سنوات وذلك خلال عام 2010م.

فروض الدراسة:

1. توجد فروق دالة احصائياً بين متوسط درجات القياسين القبلي والبعدي في بعد السلوكيات النمطية ولصالح القياس البعدي .

2. توجد فروق دالة احصائياً بين متوسط درجات القياسين القبلي والبعدي فى بعد التواصل ولصالح القياس البعدي.

1- عبد الرحمن سيد سليمان، إعاقة التوحد ، ط2 ، مكتبة زهراء، الشرق القاهرة ، 2002 .

2- سليمان عبد الواحد يوسف: سيكلوجية التوحد (الاوتيزم) الطفل الذاتوى بين الرعاية والتجنب ، المكتبة العصرية للنشر، الطبعة الاولى ، مصر ،2010، ص17

3- خولة احمد يحي: البرامج التربوية للافراد ذوي الحاجات الخاصة - عمان دار المسيرة 2006 ص369.

3. توجد فروق دالة احصائياً بين متوسط درجات القياسين القبلي والبعدي فى بعد التفاعل الاجتماعي لصالح القياس البعدي.

4. توجد فروق دالة احصائياً بين متوسط درجات القياسين القبلي والبعدي في معامل التوحد لصالح القياس البعدى.

الإطار النظري:

التوحد :

إنأول إشارةللتوحدكانعام 1943 عندما نشرليوكانرمقالاً بعنوان اضطراب التواصلالوجدانيالانغلاقي ، وقدوصفبالتفصيل الصفات والخلفيات الأسرية لإثني عشرطفلاًأظهروا زملة تناذر أعراض التوحد الطفولي .

ويذكر وليم خولي في موسوعتهأن ذاتيةأوإنغلاقعن الذات هي كلمة تشير إلى إنغلاق المرء داخل الذات وانطوائه عن ذاته ، وتعديل أفكارهوإدراكاتهوفقاً لحاجاته ورغباته الذاتية بدلاً من أن يكون تفكيره وسلوكه واقعيين وموضوعيين .

وقد ظهر التوحد لأول مرة في دليل التشخيص الإحصائي الثالث للاضطرابات العقلية عام 1980تحت اسم التوحد الطفلي InfantileAutism وقداستبعد هذا المصطلح في دليل التشخيص الإحصائي الثالث DSM-III-R عام 1987، وظهر التوحد باسم AutismDisorder .بمعنى الإضطرابالتوحدي، وظل في الصورة الرابعة لدليل التشخيص الإحصائي بنفس الاسم.

وبحسب التصنيف الدولي العاشر للاضطرابات السلوكيةوالعقلية ICD-10 الصادر عنمنظمةالصحيةالعالمية عام 1992 "فإن اضطرابالتوحدهونوع من الاضطراباتالنمائيةالشاملة–أيأنهذا الإضطرابيؤثر (سلبًا)على عدة مجالات لعمليات التطور ، ويتسم بوجود نمو غير طبيعيأو مختل أو كليهما معاً يصيب الطفل قبل أن الثالثةمن عمره ، كما يتسم أيضا بوجود نوع من الأداء غير السوي فيمجالات ثلاثةهيالتفاعل الاجتماعي والتواصل والسلوك النمطيالمقيد التكراري ويحدث هذا الاضطراب للذكور بمعدل ثلاثة أو أربعة أضعاف معدل حدوثه بين الإناث ،وإضافة إلى ذلك تتسم الحالة أيضا بأنماط منالسلوك والاهتمامات والأنشطة التي تتميز بمحدوديتها وتكرارايتهما ونمطيتها ، وقد تأخذ شكل التصلب والروتين في الأداء اليومي والأنشطة وأنماط اللعب. وكثيراً ما يكون هناك انشغالات نمطية ببعض الاهتمامات إلى جانب أنماط حركيةأو إهتمام خاصبعناصر غير وظيفية فيالأشياء كرائحتها أو ملمسها ، إضافة إلى مقاومة أي تغيير في الروتين أو في البيئة المحيطة"[1].

[1] عادل عبد الله ، الاطفال التوحديون، دار الرشاد، القاهرة، 2002 ف ،ص 32 .

يعرفه كمال دسوقي بأنــه " إهتمــام مرضــيبالنفس مععــدم المبــالاة بالآخرينمنالنــاس والتراجــع إلى الخيالات المرضية ، ويكون تفكير الفردوإدراكه تبعاً لحاجاتهورغباتــه الشخصــيةبغير وجــه حقــوعلى حســاب الحقيقة الموضوعية ، ويشعر المريض باللذة من الخيالات والأوهام"(1) .

ويعرفه عبد العزيز الشخص وعبد السلام عبد الغفار(1992) على أنــه نــوع مــن إضــطرابات النمــو والتطور الشامل بمعنى أنه يؤثر على عمليات النمو بصفة عامــة وفي مجــالات العلاقــات الإجتماعيــة والأنشــطة والنمو اللغوي بصفة خاصة وعادة مايصيب الأطفال في سن 3 سنوات الأول، ومع بدايــة ظهــور اللغــة حيــث يفتقرون إلى الكلام المفهوم ذي المعنى الواضــح كمــا يتصــفون بــالإنطواء علــى أنفســهم وعــدم الإهتمــام بالآخرين وتبلد المشاعر.2

(1) كمال الدسوقي : ذخيرة علوم النفس، الدار الدولية للنشر، القاهرة، 1988، ص 151 .

(2)عبد العزيز الشخص وعبدالسلام عبد الغفار، : قاموس التربية الخاصة وتاهيل غير العاديين، مكتبــة الانجلــو المصــرية، القــاهر ،1992، ص280.

أسباب التوحد:

''يتفق الكثير من الباحثين على أن العوامل المسببة لاضطراب التوحد لم يتم التعرف عليها بشكلٍ كامل أو حتى القطع بواحدٍ منها بعد – هل هي وراثية أم جينية، أم بيئية اجتماعية أو بيوكيميائية ، أم هي لنتائج مسببة أخرى لايزال العلم يجهلها تماماً ، ومن هولاء الباحثين: رمضان القذافي (1994) وعبد الرحمن سليمان (2001) ونورا غالب (2001) وعثمان فراج (2002) ومحمود أبوالعزائم (2003) الذي يذكر أن كثيراً من الدراسات الحديثة تشير إلى وجود عامل جيني ذي تأثير مباشر في الإصابة بإضطراب التوحد ، ويؤكد ذلك حسن مصطفى (2001)، فيذكر أن اضطراب التوحد هو اضطراب سلوكي نمائي، ورغم أن الإضطراب كان يعتبر نفسياً إجتماعياً، وأن له أصل سيكوديناميي إلا أن الكثير من الأدلة قد تراكمت تساند الأساس البيولوجي"1.

كيفية تشخيص هذا الاضطراب:

ويتم تشخيص الذاتويةمن خلال ''الملاحظة الدقيقةعلي الطفل الذاتويوما يظهر عليه من عيوبفيالتفاعلات الاجتماعية والتواصلية والأنشطة ومن خلال هذه العيوب يظهر بوضوح ضعف وتجاوزات في الإبعاد السلوكية الموجودة لديه .(2) إن التقييم الأمثل هو التقويم متعدد التخصصات الذي يشترك فيه عدد من الاختصاصيين من ذوي الخبرات المتنوعة من أجل الحصول على صورة شاملة لمستوى أداء الطفل ، وعلى أقل تقدير ينبغي أن يتكون فريق التقويم من اختصاصي نفسي واختصاصي لغة وتخاطب واختصاصي اجتماعي والوالدين والأخوة وطبيب أعصاب وطبيب نفسي وطبيب أطفال واختصاصي العلاج الطبيعي واختصاصي العلاج الوظيفي واختصاصي السمعيات وطبيب نظر ومعلم تربيةخاصة حسبما تحتاجه الحالة من هذه التخصصات''.3

1. الولادة ظاهرياً تبدو طبيعية،مع نمو طبيعي للحركات الإرادية من 6 – 18 شهراً.

2. يكونمحيط دائرة الرأس طبيعي عند الولادة، لكن يتبعهبطء فينموالرأس ويكون مابين 6 – 48 شهراً .

3. يظهر اختلاف فيمهارات استخدام اليد، ويكونمابين 5– 30 شهراً، ويصاحبها اتصال وظيفي سئ مع انطواءأوعدم تفاعل اجتماعي سليم .

4. يظهر فسادنمو لغوي يشمل الكلام والفهم اللغوي مع تخلف عقلي شديد.

5. افتقاد فيتعلم السلوك النواحي الاجتماعية والمهارات الحركية الإرادية .

1إبراهيم محمود بدر، مرجع السابق، ص ص 32 – 33.

(2) هلا السعيد : مرجع سابق، ص 93 .

(3) هلا السعيد : الطفل الذاتوي بين المعلوم والمجهول دليل الآباء والمتخصصين،القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ،2009 ص96 .

6. تظهرنماذجمعقدة في حركات اليد متمثله في الكتابة، المصافحة، التصفيق، النقر وغيرها من المهارات التي تستخدم فيها اليد .

7. يشخص دائماً بين 2- 5 سنوات.(1)

أهم الاعتبارات التشخيصيةالتييجب مراعاتها عند الطفل التوحدي هي:

* أنيتبنى القائمينعلىعملية التشخيصوالقياس- التوجه المعتمد على أكثرمن تخصصلإنجاز تلك المهمة من خلال فريق تشخيص متعدد التخصصات .

* أن تشملإجراءاتالتشخيص والقياسللأطفال الذاتوينعلى مجالات نمائية ووظيفية متعددة ، وذلك راجعلطبيعةالإعاقة لديهم ، ولهذافإنالوضع يتطلب قياس جوانب متعددة : إدراكية، حسية، سمعية، بصرية، تواصلية، والاداء السلوكي.

* أنيراعيالإختلافبينالمواقف اثناءإجراء التشخيص والقياس حيث تراعى طبيعة الموقفومتطلباتهوالمثيرات المحيطة به ودرجة تنظيمهومدى الألفةله من قبل الأطفال الذاتوينوالأشخاص المتواجدين في ذلك الموقف.

* ضرورة مراعاةالتكييفالوظيفي–ذلك لأن فهم وتفسيرنتائجالقياسللمهارات المختلفةيتطلبربطها بطبيعةومضمونتكييفالطفلمع متطلبات المواقف الحياتية اليومية الحقيقية ، ولهذا يجب على الملاحظ التأكد أن المقياس شامل ومتعمق للسلوك التكيفي للطفل ومدى مقدرته على ترجمة الإمكانيات والقدرات لديه إلى سلوك ثابت ومناسب لتنمية الكفاية الذاتية لديه في المواقف الطبيعية ، وأيضاً على الملاحظمراعاة مدى تأثير نتائج القياس وتصميم برامج التدخل الملائمة له .

* أن يتم اختيار أفضل وسائل التشخيص والقياسبما يتناسب مع خصائص واحتياجات الطفل الفردية، وهذا يرجع للخبرة والمعرفة العلمية ، وعلى الملاحظ تعدد المواقف في تطبيق المهمة للتأكد من المستوى الحقيقي للطفل الذاتوي.

* أن تشارك الأسرة في عملية التقييم، وأن يتم دعمها وتشجيعها لملاحظة الطفل وتقييمه جنبًا إلى جنب مع الفريق المتخصص حيث أن مشاركة الأسرة لها دور كبير في إختصار الوقت والجهد وعلى المتخصصين تفسير النتائج الاختبارات والمقاييس لأسرة الطفل وتخصيص وقت خاص وكافي لمناقشة تلك النتائج"(2).

---

(1) سهي احمد أمين نصر: الاتصال اللغوي لطفل التوحدي التشخيص – البرامج العلاجية، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ،2002 ، ص ص 36 – 37 .

(2) هلا السعيد: مرجع سابق، ص 96

أنواع التوحد:

يصنف فهد بن محمد الملفوت التوحد نقلاً عن محمد خطاب في الفئات الآتية:

1. المجموعة الشاذة: ويظهر أفراد هذه المجموعةعـــدداً أقلمنالخصـــائص التوحديـــة والمســـتوى الأعلـــى من الذكاء.

2. المجموعة التوحدية البسيطة:ويظهرأفراد هـــذه المجموعةمشـــكلات إجتماعيةوحاجـــة قويـــة للأشـــياء والأحداث لتكون روتينية ، كمايعاني أفراد هذه المجموعة أيضاً تخلفاً عقلياً بسيطاً والتزاماً باللغة الوظيفية.

3. المجموعة التوحدية المتوسطة – ويمتاز أفراد هذه المجموعة بالخصائص التالية:

إستجابات إجتماعيةمحـــددةوأنماط شديدةمنالســـلوكياتالنمطية مثـــل (التـــأرجحوالتلويح باليـــد) ولغـــة وظيفية محددة وتخلف عقلي .

4. المجموعة التوحدية الشديدة:وأفرادهذه المجموعـــةمعزولون إجتماعيـــاً، ولاتوجـــد لـــديهم مهـــارات تواصلية وطبقية، ولديهم تخلفعقلي عن المستوى الملحوظ".(1)

(1) فهد بن محمد الملفوت، التوحد – كيف نفهمه ونتعامل معه، إصدارات مؤسسة الملك خالد الخيرية، 2006، ص49.

(ثانياً) الاكتشاف والتدخل المبكر:

يعتبر التشخيص المبكرمن الجوانب الأساسية التي يتوقف عليها العلاج ''ومع ذلك، من الصعبتشخيصالتوحد قبلسن الثالثة لأن السلوكيات التشخيصية وإعاقات التفاعل الاجتماعيوالاتصال لاتتطور بشكل كامل حتى وقت متأخر وهذا لا ينفي إن بوادر هذه السلوكيات قد تظهر1 ''.

أهداف التدخل المبكر:

يهدف التدخلالمبكر إلىتقوية العلاقة بين الطفل ووالديه، وذلك بتنمية مهارات معينة لديهم من خلالتدريبهم والوصول بهم إلى إتقان الآتي:

''- كيف يشعرون براحة مع أطفالهم.

- تنظيم البيت ليصبح أكثر راحة للأطفالوأقل عرضةللمشاكل.

- ممارسة متطلبات البرنامج الخاص بطفلهم في البيت.

- تقبل طفلهم كجزء من أفراد العائلة والاستمتاع معه.

- تنفيذ برنامج التدخلالمبكرفيأي مكان يتواجد فيه الذاتويويجب أن يركز البرنامج بشكل عام على:

* العلاج من خلال اللعب .

* تقليل العزلةالموجودة لديه بإشراكهتدريجياً مع الآخرين.

* تشجيع المهارات والأنشطة الاجتماعية.

* علاج النطق لتحسين التواصل اللغوي.

* العلاج الوظيفي لتطوير المهارات الحسية لدى الطفل.

* التركيز على مساندة الأهل لأنهم جزء من نجاح العلاج.

* التركيز على إشراك الطفل فيأنشطة إجتماعيةصغيرة معأطفال عاديين (الدمج الجزئي)2

أهمية التدخل المبكر:

---

(1) محمد صالح الإمام وفؤاد عيد الجواله : التوحد ونظريات العقل، مكتبة دار الثقافة لتصميم والإنتاج، عمان، الأردن، 2010، ص.

(2)هلا سعيد: مرجع سابق ،ص105.

إنالبدء فيسنٍ مبكرة كما ذكرسابقا مع الطفل الذاتوي "يتيح فرصأفضل لمنع حدوث آثار سلبيةعلى قدرات الطفل في المجالات المختلفة ، ويتيح الفرصللطفل الذاتوي بعملية الاكتساب ، وللآباء بعملية التكييف فقد أثبتت الدراساتإن برنامج التدخل المبكر برنامج علاجي مفيد لكل من الذاتوي وللآباء حيث يتدرب كل منهم كيفيتعاملويتعايش مع الآخر.

كما أن التدخل المبكر مهم لمنع التأخر اللغويولتطوير القدرات العاطفية والاجتماعية والحسية والنفسية لدى الطفل ومساعدته على تنمية جميع أنواع التواصل وهي عناصر بلاشك يحتاجها كل من الطفل وأسرته"1.

ويسهم التدخل المبكر كذلك في تأهيلوتطوير حياة الطفل المصاب بالتوحد، فقد أثبتت الدراسات والتجارب العلميةان "تطور الحالة وتحسنها يكونان أفضل بكثير اذا كان الطفل خاضعاً لبرنامج تعليمي منظم بدرجة عاليةومكثفة عند 2-3 سنوات مما يتيح فرصة أكبرلتطورونموالمخ عندهوإكتساب الخبراتوالتفاعل مع المحيط الذي حوله مما يؤدي إلى تنمية القدرات المعرفية والاجتماعية لديه ، كما أظهرت الدراسات أن التدخل في الوقت المبكر يزيد من فرصتعليم وتأهيل الطفللدخول المرحلة الدراسية العادية وأحياناً يؤهله لإيجادمهنةما - مقارنة بالأطفال الذين لمتتح لهم فرصة التدخل المبكر وفي دراسات أخرى تبين أن الأطفال الذين حصلوا على خدمةالتدخل المبكر قد اظهروا اداءًأكاديمياً وغير أكاديمي - أفضل بالمقارنة مع الأطفال الذين لم يتلقوا هذه الخدمة.وهناك أسبابعديدة تبرز اهمية التدخل المبكرفيعلاج التوحدمنها أنهفي السنوات الأولىمن عمر الطفل تكون بعضالمراكز العصبيةوالحسية في الجهاز العصبيلاتزال فيطور التشكيلبحيث يكونمنالسهل تعديلها وتطويرها ، كذلك فإن عدم الكشف عن المشكلةفي مرحلة مبكرةيؤثرسلباً في مظاهر النموالأخرى لدى الطفل ، فعدم معالجة أنماط السلوكالحركيالشاذ لدى الطفل التوحدىتؤثر سلباً في مظاهر النمو الحركي والمعرفي لديه.2

ومن أفضلالممارسات المطبقة حاليا فى التدخل المبكر:

1. التدخلالمتمركز حول الأسرة وليسذوي الإحتياجاتالتربوية الخاصة .

2. الاعتماد علىالإتجاه البيئي/الوظيفىفي تحديدمحتوياتالمنهجمنخلالتحليل خصائصبيئة الطفل والإبتعاد عن الطرق الجامدة والمنظمة بدرجة عالية .

3. التكامل integrationأي تقديم الخدمات فى البيئات الطبيعية للطفل .

4. تدريب الحالة العامة ، أي تدريب الطفلتعميمالمهارة اثناء إكتسابها.

5. الإعتمادعلى نموذج الفريق (عبر التخصصات).

---

(1) هلا سعيد: المرجع السابق ،ص106

(2) ابراهيم محمود بدر: الطفل التوحدي التشخيص والعلاج ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية، 2004، ص64.

6. تخطيطعملياتالإنتقالوالتحول ، خاصةالإنتقالمنخدمات المستشفى الى خدمات المترل أو مركز رعاية الطفل.(1)

ومن أساسياتالتدخلالمبكرتدريب أطفالالتوحدعلىمهاراتالحياة اليومية في سن مبكرةمثلتعلمعبور الشارع أوالتسوقبدرجةبسيطة، إضافةً إلىتنمية المهارات ذات الصلة بجوانب:التواصل البصرى،تحسنعادات النوم،الإنتباه،التحدث، إستخدام الكلمات فى الأوقاتوالمواقف المناسبة.

وعلى مستوٍ آخر فإن التدخل المبكر يؤدي إلى النواحي الإيجابية التالية:

1. يساهم في تحديد المهارات الاجتماعية ومهارات الإتصال ويتيح الفرصة للتدريب عليها.

2. يشجع كلٍ من الآباء والعائلات على تربية أطفالهم أصحاب التوحد ، والتعامل معهم لتجنب المشكلات التي ترتبط بنمو الطفل والتكلفة الاجتماعية والإنسانية .

3. يمكن الوالدين من ممارسة شئ إيجابي لتربية الأبناء بعيداً عن أي قيود – الأمر الذي يبعد عن الوالدين جوانب النقد الناجمة عن اتباعهم لطرق علاج بدائية في نفس الوقت يمارسون طريق مثلى للعلاج.

4.تحويل التعليم إلى عملية مثيرة ومنفتحة وخالية من الأخطاء والقيود الأمر الذي يتيح فرص مشاركة الوالدين والمتطوعين، وبالغين آخرين في تربية أصحاب التوحد وهذا ينعكس في نهاية المطاف على المجالات المختلفة لحياة أصحاب التوحد في مرحلة ما قبل الدراسة.

5. البحث في كل مراحل النمو المبكرة لأصحاب التوحد والأساليب الفعالة لرعايتهم في تلك المراحل.

تنمية الخبرة الخاصة بنمو أصحاب التوحد ونشرها بين المعلمين وأولياء الأمور.

مشاركة الوالدين في تربية أطفالهم وتطوير المهارات الوالديه في هذا المجال"2 .

الدراسات السابقة:

(1).سليمان عبد الواحد يوسف : مرجع سابق، ص131 .

2. ريتا جوردن ستيوارت بيول :أطفال التوحديون جوانب النمو وطرق التدريس، ترجمة رفعت محمود بهجت،عالم الكتب ، القاهرة ،20074، ص210 .

2/ محمد احمد محمود خطاب ، فاعلية برنامج علاجي باللعب لخفض درجة بعض الاضطرابات السلوكية لدى عينة من الاطفال التوحديين رسالة دكتوراه بمعهد الدراسات العليا للطفولة . غير منشورة 2004، ص 104 – 105

نقلاً عن محمد خطاب لدراسة هدى أمين (1999) بعنوان الدلالات التشخيصية للأطفال المصابين بالاوتيزم (الذاتوية)، "هدفت الدراسة إلى الوصول لمتغيرات لها دلالة في تشخيص الأطفال المصابين بالتوحد، كما تهدف الى دراسة التاريخ الارتقائي للاطفال المصابين بالتوحد وخصائص هؤلاء الاطفال فى النواحي النمائية واالسلوكية والادراكية وتكونت عينة الدراسة من (37) طفل توحدي تتراوح أعمارهم مابين 10:3 سنة، و(37) طفل سوى وتتراوح اعمارهم مابين 10:3 سنة أيضا.

أظهرت النتائج أن هناك فروق فى النواحي النمائية المختلفة لمقياس السلوك التكيفي لصالح مجموعة الأطفال الأسوياء على جميع الابعاد أما فى النواحي السلوكية لمقياس السلوك التكيفى جاءت الفروق دالة لصالح مجموعة الاطفال المصابين بالتوحد على جميع الابعاد ماعدا بعدى السلوك الشاذ جنسيا وسلوك لايوثق به حيث لم تظهر فروق دالة بين مجموعتي البحث على هذين البعدين".

وفي دراسة لـ" سيجمود وسيفن ايرك وسميث 2006 " هدفت إلى تحري تأثير العلاج السلوكي المكثفبمستوياتمتباينةعلىالأطفالذويالتوحد والإعاقة العقلية ، وتألفت العينة من مجموعتين : المجموعة الأولى (ن = 13 طفلاً) تلقت علاجاً سلوكياً ، المجموعة الثانية (ن= 15طفلاً) تلقت علاجاًإنتقائياً، واستمرت فترة العلاج 12 ساعة كل أسبوع بمجمع قدره 1536 ساعة واستخدمت الدراسة: (مقياس للذكاء ، مقياس للغة ، مقياس للسلوك التكيفي ، مقياس للسلوك اللاتكيفي) وقد أظهرت نتائج تلك الدراسة عدم وجود فروق بين المجموعتين في القياس القبلي ، كما بينت وجود فروق بين المجموعتين في القياس البعدي لصالح مجموعة العلاج السلوكي على كل متغيرات الدراسة(1).

تعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال اطلاعنا على الأدبيات العلمية والدراسات السابقة في مجال التدخل المبكر لعلاج أطفال التوحد يتبين لنا أهمية التدخل المبكر والذي يشمل كافة البرامج والانشطة التي تقدم للطفل مع تكامل دور الأسرة والمدارس والمراكز التي تعنى بهذه الفئة وكذلك التعاون بين كافة التخصصات في هذا المجال، هذا كله له أثار ايجابية على السلوك التكيفي للطفل التوحدي والوصول به إلى أداء أكاديمي أو غير أكاديمي يساعدانه على مواصلة حياته.

إجراءات الدراسة:

منهج الدراسة:

المنهج المستخدم في هذه الدراسة هو المنهج التجريبي.

مجتمع الدراسة:

(1) محمد صالح الإمام، فؤاد عيد الجوالده: التوحد ونظريات العقل، عمان دار الثقافة 2010 ص 76

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع أطفال التوحد المنتسبين لمركز "نور الغد" ما بين سنتين إلى 6 سنوات عمراً.

عينة الدراسة:

تتكون عينة الدراسة من (10) حالات يعانون من اضطراب التوحد.

أدوات الدراسة:

1. مقياس جيليام التقديري لتشخيص اضطراب التوحد وهو مقياس من إعداد "جيمس جيليام" وترجمة وتعريب "عبدالله عادل".

دراسة الحالة.

2. **الملاحظة**.

المعالجة الاحصائية:

استخدم فى هذه الدراسة اختبار (ت) لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطات الاختبار القبلى والبعدى على مقياس جيليام للتوحد، وتمت معالجة البيانات الإحصائية باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية V. 11

وصف البرنامج:

لم يقم الباحث بتطبيق برنامج تأهيلي محدد وإنما اعتمد على البرامج التأهيلية المتداولة في "مركز نور الغد" ، حيث تم إخضاع أفراد العينة لبرنامج منظم يمتد لفترة قدرها 4 ساعات يومياً طوال 5 أيام اسبوعياً، وقسمت العينة إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: مكونة من ستة 6 حالات خلال الفترة الصباحية.

المجموعة الثانية: مكونة من أربع 4 حالات خلال الفترة المسائية.

وخضعت كلتا المجموعتين لرزمة من البرامجٍ التأهيلية بحيث حظى كل طفل بخطة فردية خاصة به ، وفيها يتم تحديد التعامل مع النقاط التالية:

نقاط القوة والضعف للطفل.

مهارات العناية الذاتية.

العلاج الطبيعي بالموسيقى.

جلسات التخاطب.

البرامج المعرفية والإدراكية.

برامج اللعب الجماعي.

خطوات الدراسة:

1. تطبيق اختبار جيليام للطفل التوحدي / عند البدء في برنامج التدخل المبكر، وبعد فترة زمنية من التدخل تم إعادة المقياس .

2. دراسة الحالة.

3. تصحيح الإستجابات وجدولة الدراسة وإجراء العمليات الإحصائية المناسبة عليها واستخلاص النتائج وتفسيرها.

نتائج الدراسة وتفسيرها ومناقشتها:

من خلال نتائج الدراسة تبين لنا وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسط دراجات القياسين القبلي والبعدي في أبعاد السلوكيات النمطية والتواصل والتفاعل الاجتماعي ومعامل التوحد لصالح القياس البعدي وفقا للآتي:

بالمقارن بين متوسط درجات عينة البحث علي بعد السلوكيات في الاختبار القبلي بدرجاتهم في الاختبار البعدي، ملاحظة أن متوسطة الدرجات (في الاختبار القبلي (11.40) هو أعلي من متوسط الدرجات في الاختبار البعدي لان نفس البعد (7.50) .

كما أن تشتت الدرجات في الاختبار القبلي (7.50) هو أعلي منه في الاختبار البعدي، هو مؤشر علي أن التدخل العلاجي قرب الوقف بين عينة البحث ولاختبار دلالة هذه الفروق وحدتها استخدم الباحث الاختبار التائي لمجموعتين مرتبطتين، وأظهرت النتائج أن الفروق بين المتوسطين هي الفروق الدالة إحصائياً (ت=3.68، درجات الحرية =9 ، مستوي الدلالة =01) كما أظهر اختبار تأثير حجم العينة effect size، إنَّ الفروق بين التطبيقين هي فروق حادة ، حيت بلغ قيمة معامل الارتباط ر=78) مما يشير إلي أن نسبة 61 .1 (ر2 =61،) من التباين في درجات الاختبار بين (القبلي، البعدي) يمكن أن تعزى إلي البرنامج التدريبي الذي استخدمه الباحث.

إن التحليلات الكيفية للمشاهدات والملاحظات الإكلينيكية لأداء أطفال التوحد – تلك التي لاحظها فريق التأهيل لأفراد العينة ، كذلك التقارير الشهرية من قبل أولياء أمور افراد العينة — كلها تشير إلى التحسن في اداء الأطفال ، أيضاً التحسن في سلوكهم التكييفي الماثل في تحسن تفاعلهم مع الآخرين من

حيث اللعب الجماعي والمشاركة في النشاطات داخل القسم ، كذلك التحسن في ناحية الكلام وعدم إصدار الأصوات غير المفهومة والقدرة على إستخدام الضمائر بطريقة صحيحة والتعبير عن آلامهم .

وقد اتفقت هذه الدراسة مع دراسة لوفيس (1993) في أن المجموعة التجريبية حافظت على ما تم إكتسابه خلال التدخلات السلوكية من تحسن في السلوك وتفاعل أفضل.

واتفقت هذه الدراسة كذلك مع دراسة " بال وجيمس " ودراسة عادل عبدالله (2000) التي أشارت إلى حدوث إنخفاض في السلوك العدائي للمجموعة التجريبية التي تعرضت لبرنامج سلوكي للأنشطة الجماعية المتنوعة مقارنةً بالمجموعة الضابطة.

التوصيات التربوية:

- تقنينبعض المقاييس العالمية للتوحد على بيئتنا المحلية.

- العمل على توعية الأسرة منخلال الندوات والمحاضرات وورش العملعلى الاكتشاف المبكر للطفل التوحدي.

- إعداد حزمةبرامجمتكاملةتعتمد كأداة عربية موحدةلتشخيصوعلاج التوحد يسهل علىالمعالج النفسي العربي إستخدامهافيتدرج سلسمتابعاًبذلك تطورالأعراض ومواكباً لعلاجها أول بأول.

- ربط صلة أطباءالأطفالبالدائرةالنفسيةلإضطراب التوحدمنخلال برنامج توعوي يشملمحاضرات وندوات وحلقات نقاش يشرف عليها وينظمها المختصون في المجال، وذلك بغية تنسيقاولئك الاطباءمع المعالجين النفسييعندتولي أيٍ منهم لحالات التوحد، رغبةً في التشخيص السليم ووصولاً للعلاج السلوكي المناسب لمثل هذه الإضطرابات.

- الشروع فيسجلات التوحد الوطنية بالدول العربية، وهي ما تمثلاحصاءً متجدداً لحالاتالتوحد بغية تقديم التشخيص والعلاج المبكرين .

المقترحات:

بنائن على نتائج الدراسة نقترح الدراسات الآتية:

1. دراسة عن مدى فاعلية برنامج العلاج بالدمج الحسي في تنمية مهارات الطفل التوحدي.
2. دراسة حول علاقة تدخل مبكر ودمج أطفال التوحد بالمدارس العادية.

ملخص الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلي معرفة أهمية الاكتشاف والتدخل المبكر وأثرهما الإيجابي علي تنمية مهارات الطفل لتوحدي . وتكونت عينةالدراسة من 10 أطفال توحد تتراوح أعمارهم بينعامين وستة سنوات ، وفي دراستنا هذه تم إستخدام مقياس "جيليمام" التقديري لتشخيص اضطراب التوحد، مع الإستعانة بدراسة حالة والملاحظة.

وعلي ضوء مناقشة نتائج الدراسة نستطيع بلورة أبرز دلالاته في نقاط محددة علي النحو التالي:

1. ان النظرة الشاملة لنتائج الدراسة على أطفال التوحد استعانة بمقياس جليمام تشير إلي وجود دلالة إكلينيكية بين درجات القياسين القبلي والبعدي.

2. نجاح التدخل المبكر المتمثل في البرنامج التدريبي وقدرته على خفض السلوكيات النمطية لدى أطفال التوحد، وكذلك على زيادة التفاعل الاجتماعي.

ونستخلص أن نتائج الدراسة كانت ذات مؤشر واضح على فعالية الاكتشاف والتدخل المبكر.

Abstract

The purpose of this study is to focus on the early diagnosis and recognition of the autistic child, as well as their positive consequences on that child.

The study included 10 autistic children aging from 2 to 6 years.

I have used the following tools: (Gilliam Autism Rating Scale GARS), case study and observation.

Based on this study the findings are as follows:

1- The comprehensive view to the autistic children based on the Gilliam Autism Rating Scale indicates a clinical significance between the two.

2- There is a successful early interference which is represented in the training program in decreasing the typical behavior of the autistic children and also in increasing the social interaction and communication.

It therefore concludes that the study was a clear indicator in knowing the effectiveness of the early diagnosis.

المراجع

1. إبراهيم محمود بدر: الطفل التوحدي - التشخيص والعلاج، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 2004.
2. هلا السعيد: الطفل الذاتوي بين المعلوم والمجهول - دليل الآباء والمتخصصين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2009
3. محمد صالح الإمام، فؤاد عيد الخوالده: التوحد ونظريات العقل مكتبة دار الثقافة للتصميم والإنتاج، عمان ، الأردن 2010
4. كمال الدسوقي: ذخيرة علوم النفس/ الدار الدولية للنشر القاهرة 1988
5. خوله أحمد يحي: البرامج التربوية للأفراد ذوي الحاجات الخاصة ، دار المسيرة.
6. سليمان عبد الواحد يوسف : سيكلوجية التوحد (الأوتيزم) الطفل الذاتوي بين الرعاية و التجنب ، المكتبة العصرية للنشر، مصر ، 2010.
7. عبد الرحمن سيد سليمان: إعاقة التوحد، ط2، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة 2002.
8. ريتا جوردن ، ستيوارت بيول: الأطفال التوحديين - جوانب النمو وطرق التدريس ، ترجمة رفعت محمود بهجت، عالم الكتب ، القاهرة ، 2007 .
9. عبد العزيز الشخص وعبد السلام الظاطي: قاموس التربية الخاصة وتأهيل غير العاديين، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، 1992.
10. محمد أحمد خطاب: فاعلية برنامج علاجي لخفض درجة بعض الاضطرابات السلوكية لدى عينة من الأطفال التوحديين - دراسة دكتوراه، مع دراسات الطفولة، جامعة عين شمس مصر، دراسة غير منشورة.
11. عادل عبد الله محمد ، أطفال التوحديون ، دار الرشاد ، القاهرة ، 2002.
12. فهد بن محمد الملفوت، التوحد، كيف نفهمه ونتعامل معه، إصدارات مؤسسة الملك خالد الخيرية، 2006.

اصالة الوجود عند صدرالدين الشيرازى

رؤية نقدية مقارنة

الدكتور عمر فرج زوراب

قسم الفلسفة الإسلامية- جامعة مصراتة

المقدمة :

تقوم هذه الدراسة النقدية المقارنة انطلاقاً من القول بأن هناك تمايزاً بين الوجود والماهية ، من حيث أنه لما كان مفهوم الوجود مشتركاً معنوياً بديهياً غير قابل للتحليل والتفريق ، فهو إذن يفترق ويتمايز عن الماهية التي هي معنى معلوم الاسم والصفة، وهذا يرتد إلى أن الماهية تتركب من أمرين عنصريين عقليين هما جنس وفصل ، على خلاف مفهوم الوجود الذي قال عنه الشيرازي أنه لا يقوم من جنس وفصل ، فالوجود والماهية مفهومان متغايران من الناحية الذهنية فمعايرة الماهية للوجود وإنصافها به ، أمر عقلي إنما يكون في الذهن لا في الخارج ، وإن كانت في الذهن أيضاً غير منفكة عن الوجود ، وإذا الكون في العقل أيضاً وجود عقلي ، والكون في الخارج وجود خارجي ، لكن العقل شأنه أن يأخذ الماهية وحدها دون ملاحظة شيء من الوجودين الخارجي والذهني معها ويصفها به ، بمعنى أن الوجود ليس عين الماهية ذهنياً ، أي أن التصورات التي تتوافر عليه أذهاننا عن ماهية الأشياء ليست هي عين تصورنا عن مفهوم الوجود بل هي مغايره له في عالم الذهن ، حيث اصطلح على تسمية هذا التغاير الذهني بين الوجود والماهية بزيادة الوجود على الماهية ، أي أن الوجود زائد على الماهية عارض لها ، وهذا يعني أن المفهوم من أحدهما غير المفهوم من الآخر في الذهن ، إذ الماهية تتخذ مع الوجود الخارجي في الخارج ، ومع الوجود الذهني في الذهن ، لكن العقل حيث يعقل الماهية مع عدم الالتفات إلى أنحاء الوجود يحكم بالمغايرة بينهما بحسب العقل ، وهذا يعني أن المفهوم من أحدهما غير المفهوم من الآخر ، فالوجود ليس عين الماهية ولا جزء الماهية في الذهن ، أما على الصعيد الخارجي العيني الواقعي فإن الوجود والماهية متحدان ولا مغايره بينهما ، فليس في الواقع إذن أي مغايرة بين الماهية والوجود ، بل للعقل أن يحلل بعض الموجودات إلى ماهية ووجود ، بحيث يلاحظ بينهما إنصافاً ونسبة ، ويمكننا في الواقع حصر مجموعة من الأدلة على هذا التمايز بين الوجود والماهية ، بالنظر إلى الآراء الفلسفية السابقة منذ اليونان وحتى الشيرازي سواء ما يقول منها بأصالة الماهية ومذهب الشيرازي في آلة الوجود .

تغاير الوجود والماهية :-

الوجود والماهية متغايران ذهنياً ومتحدان على المستوى الحقيقي الخارجي بعدة دلائل وهي كما يلي :- [1]

1-إفادة الحمل : إذ أننا نجد أن حمل الوجود على الماهية مفيد ، بعكس لو أننا قمنا بحمل الماهية على الوجود

2-الحاجة إلى الاستدلال :أي أن الوجود من المفاهيم البديهية غير المحتاجة إلى الاستدلال بعكس الماهية ، ذلك أن التصديق بثبوت الوجود للماهية قد يفتقر إلى كسب ونظر كوجود العقل مثلاً بخلاف الماهية وذاتياتها ، لأنهما بينتا الثبوت لها .

3-صحة السلب : وهذا الدليل من الأدلة المهمة التي توضح وجود تفرقة واضحة بين الوجود والماهية ، إذ لو كان الوجود عين الماهية استحال نفي الوجود عن الماهية ، في حين أنه يصح سلب الوجود عن الماهية كالمثال الذي أخبر به الشيرازي(2) للعنقاء التي يمكن تصورها ذهنياً مع أنه يصح سلب الوجود عنها ، فسلب الوجود عن الماهية يصح ، مثل العنقاء ليس بموجود ، وليس يصح سلب الماهية وذاتياتها عن نفسها.

4-اتحاد المفهوم :فإن الوجود واحد والإنسان والفرس والشجرة مختلفة (3) .

3-الانفكاك في التعقل : فإننا قد نتصور الماهية ولا نتصور كونها لا الخارجي ولا الذهني (4) .

وهنا يصير وجود الممكن عين ماهيته خارجاً ومتحداً بها نحواً من الاتحاد وهو ما أشار إليه الشيرازي عندما رأي أن الوجود بالمعنى الحقيقي وليس الوجود الانتزاعي المصدري العام ، من الأمور العينية ، وأن الوجود الامكاني لو لم يكن متحداً بالماهية الممكنة اتحاد الأمر العيني بالمفهوم الاعتباري ، لكان إما الماهية نفسها بحسب المفهوم أو جزءاً منها كذلك ، وذلك باطل عقلاً لأنه من الممكن تصور الماهية مع إغفال وجودها.

والواقع أن الشيرازي بتفكيكه لمفهوم الوجود إلى وجود انتزاعي تتحقق به الموجود به وحقيقة الوجود أو الوجود الحقيقي الذي هو الوجودات الحقيقية كهويات عينية موجودة بذواتها ، تم ربطه بين التغاير المفهومي بين الوجود والماهية من ناحية ، والاتحاد الخارجي من ناحية أخرى ، هو المبدأ الجوهري والمحور الأساسي ، الذي يكشف عن مذهبه في أصالة الوجود وبالتالي كل نظريات الحكمة المتعالية لديه .

والحق فإن واقعية الوجود التي ليس لدينا أي شك في ثبوتها لا تقبل النفي إطلاقاً ، ولا يحمل عليها العدم ، وهذا شيء لا يقبل أي نوع من السفسفه ، فإننا نواجه واقع الأشياء ونتعامل مع واقع الوجود ، فواقعية الوجود دون قيد أو شرط هي واقعية الوجود ، ولا تصير لا واقعية بدون قيد وشرط ، ذلك أننا نعلم أن هناك واقعاً نصدق به ، وهو أصل يقيني وقطعي ، وهو النقطة الدولانية في التفكير الإنساني عبر سيرته العقلانية الفلسفية حيث تتخذه نقطة انطلاق حركتها ، وهذا هو المنطق اليقيني الذي علينا أن نبدأ منه لأنه لا يقبل الشك ، ولهذا كان قاعدة الانطلاق نحو بناء البراهين والاستدلالات بوصفه أساساً محكماً ومتيناً ، ذلك أن مجموعة الأفكار الفلسفية لو كانت على أساس فرضي غير قطعي ، أو من نظرية احتمالية فسوف تفقد قيمتها واعتبارها بالبداهة ، لهذا كان لابد وأن يكون الأصل الأول الذي تنبثق عنه الأفكار أصلاً لا يعتريه أي شك ، بل ويجب أن يكون أصلاً متعارفاً لا موضوعاً ، بل يجب أن يكون إنكاره معادلاً لإنكار جميع الأصول الأخرى المسلم بها .

ولهذا كان الأصل الذي يتمتع بهذه الميزات كنقطة لانطلاق الفلسفة هو الواقع الواضح في أذهاننا ، فنحن نواجه واقع الأشياء ونتعامل مع واقع الوجود ، ولهذا كان الوجود الواقعي هو الأصل بمظاهرة المتحققة في مثمنه وهي ظواهر تدل على حقيقته ، وهذه الحقيقة بديهية عينية مثل حقيقة (أنا موجود) التي تنبع من العلم الحضوري بالنفس بذاتها ، أو حقيقة

الأرض أو الشمس موجودة التي تتبع من العلم الحسي البديهي ، ورغم أن بعض هذه الحقائق يحتاج بحثاً وتحقيقاً ، ولكن هذه المرحلة تؤكد الإذعان بالأصل الكلي .

((**إن هناك واقعاً**)) أي أن هناك ((**وجوداً**)) وتنفي الزعم السفسطائي الباطل الذي يدعي أن كل شيء باطل ، فهذا الأصل الكلي ثابت ومطلق وغير خاضع لقانون التحول .

وهكذا فإن كل شيء خارجي لا يتعدى أمراً واقعياً واحداً ، يمكننا أن نستخلص منه ما سبق أن قلناه هنا ، وهو استخلاص مفهومي الماهية – الوجود – وعلينا الآن أن نحاول بدقة مناقشة لمن الأصالة من هذين المفهومين ؟ ، بصرف النظر عن آراء الماهويين أو الوجوديين وإنما بالنظر إلى الرؤية النقدية التي تنظر في الأسس التي بني عليها كل فريق رأيه في أصالة الماهية أو أصالة الوجود .

وعلينا الآن أن نتساءل : هل مفهوم الإنسان مثلاً هو الذي يحكي عن الواقعية التي نبغضها المثالية أم مفهوم الوجود ؟ (5)

الواقع أنه بعد الإذعان بأن الإنسان موجود ، والشجرة موجودة ، والبياض موجود ... أي أنه بعد تكثير ((**الأصل الكلي**)) أي ((**الواقع موجود**)) والحصول على واقعيات متعددة يطرح هذا الاستفهام – هكذا بعد الإيمان بالأصل الكلي ((**الواقع موجود**)) وهو ما يمثل الحد الفاصل بين المثالية والواقعية فإننا نخطوا أولى الخطوات في الانفصال عن عالم الخيال والدخول إلى عالم الواقع ثم نعكف على تكثير هذا الأصل ، فنعثر على واقعيات متعددة ، كالإنسان والشجرة والجسم ... إلخ ، فنذعن في أذهاننا ونصدق بشكل قطعي بأن لهذه الأمور واقعاً ، ثم نعكف على تحليل ذهننا فنجد :

أولاً : أن لدي الذهن صورة عن كل واحد من هذه الأمور الواقعية مغايرة لصورة الوجود التي لديه (زيادة الوجود على الماهية) .

ثانياً : إن مفهوم الوجود مفهوم عام مشترك ينطبق على هذه الأمور الواقعية بمعنى ومفهوم واحد (اشتراك معنوي للوجود) ثم نستنتج من هذا التحليل المختصر للذهن النتيجة الثالثة : إذن لدينا مفهومان عن كل أمر نصدق ونذعن بواقعيته ، الأول مفهوم عام ومشترك هو (الوجود) الذي ينطبق على كل هذه الأمور الواقعية ، وهو مشترك بينها ، والثاني : مفهوم خاص يختص بكل أمر من هذه الأمور الواقعية ، وهو ليس مشترك بينها ، وإنما يختص بكل أمر منها على حده ، مثل مفهوم الإنسان ، مفهوم الشجرة ، مفهوم الجسم ، حيث ينطبق كل مفهوم من هذه المفاهيم على مورد معين ويصطلح عليه بمفهوم (الماهية) .

وهذا بدوره يطرح أمامنا استفهامان : الأول : من أين ينشأ المفهوم العام والمشترك في الأذهان ، ومن أين ينشأ المفهوم الخاص في الأذهان أيضاً ؟ .

وهذا السؤال ذو طابع نفسي ، فالنفس في بدء تكوينها وحدوثها لا تعرف شيئاً بالعلم الحصولي ، وليس لديها تصور عن أي شيء في الذهن حتى عن ذاتها وحالاتها النفسية ، بل هي من حيث الأساس تفتقر إلى الذهن ابتداءاً لان عالم الذهن لا يتعدى عالم التصور لدى النفس ، وحيث أنها لا تملك صورة عن أي شيء ابتداءاً ، إذن فليس لديها ذهن

فالإنسان يفتقر إلى الذهن ابتداءاً ، ولكنه بعد أن يحصل على الصورة الذهنية بالتدريج ويحصل على تصورات الأشياء وعن ذاته وحالاته النفسية ، يتشكل لديه الذهن ، ولكن النفس التي لا تعرف في بدء تكوينها وحدوثها أي شيء بالعلم الحصولي تفتقر إلى الذهن ، تعرف بالعلم الحضوري منذ البدء ذاتها وقوي ذاتها النفسية ، لأن الأصل في العلم الحصولي هو الفعالية التصويرية لقوة الخيال ، والأصل في العلم الحضوري ، هو تجرد وجود الشيء عن المادة وخصائصها .

أما الاستفهام الثاني : فبعد معرفتنا أن هناك مفهومين في الذهن (الماهية – الوجود) ، فأي منهما هو الأصيل ، وأي منهما هو الاعتباري ؟ فهل هما أصيلان معاً أم هما اعتباريان معاً ، أم أن الوجود هو الأصيل والماهية أمر اعتباري أم العكس ؟ وهذه المسألة رغم طابعها الذهني مسألة فلسفية خالقة ، وذات طابع عيني ، وتتوقف معرفة الواقع عليها ، بل هي أكثر مسائل معرفة الواقع جوهرية .

أ- تعني الأصالة هنا العينية والخارجية ، مقابل الاعتبارية التي تعني عدم العينية والخارجية ، وتعني أنها محصول ذهني خالص ، ولقد درجنا في الواقع في الاصطلاح الفلسفي الحديث على استخدام الأصالة بمعنى التقدم مقابل الفرع والنتيجة ، فيقال هل الأصالة للروح أم المادة ؟ وبديهي هنا أن المقصود في هذا الاستفهام ليس تحديد ما هو عيني خارجي وما هو اعتباري ذهني ، بل المقصود هو تحديد ما هو الأساس هل المادة هي الأساس والروح من خواص المادة ونتيجة تركيباتها أم أن الروح هي الأساس والمادة نتيجة لها ؟

ولا يعني في بحث أصالة الوجود أو الماهية بالبحث عما هو أساس ، بل يطرح الاستفهام بصدد المفهومين اللذين تتوفر عليهما عن كل أمر واقعي ، فأي من هذين المفهومين ذو طابع عين خارجي ، وأي منهما ذو طابع ذهني واعتباري ؟ والواقع أننا إذا اعتبرنا الوجود أو الماهية أمراً اعتبارياً فسوف لا نقر له بأي طابع عيني ، فلا هو أصل أساس ولا هو فرع ونتيجة ، وعلى أي حال لا ينبغي الخلط بين البحث عن الأصالة وعدمها هنا ، وبين البحث عن الأصالة وعدمها في الفلسفة الحديثة إذ الاصطلاحات في هذه الفلسفة تختلط أحياناً ، ومن الممكن أن يراد من عدم الأصالة في بعض الموارد الاعتبارية أيضاً .

ب – ينبغي أن نوضح مفهوم الماهية التي نبحث عن أصالتها أو عدم أصالتها ويجب هنا أن نكون على بينة من أن هذا البحث مطروح بعد التصديق بعدة أمور واقعية ، أي أن واقعية الأشياء مقدمة للدخول إلى هذا البحث ، وهي ليست فرضية احتمالية بل هي أمر بديهي وقطعي ، وموضوع تصديق وإذعان كل الأذهان – لنفرض أننا آمنا بواقعية ثلاثة أشياء : الخط ، العدد ، الإنسان ، وأن هذه الأشياء موجودة على حد سواء ولا اختلاف بينها من زاوية واقعيتها ووجودها ، من الواضح لدى أذهاننا أن الوجود تعلق في كل مواد من هذه الموارد بشيء ، وفي كل مواد لبس شيء من لباس الوجود ، وبعبارة أخرى واضح لدى أذهاننا أن شيئاً في كل مورد من هذه الموارد قد خرج من ستارة الإبهام وظلمة العدم ، فقد تعلق الوجود في مورد بما تسميه الكمية المتصلة ، وتعلق الوجود في مورد آخر بما نسميه الكمية المنفصلة ، وتعلق في مورد آخر بما نسميه الجوهر العاقل ، فيما يبدو في أذهاننا متلبساً ومعروضاً وخارجاً من ستارة وظلمته هو (**الماهنة**) ففي المثال السابق حينما نحكم بوجود العدد أو الخط أو الإنسان ، فإن العدد والخط والإنسان ماهيات ذوات وجود ، وهنا يمكننا القول أن الماهيات منشأ الكثرة والتعدد بينما الوجود هو منشأ الوحدة بمعنى أن الأمور السابقة أمور واقعية ثلاثية ، أي ثلاثة أمور لا أمر واحد ، حيث أن أحدها خط والآخر عدد والثالث إنسان ، برغم أنها من زاوية الواقع والتوفر على الوجود متشابهة ومشتركة مع بعضها ، غير أننا يجب

الإشارة هنا إلى إمكانية أن ينكر منكر حقيقة : (**إن ما ندركه من الأشياء هو عين ما هيتها**) ، فلا يقر بأن الصورة الذهنية للخط أو العدد أو الإنسان هي عين الماهية المتلبسة بالوجود الخارجي ، أي أن يسلك أفكار في بحث الوجود الذهني ، ولكن مع القبول بأن هناك أموراً ثلاثة ذات واقع ووجود لا يبقى هناك شك في آن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة شيء خاص بنفسه ، قد تغلق به الوجود ، وهذا الشيء الذي تعلق فيه الوجود هو ماهية ذلك الشيء سواء آمناً بالوصول إلى كنهة أم لم نؤمن .

ج- حينما نحمل محمولاً على موضوع فسوف نلاحظ وجود حالتين :[7]

الحالة الأولى : أن يكون المحمول والموضوع في عالم الخارج أمرين واقعيين ، أي لكل واحد منهما واقع خاص به ، كما هو الحال في علام الذهب ، حيث يتوفر كل من الموضوع والمحمول على صورة ذهنية خاصة به ، مثل حينما نحكم بأن هذه الورقة بيضاء ، أو هذه الغرفة مربعة أو هذه الحبة حلوة .

– نلاحظ في هذه الأمثلة أن لكل واحد من المحمول والموضوع تصوراً خاصاً به في الذهن – ونلاحظ أيضاً أن لكل واحد منهما ما بإزاء في عالم الخارج ، أي أن هناك واقعاً للبياض ، وأن هناك واقعاً للورقة وأن هناك واقعاً للغرفة وأن هناك واقعاً للمربع ، وأن هناك واقعاً للحبة وأن هناك واقعاً للحلاوة ، فرغم ارتباط هذه الوقائع مع بعضها وارتهان كل محمول بموضوعة ، لكن لكل واحد منهما مصداقاً واقعياً ، ومن تم له ما بآراء خاص به .

الحالة الثانية : أن لا يكون لكل من المحمول والموضوع واقع مستقل في الخارج ، ولا تكون هناك أثنينية بين الموضوع والمحمول في الخارج فلا كثرة بينهما ، بل بحكم الوحدة بينهما ، والكثرة تستند إلى الذهب بشكل خالص ، وبعبارة أخرى أن الذهن بلون من ألوان التحليل والتجزئة يقسم الأمر الخارجي الواحد إلى أمور متعددة ، فيصوغ مفاهيم ومعاني متعددة من أمر واقعي خارجي واحد ، ليس فيه أي لون من ألوان الكثرة ، ولا مجال لإنكار قدرة الذهن على التحليل والتجزئ ، فلها آلاف الشواهد الواضحة .

وألق نظرة على (**التعريفات**) تلاحظ كيف يصوغ الذهن شيء واحد بسيط خارجي مفاهيم ومعاني متعددة لديك ويضع له زوايا اشتراك ونقاط امتياز ، بالشكل الذي تنطبق جميع المعاني والمفاهيم الكثيرة على هذا الشكل الخارجي البسيط الواحد ، كما هو الحال في تعريف الخط فالذهن يحكم بأنه (**كمية متصلة ذات بعد واحد**) . فالذهن هنا يجزء الخط بقوة تحليلية إلى كمية واتصال ، وإنها ذات بعد واحد ، وهذه المفاهيم الثلاثة تنطبق على الخط ، ومن البديهي أن الوجود للخط لا يتركب من ثلاثة أجزاء ، أي أن قسماً من وجوده كمية ، وآخر اتصال ، وآخر بعد واحد ، بل المفاهيم الثلاثة في عالم الخارج واحدة وذات واقع ووجود واحد ، لكن الذهن هو الذي ينتزع من هذا الواقع الواحد ، على أي حال لا مجال لإنكار قدرة الذهن على صياغة مفاهيم ومعانٍ متعددة للواقع الواحد .

بحث الماهية والوجود مورد من موارد الحالة الثانية ، الحالة التي لا يكون لكل من الموضوع والمحمول واقع مستقل ، أي الموارد التي نتخذ الماهية نظير الخط أو العدد أو الإنسان موضوعاً ونحمل الوجود عليها ، فنؤلف قضايا ،ونحكم أن الخط موجود أو العدد موجود أو الإنسان موجود للموضوع والمحمول في هذه الموارد (**يعني مفهوم الإنسان ومفهوم الوجود مثلاً**) كثرة في عالم الذهن ، وبحكم التغاير بين المفهومين ، ووفق الاصطلاح الفلسفي (**الوجود زائد على الماهية**) بل – كما قلنا – يبدو في الوهلة الأولى للذهن أن الوجود تعلق بالماهية ،

وأخرجها من عالم العدم ومن ستارة الإبهام والظلمة إلى عالم الظهور ، والماهية بمثابة المتلبس بلباس الوجود ، لكن للعلم أن الماهية والوجود في عالم الخارج ليسا أمرين أحدهما ظاهر والآخر مظهر ، وأحدهما لباس والآخر متلبس ، بل الذهن هو الذي يصوغ هذين المفهومين من واقع خارجي واحد ، فيعتبر أحد المفهومين عارضاً والآخر معروضاً عليه ، هناك تركيبات ممكنة في عالم الخارج ، لكن تركيب الماهية والوجود في عالم الخارج أمر لا معنى له ، إنما تحصل هذه الكثرة والتركيب بين الماهية والوجود بقوة التحليل الذهني ، وليس للوجود والماهية في عالم الخارج (**كالإنسان ووجود الإنسان أو الخط ووجود الخط أو الأرض ووجود الأرض**) واقعان مستقلان ، فيكون لكل واحد منها ما بإزاء خارجي ، وكيف يمكن من حيث الأساس أن يكون للأمر الواقعي الواحد ، مما فرضناه الإنسان أو الخط أو الذرة ، واقعان واقع لذاته وواقع لوجوده ، كل على حده ، فيكون له واقعان في المجموع ؟! .

لا حاجة لإقامة البرهان على أن الشيء ووجوده يشكلان واقعاً واحداً واختلاف وتعدد الماهية والوجود أمر ذهني ومعلول لقوة التحليل الذهنية فإذا استطاع أحد أن يتصور هذا الموضوع فسوف يصدق بهذه الفكرة بلا تردد ، لكننا في نفس الوقت تقيم برهاناً لأولئك الذين يميلون إلى إقامة البرهان والاستدلال على هذا الموضوع وبرهاناً على النحو الآتي : (8)

إذا كان الشيء ووجوده أمرين واقعيين يلزم أن يتألف كل أمر واقعي من أمور واقعية غير متناهية ، مضافاً إلى أن يكون ذلك الشيء من حيث الأساس أمراً واقعياً مستقلاً ، فسوف تنقل الكلام إلى كل واحد من هذين الواقعين (**الماهية والوجود**) وحيث أن كل واحد من هذين الأمرين أمر واقعي ، وكل أمر واقعي بحسب الفرض مع واقعه أمران واقعيان ، أي هناك اختلاف حاكم في ذاته وليس أمراً واحداً ، إذن لكل واحد من الوجود مجموع من أمرين واقعيين ، ثم ننقل الكلام في المرحلة الثانية إلى هذين الأمرين الواقعيين اللذين تشكلهما الماهية ، والأمرين الواقعيين اللذين يشكلهما واقع الوجود ، وحيث أن كل واحد من هذه الأربعة أمر واقعي ، وكل أمر واقعي بحسب الفرض مجموع من أمرين واقعيين بينهما اختلاف خارجي ، إذن فكل واحد من هذه الأمور الأربعة يشكل أمرين واقعيين ، وهكذا ننقل الكلام في المرحلة الثالثة والرابعة إلى ما لا نهاية ، حيث نستمر مع أمور واقعية مركبة من أمرين واقعيين آخرين وهكذا .

ومن الواضح أن هذه الظاهرة أمر محال عقلاً لأسباب :-

أولاً : إن الأمر الواقعي الواحد كالإنسان الواحد ليس مجموعة من الأناس اللامتناهية ، والخط الواحد ليس مجموعة من الخطوط اللامتناهية (على أن لا نخلط بين قابلية انقسام الخط إلى أجزاء غير متناهية وهذا الموضوع) والذرة الواحدة ليست مشكلة من ذرات لا متناهية ، فكيف يمكن من حيث الأساس أن يكون الشيء الواحد في نفس الوقت الذي هو أمر واحد بالفعل مؤلفاً من أشياء غير متناهية .

ثانياً : إن الأمر اللامتناهي المفروض هنا لون من الكثير الذي لا ينتهي إلى وحدات ، وقد لاحظنا أن الشيء يتألف من أمرين واقعيين إلى ما لا نهاية ولا ينتهي إلى أمر واقعي مؤلف من هذين الأمرين الواقعيين ، والكثير الذي لا ينتهي

إلى أمر واحد يستحيل وجوده لأن الكثير يحصل جزاء تجمع وحدات فإذا لم تكن هناك وحدة لم تكن هناك كثرة .

إذن يلزم من كون الشئ الواقعي الواحد ذاته أمرين واقعيين أن لا يكون لذلك الشيء من حيث الأساس وجود وواقعية .

مما تقدم لاحظنا أن الشئ الواحد لا يمكن أن يكون هو نفسه أمرين واقعيين ، بعبارة أخرى لا يمكن أن تكون الماهية والوجود أمرين عينيين ، نأتي الآن لنقول على أساس وجود أمور خارج أذهاننا ، إن الماهية وواقعها لا يمكن أيضاً ألا يكون لكل منهما وجود عينية خارجية ، فنحن نؤمن بأن الإنسان أو الخط أو العدد أو الذرة موجودة خارج أذهاننا فإذا كان الإنسان وواقعه أو الخط وواقعه لا وجود خارجي ولا عينية لهما ، بل هما أمران ذهنيان ، إذن حينما نقول الإنسان موجود سوف يكون أمراً ذهنياً بحثاً ، وليس هناك خلف الذهن أي شيء ، وهذا خلاف الأصل البديهي الذي تقدم ، وهو عين مدعى السفسطائيين .(9)

بعد بيان هذه المقدمات أتضح عبر المقدمة الأولى أن بحث أصالة الوجود أو الماهية ذو طابع ذهني ، رغم أن البحث عن تعيين وتحقيق الأمر الخارجي والواقعي منها ، فله طابع ذهني وطابع خارجي ، وهما توأمان مع بعضهما ، واتضح من المقدمة الثانية مفهوم الماهية ونسبتها للوجود بحسب الاعتبار الذهني ، واتضح من المقدمة الثالثة أن الوجود والماهية يشكلان واقعاً خارجياً واحداً ، وليسا أمرين واقعيين ، ومن هنا لا يمكن أن يكونا خارجيين وعينيين وأصليين ، أي أن يكون الوجود أصيلاً والماهية أصيلة ، واتضح من المقدمة الرابعة أن الوجود والماهية لا يمكن أن يكونا معاً غير واقعيين ، وأن يكون كل منهما أمراً ذهنياً محضاً ، يعني أن يكون اعتباريين معاً .

بعد طرح هذه المقدمات يأتي دور الاستفهام التالي ، ما هو الأصيل هل الوجود هو الأصيل والماهية هي الاعتبارية أم العكس ؟

أقيمت براهين متعددة لإثبات أصالة الوجود تتكئ بعض هذه البراهين على أصول موضوعة ، ينبغي إثباتها عبر العلم أو الفلسفة ومن المحتم أن الأصول الموضوعة ما لم يقم عليها البرهان تبقى الإفادة منها في البرهان على أصالة الوجود غير متوفرة على الطابع اليقيني ، وبعض البراهين ليست كذلك ، ونحن هنا لا نستطيع أن نطرح ونحلل جميع البراهين التي أقيمت لإثبات أصالة الوجود ، بل نكتفي ببيان برهان ذو طابع فلسفي خالص ، وهو أسهل البراهين وأوضحها ، وأكثرها أحكاماً وقوة ، وهذا البرهان لا يتطلب مقدمات إضافية خارج تمحيص مفهومي الوجود والماهية ذاتها ويتكئ صدر المتألهين مؤسس نظرية أصالة الوجود في كتبه على هذا البرهان في أغلب الأحيان والبرهان هو على النحو التالي : (10)

إن الأمر يدور بين حالين ، فإما أن يكون الوجود أمراً واقعياً وتكون الماهية أمراً انتزاعياً عبر القوة الذهنية ، وإما أن تكون الماهية أمراً واقعياً ويكون الوجود أمراً ، انتزاعياً ذهنياً ، حينما نقيس كلاً من الوجود والماهية بالواقعية والخارجية نلاحظ (الماهية مثل (الإنسان أو الخط أو غيرهما) في ذاتها تصلح للوجود وتصلح للعدم أيضاً) ونسبتها إلى الوجود والعدم على السواء ، فالماهية بحكم مصاحبتها للوجود والواقعية يعتبرها الذهن صالحة لحمل الوجود عليها .

أما الوجود والواقعية فهو عين الموجودية والواقعية والخارجية ، وفرض عدم واقعية الواقع وعدم وجود الوجود فرض محال .

إذن فالوجود هو عين الواقعية والعينية ، وهو الذي يشكل الخارجية وعالم العينية ، أما الماهية فهي قالب ذهني للوجود يهيئه الذهن بفعاليته الخاصة جراء ارتباطه بالواقع الخارجي ، فينسبه للواقع الخارجي .

وهذا هو معنى عبارة المتن : كل شيء ، أي كل أمر واقعي خارجي يتوفر على الواقعية في ظل الواقعية ، وإذا فرضنا أن واقع الوجود يسلب عنه الوجود ، فيكون عدماً فهذا الفرض لا يتعدى الوهم الفارغ ، إن لنظرية أصالة الوجود نتائج كثيرة في الفلسفة ، ويرتهن البحث في أغلب المسائل الفلسفية بالبحث في أصالة الوجود ، خصوصاً في موضوع الحركة حيث يفيد هذا البحث من موضوع أصالة الوجود نتائج كثيرة لا مجال لعدها هنا وسنذكر هذه النتائج في محلها ، ونشير في خاتمة هذه الفقرة إلى الملاحظة التالية :

لاحظ القارئ المحترم أننا طرحنا موضوع البحث عن أصالة الوجود بعد الإيمان بالأصلي الكلي (**إن هناك واقعاً**) وبعد التصديق بواقعية مجموعة أمور ، وبعد الالتفات إلى زيادة الوجود على الماهية ، وبعد الإيمان بالاشتراك المعنوي للوجود ، فطرحنا من الناحية الفنية مترتب على مجموعة مسائل وكلن ينبغي أن نوضح أن هذا الترتيب الفني لا ضرورة للالتزام به ومن الممكن تقريب الطريق والدخول إلى بحث أصالة الوجود بعد الإيمان بالأصل الكلي (**إن هناك واقعاً**) الذي هو الحد الفاصل بين الفلسفة والسفسطة ونجعل موضوع أصالة الوجود البحث الفلسفي الأول فنقول : بعد الإيمان بالأصل الكلي يتضح لنا أن هناك أمراً واقعياً وأن لدينا موجوداً ، وهذا الموجود الواقعي إما أن يكون وجوداً وإما أن يكون شيئاً له الوجود ، أي إما أن يكون الواقع الذي يقف خلف الذهن الذي لا يصلح لأن يحكم الذهن بأن الماهية (س) خرجت من ستارة العدم أو أي ماهية أخرى ، وإما أن يكون الواقع الذي يقف خلف الذهن مؤهلاً لكي يحكم الذهن بأن الأمر خرج من ستارة العدم إلى الوجود ، بناء على الفرض فليس هناك أثر للماهية أساساً ، وبناءً على الفرض الثاني تكون الماهية معروضة للوجود وقد تعلق بها ، وعلى أساس هذا الغرض ، نجري البرهان المتقدم طبق الطريقة التي تقدمت – وإذا سلكنا هذا الأسلوب فسوف نصل إلى النتيجة بشكل أسرع ويكون الميدان بعيداً عن كثير من الشبهات ، ومن هنا يتضح أن أولئك (**نظير الحكم السبزواري**) الذين اتخذوا قاعدة الزوج التركيبي ، وإن الممكن زوج تركيبي الذي يوحي بتقسيم الموجود إلى واجب وممكن ، وبساطة الواجب وتركيب الممكن ، الذين اتخذوا هذه الفكرة مقدمة للبرهنة على أصالة الوجود قد سلكوا طريقاً بعيداً ، عن النظام المنطقي ، لأن تقسيم الموجود إلى الواجب والممكن متأخر كثيراً عن أصالة الوجود.

ومن الواضح أن كل شيء ، أي كل أمر واقعي إنما يتوفر على الواقعية ، تحت ظل الواقع ، وإذا فرضنا أن واقع الوجود نسلب عنه الوجود ، فيكون عدماً ، فهذا الفرض ليس إلا وهماً فارغاً ، وعليه نستدل ، أن الأصل الأصيل في كل شيء إنما هو وجوده ، والماهية أمر ذهني ، أي أن واقع الوجود بذاته أمر واقعي ، وعين الواقعية ، وجميع الماهيات تكون واقعية به ، وبدونه أي (**بذاتها**) لا تكون إلا أمراً ذهنياً واعتبارياً ، بل أن الماهيات هي مجرد صور توحدها الواقعيات الخارجية في ذهننا وإدراكنا ، وإلا فهي لا يمكن أن تنفصل في عالم الخارجي الموضوعي عن الوجود ، وبالتالي فليس لها وجود مستقل بوجه من الوجوه ، وبعبارات أخرى ، فمادام تحقق جهة الاتحاد ، بين الوجود والماهية تجري في الخارج من جهة الوجود لا الماهية ، فهذا يعني أن الأولية والسبق هي للوجود دون الماهية بوصفه هو

لا الماهية جهة الاتحاد بينهما في الخارج ، ولهذا كان الشيرازي على حق عندما رأى في الجزء الأول من الأسفار(11) (ص87) أي مبدأ الأثر أو أثر المبدأ ليس إلا الوحدات الحقيقية التي هي هويات عينية موجودة بذواتها ولا الماهيات المرسلة المبهمة الذوات التي ما سمت بذواتها في حدود أنفسها رائحة الوجود .

والواضح إذن أن الأصالة تعود إلى الوجود العيني الحقيقي ، من حيث كونه يحمل أثراً مباشراً في الأشياء خلال حضوره للإنسان وحواسه ، ولا تؤول الأصالة إلى الوجود الانتزاعي العقلي كونها أمور ذهنية ، هما مجردان عن الأثر والفاعلية ، ومن ثم هما مفهومان عدميان ، فكلاهما في حدود نفسيهما ، ولا يقتضي الوجود ولا العدم ، لأن الوجود والعدم خارجان عن ذاتهما ، فهما متساويات في النسبة إليهما ، وهذا واضح من تحليلنا لماهية ما ، ماهية الإنسان مثلاً ، الذي هو حيوان ناطق ، أي أننا لا نقول : الإنسان حيوان ناطق موجود ، لأن الوجود خارج عن ذات الماهية ، فالماهية عدم محض ، فهي لا تملك شيئاً ، لأنها من حيث هي ليست إلا هي لا موجودة ولا معدومة ، ومن ثم لا يمكن أن تكون الأصالة للماهية ، لأنها قرينة العدم ، فلا يجوز لذلك أن تتقدم على الوجود في الخارج ، فإذا كانت الماهية في ذاتها ، لا موجودة ولا معدومة فهي تحتاج إذاً إلى من يخرجها من حالة الاستواء بين الوجود والعدم ، فهي بحسب ذاتها وحدود أنفسها معراة عن الوجود والظهور ، فالوجود والظهور يطرأ عليها من غيرها ، فهي في حدود أنفسها هالكات الذوات ، بإطلاق الحقائق ، أزلاً وأبداً لا في وقت من الأوقات ومرتبة من المراتب ، وبالتالي لن تكون الماهية هي سبب خروجها من حالة الاستواء ، فالوجود هو الذي يخرجها من حالة الإمكان بين الوجود والعدم ويجعلها متلبسة بالوجود ، وليس الماهية هي التي تخرج نفسها إلى الوجود ، لأن الماهية في نفسها لا علاقة بينها وبين غيرها ، فما لم يدخل الماهية في عالم الوجود دخولاً عرضياً ليست هي في نفسها شيئاً من الأشياء حتى نفسها ، حتى تصلح لإسناد مفهوم ما إليها بحسب التقدير البحث ، أي ذهنياً فقط ، وهذا يدل على أن الأصالة ترتد إلى الوجود فهو منشأ ترتيب الآثار بالخارج وليس الماهية ، لأن الماهية إمكانية في ذاتها ، بحيث لا تحصل لها الفعلية ، إلا من خلال الوجود ، لأنه لا فعلية لها في ذاتها ، أو كما يقول الشيرازي نفسه أن ((**ما لا فعلية له لا اقتضاء منه لشيء ما لم ينصبغ بصبغ الوجود**)) (**12**) .

والواقع أن القول بأصالة الوجود كما رأي الشيرازي لم يتوقف عند تأكيد المغايرة بين الوجود والماهية من حيث هي إحدى النتائج الجاهزة – المهمة التي ورثها عن أسلافه ، وإنما كان همه الأكبر حل التساؤل الذي طرحه أستاذه الميراداما أول مرة على بساط الدرس الفلسفي ، والتي أنتقل منه الشيرازي لإثبات أصالة الوجود بعد أن كان موافقاً لأستاذه بالقول بأصالة الماهية ، وهو التحول الخلاق لمسار الفلسفة الإسلامية لأنه يؤسس بناءً فلسفياً جديداً وايجابياً للنظرة إلى العالم ، وإذا لم يعد للنظرة المرتكزة على أولوية الماهيات وتقدمها أي الماهية ، وبسقوطها على يد الشيرازي تسقط كل الاعتبارات التي من شانها الحط من الوجود العيني الحقيقي الذي كان في منظور أصحاب أصالة الماهية وهماً وخيالاً ، وهنا فأصالة الوجود واعتبارية الماهية ، بحسب منظور الحكمة المتعالة ، أسفر عن صياغة فلسفة واقعية وجودية وميتافيزيقية في الوقت ذات ، واقعية تعيد اعتبار قوي للمشخصات العينية الحقيقية ، من خلال أصالة وجودها وتحققها ، إذ لم تعد موصوفة بالمثال التي كانت عليه في ظل التنظير الماهوي السابق ، وميتافيزيقية كونها تسعى عن طريق الحركة الجوهرية إلى إثبات الوجود الروحي المفارق ، حيث تخرج عن أن تكون مجرد فلسفة وجودية منحصرة في مجال العالم المادي ، أو في بعد الإنسان وأفعاله فقط كما هو شأن الوجودية المعاصرة ، إذا أن فلسفة أصالة

الوجود بالطرح المتعالي الذي قدمه الشيرازي هي فلسفة الوجود الأصيل الذي يبدأ من أعلى مراتبه ، أي من الله تعالى على أدنى مراتبه ، حيث الهيولي .

وواضح عند المتأهل في الاحتمالات العقلية الممكنة بين الماهية والوجود أنها لا تخـــرج عـــن ثلاثة احتمالات :

الأول :أن الوجود عين الماهية ونفسها .

الثاني : أن الوجود جزء من الماهية .

الثالث : أن الوجود أمر مغاير للماهية زائد عليها .

لكن أحداً من الفلاسفة أو المتكلمين لم يذهب إلى القول بأن الوجود جزء الماهية (13) ، إذن يبقى لنا هنا احتمالان : إن الوجود عين الماهية أو أن الوجود مغاير للماهية زائد عليها .

ومن جانب آخر نجد أن الماهية قد تكون واجبة وقد تكون ممكنة ، وعليه سوف تكون الاحتمالات العقلية لا ممكنة بين الماهية بقسميها والوجود أربعة :

الأول : الوجود نفس الماهية وفي الواجب وفي الممكن .

الثاني : الوجود زائد على الماهية في الواجب وفي الممكن .

الثالث : الوجود نفس الماهية في الواجب زائد عليها في الممكن .

الرابع : الوجود نفس الماهية في الممكن زائد عليها في الواجب .

غير أن الاحتمال الأخير لا يخرج عن كونه احتمالاً عقلياً ، فلم يتخذه أحدً مذهباً لـــه (14) ، فيتحصل لنا أن المذاهب في هذه المسألة ثلاثة :

المذهب الأول : مذهب أبي الحسن الأشعري وبعض أصحابه ، وبعض المعتزلة كأبي الحسن البصري ، وهو أن الوجود نفس الماهية ، وليس بزائد عليها ، سواء كان ذلك في الواجب أو الممكن(15) .

المذهب الثاني : مذهب جمهور المتكلمين ، ومنهم أكثر المعتزلة وهو أن الوجود مغاير للماهية ، زائد عليها في الواجب والممكن (16).

المذهب الثالث : مذهب الفلاسفة ، كالفارابي وابن سينا وغيرهم ، وهو أن الوجود نفس الماهية في الواجب وزائد على الماهية في الممكن (17).

أدلة المذهب الأول :

استدل القائلون بأن الوجود نفس الماهية بعدة أدلة ، ذكرنا أثنين منها في مسألة اشتراك الوجـــود اشتراكاً لفظياً ، وذلك لأنه يلزم من القول بأن الوجود عين الماهية أو الموجود أن يكون الوجود مشتركاً لفظياً ، وها أنا أذكر ما تبقى منها :

الدليل الأول : أنه لو كان وجود الشيء زائداً عليه لما كان الوجود موجوداً ، ضرورة امتنـــاع تسلســـل الوجودات ، إذن يكون معدوماً ، وهذا باطل ، لأن فيه اتصاف الشيء بنقيضه ، وكون ما لا ثبوت له في نفسه ثباتاً في محله .

الدليل الثاني : أنه لو كان الوجود قائماً بالماهية ، لكان موجوداً ، ضرورة امتناع اتصاف الشيء بنقيضه ، وامتناع أن يثبت في المحل ما لا ثبوت له في نفسه ، فننقل الكلام إلى وجوده ، ويتسلسل ، لأن التقدير أن وجود كل شيء زائد عليه ، والتسلسل باطل (18) ، وقد أورد على هذه الأدلة عدة اعتراضات لا نطيل المقام بذكرها(19) .

أدلة المذهب الثاني :

تنقسم أدلة جمهور المتكلمين في هذا المقام إلى قسمين : الأدلة التي تدل على زيادة الوجود في ذات الواجب وإليك التفصيل في ذلك :

أولاً : الأدلة على أن الوجود زائد على ماهية الممكن :

صحة سلب الوجود عن الماهية ، حيث إننا يصح لنا أن نسلب الوجود عن الماهية كقولنا : "" العنقاء ليست بموجودة "" ، ولو لم يكن الوجود زائداً على الماهية لما صح لنا هذا السلب ، لأنه إذا لم يكن زائداً ، فلا يخلو : إما أن يكون نفس الماهية أو جزأها ، ولو كان الأمر كذلك لما صح سلب الوجود عنها ، لأنه يؤدي إلى سلب الماهية عـــن نفسها ، أو سلب أجزائها عنها ، وهو محال ، فثبت أن الوجود زائد على الماهية .

صحة الأخبار بالوجود عن الماهية التي اردكناها بحقيقتها ، ولو كان الوجود عين الماهية ، أو جزأها لما صح الأخبار به عنها ، والسبب في ذلك : أن الماهية إذا أدركت بجميع أجزائها كان حمل أجزائها أو حمل نفسها عليها غير مفيد ، مثال ذلك : أنا لو أدركنا حقيقة الإنسان ، وتصورناها بأنه حيوان ناطق ، ثم بعد ذلك حكمنا عليه بالوجود ، فقلنا : " **الإنسان موجود** " ، كان ذلك الحكم مفيداً ، وما صحت إفادته إلا بسبب أن الوجود غير الماهية ، وإلا لو كان عينها أو جزأها لما أفاد الحمل ، لأن حمل الشيء على نفسه لا يفيد ، وكذلك حمل أجزاءه حيث كانت الحقيقة معلومة .

اتخاذ مفهوم الوجود دون مفهوم الماهيات ، فعندما نفكر في وجود الإنسان والفرس والشجر وغير ذلـــك ، نجد أن لها مفهوماً واحداً ، هو الكون في الأعيان ، وعندما نفكر في نفس الإنسان والفرس والشجر وغير ذلك نجد أن لكل واحد منها مفهوماً مغايراً لمفهوم الآخر ، وليس ها هنا سبب لذلك إلا أن الوجود مغاير للماهية زائد عليها .

الانفكاك في التعقل ، وذلك أن نستطيع أن نتعقل الماهية مع ذهولنا عن وجودها ، فنتعقل ماهية الجسم ، ونحده بأنه ما تركب من أجزاء ، مع الذهول عن وجوده ، وأيضاً : نستطيع أن نتعقل الوجود مع عدم تعقل الماهية ، كتعقلنا لوجود الروح مع عدم إدراكنا لماهيتها .

اكتساب الثبوت ، فإن تصديقنا بثبوت الوجود للماهية قد يفتقر إلى كسب ونظر ، كتصديقنا بوجود الجن مثلاً ، بخلاف ثبوت الماهية وذاتياتها لها فإنه غير محتاج إلى كسب ونظر(20) .

ثانياً : الأدلة على أن الوجود زائد على ذات الواجب :

1- أنه لو لم يكن الوجود في الواجب زائداً عليه ن لكان الواجب هو الوجود المقيد بقيد التجرد ، لأن الوجود مشترك بين الواجب والممكنات ، ووجود الواجب لا يكون زائداً عليه ، فيلزم أن يكون الواجب عبارة عن الوجود المجرد ن أي : الوجود الذي لا يكون عارضاً ، وحينئذ لو تجرد الوجود لتجرد لعلة غير الوجود ، وهذا باطل ، فيلزم منه بطلان كون الواجب عبارة عن الوجود المجرد .

والعلة في أن الوجود لو تجرد لعلة غير الوجود : هو أن لو لم يكن تجرد الوجود لعلة غير الوجود لكان تجرده لذات الوجود ، فيكون التجرد لازماً لذات الوجود من حيث هو هو ، والوجود في الممكنات عارض ، فلا يكون مقتضياً للتجرد في الممكنات ، فيلزم التنافي في لوازم الوجود من حيث هو هو ، وهو محال .

إذن ثبت أنه لو تجرد الوجود لتجرد لعلة غيره ، وهذا باطل ، لأنه يلزم منه أن يكون الوجود الواجب ممكناً ، وهو محال ، فثبت أن الوجود زائد على ذات الواجب .

ويمكن أن يقرر هذا الدليل بوجه آخر ، وهو أن يقال : الوجود المشترك بين الواجب والممكنات : إما أن يقتضي التجرد أو يقتضي اللاتجرد ، أو لا يقتضي التجرد ولا اللاتجرد ، والأول يقتضي التجرد في الممكنات أيضاً ، والثاني يقتضي اللاتجرد في الواجب أيضاً ، والثالث يقتضي أن يكون كل من التجرد واللاتجرد لعلة غير الوجود ، فيلزم أن يكون الواجب ممكناً (21).

2-إن الواجب يشارك الممكنات في الوجود ، لأن الوجود معناه الثبوت أو الكون في الأعيان ، ويخالفها في الحقيقة ، ومن المعلوم أن ما به الاشتراك غير ما به الاختلاف ، فوجب أن يكون الوجود غير الماهية .

3- أن الوجود معلوم ضرورة لكل أحد ، وحقيقة الواجب غير معلومة ، فوجب أن يكون الوجود غير الذات ، لأن المعلوم خلاف المجهول (22).

أدلة المذهب الثالث :

استدلال الفلاسفة على أن وجود الواجب عين ذاته بعدة أدلة ، منها :

1- أنه لو كان الوجود زائداً في الواجب ، فلا يخلو : إما أن يكون الواجب الذي هو مبدأ الكائنات هو الماهية والوجود ، وإما أن يكون الواجب هو الماهية دون الوجود ، وإما أن يكون الواجب هو الوجود دون الماهية .

فإن كان الواجب هو الماهية والوجود لزم تركيب الواجب ، والتركيب ولو عقلاً يؤدي إلى احتياج المركب إلى من يركبه ، وإلى احتياجه إلى أجزائه ، وهو مؤد إلى الحدوث الذي هو محال في حق واجب الوجود عز شأنه.

وإن كان الواجب هو الماهية لزم الاحتياج ، لأنها تكون محتاجة إلى الوجود ، حيث لا تحقق لها إلا به ، فيلزم الإمكان ، وهو محال .

وإن كان الواجب هو الوجود لزم الاحتياج أيضاً ، لأنه محتاج إلى الماهية احتياج العارض إلى المعـــروض ، فيلزم الإمكان المحال .

وحيث أنه ثبت ترتب المحال على كون الوجود زائداً في الواجـــب ، ثبـــت أن وجـــود الواجـــب عـــين ذاته ، وهو المطلوب .

2- أنه لو كان الوجود زائداً في الواجب ، لكان محتاجاً إلى ذات الواجب ليقوم بها وهذا يلزم منه أن يكون ممكناً،والممكن يجوز زواله،فيكون وجود الواجب جائز الزوال ، وهذا باطل ، فثبت أن وجوده عين ذاته (23) هذه أهم الأدلة التي أوردها كل فريق للاحتجاج على مطلوبة .

وتبقى هنا نقطة أخيرة ، وهي أن القائلين بزيادة الوجود على الماهية أشاروا إلى أن زيادة الوجود على الماهية إنما تعقل في الذهن والتصور فقط ، فلا يمكن أن تتصور تلك الزيادة في الوجود الخارجي .

قال الأصفهاني موضحاً هذا المعنى : "" وأعلم أن زيادة الوجود على الماهية في التعقل ، على معنى أن العقل إذا تصور الماهية لم يجدها نفس الوجود ، ولا مشتملة على الوجود ، بل وجد الوجود غير نفسها وغير داخل فيها ، فاتصاف الماهية بالوجود أمر عقلي ، ليس كاتصاف الجسم بالبياض ، فإن الماهية ليس لها وجود منفرد ، ولعارضـــها المسمى بالوجود وجود آخر ، فيحل الوجود في الماهية كالبياض في الجسم ، بل الماهية إذا كانت فكونها وجودهـــا ، والماهية إنما تكون قابلة للوجود عند وجودها في العقل ، فلا يكون الوجود زائداً إلا في العقل "" (24).

التوفيق بين الآراء :

تعتبر مسألة زيادة الوجود على الماهية من أهم المسائل الكلامية المطروحة في مباحث الوجود ، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب الفلسفة وعلم الكلام إلا وتعرض لها ، فكثرت فيها الأدلة والاعتراضات والمناقشات ، وسودت فيها الصفحات .

لكن عند تأملنا في مذاهب هذه المسألة وأدلتها ، تأملاً يتسم بالإنصاف والبعد عن الهوى والتعصب ، نجـــد الخلاف فيها خلافاً لا يرتكز على أسس صحيحة ، بل لا يبعد أن تكون هذه المسألة من ضمن المشكلات الزائفة التي اتخمت بها كتب الفلسفة والكلام ، وأرهقت المتصدين لها ، وقد تفطن لهذا كثير من العلماء المحققين(25) ، فتصدوا لبيان هذه الحقيقة ونادوا بان هذه المسألة لا تستحق كل هذا العناء والتطويل ، والحال أن أقوال المتخلفين فيها لم ترد على مورد واحد ، بل إن كل واحد منهم نظر على جهة في المسألة لم ينظر إليها الآخر ، ولو نظروا كلهم إلى جهـــة واحدة لما اختلفوا .

وليس ثمة شك في أن كثيراً من العلماء المتأخرين عن أصحاب هذه المسائل ساهموا بشكل أو بآخر ، في تضخيم هذه المسألة وتطويلها ، فأوردوا فيها من الاعتراضات والمناقشات ما تمجه الأسماع ، وتنفر منه الطباع ، وهذا دائماً حال المسائل البسيطة عندما تضخم ويطول فيها .

ولبيان كيفية كون هذا الخلاف غير حقيقي ، نقول : إن الإمام الأشعري ومن وافقه لم نظروا في الهوية الخارجية للشيء ، ورأوا أن الوجود في الخارج لا ينفصل عن ماهية الموجود ، بحيث تتميز الصفة من الموصوف ، ويكون كالسواد وماهية الأسود ، وأنه لا فرق في ذلك بين الواجب والممكن ، قالوا : إن الوجود عين الموجود أو الماهية ، بمعنى أنه ليس في الخارج حقيقتان متمايزتنا بالتعين الخارجي ، تقوم إحداهما – وهي الوجود – بالأخرى ، وهي الذات أو الماهية ، بل المتحقق في الخارج هو الذات فقط .

وما ذهبوا إليه هنا لا ينفي أن يكون بين الذات والوجود تغاير في المفهوم العقلي ولا يمكن لأحد أن يخالفهم فيه .

والفلاسفة لما قالوا : إن الوجود عين الموجود في الواجب وغيره في الممكن ، فقد بنوه على ما قرروه من أن ذات الواجب بقطع النظر عن جميع الملاحظات ، كافية في انتزاع مفهوم الوجود منها ، لأن وجودها من ذاتها ، بمعنى أن ذات الواجب مقتضية للوجود ، ولا يمكن أن ينفك الوجود عنها .

وهذا بخلاف وجود الممكن ، فإننا لو نظرنا إلى ذاته بقطع النظر عن جميع الملاحظات ، لم تكن ذاته كافية في انتزاع ذلك المفهوم المشترك ، بل لابد في انتزاع ذلك من اعتبار الفاعل المؤثر فيه ، ولهذا قالوا : إن وجود الممكن زائد على ذاته ، وما ذهب إليه الفلاسفة لا يمكن لعاقل أن يخالف فيه (26).

وأما جمهور المتكلمين فإنهم لما نظروا إلى مفهوم الوجود ، ووجدوه أنه أمر ينتزع من وجود الواجب ووجود الممكن ، و لا يمكن أن يكون عيناً لشيء من الواجب والممكن ، بل يجب أن يكون اعتباراً آخر غير المهيآت يحكم عليها به ، قالوا : إن الوجود غير الموجود في الواجب والممكن ، وهذا أيضاً مما لا يمكن لعاقل أن يخالف فيه .

إذن يتبين مما سبق : أن جميع المذاهب متفقة على أن مفهوم الوجود مغاير لمفهوم الماهية والذات ، سواء كان ذلك في الواجب أو الممكن ، وأنه ليس في الخارج **حقيقتان متمايزتان** : إحداهما الوجود ، والأخرى الماهية .

الخلاصة

إن أصالة الوجود التي أسس عليها الشيرازي فلسفته المتعالية في كل مباحثها، قابلتها القول باعتبارية الماهية ، وأثبت الشيرازي لهذا الأصل الجوهري، إنما مر عبر صور عديدة من النقد لتلك المذاهب التي قالت باعتبارية الوجود وأصالة الماهية، كمذهب ابن سينا الذي ميز فيه بين الماهية والوجود في الواقع، فأكد أن الوجود قائم بالماهية، لأن وجود الممكن زائد علي ماهيته، وعليه صار الوجود عرضا من الأشياء، وانتهي إلي أن الحدود الحقيقية إنما تصنع من شرائط الماهية ومقوماتها، لا من شرائط الوجود.

فالوجود منتزع من الماهية لاعتباريته وأصالتها، ولقد كان من أشد الناقدين لمذهب أصالة السهروردي شهيد الإشراف الذي رأي أن الماهية هي الحقيقة الوحيدة ، أما الوجود فتجريد عقلي اعتباري، أو هو صفة للماهية، ومن هنا رفض أن يكون الوجود متحققا في الأعيان لأن هذا يؤدي عنده إلي التسلسل اللانهائي ولقد وصل الأمر إلي ذروته في مذهب الميرداماد استاذ الشيرازي المباشر الذي رأي في " قبساته" أن الحقيقة الأولية للماهية وليس للوجود، إذ الوجود زائد علي الماهية في الأعيان الواقعية، هذه بصورة اجمالية المذاهب الماهوية التي رفضت اصالة الوجود وأكدت أصلة الماهية، وهي التي دافع عنها الشيرازي فترة طويلة عندما كان واقعا تحت تأثير أستاذه الميرداماد، وهو يقول عن ذلك " وإني كنت شديد الذب عنهم في اعتبارية الوجود وتأصل الماهيات، حتي أن هداني ربي وانكشف لي انكشافا بينا أن الأمر بعكس ذلك وهو أن الوجوديات هي الحقائق المتأصلة الواقعة في العين، وأن الماهيات المعبر عنها في عرف طائفة من أهل الكشف واليقين بالأعيان الثابتة ما شمت رائحة الوجود أبدا" .

المصادر والمراجع :

1) الشيرازي : الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ص 81.
2) الشيرازي : الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ص 244 .
3) الشيرازي : الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ص 244 .
4) الشيرازي : الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ص 244 .
5) العلامة الطبطبائي : أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، ثلاث مجلدات ، تعليق : مرتضى مظهري ، ترجمة : عمار أبورغيف ، مؤسسة أم القرى ، للتحقيق والنشر ، بيروت ، 1421 هـ ، مجلد 2 ، ص 44 .
6) العلامة الطبطبائي : أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، ثلاث مجلدات ، تعليق : مرتضى مظهري ، ترجمة : عمار أبورغيف ، مؤسسة أم القرى ، للتحقيق والنشر ، بيروت ، 1421 هـ ، مجلد 2 ، ص 44 .
7) العلامة الطبطبائي : أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، ثلاث مجلدات ، تعليق : مرتضى مظهري ، ترجمة : عمار أبورغيف ، مؤسسة أم القرى ، للتحقيق والنشر ، بيروت ، 1421 هـ ، مجلد 2 ، ص 47 .
8) العلامة الطبطبائي : أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، ثلاث مجلدات ، تعليق : مرتضى مظهري ، ترجمة : عمار أبورغيف ، مؤسسة أم القرى ، للتحقيق والنشر ، بيروت ، 1421 هـ ، مجلد 2 ، ص 48 .
9) العلامة الطبطبائي : أصول الفلسفة والمنهج الواقعي ، ثلاث مجلدات ، تعليق : مرتضى مظهري ، ترجمة : عمار أبورغيف ، مؤسسة أم القرى ، للتحقيق والنشر ، بيروت ، 1421 هـ ، مجلد 2 ، ص 50 .
10) الشيرازي الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ، ص 87 ، المجلد الثاني ص 8 .
11) الشيرازي الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ، ص 87 .
12) الشيرازي الأسفار الأربعة ، المجلد الأول ، ص 91-92 و ص 399 .
13) شرح المواقف 256/1 ، مباحث الوجود والماهية للدكتور ، أحمد الطيب ص 71
14) مباحث الوجود والماهية ص 72 .
15) نهاية الأقدام للشهرستاني ص 213 ، الأربعين في أصول الدين للرازي 143/1 الصحائف الإلهية ص 78 ، طوابع الأنوار للبيضاوي ص 78 ، شرح المقاصد 61/1.
16) الكامل في الاستقصاء لتقي الدين النجراني ص 171 ، الأربعين للرازي 143/1 تجريد الاعتقاد للطوسي ص 63 ، مطالع الانظار للأصفهاني ص 39 ، شرح المقاصد 61/1 ، شرح المواقف 256/1.
17) فصوص الحكم للفارابي المطبوع ضمن كتاب : المجموع من مؤلفات أبي نصر الفارابي ، مطبعة السعادة بمصر ، المطبعة الأولى 1325ه، 1907م ، ص 115 ، المباحثات لأبن سينا ، تحقيق : محسن بيدارفر ، طبع ايران – قم ص 248 ، المباحث المشرقية للرازي 30/1 .
18) شرح المقاصد 68/1 .

19) كشف المراد ص 9 ، شرح المقاصد 69/1، شرح المواقف 257/1 .

20) شرح المقاصد 62/1 ، القول السديد لأبي دقيقة 92/1 .

21) مطالع الأنظار للأصفهاني ص 41 .

22) شرح المقاصد 65/1 ، القول السديد 94/1 ، وقد ورد على هذه الأدلة عدة اعتراضات أنظرها في المراجع التي سبق ذكرها ، ، وأيضاً في مطالع الأنظار ص 42 ، شرح المواقف 265/1 .

23) الصحائف الالهية ص 81 ، القول السديد 94/1 وأنظر الاعتراضات الواردة على أدلة الحكماء في أن وجوده عين ذاته في مطالع الانظار ص 43 شرح المقاصد 63/1 شرح المواقف 262/1 .

24) مطالع الأنظار ص 41 .

25) الأمام عضد الدين الايجي ، والشريف الجراجاني ، والشيخ محمد بخيت المطيعي ، والشيخ محمود أبو دقيقة ، وغيرهم أنظر شرح المواقف 271/1 ، القول المفيد للشيخ بخيت ص 17 ، القول السديد لأبي دقيقة 95/1 .

26) القول المفيد للشيخ محمد بخيت المطيعي ص 17 ، القول السديد لأبي دقيقة 96/1.

العلاقات السياسية بين طرابلـــــس
ومملكة الكانم – البرنو
ما بين القرنين الثالث - الحادي عشر الهجري

استاذ حمد محمد الجهيمي
قسم التاريخ -جامعة عمر المختار

تمهيـــد

لعبت طرابلس الغرب دورًا كبيرًا في العلاقات السياسية بين الدول التي تعاقبت علي حكم إفريقيـــه وبـــلاد المغرب، وامتد هذا الدور إلى مملكة الكانم – البرنو، وقد بدأ هذا الدور منذ أن بدأت محاولات فتح طرابلس في عهد عمرو بن العاص وحتى تم فتحها بعد ذلك ودخول أهلها وواحاتها في الإسلام، وقد كان لموقع مملكة الكانم – البرنو وسط الصحراء بعيدًا عن العواصم والمراكز الحضارية الإسلامية في شمال القارة وشرقها أثـــر في تطـــوير علاقتـــها بطرابلس، كما ظلت هذه المنطقة عبر عصور التاريخ ترتبط مع شمال أفريقيا وشرقها بشبكة من طرق القوافل، ممـــا ساعد علي فك عزلة تلك المملكة عن العالم الخارجي، كما ساهمت هذه الطرق في تنمية الحياة الاقتصادية بواســـطة تجار القوافل من الليبيين والمصريين والسودانيين وغيرهم.

وهذا البحث هو محاولة لتسليط الضوء على العلاقات العربية الإفريقية بصفة عامة وعلاقة طرابلس بمملكـــة الكانم – البرنو بصفة خاصة مستهدفًا إبراز السمات والخصائص العامة من خلال تطور العلاقات السياســـية بـــين الطرفين خلال تلك الفترة حيث قسمته إلى أربعة عناصر رئيسية هي :-

أولاً : العامل الجغرافي وأثره في تطور العلاقات بين البلدين.

ثانياً: الأوضاع السياسية في طرابلس ومملكة الكانم – البرنو خلال الفترة 3-11هـ/9-17م.

ثالثاً : تأثر النظام الإداري في مملكة الكانم – البرنو بطرابلس .

رابعًا : السفارات المتبادلة بين طرابلس ومملكة الكانم – البرنو .

العامل الجغرافي وأثره في تطور العلاقات بين البلدين

أدركت مملكة الكانم – البرنو، منذ زمن بعيد أن طرابلس هي نافذتها الأهم والأقرب لها علي العالم الخارجي الذي دأب علي الإقبال علي منتجاتها، وهو ما وفر حياة مترفة لملوكها، ولم تكن حكومات طرابلس بأقل حظًا مـــن هذا الترف، لاسيما أنها اجتهدت في استغلال خاصية الموقع الجغرافي إلى أقصى حد، فطرابلس الواقعة علـــي البحـــر المتوسط تعد أفضل قاعدة للانطلاق نحو الصحراء وأراضي الجنوب[1].

بالإضافة إلى ذلك فإن حدود مملكة الكانم – البرنو تتداخل من الناحية الشمالية مع واحات طرابلس، ويذكر كل من البكري[2] والوزان[3] أن مملكة كانم امتدت بحدودها في الصحراء حتى بلغت واحة زويلـــة وأن صـــحارى طرابلس امتدت حتى بلاد السودان، ويؤكد هذا التداخل ما ذكره ياقوت في حديثه عن واحة زويلة إذ وصفها بأنها

---

1) رودلفوميكالى: طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القراملليين (ترجمة طه فوزى، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1961م)، ص5، 6.

2) المسالك والممالك (تحقيق أدريان فان ليوفن، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992)، ج2، ص658 – د.لمياء محمد شرف الدين: تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط (مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001)، ص150.

3) وصف أفريقيا (ترجمه عن الفرنسية عبدالرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م) ص524.

أول بلاد السودان[1]، ولعل في قول الرحالة الألماني رولفس ما يبرز أهمية طرابلس عندما ذكر أن من يريد أن يكـــون حاكمًا علي السودان والنيجر وتشاد يجب عليه أن يستولى علي طرابلس[2] .

أسهم التداخل والامتداد في الحدود بين طرابلس ومملكة الكانم – البرنو، بشكل إيجابي في تطوير العلاقات بين الطرفين، وحتم قيام علاقات سياسية بحكم الاحتكاك السلمي المتمثل في الهجرة والتجارة، والاحتكـــاك العســـكري المتمثل في محاولات بعض مايات مملكة الكانم – البرنو في السيطرة علي واحات طرابلس[3].

مما سبق يمكن القول إن موقع مملكة الكانم – البرنو تميز بعدة مميزات أسهمت بشكل إيجابي في تطور علاقتها مع طرابلس، ومن هذه المميزات

أن مملكة الكانم – البرنو تقع وسط الصحراء بعيدًا عن العواصم والمراكز الحضارية الإسلامية في شمال القارة وشرقها، مما جعلها في منأى عن الصراعات الدينية والسياسية والاجتماعية التي شهدتها هذه العواصم، وهو ما جعل الكثير من الشعوب تترح إلى هذه المناطق طلبًا للحماية، فعندما اتسعت مملكة كانم في فتـــرة حكـــم المـــاى دونمـــا ديبالامى(609-647هـــ/ 1210-1248م) وكثرت غزواته سواء التي استهدفت إخضاع القبائل الوثنية القاطنة حول مملكة الكانم – البرنو أو تلك التي توجهت إلى الشمال، بقصد التحكم في مناطق الطرق التجارية بالصـــحراء الكبرى، تطلع ذلك الماى إلى السيطرة علي واحة فزان التي كانت تتنازعها الصراعات بين أسرة بنى خطاب وأســـرة قراقوش، وقد اغتنم هذا الماى ذلك الصراع وسير حملة قادها بنفسه أسفرت عن إخضاع تلك الواحة لمملكة كـــانم حتى عام 709هـــ/1310م[4]

إن تنوع الأقاليم المناخية في تلك المملكة (من الإقليم الصحراوي في الشمال إلى السهل الساحلي في الوسط إلى الإقليم شبه الاستوائي في أقصى الجنوب)، وما تبع ذلك من اختلاف في كميات الأمطار التي تسقط علي كـــل إقليم، وما ترتب عليه أيضًا من اختلاف في أنماط حياة السكان من الرعاة في الشمال والوسط إلى المزارعين في الوسط والجنوب، كل هذه العوامل تعد مميزات علي قدر كبير من الأهمية، لا تتوافر بنفس القوة في بلدان أو ممالك أفريقيـــة أخرى[5].

---

1)معجم البلدان(دار صادر، بيروت، 1986م)، ج3، ص159 ، 160.

2)رحلة عبر أفريقيا (ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1996م)، ص445.

3)البكري : المصدر السابق ، ج2، ص661 – علي مصطفى المصراتي : مؤرخون من ليبيا (الشركة العامة للنشر والتوزيع، 1977م)، ص28 –فضل الدكور : الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم من 600 – 1000 هـــ(كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس، 1998م) ، ص104 – صالح السباني : مملكة الكانم والبرنو وعلاقتها مع أقطار الشمال الإفريقي (رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1989) ، ص182.

4) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا (تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1970م) ص127 – محمد سليمان أيوب:مختصر تاريخ فزان حتى عام 1811م (المطبعة الليبية،طرابلس، 1967م)،ص95– فيج، جى. دى: تاريخ غرب أفريقيا (ط1، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، 1982)، ص73 – صالح السبانى: مملكة كانم (رسالة ماجستير)،ص149.

5) صالح السباني : مملكة كانم (رسالة ماجستير)، ص149.

ظلت هذه المنطقة عبر مختلف العصور التاريخية ترتبط مع شمال طرابلس وشرقها بشبكة من طرق القوافل، مما ساعد علي فك عزلتها عن العالم الخارجي، كما ساهمت تلك الطرق في تنمية الحياة الاقتصادية بوصول السلع الأجنبية إلى أسواق المنطقة، بواسطة تجار القوافل من الليبيين والمصريين والسودانيين وغيرهم.

الأوضاع السياسية في طرابلس ومملكة الكانم - البرنو

خلال الفترة من 3-11هـ/ 9-17م

طرابلس تحت حكم الأغالبة:

دخلت طرابلس مرحلة جديدة من تاريخها بقيام دولة الأغالبة سنة 184هـ/800م عندما أمر عليها إبراهيم بن الأغلب، سنة 189هـ/804م عامله سفيان بن المضاء الذي ثار عليه سكان طرابلس وطردوه منها، فاستعمل أبن الأغلب عليهم ابنه عبدالله بن إبراهيم بن الأغلب، فثار عليه الجند[1]، فعزله والده واستعمل سفيان بن المضاء مرة أخرى لإرضاء قبيلة هوارة ، ثم ثارت هوارة عليه بالاشتراك مع الأباضية وحاصروا طرابلس بقيادة عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، وظلت طرابلس ولاية تابعة للأغالبة في عهد كل من أحمد بن محمد بن الأغلب (242-249هـ/ 856-863م)[2] ، وأبي الغرانيق(250-261هـ/864- 875م)، وإبراهيم بن الأغلب الثاني(261-289هـ/ 864- 903م)874م والذي عين محمد ابن قهرب عاملاً علي طرابلس سنة 261هـ /874م وفي أيامه حدثت فتنة العباس بن أحمد بن طولون، كما انتشر القحط والغلاء فهلك الناس وأعلنت هوارة العصيان، فسير إليهم حاجبه بن قهرب فهزمهم وطلبت هوارة الأمان وركنت إلى الطاعة[3].

طرابلس تحت حكم الفاطميين:

وصل عبيدالله المهدي طرابلس سنة 296هـ/ 908م لتدخل طرابلس تحت حكم الفاطميين، وتولى إمارتها ماكنون بن ضبارة اللحياني ولاقت الدولة الفاطمية مقاومة عنيفة من سكان الساحل الطرابلسي السني، ودواخل طرابلس الأباضية، وقادت الثورات كل من هوارة وزناتة اللتان كانتا تتحسسان من هيمنة كتامة الموالية للفاطميين، فقامت ثورثان ضد الفاطميين في طرابلس الأولى سنة 298هـ/ 910 بزعامة أبي هارون الهواري انتهت بهزيمة الطرابلسيين، والثانية سنة 300هـ/ 912م حيث ثار أهل طرابلس علي ما كنون اللحياني وفتكوا بكل من وقع في أيديهم من أبناء كتامة ودارت بينهم حروب لمدة طويلة[4]، ولكن أهل طرابلس خلدوا للهدوء والاستكانة طوال عهد

---

1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ (ط2، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1965) ج2، ص270-الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا(ط4، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2004)، ص166.

2) ابن الآبار: الحلة السيراء (تحقيق حسين مؤنس ، ط2، دار المعارف ، مصر، 1985م) ج1، ص168.

3) النويرى: نهاية الارب في معرفة انساب العرب (تحقيق د.حسين نصار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة)، ج24، ص130.

4) القاضى النعمان: افتتاح الدعوة (تحقيق فرحات الدشراوى، تونس، 1975)، ص 135 – ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار المغرب، (تحقيق كولان، ط3، الدار العربية للكتاب،بيروت، 1983)، ج1، ص163 – حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية (ط3، 1964)، ص84.

الخلفاء الأوائل، وفي أيام الخليفة العزيز بن المعز (365 – 386هـ/975 – 996م) حاول بلكين بن زيرى الصنهاجي[1] حاكم إفريقية إضافة ولاية طرابلس إلى أعماله فأنعم عليه بها سنة 365هـ/977م[2].

طرابلس تحت حكم الصنهاجيين:

استمرت طرابلس تحت حكم الصنهاجيين بإفريقية حتى سنة 390هـ/999م عندما تولاها يأنس الصقلي من موالي العزيز بالله بمصر، وانفصلت عن منصور بلكين الزيرى، مما آثار حفيظته فأرسل جيشًا بقيادة جعفر بن حبيب لطرد يأنس من المدينة، وتم له ذلك بالقرب من جترور[3]، وفي سنة 391هـ/1000م انفصلت طرابلس عن سلطان الصنهاجيين وتكونت فيها دولة جديدة وهي دولة بني خزرون الزناتيين التي ظلت علي عداء مع الصنهاجيين حتى سنة 540هـ/1145م حيث تغلب عرب بني هلال، وبني سليم عليها، مما أدى إلى تحويل إفريقية ومعها طرابلس إلى مشيخات بدوية يسيطر عليها النظام القبلي، ولا يجمع بينهم أي نوع من التنظيم الذي كان يمكن أن يوحد جهودها للوقوف في وجه المخاطر الخارجية التي باتت تشهدها[4].

طرابلس تحت حكم الصقالبة:

طمع روجر الصقلي في طرابلس، فهاجمها سنة 537هـ/ 1142م، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها[5]، ولكنه دخلها دون عناء سنة 540هـ/1145م، بعد أن فر واليها محمد بن خزرون[6]، فولي روجر عليها أبا يحي رافع بن مطروح الذي تعهد له بالتبعية وإرسال الضريبة السنوية[7] ، طيلة اثني عشر عامًا، شهدت طرابلس خلالها ازدهارًا اقتصاديًا سواء في عهد روجر الأول أو ابنه روجر الثاني الذي تولى حكم صقلية سنة 549هـ/ 1154م، لكنه كان شديد القسوة علي المسلمين فثاروا عليه في صفاقس، وهو ما دفع ابن مطروح إلى القيام بثورة في طرابلس سنة 553هـ/1158م، استمرت حتى تحررت طرابلس وطرد الصقليين منها[8].

---

1) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر(دار الكتب العلمية، بيروت، 1992)، ج4، ص40 – 45 – النائب الأنصارى: المنهل العذب (منشورات دار الفرجاني ، طرابلس، 1984م) ج1، ص84 – إحسان عباس: ليبيا في كتبالتاريخ والسير (ط1، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغارى، 1968) ص 92.

2) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص228.

3) ابن غذارى: المصدر السابق، ج1، ص249.

4) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 567 – النويرى: المصدر السابق، ج 24، ص 212–222 –ابنخلدون: المصدر السابق، ج6، ص 18، 19 – إحسان عباس: المرجع السابق، ص 135، 136.

5) ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص 91،92 – الإدريسي: نزهة المشتاق(مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج1، ص 297.

6) ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص 108 – التيجانى: رحلة التيجاني(دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس، 1989)، ص 241– ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 198، 199.

7) التيجانى: المصدر السابق، ص 241، 242.

8) ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار (تحقيق الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004م)، ص90.

طرابلس تحت حكم الموحدين:

تمكنت دولة الموحدين من طرد الصقالبة من المهدية سنة 555هـ/1160م، فانضم إليهم ابن مطروح وإلي طرابلس، وأقبل سنة 558هـ/1163م مع وفد من أعيان طرابلس إلى المهدية، فاستقبلهم الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي بالتقدير والتكريم، وأقر ابن مطروح علي ولايته لطرابلس[1].

واستمر ابن مطروح واليًا على طرابلس من قبل الموحدين إلى خلافة يوسف بن عبدالمؤمن لتنتهي فترة حكمه علي طرابلس التي بلغت ثلاثين عامًا، نجح خلالها في ضمان نوع من الاستقرار للمدينة[2].

طرابلس تحت حكم قراقوش الأرمني وابن غانية اللمتوني:

شهدت طرابلس بعض الاضطرابات والقلاقل تمثلت في حركتي قراقوش الأرمني،وبن غانية اللمتوني استمرت أكثر من نصف قرن جعلت طرابلس في حالة من الفوضى السياسية، حيث خاض قراقوش مع رفيقه إبراهيم قرانكتين السلاح دار بصحبة بعض الجنود، سنة 568هـ/ 1172م مغامرة حربية حيث سلكا طريق الحج إلى بلاد المغرب[3].

المغرب[3].

وصل قراقوش وإبراهيم السلاح دار إلى العقبة، وانفصل كل منهما متخذًا طريقًا خاصًا به ليملك كل ما يفتحه[4]، ثم تابع قراقوش طريقة إلى سنترية وفتحها وخطب فيها لصلاح الدين الأيوبي، كما استولى علي أوجلة وإحدى واحاتها وتسمى الأزارقة، ثم دخل زويلة وفزان، وأسقط دولة بني الخطاب الهواريين عام 568 – 569هـ/1172 – 1173م، وأسر آخر ملوكها وعذبه من أجل الحصول علي أمواله حتى مات[5]، وخطب فيها باسم صلاح الدين الأيوبي[6]، ثم اتجه إلى طرابلس وإفريقية متحالفًا مع قبائل بني دياب فضم معهم زليطن، ولبدة، ومسلاتة، وكثر عدد جنده فسيطر علي طرابلس وغادرها إلى قفصة، ثم إلى القيروان التي تمكن فيها من هزيمة الجيش الموحدي سنة 575هـ/1179[7].

دخل قراقوش سنة 581هـ/1185م في تحالف مع علي بن غانية ضد الدولة الموحدية مما اضطر الخليفة الموحدي يعقوب المنصور(580- 595هـ/ 1184 – 1199م) للخروج بنفسه لمجابهتهم، وتمكن من هزيمتهم، ورجع إلى قابس ففتحها، وأسر أولاد قراقوش وحملهم إلى مراكش الأمر الذي دفع بقراقوش إلى أن يبعث برسالة إلى الخليفة الموحدي يعرب فيها عن رغبته في الطاعة[8]، وكانت سنة 609هـ/1212م نهاية قراقوش مقتولاً علي يد يحي بن غانية وحلفائه في واحة ودان بعد حصار طويل[1].

---

1) الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية (تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، د.ت)، ص 8.
2)الزركشي : المصدر نفسه ، ص9.
3) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب (تحقيق جمال الدين الشيال، المطبقة الأميرية، القاهرة، 1957) ص112.
4) ابن واصل: المصدر السابق، ج1، ص 236- التيجانى: المصدر السابق، ص 112.
5) التيجانى: المصدر السابق، ص112، 113 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص227.
6)التيجاني : المصدر السابق، ص269.
7) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق وسر الخلائق (تحقيق حسن حبشي، عالم الكتب، بيروت، د.ت)، ص69.
8) ابن الأثير: المصدر السابق، ج11، ص512 – ابن عذارى: المصدر السابق، ج5، ص190.

طرابلس تحت حكم الحفصيين:

لم يهدأ أولاد قراقوش بعد قتل والدهم، فهرب أحد أبنائه إلى واحة ودان بعد أن أمنه الخليفة المستنصر سنة 647هـ/1249م[2]، فأشعل فيها ثورة هددت طرق القوافل التجارية بين مملكة الكانم – البرنو وطرابلس، فأرسل إليه ملك برنو دونمة دابلامى 658هـ/1259م من قتله، فشكره السلطان الحفصي علي ذلك مجددا العلاقات معه[3]، ومنذ سنة 631هـ/1233م امتد سلطان الدولة الحفصية[4] علي طرابلس .

واجهت الدولة الحفصية العديد من الثورات التي أسهمت في إضعاف دولتهم وفقدها القدرة علي بسط سيطرتها علي مناطق نفوذها مما عرضها للأخطار الخارجية وتحولت بقية الواحات الداخلية لطرابلس كواحة ودان وغَدَامس شمالاً وغات وزويلة جنوبًا بعد القضاء علي حركة قراقوش نوع من الفراغ السياسي وعاشت في حالة من الفوضى، فتحرك الزغاويون الذين كونوا ملكًا في مملكة الكانم إلى غرب بحيرة تشاد ومدوا ملكهم علي واحة فزان حتى حدود طرابلس[5]، كما استولوا علي واحة زويلة وودان سنة 657هـ/1258م ، وأمنوا طريق القوافل التي كانت تصل بلادهم بالبحر المتوسط عن طريق طرابلس[6] وعين ملكهم دونمة دابلامى (658هـ/1259م) حاكمًا علي فزان واتخذ من واحة تراغن، قاعدة لحكمة يعاونه عدد من الجنود الكانميين عرفوا باسم الكنوري[7].

مع بداية القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى وخلال حكم الكانميين لواحة فزان ظهرت قبائل الخرمان[8] في منطقة وادي الآجال، وقاموا بثورة ضد الكانميين وطردوهم بعد معارك طاحنة معهم، وبسطوا سيطرتهم علي واحتي فزان وغدامس، ولكن عندما حاولوا بسط نفوذهم وسيطرتهم علي واحة غات اصطدموا بقوة الطوارق بزعامة قبيلة أوراغن المهيمنة علي تلك الواحة، وظلت العلاقات بين الطرفين متوترة تؤججها المنافسة للسيطرة علي طرق القوافل التجارية لأهميتها الاقتصادية بما تدره من إتاوات تدفعها القوافل القادمة والمغادرة من واحة غات.

---

1) التيجانى: المصدر السابق، ص110 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص229.

2) بويع بالخلافة الحفصية سنة 647هـ/ 1249م، وفي أيامه عادت الحركة الصليبية لتوجيه نشاطها نحو المغرب من جديد، فكانت الحملة الثامنة التى قادها لويس التاسع ملك فرنسا سنة 668هـ/ 1270م في عهده، وتوفي المستنصر سنة 675هـ/ 1276م.
للمزيد انظر: ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة، 1962م) ج7، ص32 – ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية (تحقيق الطاهر العمورى، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984)، ص62، 63.

3) التيجانى: المصدر السابق، ص111.

4) يعد الحفصيون فرعًا من الدولة الموحدية، وهم ينسبون إلى حفص بن يحيى بن عمر الهنتاتىأحد ولاة عبد المؤمن بن علي الموحدى.
انظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص326.

5)NACHTIGALGUSTAV:- SHAHRA AND SUDAN – WADAI AND DARFUR – LONDON, 1971, P. 150.

6)عبد اللطيف البرغوتى: تاريخ ليبيا الإسلامي (دار صادر ، بيروت ، 1973م) ص 446.

7)هم أولئك الذين استقروا بالولايات الكانمية المختلفة، وأطلق هذا اللفظ علي خليط من الناس مختلفي الأصل تمييزًا لهم عن العناصر الأصلية، والكنورى هم العنصر الغالب من ناحية العدد والسلطان في مملكة كانم – برنو التى قامت بالسودان الأوسط خلال القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجرى / التاسع إلى التاسع عشر الميلادى.
للمزيد : انظر: مفتاح الرباضي: العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري، (رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2005م)، ص 18 – 19.

8) يقال إنهم قبائل محلية قديمة يسكنون وادي الحياة، وقد كانوا يستخدمون الخيول في ركوبهم وهم بقايا من الجرامنت.
انظر : محمد سليمان : مختصر تاريخ فزان ، ص97.

في مطلع القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادي غزا الطوارق واحة غدامس، واستولوا عليها، ثم ذهبوا إلى وادي الآجال وجرت بينهم وبين قبائل الخرمان معارك عديدة انتهت بهزيمة الطوارق وطردهم من هناك[1].

نتيجة للاشتباكات المتكررة بين الطوارق والخرمان، أصبحت واحة فزان في حالة من عدم الاستقرار، الأمر الذى سهل علي أسرة أولاد محمد الفاسى السيطرة علي المنطقة في منتصف القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، واستطاع محمد الفاسى أن يؤسس دولته بتلك الواحة، وحكمها ابنه السلطان الناصر بعد وفاة أبيه سنة 975هـ/ 1567م.

طرابلس تحت حكم الأتراك العثمانيين:

خلف المنتصر الفاسى أباه الناصر في الحكم، إلا أنه لم يكن في حنكة أبيه، ولا في سطوته، حيث دبت بوادر النزاع في بيته، وتنازع أفراد الأسرة الحاكمة حول امتيازات الحكم ونشطت حريم السلطان تحيك المؤامرات، مما أدى في نهاية الأمر إلى تدخل الأتراك العثمانيين سنة 985هـ/ 1577م[2].

خلف الناصر ابنه المنصور في الحكم سنة 1007هـ/ 1599م، وفي عهده أرسل السلطان العثماني سليمان باشا حملة لاحتلال واحة فزان، فخرج عليه الناصر في جيش مكون من فرق الفرسان الفزانية والتقى الجيشان وكانت نتيجة المعركة في بداية أمرها انتصار الجيش الفزاني، لولا تدخل المدفعية التركية التي استطاعت هزيمة الفزانيين، فزحف الأتراك وسقطت في أيديهم كل من واحة فزان وسبها ومُرزِق، وقتل الناصر وفر علي إثرها الطاهر أخو السلطان الناصر بخزائنه إلى مناطق وسط أفريقيا، فعين العثمانيون حاكمًا علي تلك الواحات، ثم رجعوا إلى طرابلس سنة 1007هـ/ 1599م[3].

تأثر النظام السياسي والإداري في مملكة الكانم - البرنو بطرابلس:

لم تكن هجرة قبائل طرابلس وواحاتها إلى وسط أفريقيا إلا بداية طبيعية للبحث عن البقاء والاستمرارية، وقد ساعدهم في ذلك التشابه البيئي بين موطنهم الأصلي والمناطق التي هاجروا إليها، مما سهل عليهم مواصلة نشاطاتهم المعتادة، من زراعة ورعى وتجارة، فبدءوا بإقامة نوع من الحياة التي اعتادوا عليها في أوطانهم واستطاعوا التأثير في العديد من جوانب الحياة منها السياسية والإدارية والعسكرية[4]. وسنحاول إبراز أثر هذه القبائل في تلك الجوانب.

---

1) محمد سليمان أيوب: المرجع نفسه، ص 100، 101.

2) ابن غلبون: المصدر السابق: ص175 – النائب الأنصارى: المنهل العذب، ج1، ص217، 218 – شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي (ترجمة د.محمد الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1983م)،ص150، 151.

3) ابن غلبون: المصدر السابق، ص179 – محمد أيوب: المرجع السابق، ص 108، 109.

4)نعيمة عبد السلام الحسين: هجرة القبائل العربية الليبية إلى بلاد السودان في مختلف العصور التاريخية "ندوة التواصل الليبي السوداني عبر العصور" (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006)، ص172 – 178.

الألقاب:

أول ما تجدر ملاحظته في تأثر سلاطين مملكة الكانم – البرنو بطرابلس هو الألقاب التي كانت تطلق علـــي الحكام والسلاطين، فلو ألقينا نظرة علي حكام طرابلس وواحاتها خلال فترة الدراسة[1]، لوجدنا أنهم حرصوا علـــي إضفاء لقب خليفة، أو أمير المؤمنين، أو سلطان علي أشخاصهم، وقد تأثر أولئك السلاطين بهذه الألقاب فســـلاطين مملكة الكانم أطلقوا علي أنفسهم لقب خليفة ولقب أمير المؤمنين، وكان أول من اتخذ ذلك اللقب هو الماى دونمـــة دابلامى (618-658هـــ/ 1221-1259م)، وقد سار علي ذلك خلفاؤه من بعده[2] ، كما حـــرص ســـلاطين ومايات برنو علي استخدام هذه الألقاب، وانتشرت هذه الألقاب في واحة فزان، حيث حرص سلاطين دولـــة أولاد محمد الفاسى في تلك الواحة علي إضفاء الألقاب الإسلامية علي أنفسهم، فنجد من ألقابهم: أمير المؤمنين المتوكل علي الله في جميع أموره المكرم، الأجل، الأمجد، الأنجد، الأسعد، الباهر[3]، وفي هذا دلالة علي تأثرهم بالألقاب الإســـلامية من ناحية، ودليل علي قوتهم وسيطرتهم علي ممالكهم، لأن من يلقب بلقب خليفة أو سلطان أو أمير للمؤمنين يعتبر ذا هيبة وقوة لدى المسلمين[4].

القضاء علي ظاهرة نسبة الماى للأم:

ومما يؤكد تأثير طرابلس وواحاتها علي هذه المملكة، القضاء علي ظاهرة نسب الماى إلى الأم، إذ بسبب علو منزلة النساء كانوا ينسبون الماى إلى الأم كالماي دونمة بن دابلامى نسبة إلى أمه دابلامى، والماى كادى بن ماتـــالا، وعثمان بن زينب، وداود بن فاطمة، وأوم بن عائشة، وإدريس الوما بن عائشة[5]، وقد اختفت هذه الظاهرة فتحولت أسماء المايا إلى الأباء مثل الماى إدريس بن علي(908 – 933هـــ/1502 -1526م) والماى محمد بن إديس(933 -952هـــ/1526 -1545م) وبالإضافة إلى ذلك ونتيجة للعلاقات السياسية اختفت ظاهرة توريث الحكم عـــن طريق الأمهات[6].

---

1) شملت فترة الدراسة بداية من حكم الأغالبة لطرابلس ومرورًا بحكم الفاطميين، والموحدين، والحفصيين، وانتهاء بحكم العثمانيين، فلقد أطلق الحكام الأغالبة علي أنفسهم خلال حكمهم لطرابلس لقبأمير، في حين نرى أن الخلفاء الفاطميين والموحدين قد اتخذوا لقب خليفة، وعندما قامت الدولة الحفصية في تونس، وشمل حكمها طرابلس أطلق الأمراء الحفصيون علي أنفسهم لقب أمير، كما منح السلاطينالعثمانيون لأنفسهم أثناء حكمهم لها لقب سلطان.

للمزيد من المعلومات: انظر: مجهول: مجموع به مناقب بعض الأولياء (مخطوط بدار الكتب الوطنية،تونس، تحت رقم 18555)، ص18 – ابن الأثير:الكامل في التاريخ، ج6، ص328 – النويرى: نهاية الآرب،ج24، ص100-298 – ابنالوردى: تتمة المختصر (دار المعرفة، بيروت، 1970م)، ج1، ص275، ج2، 375 – ابن خلدون: العبر، ج3، ص441، 442، ج6، ص391، 392- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهره، ج1،ص87.

2)إبراهيم طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية (الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1975)، ص152- أمين الطيبى: وصول الإسلام وانتشاره في كانم – برنو بالسودان الأوسط (مجلة الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989)، ص182.

3) القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الإنشا (ترجمة علق عليه محمد حسين شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1979) ، ج8، ص6-120.

4) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية،(دار الفكر العربى، القاهرة، 1982م)، ص92.

5)إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص154.

6) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، د.ت)، ص454.

تطبيق مبدأ الشورى:

ومن الملاحظ أيضًا أن هناك تشابهًا بين طرابلس وواحاتها ومملكة الكانم – البرنو فيما يختص بتطبيق مبدأ الشورى[1]، في أمور الدولة امتثالاً لقوله تعالى (**وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ**)[2] ، حيث نلاحظ أن هذا النظام طبق في تلك المملكة في صورة مجلس الدولة ، ويتكون هذا المجلس في الغالب من أبناء الأسرة الحاكمة، كما أنه يضم اثني عشر عضوًا، لذلك صار يعرف بمجلس الإثني عشر، ومدة العضوية به مدى الحياة، ومهمته مناقشة سياسة الدولة في السلم والحرب والمصادقة علي قرارات السلطان الذي يترأس هذا المجلس[3].

وجود ظاهرة الحجابة :

ومن تأثيرات طرابلس في تلك المملكة وجود ظاهرة الحجاب والمتعارف عليها في تلك المدينة خلال العهد الحفصي، استنادًا إلى ما ذكره ابن خلدون بقوله: "فتزينا بزى الإمارة في اللبوس والركوب بحلية الذهب، واتخاذ الحجاب والبطانة"[4]، وقد استحدث ملوك الحفصيين ذلك المنصب لعزل السلطان عن الجمهور أثناء الاحتفالات المقامة في القصر[5]، وقد انتقلت هذه الظاهرة إلى تلك المملكة فاستخدموها في بعض مجالسهم وفي ذلك يقول ابن بطوطة: "ولهم – أي ملوك برنو – ملك اسمه إدريس لا يظهر للناس، ولا يكلمهم إلا من وراء حجاب"[6]، و لم تكن هذه الوظيفة تستخدم بشكل دائم، حيث نرى الكثير من سلاطين ومايات تلك المملكة يخرجون علي رعاياهم بأنفسهم وخاصة في الحملات العسكرية لتأديب القبائل المعادية لهم ولتوسيع حدود المملكة[7].

وفيما يتعلق بالنظم العسكرية، فقد شهدت تلك المملكة تطورًا ملحوظًا في هذا الجانب، مما يؤكد وجود علاقة عسكرية بينها وبين طرابلس فقد أرسل السلطان إدريس ألوما والذي ولى العرش سنة (978-1012هـ/ 1570-1603م)، بعثة إلى طرابلس بإرشاد من أمه الماجيرا عائشة يطلب فيها الحصول علي عدد من العساكر المسلحين بالبنادق، ليستعين بهم في حروبه ضد البلالا الخارجين عن سلطان الدولة ، وبفضل تلك الأسلحة استطاع السلطان القضاء علي الفتن والحروب الداخلية، كما أنه نجح في فرض سيطرته العسكرية علي المنطقة وتوسيع حدودها

---

1) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص537 – فضل الدكو: المرجع السابق، ص211 – عطيةالفيتورى: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء (منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي، 1998م) ص223 – د محمد الغربى: بداية الحكم المغربى في السودان الغربى (مؤسسة الفليج للطباعة والنشر، الكويت د.ت) ص68.

2) سورة الشورى : الآية 35.

3)إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص 154 –محمد الغربى: المرجع السابق، ص68 –محمد صالح أيوب: جذور الثقافة العربية في وسط أفريقيا (مجلة الثقافة العربية ، العدد9، بنغازي، 1989) ، ص33.

4) العبر، ج6، ص463-538.

5) روباربرنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 (ترجمة: حماديالساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م) ج2، ص28.

6) رحلة ابن بطوطة، ص454.

7) ابن سعيد: المصدر السابق، ص127 –فيج جيدى: المرجع السابق، ص72، 73 –محمد سليمان أيوب: المرجع السابق، ص95 – محمد صالح أيوب: جذور الثقافة العربية (مجلة)، ص32.

في عهده، وبالإضافة إلى ذلك فقد تمت مبادلة الرقيق بالخيول، عندما أدرك السلاطين الأفارقة أهمية الخيول في بنـــاء جيوش قادرة علي حماية ممالكهم، بل التوسع علي حساب الممالك الأخرى[1].

هكذا حرصت مملكة الكانم – البرنو علي توثيق علاقاتها العسكرية مع طرابلس وواحاتها لدرجة التحالف مع الولاة العثمانيين، فسعوا إلى توسيع دائرة علاقاتهم السياسية والاقتصادية والعسكرية مع هذه الدولة لإحساسهم بأهمية التعامل معها كوريث للخلافة الإسلامية هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلقد استفاد العثمانيون من هذه العلاقـــة العسكرية القوية التي كانت تربط أسرة أولاد محمد في واحة فزان بسلاطين برنو فاستثمروها لصالحهم، حيث لعـــب أولاد محمد دور الوسيط مهيئين الأجواء لتوطيد تلك العلاقات المباشرة بين الدولة العثمانية في طرابلس ومايات برنو في وسط أفريقيا.

السفارات المتبادلة بين الطرفين

كان أول اتصال عربي إسلامي بمنطقة وسط أفريقيا – وهى المنطقة التي تشمل حاليًا حوض بحـــيرة تشـــاد والمناطق الممتدة من نهر النيجر غربًا حتى حدود دارفور شرقًا – قد تم عبر طرابلس، حينما سلك عقبة بن نافع الفهرى وجنوده سنة 46هـــ / 666م الطريق الذي يربط بين طرابلس وكانم وصولاً إلى كوار[2]، ومن ثم أصبحت طرابلس – علي مدى قرون طويلة – البوابة الرئيسية التي انتقلت عبرها الهجرات العربية، وتكونت من خلالهـــا العلاقـــات السياسية والدبلوماسية بين الشمال والجنوب.

وذكرت المصادر التاريخية وجود بعض السفارات بين طرابلس وواحاتها من جهة ومملكة الكانم – البرنو من جهة ثانية، ابتداء من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، مما يدل علي قوة العلاقة بين الطرفين وإن كانت هذه المصادر لم تحدثنا بشيء من التفصيل عن هذه السفارات، والتي كان أولها سنة 382هـــ/ 992م، عندما تلقى ابن الخطاب حـــاكم زويلة هدية من بلد السودان لم يذكر اسم مرسلها علي وجه التحديد، وإن أمكن بالنظر إلى الموقع الجغرافي لزويلـــة أن نفترض صوابًا أنها من مملكة كانم[3]، كما حرص سلاطين ومايات تلك المملكة علي أن يكون ارتباطهم بطرابلس قويًـــا حيث قام الماى إدريس بن علي (908-933هـــ/ 1502-1526م) بإرسال سفارتين إلى طرابلس كانت الأولى عام 908هـــ/ 1503م، والثانية عام 918هـــ/ 1512م لتوثيق أواصر الصداقة بين البلدين، وسيرًا علي نهج سياسة أبيـــه الذى أدرك أهمية هذه العلاقات، وإقامة صلات وثيقة مع طرابلس[4].

---

1)إبراهيم طرخان: المرجع السابق، ص 158 –محمد الغربى: المرجع السابق، ص72، 73 –محمدسليمان أيوب: المرجع السابق، ص95– محمد صالح أيوب: جذور الثقافة العربية (مجلة)، ص32.

2) البكرى: المصدر السابق، ج2، ص661 – الذهبى: العبر (تحقيق محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985)، ج1، ص37.

3) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص247.

4) عثمان بن فودي: تنبيه الإخوان علي أرض السودان (مخطوط بدار الكتب الوطنية، تونس، 14826)، ورقة 23 – عبد الجليل التميمى: التميمى: الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب أفريقيا خلال العصر الحديث (المنشورات التاريخية المغربية، تونس، د.ت)، ص11.

كما قام المای محمد بن إدريس(933-952هـ/ 1526-1545م)، بإرسال سفارة وهدية إلى حاكم طرابلس سنة 941هـ/ 1534م حرصًا منه علي تدعيم روابط الصداقة التي كانت قائمة بين البلدين، وذلك ضمانًا لحسن الجوار وتبادل المنافع المشتركة بين البلدين، فضلاً عن بقاء الطرق التجارية التي تربط البلدين آمنة ومستقرة[1].

كما قام المای إدريس الوما (978-1012هـ/ 1570-1603م)، بإرسال سفارة إلى طرابلس عام 985هـ/ 1577م تحمل معها هدايا، عملاً بمشورة ونصيحة أمه الماجيرا عائشة التي حكمت البلاد في النصف الأول من القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى – بهدف الحصول علي أسلحة نارية لجيشه ولضمان سلامة طرق القوافل بين البلدين، فأرسل إليه السلطان العثمانى مراد الثالث حاكم طرابلس بالأسلحة النارية والعبيد المدربين بناءً علي طلبه، والذين أطلق عليهم أهل برنو العبيد الترك، من أجل تدريب جيوش البرنو علي استعمال الأسلحة النارية، وفي نفس الوقت الاستعانة بهم من أجل القيام بكسر شوكة الطوارق وقبائل الهوسا وإجبارهم علي الخضوع له، وقد تمكن المای إدريس بفضل علم الجيوش الطرابلسية، وخبرتها من أن يكسب جيشه تفوقا ملحوظا مكنه من القضاء علي نزاعات القبائل والسيطرة علي كامل الجنوب الصحراوى، وتنشيط حركة الاتصال التجارى والثقافي بين الشمال والجنوب[2].

وبالتالى فقد شكل الاتفاق الذى تم بين السلطان العثمانى مراد الثالث، وماى برنو إدريس ألوما عام 985هـ/ 1577م حجر الأساس في تطور العلاقات بين مناطق طرابلس –عبر واحة فزان/ ومملكة برنو، إذ تبادل الطرفان السفارات والوفود والهدايا وبرزت صورة الاهتمام المشترك لمراعاة المصالح المشتركة[3] والتي يمكن تحديدها في الآتى:

الحصول علي التأييد السياسى من السلطان العثمانى باعتباره خليفة المسلمين وهذا التأييد يمنح مايات برنو الكثير من الهيبة والقدر أمام خصومهم من بلاد الهوسا، والذين دخلوا معهم في حروب طويلة، تحتاج فيها مملكة برنو إلى تعزيز القوة والمساندة وهذا العامل قد تم توفيره بفعل التأييد العثمانى.

رأت حكومة برنو أن تستعين بالعثمانيين في تزويدها بالأسلحة الحديثة كتلك التي تستخدمها القوات العثمانية، وبالفعل تم تزويد برنو بكميات من الأسلحة والخيول ومساعدتها علي بناء قوة عسكرية كبيرة.

أدركت برنو أن رخاءها الاقتصادى يتوقف أساسًا علي نمو النواحي التجارية وازديادها مع مناطق طرابلس وواحاتها، فكان لابد لها أن توثق علاقتها مع العثمانيين المسيطرين علي خطوط التجارة بين الشمال والجنوب، وبالفعل نجحت برنو في كسب العثمانيين الذين كانت تراودهم الدوافع نفسها في تحقيق مصالحهم للسيطرة علي تجارة القوافل كمورد أساسي للخزينة العثمانية، ولهذا بلغت العلاقات السياسية والدبلوماسية بين العثمانيين في طرابلس وواحاتها وتلك المملكة مستوى عاليًا من التعاون والصداقة المتينة.

---

1) التميمى: المرجع السابق، ص11.

2) التميمى: المرجع السابق، ص11، 12.

3)HABIBIWADAA EL-HESHAWI ،FAZZAN UNDER THE OF THE AWALADMUHAMMED; (SEBHS: THE CENTRE FOR AFRICANRESEARCHES AND STUDIES), 1990, P. 248, 249.

الخاتمـــة

من خلال دراستنا لموضوع العلاقات السياسية بين طـــرابلس ومملكـــة الكـــانم – البرنـــو مـــن القـــرن الثالث – الحادي عشر الهجري /التاسع ، السابع عشر الميلادي توصلنا إلي عدة نتائج :

أظهر البحث أهمية موقع طرابلس بالنسبة لتلك المملكة، فاستقرار الأوضاع السياسية بطرابلس يؤدى بطبيعته الحال إلى استقرار الأوضاع السياسية في تلك المملكة.

أوضح البحث أن العلاقات السياسية بين طرابلس وواحاتها ومملكة الكانم – البرنو دعمها الاستقرار السياسي الذى أوجده حكم الأغالبة لإفريقية رغم القلاقل التى شهدتها طرابلس نظرًا لوجود الخوارج الأباضية فيها.

توصلت الدراسة لأهمية طرابلس وواحاتها والدول التى تعاقبت علي حكمها في نشر الإسلام واللغة العربيـــة والعادات والتقاليد العربية داخل تلك المملكة.

أبرز البحث أن أهالى طرابلس وواحاتها لم يقبلوا حكم الحكام الظالمين بدليل ثوراتهم في فـــزان وغـــدامس وغات وأوجلة وزويلة وغيرها ضد الفاسدين من الحكام.

أوضح البحث أن طرابلس كانت ذات شأن عظيم، منذ سيطرة الأغالبة عليها (184هـــ/ 800م) ومرورًا بالفاطميين والصنهاجيين ثم الموحدين والحفصيين وأخيرًا الأتراك العثمانيين.

أثبتت الدراسة أن أهل المغرب وطرابلس خاصة وواحاتها، بل ومملكة الكانم – البرنو لم يقبلـــوا بالمـــذهب الفاطمى رغم محاولات الفاطميين فرضه عليهم بكل قوة.

أظهر البحث أن فترات الضعف والاضطرابات كانت سببًا في عدم الاستقرار السياسي ، فعندما اضطربت أمور طرابلس بعد القضاء علي حركة قراقوش 609هـــ/ 1212م تحولت واحاتها إلى نوع من الفراغ السياســـي، أدى إلى طمع الزغاويين في فزان وزويلة وودان.

أبزر البحث مدى تأثر النظام السياسي والإداري في مملكة الكانم – البرنو بطرابلس نظرًا لهجـــرة القبائـــل، حيث تأثر حكام وسلاطين تلك المملكة بالألقاب والملابس والنظم العسكرية الطرابلسية.

أظهر البحث أهمية تبادل السفارات المتبادلة بين حكام طرابلس وواحاتها وملوك وسلاطين تلك المملكـــة، حيث سهلت هذه السفارات إقامة علاقة مشتركة بين الطرفين.

الخريطة رقم ١
الموقع الجغرافي لطرابلس وواحاتها

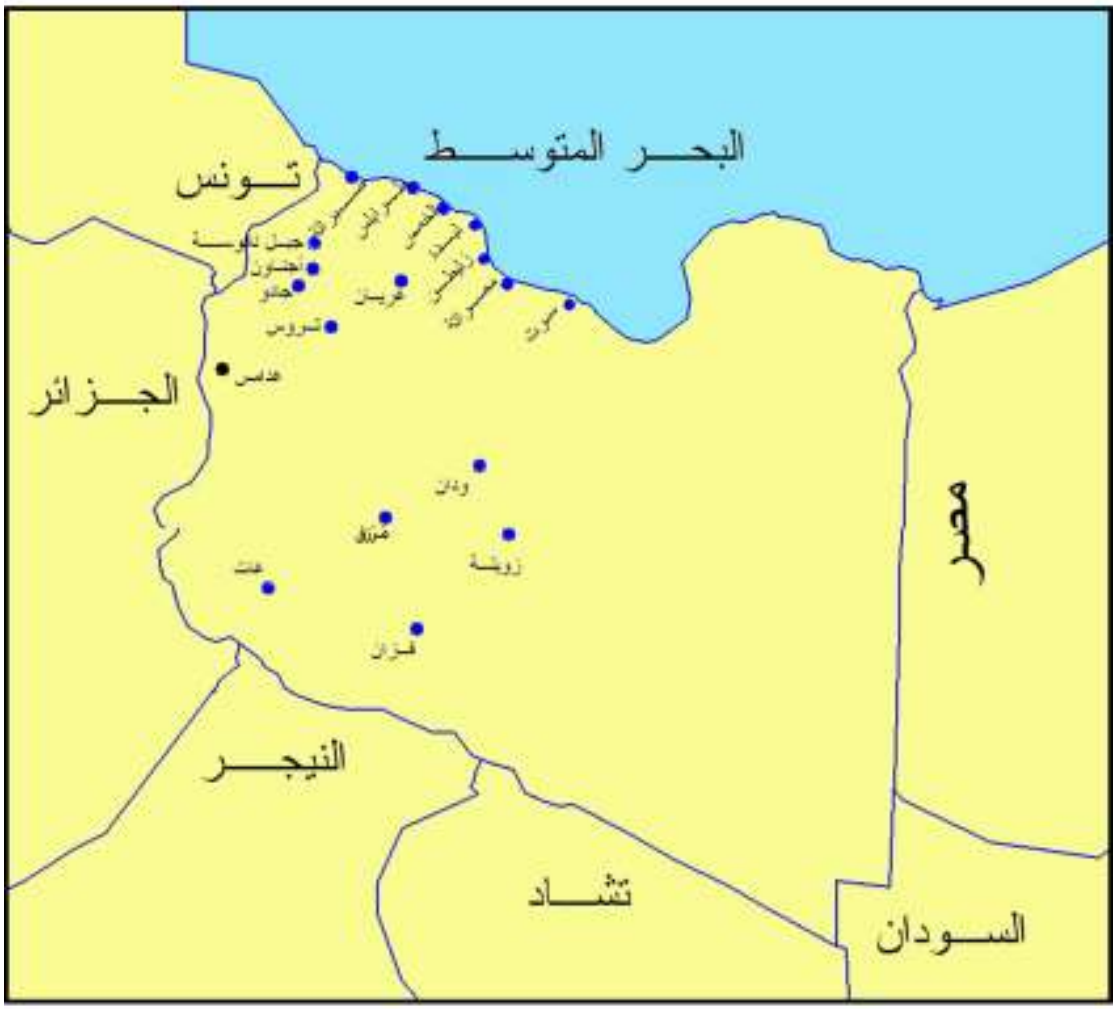

من كتاب جغرافية ليبيا ، لعبد العزيز شرف ، ص ٢٥

الخريطة رقم ٣
حملة قراقوش علي طرابلس و النتائج المترتبة عليها

من أعداد الباحث أعتمادا على

١- ابن شاهنشاة : مختصر الحقائق ، ص٣٤ ، ٣٥
٢- المراكشي : المعجب ، ص٢٣٨
٣- ابن الاثير : الكامل ، ج١١ ، ص٥١٢
٤- أبي شامة :الروضتين في أخبار الدولتين ، ج ١ ، ص ٢٦٠
٥- ابن واصل : مفرج الكروب ، ج١ ، ص٢٣٦
٦- ابن عذارى : البيان ، ج٥ ، ص١٤٠ ، ١٤١
٧- التيجاني : رحلته ، ص١١٢
٨- ابن خلدون : العبر ، ج٦ ، ص٢٢٧
٩- ابن عليون: الفتكار : ص٩٣ ، ١٠٣

المصادر والمراجع:

أولاً- المخطوطات:

1. ابن فودي (عثمان بن محمد ت1223هـ / 1817م) : تنبيه الإخوان علي أرض السودان، مخطوط بدار الكتب الوطنية، تونس، رقم 14826.

2. مجهول: مجموع به مناقب بعض الأولياء ، مخطوط بدار الكتب الوطنية، تونس تحت رقم 18555 .

ثانياً - المصادر:

3. **القرآن الكريم :**

4. ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي القضاعي ، ت658هـ / 1260م) : الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، ج1، ط2، دار المعارف، مصر، 1985م.

5. ابن الأثير(أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، ت630هـ / 1232م) : الكامل في التاريخ ، ج6، 7 ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1965م.

6. الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبدالله ، ت 649هـ / 1251م) : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج1، 2 ، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.

7. الأنصاري (أحمد بك التائب ولد تقريبا 1256هـ): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ج1، منشورات دار الفرجاني ، طرابلس، 1984م.

8. الأيوبي(محمد بن تقي الدين عمر بن شاهشاه ، ت617هـ / 1220م) : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، 1968م.

9. ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد، ت779هـ / 1377م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المعروفة برحلة ابن بطوطة، شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، د.ت.

10. البكري(أبو عبيد الله عبد العزيز بن عبد العزيز، ت487 هـ/ 1094 م) : المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن ، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م.

11. ابن تغرى بردي(جمال الدين أبو العباس يوسف ، ت874هـ / 1487م) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج7، القاهرة، 1962م.

12. التيجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد، ت 706هـ / 1307م) : رحلة التيجاني، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، طرابلس ، 1981م.

13. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت808هـ / 1405م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، 7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

14. الذهبي(شمس الدين أبو عبيد الله محمد بن عثمان ، ت748هـ / 1348م) : العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد السعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

15. الزركشي (أبو عبيد الله بن إبراهيم اللولوي، ت 932هـ / 1525م) : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ، المكتبة العتيقة، تونس، ت.

16. ابن سعيد (أبو علي بن موسى ، ت 685هـ / 1286م) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

17. ابن الشماع (أبو عبيد الله محمد بن أحمد، ت 894هـ / 1488م) : الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق الطاهر العموري، دار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

18. ابن غلبون (محمد خليل ، ت 12هـ / 18م) : التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من أخبار ، تحقيق الطاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، لبنان، 2004م.

19. القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي، ت 821هـ / 1418م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

20. المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي ، ت 621هـ / 1224م) : البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق كولان ، ج1، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983م.

21. النعمان (القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن ميمون، ت 363هـ / 973م) : افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، تونس، 1975م.

22. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت 733هـ / 1332م) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق حسين نصار ، ج24، المجلس الأعلي للثقافة ، القاهرة، 1983م.

23. ابن واصل (جمال الدين محمد سالم ، ت 697هـ / 1297م) : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1957م.

24. ابن الوردي (زين الدين أبو حفص ، ت 749هـ / 1348م) : تتمة المختصر في أخبار البشر، ج 1، دار المعرفة ، بيروت، 1970م.

25. الوزان (الحسن بن محمد، ت 935هـ / 1540م) : وصف أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، 2005م.

26. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي، ت 626 هـ / 1228م) : معجم البلدان، ج 4 ، 5 ، دار صادر ، بيروت، 1986م.

ثالثاً- المراجع :

27. إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية البرنو الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، 1975م.

28. إحسان عباس: ليبيا في كتب التاريخ والسير، ط1، دار ليبيا للنشر والتوزيع، 1968م.

29. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة الفاطمية، ط3، 1964م.

30. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية دار الفكر العربي، القاهرة، 1982م.

31. روبار برنشفيك: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

32. رودلفوميكالي: طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القراملين ، ترجمة طه فوزي، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1961م.

33. شارل فيرو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة محمد الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، 1983م.

34. الطاهر الزاوي: تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط4، دار المدار الإسلامي في لبنان ، 2004م.

35. عبد اللطيف البرغوثي: تاريخ ليبيا الإسلامي، دار صادر ، بيروت، 1973م.

36. عبد الجليل التميمي: الروابط الثقافية المتبادلة بين تونس وليبيا ووسط وغرب أفريقيا خلال العصر الحديث ، المنشورات التاريخية المغربية، تونس، د.ت.

37. عطية مخزوم الفيتوري: دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ، 1998م.

38. علي مصطفي المصراتي: مؤرخون من ليبيا، الشركة العامة للنشر والتوزيع، 1977م.

39. غيرهارد رولفس: رحلة عبر أفريقيا، ترجمة عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس، 1996م.

40. فضل كلود الدكور: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم من 600-1000هـ ، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1998م.

41. فيج جي دي: تاريخ غرب أفريقيا، ترجمة يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1982م.

42. محمد سليمان أيوب : مختصر تاريخ فزان حتى عام 1811م، المطبعة الليبية، طرابلس، 1967م.

43. محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت ، د.ت.

رابعاً- الدوريات:

44. أمين توفيق الطيبي: وصول الإسلام وانتشاره في كانم ـــ برنو بالسودان الأوسط، مجلة الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1987م.

45. لمياء محمد سالم شرف الدين: تجارة طرابلس مع بلاد ما وراء الصحراء في العصر الوسيط، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس، 2001م.

46. محمد صالح أيوب: جذور الثقافة العربية في وسط أفريقيا، مجلة الثقافة العربية، العدد التاسع، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، 1989م.

47. نعيمة عبدالسلام الحسين: هجرة القبائل العربية الليبية إلى بلاد السودان في مختلف العصور التاريخية "ندوة التواصل الليبي السوداني عبر العصور في الفترة من 1 إلى 2002/4/2م"، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2006م.

خامساً - الرسائل العلمية:

48. صالح الصادق السباني: مملكة الكانم والبرنو وعلاقتها مع أقطار الشمال الأفريقي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1989م.

49. مفتاح يونس الرباضي : العلاقات بين بلاد المغرب ودولة الكانم والبرنو من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2005م.

سادساً - المراجع الأجنبية:

50. Habibiwadaa EL-Heshawi, Fazzan under the ofthe AwaladMuhammed; (sebhs: The centre for African Researches and studies ،1990.

51. Nachtigal Gustav:- shahra and sudan – wadai andDarfur – London, 1971.

ظاهرة تعاطي المخدرات و الاتجار بها في المجتمع الليبي"دراسة ميدانية لعينة من نزلاء مؤسسة الإصلاح و التأهيل بالكوفية المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات و الاتجار بها"

الدكتور عمر أكريم عبدالنبي

قسم علم الاجتماع- جامعة بنغازي

المقدمة :

شهد للمجتمع الليبي منذ النصف الأول من ستينيات القرن العشرين مرحلة اتسمت بالتغير الاجتماعي السريع ، والانتقال من أسلوب الحياة التقليدية إلى أسلوب الحداثة في نسقه الاقتصادي ، وبنائه الاجتماعي ، ومعاييره ، وقيمة الثقافية ، ترتب عليها تحولات جذرية في البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية لهذا المجتمع ، وقد أفرزت جملة هذه التحولات بعض الظواهر والمستحدثات التي لم تكن موجودة من قبل بنفس الدرجة والانتشار.من هذه المستحدثات والنتائج ظهور أنماط جديدة من السلوك الإجرامي ، وتطوره بوتيرة متسارعة ، وتنوع أنماطه ، دلت عليها المؤشرات الإحصائية للجريمة في ليبيا خلال العقود الأخيرة مثل ؛ جرائم الأموال ، والنصب والاحتيال ، والاتجار بالمخدرات وتعاطيها وزراعتها . وبناء على ذلك سوف يتناول الباحث في هذه الدراسة مشكلة تعاطي المخدرات والاتجار بها ، والوقوف على أثر البيئة والمحيط الاجتماعي ، ونسق الأسرة ، والاختلاط بالمتعاطين للمخدرات، والتقليد في الممارسات ، والإحباط في الحياة العملية وأثرها في الانغماس في تعاطي المخدرات ، دون التركيز على دراسة مخدر بعينة أو آثاره ، وإنما يركز على أهم عنصر مؤثر في هذه المشكلة ألا وهو المتعاطي للمخدرات نفسه ، بحيث يتم التركيز على السمات الشخصية للمتعاطي ، وسمات بيئته الاجتماعية وظروفه وكل ما دفعة إلى تعاطي المخدرات والانجاز بها وما أدى إليه ذلك من تدهور في سلوك الفرد.

اشتملت الدراسة على أربعة فصول ، تضمن الأول منها مشكلة الدراسة ، وأهمية الدراسة ومبرراتها ، وأهداف الدراسة ، والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة ، ومتغيرات الدراسة ، وفروض الدراسة .

وقد افرد الفصل الثاني للاتجاهات والنظريات العلمية المفسرة لجرائم تعاطي المخدرات . أما الفصل الثالث فقد خصص للإجراءات المنهجية للدراسة وتحليل البيانات .كما خصص الفصل الرابع لعرض النتائج العامة للدراسة والتوصيات.

الفصل الأول

- **مشكلة الدراسة.**
- **أهمية الدراسة ومبرراتها.**
- **أهداف الدراسة.**
- **الدراسات السابقة.**
- **متغيرات الدراسة.**
- **فروض الدراسة.**

مشكلة الدراسة:

تعد مشكلة تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها من أشد المشاكل الاجتماعية فتكاً وأكثرها خطورة وتأثيراً ، لأنها لا تمس جانباً واحداً من جوانب الحياة الاجتماعية ، ولا شريحة معينة من السكان ، بل تتعدى كل ذلك لتشمل المجتمع بأسره.

تؤكد تقارير المنظمات الدولية والإقليمية باستمرار أن تعاطي المخدرات والاتجار بها وزراعتها والإدمان عليها ، أصبح يشكل خطر يداهم المجتمع الإنساني المتقدم والنامي على حد سواء ، بل يهدده بالضياع والأمراض الاجتماعية، والمشكلات الاقتصادية . ويزيد من خطورة هذه الظاهرة انتشارها ضمن فئة الشباب من أفراد المجتمع ، مما يهدد القوي الفاعلة فيه ، ويحولها إلى حالات تعاني من أمراض مختلفة[1] ولقد اتسع نطاق استهلاك المخدرات على نحو صار ينذر بخطر كبير ، وليس أدل على ذلك من أن ربع سكان العالم تقريباً- خلال فترة التسعينيات من القرن العشرين – صاروا يتعاطون بمقادير متفاوتة هذه المواد فما بالك اليوم بعد مضى أكثر من عقدين على تلك الفترة . ففي خلال تلك الفترة ، سجل العالم حوالي (30) مليون من مدمني الكحوليات ،و(40) مليون من مدمني الأفيون ،و (30) مليون من مدمني الحشيش ،و (30) مليون من مدمني الكوكايين ، ولا يخفي ما في تعاطي هذه السموم من أضرار صحية ونفسية وعقلية واجتماعية واقتصادية تصيب المتعاطي ومن حوله الأسرة والمجتمع.[2]

لقد أظهرت البيانات المتاحة ، والتقارير المتخصصة ، أن مشكلة المخدرات أصبحت تهدد بأخطارها شرائح متعددة من أبناء المجتمع الليبي ، وعلى الأخص فئة الشباب . فقد بدأت حالات التعاطي والاتجار وحتى الإدمان في تزايد ملحوظ ، وصارت نسبة الجرائم المرتكبة تحت تأثير تعاطي المخدرات أو

---

[1] مصباح أبوغرارة وآخرون ، كتاب الوعي الأمني ، سلسلة علمية تصدرها لجنة مختصة ، ط1، مطابع العدل ، طرابلس 1990.ص86

[2] عبد الرحمن محمد أبوتوتة ، علم الإجرام ، الجامعة المفتوحة ، طرابلس 1994 ص ص 160/159.

بسبب السعي للحصول عليها ، تتجاوز كل الحدود المعقولة وتنذر بخطر داهم . وعليه كان تناول هذه الظاهرة بالبحث والدراسة على جانب كبير من الأهمية ، وترجع هذه الأهمية إلى أن قضية تعاطي المخدرات وزراعتها والاتجار بها تحظى بالاهتمام العلمي والاجتماعي في عصرنا الحاضر ، بل وتحتل مركز الصدارة بالنسبة لكل المشكلات الاجتماعية، والطبية ، والقانونية ، ومناقشاته تحتل حيزاً مكانياً وزمانياً كبيراً في كافة وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة ،وذلك فضلاً عن اهتمام الدوائر العلمية المتخصصة وكافة المؤسسات الاجتماعية – رسمية وغير رسمية – بمناقشته ومحاولة التوصل إلى علاج ناجح لمشكلته.

إن ليبيا بطبيعة الحال لا تنتج المواد المخدرة ولكنها أصبحت منطقة عبور مهمة للمخدرات لكي تنقل المواد إلى مواطن استهلاك المخدرات في الدول المجاورة . نظراً لكبر المساحة الجغرافية ، وصغر حجم السكان الذي لا يتجاوز ستة ملايين نسمة ، وطول مسافات الحدود الدولية التي يتجاوز أربعة آلاف كيلومتر تقريباً، الأمر الذي صعب مهمة فرق المكافحة التي تتصدى لمشكلة عبور المخدرات عبر الأرضي الليبية . ومع ازدياد عبور المخدرات تتسرب أجزاء كبيرة منها للاستهلاك المحلى لتصل إلى الأطراف المعنية مثل متعاطي المخدرات والمروجين والتجار بفعل النشاط الواسع لتجار ومهربي المخدرات والمؤثرات العقلية ، وخاصة مادة الهروين التي تعد أكثر المواد أهمية وخطورة بسبب قدرتها الشديدة على زيادة ميل الفرد نحو الإدمان مع ازدياد استخدامه لها . إضافة إلى أنواع أخرى فتاكة مثل أقراص الهلوسة . ومما ساعد على انتشار هذه الظاهرة أيضاً، كثرة الأجانب المقيمين بالبلاد بدون ضوابط قانونية تحدد هوياتهم ومقار أقاماتهم ، الأمر الذي سهّل عليهم ممارسة بعض الأنشطة الإجرامية كتهريب المخدرات وترويجها وجلب ما استجد من أصناف جديدة فتاكة.

إن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الشأن ، أن الاهتمام الواسع بمشكلة تعاطي المخدرات المحظورة قانوناً قد حجب الرؤية عن مسالة أخرى أكثر أهمية وخطورة وهي الزيادة الملحوظة في استخدام ما يعرف بالمخدرات القانونية أو غير المحظورة التي تستخدم في الأغراض الطبية في كثير من دول العالم ، والاكتفاء في هذا الشأن بكتابة التحذير الشهير على غلاف العقار المخدر وهو " لا يصرف إلاّ بإذن الطبيب " على الرغم من الآثار الجانبية التي تحدثها المخدرات ذات المفعول النفسي كالمهدئات ، ومسكنات الألم ، والمنبهات ، ومخففات التوتر والقلق ، ومضادات الإحباط والصدمات النفسية ، وهي جميعاً تصرف بإذن الطبيب أو تكون متداولة باعتبارها قانونية وغير ممنوعة [1].

لقد بدت ملامح وحجم هذه الظاهرة واضحة من خلال الإحصائيات والتقارير الرسمية التي تصدرها الإدارة العامة للبحث الجنائي بوزارة الداخلية ولجان مكافحة المخدرات ،كما تعكسها الجداول اللاحقة الأمر الذي استوجب نظرة تقييميه لهذه الإحصائيات والتقارير بشكل علمي ، ووضع هذه الظاهرة على محك البحث والدراسة من خلال إجراء دراسة ميدانية على عينة من نزلاء مؤسسة الإصلاح والتأهيل بالكويفية المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها.

---

[1] سامية محمد جابر، سوسيولوجيا الانحراف ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 2004 .ص 529.

جدول رقم (1) يبيّن جرائم المخدرات والخمور المسجلة في ليبيا خلال الفترة من بداية عام 1973 إلى نهاية عام 2003م.

نوع الجريمة	السنوات			المجموع العام	
	82-73	92-83	2003-93	المجموع%	%
الاتجار بالمخدرات	0	665	1964	2629	100.0
	0	%25.3	%74.7	3.7	
تعاطي المخدرات	868	2532	3722	7122	100.0
	12.2	35.5	52.3	10.1	
زراعة المخدرات	0	15	25	40	100.0
	0	37.5	62.5	0.1	
تعاطي الخمور وتصنيعها والاتجار بها	0	17402	43378	60780	100.0
	0	28.6	71.4	86.1	
المجموع	868	20614	49089	70571	100.0
	1.2	29.2	69.6	100.0	

المصدر : إعداد الباحث بالرجوع إلى التقارير السنوية عن حالة الجريمة في ليبيا (1973–2003م).

جدول رقم(2) يوضح جرائم المخدرات والمؤثرات العقلية في ليبيا خلال الفترة (2000–2009م)

السنة	عدد القضايا	عدد المتهمين	الكميات المضبوطة للمخدرات (كجم)			الأقراص المخدرة
			مخدر حشيش	مخدر هيروين	مخدر كوكايين	
2000	1125	1810	3418	15.359	20.800	245478
2001	1469	2253	7044	12.954	00.531	87048
2002	1766	2763	4024	07.152	00.359	135155
2003	1748	2598	3134	07.100	02.060	56483
2004	2206	3162	4353	24.445	00.011	59154
2005	2080	3016	11321	23.424	00.150	37664
2006	2329	3348	18605	17.716	00.41	65235
2007	2620	3855	11034	38.60	7.70	103761
2008	3235	4661	15465	110.215	5.044	167438
2009	3157	4444	23163	52.290	4.246	4264080
المجموع	21735	31909	101564	309.26	41.31	5221493

المصدر: جهاز مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية – طرابلس 2010م

أهمية الدراسة ومبرراتها:

تعد مشكلة تعاطي المخدرات والاتجار بها من أكثر المشكلات الاجتماعية خطورة وتأثيراً على تقدم المجتمع كما وكيفاً، حيث تستنفذ هذه المشكلة معظم طاقات الفرد، والمجتمع ، وإمكانياته المادية والمعنوية.

وبناء على ما سبق، يمكن توضيح أهمية هذه الدراسة في الآتي:

1-تعد مشكلة تعاطي المخدرات والاتجار بها وإدمانها من أخطر المشكلات الاجتماعية ، لأنها تتعلق أساسا بأهم فئات المجتمع ألا وهي فئة الشباب ، وتمس مستقبل البلاد ، ومواجهتها ليس بمجرد العقاب أو العلاج ، وإنما بالوقاية المبنية على خطط وأسس علمية مدروسة ضماناً لنجاح أي خطة علاجية ووقائية.

2-إن خطورة تعاطي المخدرات لا تقتصر على المتعاطي فحسب ، بل تمتد إلى المجتمع بأسرة، وتدل الحقائق العلمية ، والإحصائيات والتقارير الرسمية على جسامة وتزايد الأخطار المترتبة على تعاطي المخدرات والاتجار بها وإدمانها ، فهي من أهم أسباب التخلف الحضاري والثقافي ،والتدهور الصحي والاجتماعي والاقتصادي،وهي مشكلة تتطلب المكافحة والوقاية والعلاج.

3-ترجع أهمية هذه الدراسة في كونها تعمل على التوجيه والتوعية والإرشاد لأخطار المخدرات ، والأضرار العامة المترتبة عليها ، والاجتماعية خاصة ، واقتراح بعض التوصيات والمقترحات التي سوف تساعد المؤسسات الرسمية ذات العلاقة بمكافحة المخدرات ، وذلك بتوفير المعلومات والبيانات التي على أساسها تجرى العديد من الدراسات الميدانية اللاحقة في هذا المجال، والاستعانة بما تتوصل إليه من نتائج في إعداد البرامج التي تتصدى لمشكلة تعاطي المخدرات.

4-إن مثل هذه الدراسة تسهم دون شك في إثراء التراث المعرفي والعلمي في مجال دراسات الجريمة والانحراف بصفة عامة ،وجرائم تعاطي المخدرات بصف خاصة.

5-يزيد من أهمية هذه الدراسة أن الاتجار بالمخدرات قد أصبح يجذب المزيد من الأشخاص وخاصة الشباب.

6-ارتباط جرائم المخدرات بأبشع الجرائم التي ترتكب ضد الإنسانية.

7- قلة الدراسات الميدانية التطبيقية في مجال تعاطي المخدرات والاتجار بها التي يمكن الاستفادة منها في الجانب الوقائي من هذه الظاهرة.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه المحاولة المتواضعة إلى توضيح بعض المفاهيم والحقائق عن ظاهرة تعاطي المخدرات وتهريبها والاتجار بها في المجتمع الليبي ، المترتبة في الأصل على بعض المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والحضارية المتعاقبة على البناء الاجتماعي للمجتمع، وتنامى مستوي الوعي السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وازدياد الاهتمام لدى العامة لمعرفة ماهية الظاهرة ، وأسبابها ، وآثارها السلبية على الفرد والأسرة والمجتمع كهدف عام ، كما أن لها أهدافاً فرعية تتحدد في التعرف على ...

1- الوقوف على حجم المشكلة أو الظاهرة ، وتطورها الكمي والنوعي في مجتمع الدراسة.

2- معرفة أنواع المخدرات المتداولة بين متعاطي المخدرات والمتاجرين بها قي مجتمع الدراسة.

3- الوقوف على أسباب ومظاهر مشكلة المخدرات قي مجتمع الدراسة.

4- التعرف على خصائص الأشخاص متعاطي المخدرات والمتاجرين بها في مجتمع الدراسة من حيث : العمر ، والمستوي التعليمي ، وطبيعة المهنة ، والدخل ، والحالة الاجتماعية.

5- التعرف على الأسباب والدوافع المختلفة التي أدت بالمبحوثين إلى تعاطي المخدرات والاتجار بها.

6- التعرف على المحيط الاجتماعي أو بيئة التعاطي وما يعتريها من قصوراجتماعي ، وما يتعرض له متعاطي المخدرات من ضغوط اجتماعية واقتصادية ونفسية تدفعه إلى تعاطي المخدرات والاتجار بها.

7- الفضول العلمي الذي يدفع البـــاحثين في الدراســـات السوســـيولوجية لتتبـــع ودراســـة مثـــل هـــذه الظواهر من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والنفسية .

الدراسات السابقة:

بعد عرض مشكلة الدراسة وصياغتها، وبيان أهميتها واالمبررات التي قامـــت عليهـــا ، ومـــا تســـعى إلى تحقيقه من أهداف، نتناول جانباً آخر على درجة كبيرة من الأهميـــة بالنســـبة لهـــذه الدراســـة ، ونعـــنى بـــذلك الدراسات السابقة المتعلقة مباشرة بموضوع الدراســـة ، لوضـــع موضـــوع هـــذه الدراســـة في إطـــاره النظـــري الصحيح . وفيمايلي عرض لأهم هذه الدراسات وفق تسلسلها الزمني.

أولا: الدراسات العربية:

1)من الدراسات المهمة في هذا المجال تلك الدراســـة الاســـتطلاعية الـــتي أجراهـــا(ناصـــر ثابـــت) عـــن المخدرات وظاهرة استنشاق الغازات وخاصة استنشـــاق الغـــراء ، في دولـــة الأمـــارات العربيـــة المتحـــدة عـــام 1984م ، بهدف معرفة أسبابها وأبعادها ونتائجها وتحديـــد اثـــر الجنســـيات المختلفـــة في حـــدوث الانحـــراف واستنشاق الغازات في المجتمع الإماراتي ،ورصد السمات العامة الـــتي تميّـــز المتعـــاطين عـــن غيرهـــم ، والوقـــوف على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والنفسية التي تصاحب تعاطي الاستنشاق وما يترتـــب عليهـــا مـــن آثـــار . وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

1-وجود علاقة بين المجتمعات المتخلفة وانحراف الأحداث المتمثل في استنشاق الغازات.

2-وجود علاقة طردية بين تخلف البيئة الاجتماعيـــة والاقتصـــادية والثقافيـــة والنفســـية وبـــين مشـــكلة استنشاق الغازات.

3-تؤثر هذه المشكلة على المجتمع لأنها تصيب فئة الشباب وتحولهم إلى فاقد بشري.

4- وجود علاقة بين ضعف المؤسسات التربوية كالأسرة والمدرسة وبـــين انحـــراف الشـــباب المتمثـــل في استنشاق الغازات .

5- تؤثر الشلة والجماعة الخارجية في دفع الحدث إلى استنشاق الغازات .

6-تلعب المؤسسات الترويحية والرياضية دوراً إيجابيا في تقويم الانحراف(1).

2)وفي دراسة قامت بها (سلوي علي سليم) بعنـــوان : الإســـلام والمخـــدرات : دراســـة سوســـيولوجية لأثر التغير الاجتماعي على تعاطي الشباب للمخـــدرات أجريـــت في مصـــر عـــام 1988م علـــى عينـــة مـــن متعاطي المخدرات قوامها (200) حالة من الذكور الذين تتراوح أعمـــارهم بـــين (18-30) عامـــا ، بهـــدف دراسة ظاهرة تعاطي المخدرات ومعرفة أسبابها بين شريحة الشباب . وقـــد انتـــهت الدراســـة إلى مجموعـــة مـــن النتائج لعل أهمها.

1-تبيّن من نتائج الدراسة ارتفاع نسبة المتعلمين تعليماً جامعياً بين أفراد العينة .

2-بينت الدراسة أن (67%) من المبحوثين غير متزوجين في مقابل (25.5%) متزوجين.

---

(1) د.ناصر ثابت ، المخدرات وظاهرة استنشاق الغازات ، ط1 ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت 1984(ملخص دراسة)

3- بينت الدراسة أن من ينتمون إلى محافظات حضرية شكلوا أعلى نسبة بلغت (79%) من المجموع الكلي ،تليها من ينتمون إلى قرى وكانت نسبتهم (13%) ومن ينتمون إلى مراكز كانت أقل النسب حيث وصلوا إلى (8%) من أجمالي العينة.

4-كما بينت الدراسة أن (81%) من مجموع أفراد العينة والديهم على قيد الحياة مقابل (19%) الذين والديهم ليسوا على قيد الحياة(2).

3)وفي إطار مشابه ، أجرى (فؤاد بسيوني) دراسة بعنوان : ظاهرة انتشار وإدمان المخدرات بالإسكندرية سنة 1988م على نزلاء مستشفي المعمورة للأمراض النفسية ، بهدف دراسة التغير في أنماط الإدمان بين المرضى المدمنين ، وإلقاء الضوء على طبيعة وحجم المشكلة بالإسكندرية ، وقد توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:-

1-أن ظاهرة الإدمان على المخدرات في حالة ازدياد مستمر بالإسكندرية ، حيث وصل عدد من تقدم للعلاج بمستشفي المعمورة عام 1986م (493) مريضاَ مدمنا ،كان من بينهم نسبة من الفتيات والسيدات المدمنات على المخدرات .

2- إن المادة المخدرة المتعاطاة كانت في بداية الأمر عبارة عن مادة الحشيش والأفيون ، ثم تطور الحال إلى تعاطي المخدرات المصنعة مثل: الهيروين، والعقاقير المهدئة والمنبهة ، وهذا مؤشر خطير على اعتبار أن النوع الثاني أكثر خطورة ، هذا ما يدفعنا إلى مكافحة هذه الآفة لحماية صحة شبابنا .

3-اتضح من الدراسة أن انخفاض المستوي الاقتصادي يعد من العوامل المسببة للإدمان(3).

4)كما قام الباحث (سالم راشد المفتول) بدراسة بعنوان : مشكلة تعاطي المخدرات في دولة الإمارات المتحدة عام 1989م على عينة مكونة من (90) شخصاً من المتعاطين ، والمروجين ، والمتاجرين المسجونين من مواطني دولة الإمارات وقد توصل من خلال هذه الدراسة لعدة نتائج منها أن معظم المتعاطين للمخدرات لم يتعدوا المستوي التعليمي المتوسط بنسبة (23%) مبحوثاَ، وتتراوح أعمار الغالبية منهم بين (18-23) عاماً بنسبة(64%) ، كما أن معظمهم من العزاب بنسبة (56%) مبحوثاَ ، كما تبين من الدراسة أن ظاهرة التعاطي تكثر بين الموظفين والتجار بنسبة (70%) مبحوثاً . إما فيما يتعلق بتوزيع أفراد العينة حول المواد المخدرة التي يتعاطونها ، فقد أوضحت الدراسة أن (40%) يتعاطون الحشيش، يليهم متعاطو الحبوب والمذيبات الطيارة بنسبة (18%) تقريباَ لكل مادة منهما ، ثم فئة متعاطي الأفيون ونسبتهم (10.11%)، يليهم فئة متعاطي الكوكايين بنسبة (8.89%) وأخيرا متعاطي الهيروين ونسبتهم (4.44%) كما أوضحت الدراسة أن أسباب تعاطي المخدرات عند إفراد العينة كانت حسب أولويتها ودورها في التعاطي على النحو التالي : مجاراة الأصدقاء وشغل وقت الفراغ بنسبة (17.78%)، والاختلاط برفاق السوء بنسبة (13.33%) ، وضعف الوازع الديني بنسبة(10.11%)، والسفر للخارج والاختلاط بالمجتمعات الأخرى بنسبة (10%)، ومحاكاة من هم أكبر سناً بنسبة

---

(2)سلوى علي سليم ، الإسلام والمخدرات: دراسة سوسيولوجية لأثر التغير الاجتماعي على تعاطي الشباب للمخدرات ، مكتبة وهبة ، القاهرة 1989 .ص66

(3)فؤاد بسيوني ، ظاهرة انتشار وإدمان المخدرات : دراسة مقارنة ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية 1988.ص ص 244،243.

(7.78%)،والرفاهية الزائدة بنسبة (7.78%)،و الهروب من الواقع (5.56%)، والمشكلات الزوجية بنسبة (3.33%)، والقدرة على السهر والتحصيل الدراسي بنسبة (2.22%) مبحوثاً(1)

5)من الدراسات المهمة في هذا المجال ، دراسة (محمد يسري إبراهيم) عن الحياة الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة عام 1989 في مصر، بهدف التعرف على أبعاد ظاهرة إدمان المخدرات ،والعوامل المؤثرة فيها في ثلاثة أنماط مجتمعة متباينة (بدوي ، قروي، حضري)،وقد توصلت هذه الدراسة إلى أن ظاهرة الإدمان على المخدرات تعتمد على :

1-المدمن نفسه من حيث العوامل الوراثية وشخصيته وتكوينه الاجتماعي والنفسي وعوامل السن والجنس والطبقة الاجتماعية والمهنية والحالة الاجتماعية.

2-بيئة المدمن حيث الأسرة والتربية وسلوك الوالد ين والمحيط الأسري برمته وكذلك العادات والتقاليد التي تحيط بالفرد،والعوامل الدينية وعدم الاستقرار الاجتماعي .

3- تزداد خطورة ظاهرة الإدمان في المجتمع الحضري ، وتقل تدريجياً في المجتمع القروي، وتقل إلى حد كبير في المجتمع البدوي.

4- كشفت الدراسة عن وجود علاقة قوية بين الإدمان على المخدرات والجريمة ، ذلك أن المدمن يحاول بشتى الوسائل والطرق الحصول على المال للإنفاق على المخدرات عن طريق السرقة ، والنصب ، والاحتيال ، والاختلاس ،و الرشوة حتى لو تطلب الأمر قتل أقرب الأقارب.

5-بينت الدراسة وجود علاقة قوية بين الإدمان وتصدع نسق القيم وانعدام التمسك بالعادات والتقاليد وانحسار الضبط الاجتماعي المتمثل في سلطة الأسرة والعشيرة .

6- أظهرت الدراسة عدم انتشار الإدمان بين الإناث من كل الفئات العمرية ، وأن هناك نسبة بسيطة في المجتمع البدوي والمجتمع القروي وينتشر بنسبة كبيرة في المجتمع الحضري.(2)

6)كما درس محمود فهمي الكردي وآخرون مشكلة تعاطي المخدرات في دولة قطر عام 1990م ، من خلال عينة من الشباب الموقوفين على ذمة قضايا المخدرات بإدارة التحقيقات الجنائية في قطر ،وبلغ عددهم (123) حالة متعددي الجنسيات ،طبقت عليهم ثلاث استمارات استبيان ، وقد توصلت هذه الدراسة إلى العديد من النتائج منها:

1- بلغ المتوسط الحسابي لأعمار المبحوثين (28) عاماً، وكان أغلبهم بقع في الشريحة العمرية من (20-29) عاماً ، وأن هذه السن هي سن الإنتاج والرغبة في تحقيق أعلى دخل ممكن وفي أقصر وقت مستطاع.

2- أن غالبيهم العظمي من ذوي الأعمال غير الماهرة التي تدر دخلاً محدوداً.

3-إن ظروف العمل والإقامة تجعلهم غير مستقرين في علاقتهم بالعمل مهما كان الدخل المتحصل عليه.

4-ينتشر تعاطي المخدرات في الفئات المعدومة المتدنية لمستوي التعليم.

---

(1)د. صالح السعد ، الوقاية من المخدرات ، ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 1999 . ص ص 182،181 ، فقلا عن : سالم راشد المفتول ،مشكلة تعاطي المخدرات في الأمارات : دراسة ميدانية للعوامل الاجتماعية وراء انتشار ظاهرة تعاطي المخدرات بين السكان بدولة الأمارات العربية عام 1989.

(2)د. محمد يسري إبراهيم ، الحياة الاجتماعية للمدمين في الثقافات المختلفة :دراسة في انثروبولوجية الجريمة في مصر 1989 (ملخص دراسة).

5- تؤكد الدراسة أن هناك تقارباً في النسبة بين المتزوجين والعزاب.

6- إن أصحاب المداخيل المرتفعة أكثر إقبالاً على تعاطي المخدرات.

7-يلعب الأصدقاء دوراً فاعلاً في تعاطي المخدرات ، وأن لهؤلاء المبحوثين أوقات فراغ يقضونها مع الأصدقاء (1).

7) ولإختبار علاقة النوع بالسلوك الإجرامي ، قام عبد الله عبد الغني عام 1989م بدراسة عن المرأة وتجارة المخدرات مستخدماً الطريقة الانثروبولوجية للإجابة عن تساؤل مؤداه: هل كان المزيد من تحرر المرأة ، وخروجها عن دورها التقليدي في مصر ، مرتبطا بمزيد من الإجرام الذي ترتكبه المرأة ، سواء من حيث الكم أو النوع ، وهل يعنى ذلك إمكانية التنبؤ بأن الجريمة في مصر ستتزايد مع المستقبل بشكل عام ، وأن جرائم المرأة بشكل خاص ستصبح أكثر تنوعاً وأكثر تعدداً؟ وقد شملت الدراسة عينة من (50) امرأة من نزيلات سجن الاسكندرية ، ممن صدرت ضدهن أحكام في قضايا الاتجار بالمخدرات ، هن عبارة عن المتوسط التقريبي لمن قبض عليهن في عامي 1989/1988م . أي ما نسبته (7%) من إجمالي المتعاملات بالمخدرات على مدى الثلاثين عاماً التي سبقت عام 1995م في عصر. وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها.

1- إثبات وجود علاقة طردية بين أعمار المبحوثات من ناحية ، والاتجار بالمخدرات وجلبها من ناحية أخرى .فقد ثبت أن (84%) من المبحوثات تزيد أعمارهن عن (30) سنة . وقد علل الباحث ذلك بأن طبيعة هذه الجريمة تتطلب خبرة لا تتوافر إلاّ للمتقدمات في العمر ، وأضافت الدراسة أن أكثر الفئات العمرية ارتكاباً لهذه الجريمة بين المبحوثات ، كانت الفئة العمرية (40-45) سنة.

2- أكدت الدراسة أن (64%) من المبحوثات أميّات ، وأن (16%) يقرأن ويكتبن فقط ، وهذا يعنى أن (80%) من المبحوثات لم يتمهن أية مرحلة تعليمية ، مما يكشف عن وجود علاقة بين انخفاض من المستوي لتعليمي ،أو عدم وجوده وارتكاب المرأة لجرائم المخدرات(2)

8) وضمن سلسلة الدراسات الإستراتيجية الأمنية التي تصدر عن المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ، الدراسة التي أجراها محسن عبد الحميد أحمد رئيس وحدة البحوث بالمركز بعنوان : اتجاهات الجريمة في المجتمع العربي خلال العقد الأخير من القرن العشرين .

استعرض الباحث في هذه الدراسة معطيات الحاضر العربي التي ستكون لها آثار واضحة على اتجاهات الجريمة في المجتمع العربي خلال العقد الأخير من القرن العشرين وأهمها : التغير الاجتماعي السريع ، والانماء الاقتصادي والاجتماعي والنمو السكاني ، وعلى ضوء هذه المعطيات، وعلى ضوء نظرية " النشاط المعتاد" وما تقدمه من افتراضات عن العلاقة بين تشتت وتوزع الأنشطة المعتادة واتجاهات الجريمة ، عرض الباحث أهم تكهنات اتجاهات الجريمة في المجتمع العربي خلال العقد الأخير من القرن العشرين منها على سبيل المثال لا الحصر :

---

(1) د. محمود فهمي الكردي وآخرون ، مشكلة تعاطي المخدرات : دراسة ميدانية ،الجزء الأول ، جامعة قطر 1990 . ص ص 25-67

(2) د. عبدالله عبدالغني غانم ، المرأة وتجارة المخدرات : دراسة في انثروبولوجية الجريمة 'المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية1991(ملخص دراسة)

1-من المتوقع زيادة حجم الجرائم المسجلة في إحصاءات الشرطة بالبلدان العربية خلال العقد الأخير من القرن العشرين ، بمعدل زيادة سنوية مطردة ومتغيرة حسب خطورة كل فئة من فئات الجرائم المسجلة .

2- ستتمثل أعلى زيادة في معدلات الجريمة في المجتمع العربي في الجرائم ضد الممتلكات ، والجرائم المتعلقة بالمخدرات، وجرائم العنف ، وجرائم الأحداث وجرائم الشباب.

3- من المتوقع استمرار الجرائم المتعلقة بالمخدرات ، وازدياد معدلاتها في كثير من البلدان العربية خلال الفترة المشار إليها ، وسترتبط ارتباطاً ايجابيا وعالياً مع توفر الأهداف المناسبة من شباب قلق لديه فراغ وإمكانات مالية مع ضعف الرقابة الاجتماعية المناسبة(1).

9) من بين هذه الدراسات أيضاً ، تلك التي قام بها محمد شفيق بعنوان: الأبعاد الاجتماعية لتعاطي المخدرات ، التي أجريت في مصر عام 1994 م على عينة من المتعاطين بلغ عددهم (42) مبحوثاً ذكوراً وإناثا من المدمنين المطلق سراحهم والذين لا يزالون يتلقون العلاج في المستشفيات والمسجونين في قضايا المخدرات ، بهدف معرفة الأسباب الاجتماعية لتعاطي المخدرات والآثار المترتبة عليها . وقد انتهت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج لمل أهمها.

1-أن أكثر أنواع المخدرات شيوعاً هو الحشيش بنسبة (60%) ، ويليه الأفيون بنسبة (21%) ، ويلية المواد الصناعية المختلفة وأهمها الماكستون فورت بنسبة (19%)، وهناك نسبة قليلة تشكل (4%) يتعاطون أكثر من نوع واحد من المخدرات .

2-تبّين أن المخدرات تنتشر في الأحياء المزدحمة الفقيرة ، وأن اغلب المدمنين من عينة البحث يقيمون في مثل تلك الأحياء ، ويحصلون على المخدرات من أشخاص يقيمون في أحياء فقيرة أيضاً.

3- أن تعاطي المخدرات منتشر بين مختلف الفئات العمرية إلا أنه أكثر انتشاراً بين الذكور الذين تتراوح أعمارهم من (30-40) عاماً.

4- تزداد معدلات تعاطي المخدرات في المناسبات الاجتماعية كالأفراح والأعياد وعند تجمع الأصدقاء .

5-أكثر الفئات الاجتماعية تعاطياً للمخدرات هي فئة العمال والحرفيين ، ويليها فئة التجار والموظفين ثم الطلاب والفلاحين .(2)

10) وفي دراسة أخرى عن الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات عام 1999 م للباحث رشاد أحمد عبد اللطيف على عينة من الجانحين المودعين بداري الملاحظة والتوجيه الاجتماعي بمدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية قوامها (80) حدثاً بالإضافة إلى عينة من المسؤولين المتخصصين شملت (20) مسؤولاً، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج مختلفة لعل أبرزها.

1-أن معظم الأحداث المتعاطين للمخدرات يقعون ضمن الفئات العمرية (12-14) عاماً و(14-16)عاماً.

---

(1)د.محسن عبد الحميد أحمد ، اتجاهات الجريمة في المجتمع العربي خلال العقد الأخير من القرن العشرين ، الأمن والحياة ، ع 114 ، س10 ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض 1991، ص ص 18-19

(2)محمد شفيق ، التنمية والمشكلات الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية 1999. ص ص 293-299.

2-أن معظم متعاطي المخدرات متأخرون دراسياً وأميون وراسبون ، وأنهم لم يصلوا إلى المرحلة المتوسطة .

3- أن معظم المتعاطين ممن يقيمون في الأحياء الشعبية ، وأن هناك علاقة ارتباطيه بين الأحياء الشعبية وتعاطي المخدرات.

4- أن معظم متعاطي المخدرات من سكان المدن ، وان هناك علاقة بين سكان الحضر وتعاطي المخدرات.

5- تراوحت نوعية التهم بين استنشاق الغازات، واستعمال الحبوب المخدرة وتعاطي الكحوليات ، وأنهم يتعاطونها يومياً وبنسبة أقل أسبوعياً.

6-أن نسبة كبيرة من الأحداث يتعاطون المخدرات مع أصدقائهم في حين أن منهم من يتعاطاها بمفرده.

7-أن نسبة كبيرة من الأحداث اتهموا في جرائم سابقة ، وأن هناك علاقة بين الإبداع السابق بالمؤسسات الخاصة بالأحداث وتعاطيهم للمخدرات.

8-إن الأحداث يتعاطون المخدرات لإثبات الرجولة والتقليد والمسايرة وإشاعة جو المرح وتناسي المشكلات.

9-أن أقوى العوامل المؤدية إلى تعاطي الأحداث للمخدرات هي العوامل الأسرية مثل عدم وجود الرقابة من جانب الوالدين ، وتعاطي أحد أفراد الأسرة للمخدرات ، والقسوة في المعاملة ، وعدم أداء الوالدين للواجبات الدينية ، والتدليل الزائد ، ووجود الخلافات بين الزوجين ، ووفاة أحد الوالدين(1).

11) وعن علاقة الإدمان بالتفكك الأسري ، أجرى عبد الله محمد أحمد قازان دراسة سوسيولوجية بعنوان : إدمان المخدرات والتفكك الأسري بهدف دراسة دور العائلة فيالتسبب ، أو الوقاية من مشكلة الإدمان على المخدرات،ودراسة مجالات التفكك الأسري وأسبابها المرتبطة بالإدمان وخاصة عند الأولاد إضافة إلى فهم السلوكيات أو التقاليد الثقافية والاجتماعية والتاريخية المرتبطة بالمخدرات في الأردن . وقد توصل الباحث في دراسته لعدة نتائج من أهمها :

1-انخفاض المستوي التعليمي للمدمنين.

2- بينت الدراسة أن المتزوجين أكثر عرضة للإدمان من الشباب العزاب والطلاق والتفكك الأسري لهما علاقة بالإدمان .

3- كما بينت الدراسة أن الإدمان على المخدرات يحدث ضمن الطبقات الدنيا ، وأن الطبقة المتوسطة العليا هي عرضه بشكل أقل للإدمان.(2)

---

(1) د. رشاد أحمد عبد اللطيف ، الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 1999 ص ص 109-156.

(2) د. عبد الله محمد أحمد قازان ، إدمان المخدرات والتفكك الأسرى ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن 2005، ص ص 93،205،206.

ثانيا: الدراسات المحلية:

وعن ظواهر انتشار وتعاطي المخدرات والإدمان عليها في المجتمع الليبي أمكن الوقوف على بعض الدراسات المهمة في هذا المجال التي عالجت ظاهرة تعاطي المخدرات بمختلف إشكالها في المجتمع الليبي نعرضها فيمايلي وفق سياقها الزمني:

1-الدراسة التي قام بها محمد مصباح رجب بعنوان : المحيط الاجتماعي وأثره في انحراف الشباب " دراسة ميدانية على نزلاء مؤسسة الإصلاح والتأهيل بمدينة طرابلس سنة 1995م ، بهدف التعرف على العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والذاتية التي ساهمت في انحراف الشباب موضوع الدراسة ، وقد شملت عينة الدراسة (165) فرداً من متعاطي المخدرات ، وقد انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها:

1-تنتشر الجريمة بين الذكور أكثر من الإناث ،وأكثر الفئات العمرية ارتكاباً للجريمة من أفراد العينة الذين تتراوح أعمارهم من (24-26) سنة ، وتبّين من نتائج الدراسة أن (71.5%) من عينة البحث غير متزوجين.

2- الغالبية العظمي من أفراد العينة (90.9%) كانوا يعيشون في أسرهم الطبيعية ، ويتراوح عدد أفراد أسرهم من (7-11) فرداً ، كما تبيّن أن (62.5%) من أفراد العينة كانوا يعيشون في جو أسري ملئي بالخلافات والمشاكل الأسرية.

3- كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة بين الجريمة التي يرتكبها الفرد ونوع العلاقة داخل الأسرة ، حيث تبيّن أن (48%) ممن يشربون الخمر ،و(65%) ممن يتعاطون المخدرات كانوا يعيشون في أسر تكثر فيها المشاكل والخلافات كما كشفت نتائج الدراسة ايضاً أن (15.8%) من أسر أفراد العينة يوجد بها أعضاء آخرون سبق أن اتهموا في قضايا مختلفة .

4- أكثر الجرائم انتشاراً جريمة السرقة ، ثم المخدرات ، حيث كشفت نتائج الدراسة أن (49.7%) من أفراد العينة يتعاطون المخدرات ، و(57%) يشربون الخمر ، وأن معظم الجرائم التي ارتكبها أفراد العينة كانت بمشاركة آخرين ، وأكثر المشاركين كانوا من الأصدقاء ويليها في الترتيب زملاء العمل ، ثم أفراد الأسرة ، ثم الجيران.

5-كما كشفت نتائج الدراسة عن وجود علاقة بين تعاطي المخدرات ، والعودة إلى ارتكاب الجرائم ، إذ تبيّن أن (66.7%) ممن يتعاطون المخدرات قد عادوا إلى ارتكاب الجريمة .(1)

2)**دراسة رجب محمد أبوجناح بعنوان** : المخدرات آفة العصر التي أقيمت بقسم علاج الإدمان بمستشفي الرازي للأمراض النفسية بطرابلس ، بهدف التعرف على العوامل الكامنة وراء تعاطي المخدرات والإدمان عليها ، وقد تكونت عينة الدراسة من (200) حالة إدمان لمادة الهيروين من الذكور فقط الذين دخلوا لقسم علاج الإدمان خلال الفترة (1994-1996م)وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج لعل أهمها:

1-أن أغلب المبحوثين من الأفراد الذين يحملون مؤهلات دراسية (جامعية ،وثانوية ، وإعدادية) من الأفراد الذين لديهم نوع من الثقافة ويستطيعون الاطلاع على أضرار وأخطار المخدرات.

2- أغلب المبحوثين من ذوي الدخل المرتفع.

3-كل مدمني الهيروين تعاطوا مخدرات أخرى قبل أن يتعاطوا الهيروين.

---

(1) محمد مصباح رجب ، المحيط الاجتماعي واثره في انحراف الشباب : دراسة ميدانية على نزلاء مؤسسات الإصلاح والتأهيل بمدينة طرابلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طرابلس 1996م ص ص 29-213.

4-أغلب مدمني الهيروين هم من فئة الشباب (21-35) سنة وهم عادة الفئة المنتجة في المجتمع والتي يتعطل إنتاجها بسبب المخدرات.

5-اتضح من نتائج الدراسة أن هناك عوامل اجتماعية تدفع الشخص إلى التعاطي والإدمان على المخدرات، فأجاب معظم المبحوثين (79%) على أن السبب في تعاطيهم رفاق السوء وخاصة المتعاطين ،و (55%) من المبحوثين أجابوا بأن وقت الفراغ من أهم الأسباب وراء تعاطيهم، والوضع الاقتصادي الجيد بنسبة (43%) ، وحب التجربة بنسبة (34%)، والمشاكل الأسرية والخصومات مع الوالدين والأخوة بنسبة (14%)(2).

3-دراسة هدي إبراهيم الرواب بعنوان: المعاملة الأسرية وعلاقتها بتعاطي المخدرات لدى المراهقين بمدينة طرابلس عام 2000 ،بهدف التعرف على أساليب المعاملة الأسرية وعلاقتها بتعاطي المخدرات لدى المراهقين ، ومدى انتشارها في المجتمع الليبي . وقد شملت العينة (50) مبحوثاً من الذكور والإناث بمؤسسات: دار تربية وتوجيه الأحداث ، ومعسكر تاجوراء ، ومؤسسة الإصلاح والتأهيل (الجديدة) ، ومصحة الرازي للإمراض النفسية والعصبية بمدينة طرابلس ، وقد أسفرت الدراسة على مجموعة من النتائج لعل أهمها:

1-أن أسر المتعاطين ينعدم فيها التعاطف والتعاون بين أفرادها ، فهم يعيشون حياة مضطربة غير مستقرة تنطوي على الكثير من الخلافات والمنازعات وسوء العلاقة بين أفرادها.

2-كشفت الدراسة أن أسلوب تربية ومعاملة المراهقين المتعاطين للمخدرات قائم على النحو الآتي : القسوة والعقاب الشديد ، والإهمال وعدم الاكتراث ، والافتقار إلى الأسلوب التربوي الديموقراطي الذي يعتمد على الحوار والنقاش مع الأبناء داخل الأسرة و التدليل والحب الزائد.

3- أثبتت الدراسة عدم الثبات في معاملة المراهقين ، أي عدم الاستقرار على نوع واحد في التربية بحيث يشمل كل الأنواع السابقة(1).

4)دراسة أحمد عبد العزيز القاضي بعنوان: المخدرات بين العوامل الاجتماعية المؤدية والآثار المترتبة : دراسة ميدانية للمجتمع الليبي – الشق الشرقي من ليبيا سنة 2002م ، بهدف التعرف على أبرز العوامل الاجتماعية التي تؤدي إلى التعامل بالمخدرات ، والكشف عن الآثار الاجتماعية المترتبة عن التعامل بالمخدرات . وقد أسفرت الدراسة على عدة نتائج أهمها:

1-كان للعمر دوراً فاعلاً في تفسير الظاهرة .

2-تبيّن من خلال الدراسة أن أغلب المبحوثين قد تعاطوا المخدرات من قبل الأصدقاء ، وخاصة أولئك المنحرفين الذين سبق اتهامهم في جرائم المخدرات .

3-أكد جميع المبحوثين تقريباً على أهمية الإذاعة المرئية ، وضعف الوازع الديني،وتدني المستوي التعليمي ،وعدم استغلال وقت الفراغ بما يفيد المبحوث ،وارتفاع الدخل وانخفاضه ،جميعها عوامل ساعدت على تعاطي المخدرات وإدمانها(2).

---

(2)محمد رجب أبوجناح ، المخدرات آفة العصر ،دار الجماهيرية ،طرابلس 1999.ص ص62-191

(1)هدى إبراهيم الرواب ، المعاملة الأسرية وعلاقتها بتعاطي المخدرات لدى المراهقين ،رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة طرابلس 2000 (ملخص دراسة)

(2)أحمد عبد العزيز القاضي ،المخدرات بين العوامل الاجتماعية المؤدية والآثار المترتبة، دراسة ميدانية للمجتمع الليبي ، الشق الشرقي من الجماهيرية ،رسالة ماجستير غير منشورة جامعة بنغازي 2002 (ملخص دراسة).

5) دراسة محظية محمد غيث الشيباني بعنوان : أسباب تعاطي وإدمان المخدرات والآثار الاجتماعية المترتبة عليها : دراسة ميدانية على نزلاء مركز تاجوراء لعلاج وتأهيل متعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية ،بهدف التعرف على طبيعة المواد المخدرة المنتشرة في المجتمع الليبي ، وطبيعة الأشخاص المدمنين في المجتمع الليبي من حيث النوع ، والعمر ، والمستوي التعليمي والاجتماعي ، والوقوف على الأضرار الاجتماعية المترتبة على المخدرات على شخصية الفرد والأسرة والمجتمع . وقد توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

1-بينت الدراسة أن أكثر من نصف أفراد العينة وبنسبة (52.3%) من المتعاطين هم من فئة الشباب.

2-فيما يتعلق بالمستويات التعليمية لأفراد العينة ،فقد بينت الدراسة أن النسبة الأعلى تقع عند المتعلمين والمتحصلين على مؤهل التعليم المتوسط حيث بلغت نسبتها (45%)، يليها التعليم الأساسي بنسبة (19.8%) ، ثم التعليم العالي (19.2%) . أما من يقرأ ويكتب فكانت نسبتهم (8.7%).

3- تبيّن من نتائج الدراسة أن نسبة العاملين (72.2%) في حين بلغت نسبة العاطلين عن العمل (27.8%).

4-بينت الدراسة أن أغلب المتعاطين كانوا عزاباً ،حيث بلغت نسبتهم (80.8%) في حين كانت نسبة المتزوجين (15.2%) ، و لم تتعد نسبة المتعاطين المطلقين (2.6%) وكذلك الأرامل (1.4%).

5- توصلت الدراسة إلى أن أكثر المواد المخدرة انتشاراً هي الحشيش حيث بلغت نسبة انتشاره (41.7%) ،يليها الهيروين (35.8%) ،ثم حبوب الهلوسة (11.3%) ، ثم الأفيون (2.6%)،ثم المورفين (2%)، والبانجو (2%) و لم تتعدى نسبة الكوكايين (1.3%).

6- توصلت الدراسة إلى أن ما يقارب نصف أفراد العينة وبنسبة (43%) أقروا أن أساليب التعاطي كانت عن طريق التدخين ، ثم يليها الشم وبنسبة (27.2%) في حين بلغت نسبة التعاطي عن طريق الحقن والابتلاع (10.6) و لم تتعد نسبة التعاطي عن طريق الأكل (1.3).

7-تبيّن من الدراسة أن (30.5%) من المبحوثين لا يؤدون فريضة الصلاة ، و(85.5%) لم يقوموا بأداء فريضة الحج و(97.4%) لم يقوموا بالعمرة مما يؤكد أن أغلب المتعاطين ليس لديهم التزام ديني .

8-توصلت الدراسة إلى أن الحي الذي يعيش فيه الفرد يلعب دوراً في تعاطي المخدرات، حيث أشار أغلب أفراد العينة وبنسبة (75.5%) أن سبب التعاطي يرجع إلى الحي الذي يعيشون فيه.

9-توصلت الدراسة إلى أن أغلب المتعاطين وبنسبة (89.4%) لم يعودوا يهتموا بأمور أسرهم.

10-كما توصلت الدراسة إلى أن المخدرات تلعب دوراً أساسياً في تفشي الفقر داخل المجتمع .فقد وصلت نسبة المؤيدين لهذه النتيجة (95.4%).(1)

متغيرات الدراسة:

-المتغيرات المستقلة:

وتتضمن الأسباب أو العوامل التي أدت إلى تعاطي المخدرات والاتجار بها وإدمان البعض عليها مثل : العمر ،والحالة الاجتماعية ، والمستوي التعليمي ، وطبيعة المهنة ، وقت الفراغ والبطالة ، تفكك

---

(1)محظية محمد غيث الشيباني ، أسباب تعاطي وإدمان المخدرات والآثار الاجتماعية المترتبة عليها : دراسة ميدانية على نزلاء مركز تاجوراء لعلاج وتأهيل متعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية، رسالة ماجستير غير منشور، جامعة التحدى ،سرت 2007 (ملخص دراسة)

الأسرة وضعف الرقابة ، وجود أفراد آخرين في الأسرة يتعاطون المخـــدرات ضـــعف الـــوازع الـــديني ، ضـــعف كفاءة الأجهزة الأمنية ، الربح والثراء السريع.

-المتغيرات التابع:

ويضمن تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها .

-فروض الدراسة:

1-توجد علاقة بين صغر سن المبحوث واتجاهه لتعاطي المخدرات.

2-توجد علاقة بين الحالة الاجتماعية وتعاطي المخدرات.

3-توجد علاقة بين المستوي التعليمي وتعاطي المخدرات والاتجار بها.

4-توجد علاقة بين طبيعة المهنة وتجاه الفرد إلى تعاطي المخدرات.

5- توجد علاقة بين وقت الفراغ والبطالة وتعاطي المخدرات والاتجار بها.

6-توجد علاقة بين ضعف الوازع الديني وتعاطي المخدرات والاتجار بها.

7-توجد علاقة بين التفكك الأسري وضعف الرقابة وتعاطي المخدرات والاتجار بها.

8-توجد علاقة بين ضعف كفاءة الأجهزة الأمنية وتعاطي المخدرات والاتجار بها.

9-توجد علاقة بين البحث عن الربح والثراء السريع والاتجار بالمخدرات. وتهريبها وترويجها.

الفصل الثاني:

الاتجاهات والنظريات العلمية المفسرة لجرائم تعاطي المخدرات

لقد تعددت الآراء والرؤى حول أسباب هذه الظاهرة،فمنهم من عزى تعاطي المخدرات والإدمان عليها إلى عامل الوراثة ،ومنهم من ردّ التعاطي والإدمان إلى الاختلال في وظائف الغدد في حين اتجه علماء الاجتماع إلى البحث في الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه المتعاطي ، فاعتبروا المخالطة ،والصحبة والمهنة من جملة الأسباب المؤدية كذلك في بعض الحالات ، أو لأسباب شخصية في حالات أخرى طلباً للاسترخاء أو النوم ، أو زيادة النشاط، وإنماء القدرة على الإبداع الفكري والأدبي، أو لتبديد الهموم .و في ضوء هذا ،يتعذر القول بوجود نظرية واحده يمكن الاستناد إليها في تفسير هذه الظاهرة .

كما عزّز هذا الطرح: عبد الله غلوم الصالح وآخرون بالقول: أن مشكلة تعاطي المخدرات والإدمان عليها ترجع إلي مجموعتين رئيسيتين من العوامل تسهمان في إحداث ظاهرة تعاطي للمخدرات هما: العوامل الداخلية المتعلقة بالحالة البدنية والنفسية للفرد المتمثلة في العوامل التكوينية والوراثية ، ودور المستقبلات العصبية ، وطلب المتعة واللذة ، والهروب من الإحباط وما يرتبط بذلك من عدم نضج الشخصية ، والعوامل الخارجية المتمثلة في جماعات الرفاق، واستخدام بعض الشباب للعقاقير كرمز للاحتجاج علي ما يرونه فيمجتمعهم ، وشيوع استخدام العقاقير في المجتمع . وبناء علي ذلك، تعددت نظريات تفسير أسباب تعاطي المخدرات .[1]

وفيما يلي عرض مختصر لبعض النماذج والاتجاهات النظرية التي حاولت تفسير أسباب تعاطي المخدرات والإدمان عليها :

أولا : النظريات البيولوجية :

تشير هذه النظريات إلي أثر المخدرات في وظائف أعضاء الإنسان، وإنها تؤدي إلي الإدمان، وأن المتعاطي لمعظم أنواع المخدرات تجعله معتمدا عليها، فالتغيرات الفسيولوجية تجعل التخلص من المخدرات أمرا معقدا، ومع الاعتراف بآثار المخدرات الحيوية والنفسية، إلا أنه ثبت أن بعضها يمكن التخلص منه، وأن بعضها ذو طبيعة اجتماعية وليس حيوية . فهناك دراسات استخدمت فيها مواد غير مخدرة، بناء علي أن انفعال الفرد بالمخدرات لا يتأثر بماهية المخدر فقط، ولكن بما أخبر عنه أو تم تصوره. ففي دراسة أعطي مجموعه من المرضي مخدرا، وأعطي آخرون مادة غير مخدرة، وأخبر الجميع بأنهم أعطوا مادة مخدرة لتخفيف آلامهم، وبينت نتيجة الدراسة أن كلا الفريقين كان تأثرهم متشابها . خلاصة القول،أن قسما كبيرا من المشاعر المصاحبة للمخدرات ذات طبيعة اجتماعية وليست بيولوجية وبالتالي يمكن التخلص منها[2]

وهناك نظرية أخري تقول: أن هناك خلايا معينة في المخ تفرز الأفيون والمواد المطمئنة، وهي المواد التي تقلل من ألم الإنسان النفسي والجسدي، وهنا نجد أن كل إنسان يولد ولديه استعداد خاص لإفراز كمية معينة من هذه الهرمونات، فإذا كانت هذه الكمية أقل من المطلوب، كان معني ذلك أن إفرازات المخ أقل من المعدل المعتاد . ومن هذا نجد أن تعاطي المخدرات وخاصة الأفيون أو الهيروين أو الخمر يؤدي إلي

---

[1] عبد الله غلوم الصالح وآخرون ، المرجع في الإدمان على الخمر والمخدرات والعقاقير ،ط 1، الكويت 1994. ص 21.

[2] د. أحمد العموشى ،د. حمود العليمات ، المشكلات الاجتماعية ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة 2009. ص 271.

إيقاف إنتاج أفيون المخ، وبذلك يعتمد المخ تماما علي المصدر الخارجي، ويوقف في نفس الوقت أنتاجه المحدود من الأفيون . وليس غريبا علي هذا الأساس أن يشعر المدمن بأعراض جانبية شديدة جدا عند التوقف عن استعمال المادة التي يدمنها . [1]

وفي السياق نفسه، تأتي نظرية التمثيل الغذائي، وتتمثل هذه النظرية في أن المدمن علي مخدر ما والذي يتعاطي هذه المادة في بداية الأمر للحصول علي المتعة الجسمية، ومع الاستمرار في التعاطي وازدياد الجرعة ، فإن المادة الأساسية في تركيب المخدر تدخل في المراحل الأساسية في التمثيل الغذائي والحيوي داخل الخلية. وهكذا تصبح المادة المخدرة ضرورية للجسم للقيام بوظائفه الطبيعية بصورة أفضل [2].

ثانيا : النظرية التفاعلية :

يري معظم علماء النفس الاجتماعي أن تعاطي المخدرات والمسكرات والإدمان عليها ما هو إلا سلوك يكتسب عن طريق التفاعل الاجتماعي مع الآخرين في المجتمع، فمعظم الناس في المجتمعات الغربية مثلا يشربون الكحول ليس بسبب حاجه بيولوجية أو خلل في الشخصية، ولكن لأن الشرب هو عادة مقبولة اجتماعيا، ومعظم الصغار يرون الكبار يتعاطونها دون حرج، وبالتالي يكتسبون هذا النمط السلوكي في أثناء تنشئتهم الاجتماعية . كما يري التفاعليون أن استخدام المخدرات الممنوعة قانونا هو سلوك مكتسب عن طريق التفاعل والتصاحب مع المخالفين للثقافة الاجتماعية السائدة، فكلما زادت الاتصالات بين الأفراد المناوئين والمطواعين كان التأثير أكثر، وبزيادة التواصل والتفاعل يزداد التعاطف مع أفكار متعاطي المخدرات وقيمهم، وإذا صاحب هذا التحول الفكري شئ من التجريب فإن التعاطي يبدأ، ويمكن أن يتحول إلي عادة مستحكمة [3]

ثالثا : نظريات التحليل النفسي :

تشير بعض آراء التحليل النفسي إلي أن تعاطي المخدرات والكحول والإدمان عليها راجع إلي التثبيت **fixation** علي المرحلة الفمية **oral stage**، وأن المدمن الكحولي يعاني من أحساس رهيب بالحرمان خلال طفولته ، ويؤدي به هذا الحرمان إلي نشدان الإشباع الفمي ، وإلي رغبة جارفة في التخلص من عدم الشعور بالأمن ، ومن ثم يلجأ إلي تعاطي المخدرات عن طريق الفم، وفي هذا الصدد أيضا يفسر المحللون النفسيون ((سيجموند فرويد)) إدمان الكحول، والعقاقير ، حيث يصف سلوك المدن على الافيونيات بأنه سلوك من النكوص **Regression**والتثبيت على المرحلة الفمية ، كما يرى فرويد أن السبب الرئيسي للسلوك الإجرامي والانحراف " تعاطي المخدرات والإدمان عليها" يكمن في التكوين النفسي والعقلي للفرد المجرم ، فهو إما يعاني من اضطراب في توازنه الانفعالي، وصراعات واحباطات ، أو لديه تخلف عقلي ، أو هو ضعيف الذكاء ، والأشخاص غير الأسوياء وفقاً لهذا التحليل لا يستجيبون للضوابط لقانونية [4] كما ترى هذه النظرية أن اضطراب السلوك لدى متعاطي المخدرات ماهو إلا نتيجة للاضطرابات التي تصيب الفرد خلال تعامله مع البيئة ، وما ينتج عنها من كبت للمشاعر والأحاسيس الوجدانية نتيجة للمواقف الأليمة التي تمر به ، فالجرائم تعبر بصورة رمزية عن العقد النفسية التي تكونت في الطفولة بطريقة لاشعورية . فمحاولات

---

[1] د. محمد سلامة قباري ،الإدمان : أسبابه ، ونتائجه ، وعلاجه . دراسة ميدانية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 1991.ص 40.

[2] أحمد أبوالروس، مشكلة المخدرات والإدمان ، دار المطبوعات الجامعية ، الإسكندرية (ب .ت).ص90

[3] د. أحمد العموشى ،د. حمود العليمات ، المشكلات الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره . ص272

[4] عبدالله غلوم الصالح وآخرون ، المرجع في الإدمان على الخمر والمخدرات والعقاقير ، مرجع سبق ذكره ص ص 22،23

التعاطي مثلاً تعبر عن أو ترمز إلى الحصول على الحب ، والعطف في صورة الشيء المتعاطي[1] وقد وجد التحليليون أيضا ، أن الحرمان من الألم يلعب دوراً هاماً في نمو الأنا الأعلى (**Super Ego**)، كما أن اضطراب نمو الأنا الأعلى ، وخلوه من القيم والمعايير والنواهي ، يساعد على السلوك الإجرامي ومعنى ذلك أن القيم الاجتماعية غير واضحة عند ذلك الفرد ،ومكونات الأنا الأعلى ضعيفة[2].

رابعاً: نماذج من النظريات الاجتماعية التي حاولت تفسير أسباب تعاطي المخدرات والإدمان عليها بشكل مباشر وغير مباشر:

توجد مجموعة من النظريات الاجتماعية يمكن أن تفسر لنا انغماس بعض الأفراد في الخمور والمخدرات ، منها ما يتعلق بطبيعة الأسرة وتغير الأدوار والعلاقات بين أفرادها ، ومنها ما يتعلق بوجود محيط أو بيئة اجتماعية معينة تدفع بالفرد إذا وجد فيها إلى تعاطي الخمور و المخدرات ، ومنها أيضا ما يتعلق بالظروف الاقتصادية التي يعيشها الفرد ، إضافة إلي نظريتي المخالطة الفارقة لأدوين سذرلاند ، ونظرية التقليد أو المحاكاة لجبرائيل تارد. وفيما يلي عرض مختصر لبعض النماذج النظرية المتعلقة بهذه الظاهرة :

1)**الأسرة** : تدل الكثير من الدراسات الاجتماعية والنفسية في مجال تعاطي الخمور والمخدرات إلي أن تغيير الأدوار والعلاقات في الأسرة ، قد يدفع بالفرد فيها إلي الانغماس في مثل هذه المخدرات ، هذا الفرض النظري ربما يصدق بشكل واضح في المجتمعات التي تتحول بدرجة سريعة من المجتمعات التقليدية إلي المجتمعات العصرية مثل الكثير من المجتمعات العربية ومجتمعات البلدان النامية ، حيث يفقد الفرد تلك الأسرة الممتدة التي يشعر فيها بالطمأنينة والأمن والحماية ، ويجد الفرد نفسه في أسرة صغيرة تواجه العالم بمفردها . وعلي العموم أن الخصائص الأسرية التي قد تؤدي بالفرد إلي تعاطي الحشيش والمخدرات يمكن أن تتلخص في الجوانب التالية :

1ـــوجود شخص أو أشخاص يتعاطون المخدرات في الأسرة ، وهذا بالطبع ما تؤيده العديد من الدراسات علي المستوي الإقليمي والدولي .

2ـــوفاة الوالدة ،حيث أشارت العديد من الدراسات إلي أن وفاة الوالدة في الأسرة له علاقة مباشرة بسن تعاطي الحشيش ، فلقد وجد في إحدى الدراسات أن (70%) ممن توفيت والدتهم قبل أن يبلغوا الخامسة عشر بدأوا التعاطي قبل أن يبلغوا الثانية عشرة . ولعل ذلك يشير إلي أن الفرد الصغير السن يفتقد الرعاية العاطفية والاجتماعية بفقدان والدته فيجد في جماعات المخدرات رعاية وعاطفة تعوضه عن فقدان والدته [3]

2) **الحي السكني** : من الملاحظ أن المحيط الذي يعيش فيه الفرد ككائن بشري له تأثير علي سلوكه واتجاهاته الاجتماعية ، وكنتيجة لذلك نجد أشكال الانحراف والسلوك المنحرف المنتشرة في أحياء الفقراء غير تلك المنتشرة في أحياء الأغنياء والتي عادة لا تتوفر فيها الشروط الصحية العامة التي تضم عادة أحياء سكانية مكتضة بالسكان ، ولا توجد بها حدائق ومراكز لعب ولهو للأطفال الصغار ، والتي أصبحت لا تليق بسكني الإنسان . فمثل هذه التجمعات

---

[1]نبيل محمد صادق ، موقف الشريعة الإسلامية من النظريات النفسية والاجتماعية والتكاملية المفسرة لانحراف الأحداث ، بحث مقدم للندوة العلمية السابعة ، مطبوعات المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض 1986.ص169

[2]حامد عبد السلام زهران ، التوجية والإرشاد النفسي ، عالم الكتب ، القاهرة 1977.ص ص 114-115

[3]د. علي الحوات ،د. أحمد النكلاوى ، علم الاجتماع : مدخل لدراسة المشكلات الاجتماعية ، منشورات جامعة طرابلس ،طرابلس 1981.ص ص 438-439

السكانية كفيلة بخلق دوافع نفسية سلبية لقاطنها مثل ارتكاب سلوك منحرف كالإدمان علي الخمرأو تعاطي المخدرات وذلك كهروب نفسي من واقع اليم، وكتعبير عن روح التذمر من العيش في مكان يعتبر مدعاة للضيق والألم[4].

3)**الجماعة والمحيط الاجتماعي** : إن تعاطي المخدرات والخمور بقصد تناسي الهموم واستجلاب السرور ، يُعد من أهم الدوافع في هذا المجال . فالتعاطي في هذه الحالة طريقة سهلة من طرق الهروب من واقع البيئة أو المحيط الاجتماعي ، ويقول بعض الباحثين في هذا المجال أن لتعاطي المخدرات والخمر آثار مختلفة من الشعور بالضياع ، فهو يضخم الشعور بالسرور والحزن والراحة في آن واحد، وهناك الكثير من الشباب ، وخاصة شباب العمال المهاجرين من الأرياف إلى المدن يتعاطون هذه المخدرات وذلك لتناسي مشاكلهم وأحزانهم الناتجة عن ضياع حياة المدينة أو انخفاض مستوي معيشتهم ومواجهتهم لكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية في المدن[1].

4) **نظرية المخالطة الفارقة** : تندرج نظرية المخالطة الفارقة تحت فئة النظريات النفسية الاجتماعية المفسرة للسلوك المنحرف بوجه عام ، فهي تضع في اعتبارها الاتجاه النفسي والاتجاه الاجتماعي ، محاولة بذلك تحقيق التوازن بين العوامل الفردية والعوامل الاجتماعية عند دراسة السلوك المنحرف. وقد انطلقت هذه النظرية من فرض أساسي مؤداه: أن السلوك الإجرامي سلوك مكتسب بالتعلم وليس موروثا، ويري أن اكتساب الشخص للسلوك الإجرامي يتم عن طريق الاتصال بالأشخاص الآخرين مهما كانت وسيلة الاتصال ، سواء بالقول ، أو بالإشارة ، أو التقليد ، إذ بدون الاتصال بالآخرين ، والاحتكاك بهم ، لا يتعلم الفرد طرق تعاطي المخدرات والإدمان عليها ، فمن خلال الرفاق يتعرف على المخدرات وطرق تعاطيها

تبرز هذه النظرية أن رفقاء الفرد وأصدقاؤه من أهم العوامل المؤثرة في سلوكه ، فإن كان الرفاق أسوياء تعوّد هو الآخر أن يكون ممتثلاً مثلهم للقوانين وإتباع السبل الاجتماعية المقبولة ، أما إذا كان اغلب الرفاق من المنحرفين أو المتعاطين كان هو الآخر متعاطياً ، وأصبح جزءاً من الجماعة المتعاطية[2].

5) **نظرية التقليد (المحاكاة)** : اهتم " جبرائيل تارد" مؤسس هذه النظرية بالعوامل الاجتماعية وأثرها في تفهم عناصر السلوك بصف عامة ، والسلوك الإجرامي بصفة خاصة ، ويرى تارد أن العامل الأساسي للسلوك الإجرامي هو التقليد وظاهرة التقليد عامة في كل المجتمعات الكبيرة والصغيرة المتقدمة والنامية ، ومن أجل هذا تختلف الجريمة باختلاف المجتمعات من حيث عددها وأشكالها ، وتفسير ذلك في نظره أن الإنسان لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيش فيه ، وهو في ظل ذلك المجتمع يتأثر حتى في سلوكه بالعوامل السائدة فيه[3].

أما عن الكيفية التي يتحول فيها الشخص إلى مجرم أو منحرف فقد ردّها تارد إلى ما أسماه بقانون التقليد والمحاكاة الذي أوضحه في القوانين الآتية:

-**القانون الأول**:يقلد الأفراد بعضهم بعضاً بصورة ظاهرة كلما كانون متقاربين فمثلاً جماعة الرفاق إذا كانت غير سوية ، بمعنى أنها متاجرة في المخدرات أو متعاطية فإن من الطبيعي أن يقلد الشخص المنضم إليها هذا السلوك وكذلك الأسرة عندما يكون الأب أو أحد الإخوة متعاط للمخدرات ، ستكون النتيجة واحدة في كل الأحوال.

---

[4]المرج السابق نفسه .ص ص 439،440.

[1]المرجع السابق نفسه .ص 442.

[2]د. اشرف توفيق شمس الدين ،د. السيد محمد عتيق ، مبادئ علم الإجرام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1998.ص ص 103،104

[3]د. مصطفي عبد المجيد كاره ، مقدمة في الانحراف الاجتماعي ، ط3 ، مكتبة الجامعة ، طرابلس 1996.ص 294.

-**القانون الثاني**:أنه في الغالب يقلد المرؤوس رئيسه الأعلى.

-**القانون الثالث**:أنه في حالة تقارب الأذواق والنماذج، فإن الإنسان يقلد الحديث منها دون القديم[4] وتتم عملية التقليد عن طريق الاتصال المباشر أو غير المباشرين طائفتين من الأشخاص، إحداها منشئة ، والأخرى ومقلدة، والسلوك الإجرامي (تعاطي المخدرات وإدمانه) على السواء طبقاً لهذا الطرح لا يشكلان نمطاً سلوكياً موروثاً وإنما يتم اكتسابه عن طريق التقليد الذي يحدث بين فرد وآخر ، أو بين فئة وأخرى ، أو من جيل إلى جيل أو من المدينة إلى الريف . كذلك يفترض تارد لعملية تحقيق التقليد أن يكون الوسط الاجتماعي مصاباً بسوء التنظيم ، مما يتيح الاتصال بين الأفراد الأسوياء منهم والمجرمين[1] .

---

[4]د. عبدالرحمن محمد ابوتوتة ، علم الإجرام ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 2001.ص91

[1]د. نبيل محمد صادق ، موقف الشريعة الإسلامية من النظريات النفسية والاجتماعية والتكاملية المفسرة لإنحراف الأحداث ، مرجع سبق ذكره .ص ص 185-186.

الفصل الثالث

الإجراءات المنهجية للدراسة وتحليل البيانات

أولا :الإجراءات المنهجية:

1)**نوع الدراسة والمنهج المستخدم** :يتوقف تحديد نوع الدراسة على طبيعة موضوعها من ناحية ، وعلى أهدافها من ناحية ثانية ، وعلى وفرة المعلومات بموضوعها من ناحية ثالثة . وفقاً للاعتبارات السابقة ، اعتمد الباحث أسلوب الدراسة الوصفية التحليلية الميدانية . أما من حيث المنهج المستخدم في الدراسة ، فقد حتمت طبيعة هذه الدراسة ومتطلباتها العلمية الاستعانة بأكثر من منهج علمي في آن واحد . فقد استعانت الدراسة بمنهج المسح الاجتماعي بطريق العينة الذي يتناسب مع طبيعة هذه الظاهرة ، كما تمت الاستعانة بالمنهج التاريخي للوقوف على الظروف والأحداث التاريخية التي أثرت على تطور الظاهرة، ويعد المنهج الإحصائي ثالث هذه المناهج التي استعان بها الباحث في تحقيق الأغراض العلمية والمنهجية لهذه الدراسة ، حيث يساعد هذا المنهج في تحديد الصورة الكمية والوصفية للحركة الإجرامية في أوقات منتظمة.

2) **مجالات الدراسة** :

أ- المجال المكاني : ويشمل مؤسسة الإصلاح والتأهيل بالكويفية بمدينة بنغازي .

ب- المجال الزمني : وقد شمل الفترة من 2011/1/25إلى 2011/2/13م وهي الفترة التي استغرقتها مهمه جمع البيانات الميدانية.

ج- المجال البشري : وقد شمل كل الأفراد الذكور الليبيين المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها البالغ عددهم (464) فرداً وقت إجراء الدراسة ، و لم يتضمن هذا المجال الأفراد الموقوفين على ذمة التحقيق في قضايا المخدرات البالغ عددهم (266) فردا.

3) **أداة جمع البيانات** : لقد تمت الاستعانة بأداة المقابلة الشخصية كأداة رئيسية لجمع البيانات ، نظراً لتناسبها مع طبيعة مجتمع الدراسة الذي يتضمن بعض الأفراد الأميين ومحدودي التعليم.

4) **العينة وأسلوب اختيارها** :

أ-مجتمع الدراسة : يتكون مجتمع الدراسة من جميع السجناء الليبيين الذكور المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها المودعين بمؤسسة الإصلاح والتأهيل بالكويفية وقت إجراء الدراسة.

ب- وحدة تحليل البيانات : وحدة التحليل في هذه الدراسة هو الفرد الذكر المحكوم عليه في قضية تعاطي المخدرات أو الاتجار بها ضمن مجتمع الدراسة .

ج-إطار العينة : وقد تضمن قائمة بأسماء جميع السجناء الليبيين الذكور المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها شملت (464) سجينا، و لم يتضمن هذا الإطار الموقوفين على ذمة التحقيق في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها البالغ عددهم (266) موقوفاً.

د- حجم العينة : بلغ حجم العينة (164) مفردة بنسبة تمثيل تعادل (35%) من المجموع الكلي لمجتمع الدراسة البالغ (464) فرداً ، وقد تم الاعتماد في اختيار مفردات العينة على أسلوب العينة العشوائية البسيطة نظراً لتجانس مجتمع البحث وعدم وجود تباين في خصائص وسمات المبحوثين .

ثانيا: تحليل البيانات

فيمايلي تحليلاً للبيانات التي أسفرت عنها الدراسة الميدانية :

جدول رقم (3) يوضح التوزيع العمري للمبحوثين

فئات العمر	التكرار	النسبة
اقل من 20 سنة	13	%8
29-20	38	%23
39-30	61	%37
49-40	39	%24
50 سنة فما فوق	13	%8
المجموع	164	%1000

ملاحظة : النسبة المئوية مقربة لأقرب واحد صحيح في جميع الجداول

تعكس معطيات الجدول (3) بوضوح أن أغلب المبحوثين المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها هم من فئة الشباب (20-39) سنة ، شكلوا ما نسبته (60%) تقريباً من المجموع الكي للمبحوثين ،في حين بلغت نسبة متوسطى الأعمار والكبار معا حوالي (32%) من المجموع الكي . وتتفق هذه المعطيات إلى حد بعيد مع ما جاء في دراسة (سالم راشد المفتول) عن مشكلة تعاطي المخدرات في دولة الإمارات العربية المتحدة عام 1989م التي توصل فيها إلى أن غالبية المبحوثين تتراوح أعمارهم بين (18-23) سنة بنسبة (64%) من المجموع الكي . كما اتفقت هذه النتائج ايضاً مع ما جاء بدراسة (محمود فهمي الكردى) عن مشكلة تعاطي المخدرات في دولة قطر عام 1990م التي توصل فيها إلى أن المتوسط الحسابي لأعمار المبحوثين قد بلغ (28) عاماً وكان أغلبهم يقع في الشريحة العمرية (20-29) عاماً، وأن هذه السن هي سن الإنتاج والرغبة في تحقيق أعلى دخل ممكن وفي أقصر وقت مستطاع .

جدول رقم (4) يوضح المستوي التعليمي للمبحوثين

المستوي التعليمي	التكرار	النسبة
أمي	44	%27
تعليم متوسط	85	%'52
جامعي فما فوق	35	%21
المجموع	164	%100

من خلال تحليل معطيات الجدول رقم (4) ، تبين لنا بوضوح أن المبحوثين ذوي التعليم المتوسط شكلوا أعلى نسبة بلغت (52%) من المجموع الكلي ، كما شكل الأميون مانسبته (27%) من المجموع الكلي للمبحوثين ، في حين لم تتجاوز نسبة المتعلمين تعليما عالياً (21%) من المجموع الكلي .فإذا قمنا بإضافة فئة الأميين إلى فئة المتعلمين تعليماً متوسطاً ، فإنه يتضح لنا التدني الواضح في المستوي التعليمي لدى أغلب المبحوثين لتتجاوز(79%) من المجموع الكلي للمبحوثين . وهذه النسبة ذات تأثير كبير في تفسير التعامل بالمخدرات وعلاقته بتدني المستوي التعليمي للمبحوثين ، وإذا صحّ هذا الرأي فإنه ينبغي القول أن تدنى المستوي التعليمي يؤدي إلى تدني مستوي الوعي لدى المبحوثين ، وهذا أمر له دلالته التفسيرية للتعامل بالمخدرات في مجتمع الدراسة.

جدول رقم (5) يوضح الحالة الاجتماعية للمبحوثين

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة
أعزب	106	%64
متزوج	52	%32
مطلق	6	%4
أرمل	-	-
المجموع	164	%100

في هذا الجدول ، شكل العزاب أعلى نسبة حيث تجاوزت نسبتهم (64%) من المجموع الكلي ، في حين شكل المتزوجين نصف هذا المعدل تقريباً حيث بلغت نسبتهم (32%) من المجموع الكلي ، بينما لم تتجاوز نسبة المطلقين (4%) من المجموع الكلي ، في حين لم يكن للأرامل أي ظهور في هذه النسب ومرجع ذلك صغر سن معظم المبحوثين (جدول 3) الذي يجعلهم دائماً أكثر التصاقاً برفقاء السوء والتعطل والبطالة ، ووقت الفراغ ، وتنامي المشاعر السلبية لديهم تجاه أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم ، ولهذا السبب أو ذاك يتعاطون المخدرات إما هرباً من الواقع أو تقليداً ، في حين يرجح ارتفاع نسبة المتزوجين نسبياً إلى أمور متعددة منها سوء العلاقات الأسرية ، وكثرة المشكلات الاجتماعية وأبرزها البطالة، أو نتيجة لسيادة الاعتقاد الخاطئ بأن المتاجرة بالمخدرات تحقق ربحاً مرتفعاً يساهم في سد احتياجات الأسرة . وتتفق هذه النتائج إلى حد بعيد مع ما جاء بدراسة (سلوي علي سليم) بعنوان : الإسلام والمخدرات التي أجريت في مصر عام 1988م التي جاء فيها أن (67%) من المبحوثين غير متزوجين في مقابل (25.5%) متزوجين .كما أكدت على هذه النتيجة أيضاً نتائج الدراسة المحلية التي قامت بها الباحثة (محظية محمد غيث الشيباني) بعنوان : أسباب تعاطي وإدمان المخدرات والآثار الاجتماعية المترتبة عليها بمدينة طرابلس عام 2007م التي بينت أن أغلب المتعاطين كانوا عزاباً تجاوزت نسبتهم (80%) من المجموع الكلي للمبحوثين .

جدول رقم (6) يوضح طبيعة المهنة

طبيعة المهنة	التكرار	النسبة
وظائف إدارية وخدمات	41	%25
مهن حرة	9	%5
طلاب	19	%12
عسكريون	37	%23
عاطلون عن العمل	58	%35
المجموع	164	%100

يدلل جدول رقم (6) على طبيعة مهن ووظائف المبحوثين ، وأن تعاطي المخدرات منتشر بين معظم الفئات المهنية وحتى العاطلين عن العمل الذين شكلوا أعلى نسبة بلغت (35%) من المجموع الكلي للمبحوثين ، كما شكل العاملين بالوظائف الإدارية والخدمية ما نسبة (25%) من المجموع الكلي ، في حين شكل العسكريون ما نسبته (23%) من المجموع الكلي . أما الطلاب وأصحاب المهن الحرة فقد شكلوا ما نسبته (12%) و(5%) على التوالي . هذه المعطيات تتفق إلى حدما مع ما جاء بدراسة (محمود شفيق) بعنوان : الأبعاد الاجتماعية لتعاطي المخدرات التي توصل فيها إلى أن أكثر الفئات الاجتماعية تعاطياً للمخدرات هي فئة العمال والحرفيين ، ويليها فئة التجار والموظفين ثم الطلاب والفلاحين .

جدول رقم (7) يوضح بداية تعاطي المبحوث للمخدرات

بداية التعاطي	التكرار	النسبة
منذ عدة شهور	52	%32
منذ عدة سنوات	90	%55
لا أعرف بالضبط	22	%13
المجموع	164	%100

تعكس معطيات الجدول رقم (7) أن أغلب المبحوثين معتادين على تعاطي المخدرات لفترة طويلة من الزمن ، مشكلين ما نسبته (55%) من المجموع الكلي للمبحوثين فإذا أضفنا لهذه المجموعة فئة المتعاطين الغير قادرين على تحديد بداية تناولهن للمخدرات والتي ربما ترتبط بطول المدة أيضا ، فإن النسبة سوف تتجاوز (86%) من المجموع الكلي للمبحوثين ، في حين لم تتجاوز نسبة المبتدئين في التعاطي (32%) من المجموع الكلي ، وهذا يشير بوضوح إلى تفشي هذه الظاهرة بين فطاعات عريضة من الشباب في المجتمع الليبي.

جدول رقم (8) يوضح نوع القضية التي أدين بها المبحوث

نوع القضية	التكرار	النسبة
تعاطي المخدرات	99	%60
تعاطي واتجار	65	%40
المجموع	164	%100

تبرز معطيات الجدول (8) بوضوح أن ما نسبته (60%) من المبحوثين مدانين بقضايا تعاطي المخدرات بمختلف أنواعها وأشكالها ، في حين تركزت قضايا (40%) منهم في التعاطي والاتجار معاً، هذه النسبة الأخيرة وإن قلت بعض الشئ عن نظيرتها ،إلا أنها تبرز بوضوح مدى خطورة هذه المشكلة وتفشيها بين قطاع كبير من السكان وخاصة قطاع الشباب ، وهو أمر متوقع في مجتمع مثل المجتمع الليبي الذي يتميّز بمساحة جغرافية شاسعة ،و طول شواطئه البحرية وحدوده البرية التي تتعدى أربعة الآلف كيلومتر ، وضعف السيطرة عليها من قبل الأجهزة الأمنية وأجهزة مكافحة المخدرات ، الأمر الذي جعل منها منطقة عبور آمنة لتجار المخدرات والمهربين من وإلى البلدان المجاورة .

جدول رقم (9) يوضح سبب اللجوء إلى تعاطي المخدرات

سبب التعاطي	التكرار	النسبة
رفاق السوء	29	%18
الشعور بالملل	40	%24
الهروب من المشاكل اليومية	44	%27
علاج من حالة مرضية	14	%9
مشاكل أسرية	12	%7
التجربة والتقليد	25	%15
المجموع	164	%100

تعكس معطيات الجدول رقم (9) بوضوح ما أكدت عليه العديد من الدراسات السابقة والنظريات العلمية المفسرة لظواهر الانحراف والجريمة على دور المحيط الاجتماعي في دفع الفرد إلى الانحراف والجريمة في أغلب الأحيان مثل جرائم تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها . من هذه النظريات على سبيل المثال ، نظرية المخالطة الفارقة لأدوين سذرلاند التي أكدت على تعلم السلوك واكتسابه من الصحبة أو رفاق السوء الذي شكل في هذه الدراسة ما

نسبته (18%) من المجموع الكلي ، ونظرية المحاكاة أو التقليد لجبرائيل تارد التي أكدت على أهمية التقليد والمحاكـــاة في انتقال السلوك بين الإفراد ومنه السلوك الإجرامي . كما شكلت المشاكل الاجتماعية اليومية ، وحالات الشعور بالملل والقلق ، والمشاكل الأسرية ما نسبة (27%) و(24%) و(7%) على التوالي ، كما شكلت الأمراض النفسية والعصبية ما نسبته (9%) من المجموع الكلي.

جدول رقم (10) يبين أنواع المخدرات التي يتعاطاها المبحوثين

نوع المخدر	التكرار	النسبة
الحشيش	**128**	**%78**
بانقو	**-**	**-**
كوكايين	**-**	**-**
أفيون	**-**	**-**
هيروين	**5**	**%3**
مؤثرات نفسية	**16**	**%10**
خمور	**15**	**%9**
المجموع	**164**	**%100**

تبرز معطيات الجدول رقم (10) بوضوح أن مخدر الحشيش هو الأوسع انتشاراً بين متعاطي المخدرات في مجتمع الدراسة ، حيث شكل متعاطي هذه المادة ما نسبة (78%) من المجموع الكلي للمبحوثين ، في حيت شكلت المؤثرات النفسية والعصبية التي تتمثل عادة في حبوب الهلوسة وبعض العقاقير الطبية التي تصرف بواسطة الأطباء لبعض المرضى النفسيين ما نسبته (10%) من المجموع الكلي . كما جاء تعاطي الخمور في المرتبة الثالثة بنسبة (9%) مـــن المجمـــوع الكلي ، في حين لم تتجاوز نسبة تعاطي مخدر الهروين (3%) من المجموع الكلي، هذه النسبة وإن قلت بعض الشيء إلاّ أنها تعد مؤشر خطير على تفشي وانتشار هذه المادة التي تؤدي بصاحبها إلى حالة الإدمان لمجرد استعمالها ولو لمرة واحدة .

إن ما تجدر ملاحظته في هذا الشأن ، أن عدم ظهور بعض أنواع المخدرات مثل البانقو والكوكايين ،والأفيـــون بين أفراد عينة الدراسة ، لا يعنى بالضرورة عدم انتشار هذه الأنواع من المخدرات في المجتمع الليبي بصفة عامة ، ومجتمع الدراسة بصفة خاصة ، إلا أنه من المرجح أن إفراد العينة المدروسة لا يتعاطون هذه المواد بالذات في الوقت الذي قـــد تكون فيه هذه المواد منتشرة بين بقية أفراد مجتمع الدراسة أنظر الجدول رقم (2).

جدول رقم (11) وجود أفراد آخرين من الأسرة يتعاطون المخدرات

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	**40**	**%24**
لا	**124**	**%76**
المجموع	**164**	**%100**

تعكس معطيات الجدول (11) بوضوح أثر البيئة والمحيط الاجتماعي في دفع الأفراد إلى الانحراف والســـلوك الإجرامي مثل تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها ، حيث أكد ما نسبته (24%) من أفراد العينة وجود أفراد آخرين من أسرهم يتعاطون المخدرات ، الأمر الذي قد يعد دافعاً لهذه الفئة لتعاطي المخدرات والاتجار بها . في حـــين نفى ما نسبته (76%) من أفراد العينة وجود أفراد آخرين من أسرهم يتعاطون المخدرات . وتتفق هذه المعطيات مع ما جاء في دراسة (رشاد أحمد عبد اللطيف) بعنوان: الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات بمدينة الرياض في السعودية عام

1999 ، التي بينت أن أقوى العوامل المؤدية إلى تعاطي الأحداث للمخدرات هي العوامل الأسرية مثل ضعف الرقابة الأسرية من جانب الوالدين ، وتعاطي أحد أفراد الأسرة المخدرات ، وعدم أداء الوالدين للواجبات الدينية .

جدول (12) يبيّن الوضع الاجتماعي للوالدين

الوضع الاجتماعي للوالدين	التكرار	النسبة
على قيد الحياة	55	%33
متوفيان	29	%18
مطلقان	33	%20
أحدهما متوفى	47	%29
المجموع	164	%100

تبرز معطيات هذا الجدول بوضوح أن (33%) فقط من أفراد العينة يعيشون في كنف الوالدين ، وأن(18%) من أفراد العينة فقدوا كلا الأبوين بالوفاة ، وما نسبته (20%) عاشوا في أسر مفككة بالطلاق ، وما نسبته (29%) من المجموع الكلي فقدوا أحد الوالدين بالوفاة . بمعنى آخر ، أن ما نسبته (67%) تقريباً من المجموع الكلي عاشوا في ظروف اجتماعية غير طبيعية ربما شكلت سبل انحرافهم وإقبالهم على تعاطي المخدرات والاتجار بها وهذا ما يتفق مع ما أشارت إليه نتائج بعض الابحاث والدراسات السابقة. ففي دراسة للباحث (محمد يسري إبراهيم) بعنوان: الحياة الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة في مصر عام 1989م ان بيئة المدن من حيث الأسرة ، والتربية، والمحيط الأسرى برمته ، وعدم الاستقرار الاجتماعي ، كانت من أهم العوامل المؤدية إلى اتجاه الأفراد إلى تعاطي المخدرات والاتجار بها . وفي دراسة أخرى عن الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات في السعودية عام 1999م للباحث (رشاد أحمد عبد اللطيف) التي بيّن فيها أن أقوى العوامل المؤدية إلى تعاطي الأحداث للمخدرات هي العوامل الأسرية مثل : ضعف الرقابة الأسرية من جانب الوالدين ، والخلافات المستمرة بين الزوجين ، ووفاة أحد الوالدين أو كليهما.

جدول رقم (13) يوضح مدى إلمام المبحوث بالتحريم الديني للمخدرات

الإجابة	العدد	النسبة
محرمة	117	%71
غير محرمة	47	%29
المجموع	164	%100

تشير معطيات الجدول رقم(13) إلى رأي المبحوثين في مدى حرمة تعاطي المخدرات من الناحية الدينية ، ومن هذا المنظور أكد معظم المبحوثين وبنسبة (71%) إن المخدرات محرمة دينياً ومحظورة قانوناً في الوقت نفسه ، مع ملاحظة أن مجتمع الدراسة والمبحوثين هم مسلمون يدينون بتعاليم الدين الإسلامي ،وذلك يوضح أن الوعي الديني والمعرفة بآراء الإسلام في تحريم التعامل بالمخدرات متيسرة وواضحة لدى النسبة الكبرى من المبحوثين ، وأن تفسير أمر التعامل بالمخدرات قد يرد إلى عوامل أخرى غير تلك التي تتعلق بعدم معرفة المبحوثين بحرمة التعامل بالمخدرات والتي منها عدم التزام هؤلاء المبحوثين بالقيم والمبادئ الدينية ، وعدم أداء الواجبات الدينية التي تربي النفس على الطهر والفضيلة ، إلا أن هذا الأمر لم يكن محققاً لدى الجزء الآخر من المبحوثين الذين لا يعتقدون بحرمة التعامل بالمخدرات ، حيث بلغت نسبة من يري بأن المخدرات غير محرمة من الناحية الدينية (29%) من المجموع الكلي للمبحوثين .وتتفق هذه النتيجة مع ما جاء بدراسة (محظية محمد غيث) بعنوان : أسباب تعاطي المخدرات والآثار الاجتماعية المترتبة عليها

التي أجريت في جامعة سرت عام 2007م والتي جاء فيها أن ما نسبة (30.5%) من المبحوثين لا يؤدون فريضة الصلاة و(85.5%) لم يقوموا بأداء فريضة الحج و(97.4%) لم يقوموا بالعمرة ، مما يؤكد أن أغلب المبحوثين المتعاطين للمخدرات ليس لديهم التزام ديني.

جدول رقم (14) يوضح علاقة تعاطي المخدرات بارتكاب جرائم القتل والاختلاس والتزوير

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	126	%77
لا	38	%23
المجموع	164	%100

تعكس معطيات الجدول رقم (14) بوضوح مدى قوة العلاقة بين تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها وبين ارتكاب السلوك الإجرامي بوجه عام ، وجرائم القتل والاختلاس والتزوير بشكل خاص ، من أجل الحصول على ثمن المخدر في أغلب الأحيان ، فقد أيد وجود هذه العلاقة ما نسبته (77%) من المجموع الكلي للمبحوثين في مقابل(23%) فقط نفوا وجود هذه العلاقة . وتتفق هذه النتيجة إلى حد كبير مع ما جاء بدراسة (محمد يسري إبراهيم) عن الحياة الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة في مصر عام 1989م التي كشفت بوضوح عن وجود علاقة قوية بين تعاطي المخدرات والإدمان عليها والجريمة، ذلك أن المتعاطي المدمن يحاول بشتى الوسائل والطرق الحصول على المال للاتفاق على المخدرات عن طريق السرقة ، والنصب والاحتيال ، والاختلاس ، والرشوة ، حتى لو تطلب الأمر قتل أقرب الأقارب.

جدول رقم (15) يوضح العلاقة بين تعاطي المخدرات وإهمال الدراسة والتحصيل العلمي

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	102	%62
لا	62	%38
المجموع	164	%100

تشير معطيات الجدول رقم (15) بوضوح إلى وجود علاقة بين الانحراف السلوكي والإجرامي بوجه عام ، وتعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها بوجه خاص وبين إهمال المتعاطي للدراسة والتحصيل العلمي أو تركها في أحيان كثيرة وقد أيد هذا الرأي ما نسبته (62%) من المجموع الكلي في مقابل (38%) لم يؤيدوا هذا الرأي . وتتفق هذه النتيجة إلى حد بعيد مع ما جاء بدراسة (رشاد أحمد عبد اللطيف) بعنوان: الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات عام 1999م في مدينة الرياض بالسعودية والتي جاء فيها أن معظم متعاطي المخدرات متأخرون دراسياً ، وأميون ، وراسبون ، وأنهم لم يصلوا إلى المرحلة المتوسطة وهذا ما تؤكد عليه أيضا الدراسة الحالية (جدول 4) الذي عكس بوضوح التدني الواضح في المستوي التعليمي لأغلب المبحوثين بنسبة تجاوزت (79%) من المجموع الكلي للمبحوثين.

جدول رقم (16) يوضح العلاقة بين تعاطي المخدرات والتغيب عن العمل

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	**109**	**%66**
لا	**55**	**%34**
المجموع	**164**	**%100**

تبرز معطيات الجدول رقم(16) بكل وضوح وجود علاقة وثيقة بين تعاطي المخدرات والإدمان عليها والإهمال في العمل والتغيب عنه، نتيجة حالات السهر والكسل التي تعد سمة من سمات المتعاطين للمخدرات والتي تمنعهم في أحيان كثيرة من مواصلة أعمالهم في أوقاتها الرسمية ، حيث نجد (66%) من المجموع الكلي للمبحوثين يؤيدون وجود هذه العلاقة في مقابل (34%) لا يؤيدون هذا الرأي.

الفصل الرابع

النتائج العامة للدراسة والتوصيات

أولا: النتائج العامة للدراسة:

لقد استطاع الباحث من خلال هذه الدراسة ، التأكد من أن البيانات والمادة العلمية التي تم التعامل معها ،قد دعمت تماماً ما نصت عليه فروض الدراسة . أما عن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فقد كانت على النحو الآتي:

1-بينت الدراسة أن أغلب المبحوثين المحكوم عليهم في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها هم من فئة الشباب الذين تتراوح أعمارهم مابين (20-39) سنة ، حيث بلغت نسبتهم (60%) من المجموع الكلي للمبحوثين.

2-أوضحت الدراسة تدنى المستوي التعليمي لأغلب المبحوثين، حيث لم تتجاوز نسبة المتعلمين تعليماً عالياً (21%) من المجموع الكلي للمبحوثين، في حين شكل متوسطي التعليم والأميون ما نسبته (79%) تقريباً من المجموع الكلي للمبحوثين .

3-بينت الدراسة أن ما نسبته (35%) من المبحوثين عاطلين عن العمل ، الأمر الذي قد يشكل دافعاً قوياً لتعاطي المخدرات بشكل عام ، والاتجار بها بشكل خاص.

4-بينت الدراسة أن (64%) من المبحوثين هم من فئة العزاب ، وهو أمر متوقع باعتبار أن فئة الشباب وصغار السن من العزاب هم أكثر عرضة لتعاطي المخدرات المرتبط بالطيش وصغر السن وفترة المراهقة.

5-أوضحت الدراسة أن ما نسبته (68%) تقريباً من المبحوثين معتادين على تعاطي المواد المخدرة منذ سنوات عديدة ، وهذا بدوره يعد مؤشراً خطيراً على تفشي هذه الظاهرة بين أوساط الشباب في المجتمع الليبي.

6-وضوح دور البيئة والمحيط الاجتماعي في دفع العديد من أفراد العينة إلى ارتكاب جرائم تعاطي المخدرات والاتجار بها ، فقد شكلت عوامل الصحبة ورفاق السوء ، والشعور بالملل الناتج عن وقت الفراغ ، وحب التجربة والتقليد ، والهروب من مشاكل الحياة اليومية ما نسبته (84%) من المجموع الكلي للأسباب الدافعة إلى تعاطي المخدرات والاتجار بها .

7-بينت الدراسة أن مخدر الحشيش هو الأوسع انتشار بين متعاطي وتجار المخدرات في مجتمع الدراسة ، حيث شكل متعاطي هذه المادة ما نسبته (78%) من المجموع الكلي للمبحوثين في حين لم تتجاوز نسبة التعاطي في أنواع المخدرات الأخرى كالأفيون، والبانقو ، والكوكايين، والهروين ، والخمور ، والمؤثرات النفسية (22%) من المجموع الكلي.

8-أوضحت الدراسة أن (33%) فقط من أفراد العينة يعيشون في حياة مستقرة في كنف الوالدين ، أما بقية المبحوثين ونسبتهم (67%) فقد عاشوا في أوضاع أسرية صعبة وغير مستقرة تمثلت في وفاة الوالدين أو أحدهما ، وطلاق الوالدين .

9-بينت الدراسة أيضاً أن ما يوازى (67%) من المجموع الكلي للمبحوثين يرون أن التفكك الأسري ، وضعف الرقابة الأسرية كانت من الدوافع الرئيسية لإقبالهم على تعاطي المخدرات والاتجار بها.

10- بينت الدراسة أن ما نسبته (71%) من أفراد العينة يدركون تماماً أن تعاطي المخدرات والاتجار بها محرماً دينياً ومحظوراً قانونياً ولا يبالون بذلك في مقابل (29%) لا يدركون مثل هذه الأمور.

11-أكد (62%) من أفراد العينة أن تعاطي المخدرات والاتجار بها كانت سبباً في إهمال أمورهم الدراسية ومن ثم تركها.

12-كما أكد (77%) من أفراد العينة أن تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها تشجع على ارتكاب جرائم أخرى مرتبطة بها مثل القتل العمد ، والسرقة والاختلاس والتزوير.

13-أكد أيضا ما مسبته (66%) من أفراد العينة أن تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها كانت سبباً في إهمالهم في العمل ، والتغيب عنه بل وتركه في أحيان كثيرة.

ثانيا : التوصيات والمقترحات العامة:

1-توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بقطاع الشباب وصغار السن بكافة الوسائل الممكنة مثل توفير الوسائل الترفيهية والثقافية والتعليمية والاجتماعية التي تشغل وقت فراغ الشباب في وسائل مثمرة ومفيدة ، وتحول في الوقت نفسه بينهم وبين الوقوع في الانحراف والجريمة وتعاطي المخدرات.

2-ضرورة معالجة مشكلات الشباب وعلى رأسها مشكلتا الفراغ والبطالة ، ذلك لأن تفاقمهما يمكن أن يترتب عليه آثار مدمرة كالتفكير باللجوء إلى طرق غير مشروعة للوصول إلى تحقيق الأهداف التي يعجز المجتمع عن توفير الوسائل المشروعة لتحقيقها .

3-توصي الدراسة بضرورة قيام أجهزة مكافحة المخدرات بالتنسيق مع المؤسسات الإعلامية بتكثيف حملات التوعية لأفراد المجتمع نحو مخاطر تعاطي المخدرات والاتجار بها والإدمان عليها ، لمنع وقوع المزيد من الضحايا لهذه الآفة الخطيرة.

4-توصي الدراسة بتكثيف الجهود الأمنية ، ودعم الأجهزة الأمنية بأحداث الأجهزة والوسائل المعاونة لها في مهامها ، بما في ذلك القيام بدورات تدريبية بصفة منتظمة للأفراد العاملين في مجال مكافحة المخدرات.

5-التأكيد على المخاطر الكبيرة الناجمة عن فقدان بعض الأسر لقيمها التربوية والتوجيهية نظراً لانعدام التفاعل الاجتماعي البناء على مستوي العلاقات الشخصية داخل الأسرة الواحدة باعتبارها أهم المؤسسات الاجتماعية في المجتمع . وهذا الأمر يتطلب القيام بكافة أوجه النشاط الإنساني بما في ذلك التربية الدينية والأخلاقية والتنشئة الاجتماعية بشكل عام وفق نسق القيم والعادات والتقاليد التي ارتضاها المجتمع.

6- توصى هذه الدراسة بألا تتوقف عمليات ضبط تعاطي المخدرات والاتجار بها ومكافحتها على ملاحقة المذنبين وتوقيفهم من قبل أجهزة المكافحة، وتحويلهم إلى المحاكم ومراكز الإصلاح والتأهيل ، وإنما يتطلب الأمر تخطيطا علمياً مبنياً على رصد الموارد والإمكانيات للمكافحة والتأهيل.

7-توصى الدراسة بضرورة التركيز على تدريب عناصر مكافحة المخدرات على أساليب مكافحة الأنماط المستحدثة من المخدرات وأساليب تهريبها وترويجها حتى تتمكن من التعامل معها ، وتواكب التطورات التي طرأت على تجارة المخدرات في عصرغير تقليدي وهو عصر نظم المعلومات والتكنولوجيا . فلامناص إذا أراد المجتمع الليبي الحد من ظاهرة انتشار تعاطي المخدرات والاتجار بها من إصلاح النظام الأمني بشكل عام ، ونظام مكافحة المخدرات بشكل خاص ، بحيث يكون نظام محكم الإنشاء ، محدد شروط الانضمام إليه ، تتضمن مواصفات دقيقة لأفراد مكافحة المخدرات ، تتضمن قسط وافر من التعليم والتدريب والخبرة الفنية ، والرغبة في العمل في هذه المجال ، مع توفر كل الحوافز التشجيعية التي تساعد على بذل الجهد والعطاء في هذا المجال الحيوي.

8-توصي الدراسة بضرورة تفعيل دور القانون وتأكيد هيبته كجزء من هيبة الدولة ، وعدم التساهل في تطبيقه ، خاصة في قضايا تعاطي المخدرات والاتجار بها ، وانتهاج مبدأ الوقاية قبل العلاج فيما يخص رصد جرائم المخدرات ومتابعة المنحرفين وعدم التساهل معهم ، وإيجاد آلية مؤهلة وقادرة على تطبيق القانون ، لا تتسامح مع الانحراف والجريمة خاصة ما يتعلق منها بالمخدرات وبالأخص أجهزة مكافحة المخدرات.

9-تبين من خلال نتائج الدراسة أن تعاطي المخدرات وغيرها من المؤثرات العقلية ، تلعب دوراً واضحاً في ارتكاب الأفراد سلوكاً إجرامياً على درجة عالية من الخطورة الإجرامية . ومن هنا يوصي الباحث بضرورة تكثيف الجهود الرسمية والشعبية في سبيل مكافحة هذه الآفة العصرية من خلال دعم الجهود الرسمية والشعبية أولاً ، وثانياً من خلال تشديد العقوبات على المتعاطين لها ، وعلى التجار والجالبين لها من خارج حدود البلاد بأكثر ، وتشديد الحراسة على المنافذ الدولية البرية والبحرية والجوية، وتدعيمها بالإمكانيات المادية والبشرية اللازمة والمدربة على مكافحة المخدرات بالذات.

10-توصي الدراسة باستحداث وإنشاء مركز للبحوث الاجتماعية والجنائية على غرار المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر ،وأكاديمية نايف للعلوم الإدارية والأمنية في المملكة العربية السعودية ،يختص بإجراء الدراسات العلمية للانحراف والجريمة بشكل عام ، وجرائم المخدرات بشكل خاص في المجتمع الليبي، ومتابعة تطور الجرائم المنظمة التي تعد جرائم المخدرات جزءاً منها ، ودعم البحوث والدراسات العلمية التي تتقصى كافة أنواع جرائم المخدرات، وأسبابها ، وعواملها ، وكيفية مكافحتها ، والاستفادة من نتائجها في رسم السياسات والخطط التنموية والأمنية .

11-تشجيع عقد المؤتمرات المحلية والعربية والدولية لدراسة مشكلات التعاطي والاتجار بالمخدرات في مجال المواجهة والوقاية والعلاج والمتابعة .

12-التوجه إلى القضاء في ليبيا برجاء توقيع أقصى العقوبات التي تصل إلى عقوبة الإعدام على مهربي وتجار المخدرات ، وخاصة في حالات الاعتياد على تكرار الفعل ، لما يقومون به من أنشطة مدمرة تضر باقتصاديات البلاد ومعنوياتها .

13-مصادرة أموال مهربي وتجار المخدرات لصالح الجمعيات الخيرية والمؤسسات الرسمية التي تهتم بالعلاج والوقاية من مشاكل الإدمان .

14-توفير مراكز للعلاج في كافة المدن الكبرى في ليبيا دون الاقتصار على مدينتي طرابلس وبنغازي ، تعمل على تشجيع المدمنين للتقدم للعلاج ، وإعادة التأهيل وفق أحدث الأساليب العملية، على أن تراعى كرامة المدمن تحت العلاج ، وسرية العمل ، على أن يتم ذلك بعيداً عن مستشفيات الأمراض النفسية والعقلية كلما أمكن ذلك ، مع اعتبار المدمن مريضاً جديراً بالعلاج لا مجرماً مستحقاً للعقاب .

المراجع:

أولا: الكتب:

1-أحمد أبوالروس، مشكلة المخدرات والإدمان ،دار المطبوعات الجامعية ،الاسكندرية (ب ت)

2-د. أحمد العموشي ،د. حمود العليمات ، المشكلات الاجتماعية ، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات ، القاهرة 2009.

3-د. أشرف توفيق شمس الدين ، د. السيد محمد عتيق ، مبادئ علم الإجرام ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت 1998.

4-د. حامد عبد السلام زهران ،التوجيه والإرشاد النفسي ،عالم الكتب ،القاهرة 1977.

5-د. رشاد أحمد عبد اللطيف ،الآثار الاجتماعية لتعاطي المخدرات ، المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية 1999.

6-د. سامية محمد جابر ، سوسيولوجيا الانحراف ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 2004.

7-د. سلوي علي سليم ، الإسلام والمخدرات : دراسة سوسيولوجية لأثر التغير الاجتماعي على تعاطي الشباب للمخدرات ، مكتبة وهبة ، القاهرة 1989.

8-د. صالح السعد ، الوقاية من المخدرات ،ط1 ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 1999.

9-د. عبد الرحمن محمد ابوتوتة ، علم الإجرام، الجامعة المفتوحة ، طرابلس 1994.

10----------، علم الإجرام ، ط2 ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 2001.

11-د. عبد الله عبد الغني غانم ، المرأة وتجارة المخدرات : دراسة في انثروبولوجية الجريمة ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 1991.

12-د. عبدالله غلوم الصالح وآخرون ، المرجع في الإدمان على الخمر والمخدرات والعقاقير ، ط1 ، الكويت 1994..

13-د. عبدالله محمد أحمد قازان ، إدمان المخدرات والتفكك الأسرى ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان الأردن 2005

14-د.علي الحوات ،د.أحمد النكلاوى ، علم الاجتماع : مدخل لدراسة المشكلات الاجتماعية، منشورات جامعة الفاتح (جامعة طرابلس)1981.

15-د. فؤاد بسيوني ، ظاهرة انتشار وإدمان المخدرات : دراسة مقارنة ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1988.

16- محمد رجب بوجناح ، آفة العصر ، دار الجماهيرية ، طرابلس 1999.

17- د. محمد سلامة قبارى ، الإدمان : أسبابه ، ونتائجه ، وعلاجه (دراسة ميدانية) المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية 1991.

18-د. محمد شفيق ، التنمية والمشكلات الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 1999.

19-د. محمد يسري إبراهيم، الحياة الاجتماعية للمدمن في الثقافات المختلفة ، دار المطبوعات الجديدة ، الاسكندرية 1991.

20-د. محمد فهمي الكردي وآخرون ،مشكلة تعاطي المخدرات : دراسة ميدانية الجزء الأول ، جامعة قطر 1990.

21-د. مصباح أبوغرارة وآخرون ، كتاب الوعي الأمني ، سلسلة علمية تصدرها لجنة مختصة ، ط1 ، مطابع العدل ، طرابلس 1990.

22-د. مصطفي عبد المجيد كارة ، مقدمة في الانحراف الاجتماعي ، ط3 ، مكتبة الجامعة ، طرابلس 1996.

23-د. ناصر ثابت ، المخدرات وظاهرة استنشاق الغازات ، ط1 ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت 1984.

ثانيا : الدوريات :

24- محسن عبدالحميد أحمد ، اتجاهات الجريمة في المجتمع العربي خلال العقد الأخير من القرن العشرين ، الأمن والحياة ، ع 114 ، س10 ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض 1991.

25-د. نبيل محمد صادق ، موقف الشريعة الإسلامية من النظريات النفسية والاجتماعية والتكاملية المفسرة لانحراف الأحداث ، بحث مقدم للندوة العلمية السابعة ، مطبوعات المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب الرياض 1986.

ثالثا: الرسائل العلمية :

26- أحمد عبد العزيز القاضي ، المخدرات بين العوامل الاجتماعية المؤدية والآثار المترتبة ، دراسة ميدانية للمجتمع الليبي – الشق الشرقي من ليبيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بنغازي 2002.

27-محمد مصباح رجب ، المحيط الاجتماعي وأثره في انحراف الشباب : دراسة ميدانية على نزلاء مؤسسات الإصلاح والتأهيل بمدينة طرابلس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الفاتح 1996.

28- محظية محمد غيث الشيباني ، أسباب تعاطي وإدمان المخدرات والآثار الاجتماعية المترتبة عليها : دراسة ميدانية على نزلاء مركز تاجوراء لعلاج وتأهيل متعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة سرت 2007.

29- هدى إبراهيم الرواب ، المعاملة الأسرية وعلاقتها بتعاطي المخدرات لدى المراهقين ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الطرابلس 2000.

رابعا: التقارير الرسمية :

30- التقارير السنوية عن حالة الجريمة في ليبيا (1973-2003) ، الإدارة العامة للبحث الجنائي طرابلس.

31- تقرير جهاز مكافحة المخدرات والمؤثرات العقلية ، الإدارة العامة طرابلس 2010.

طَـــــرح وتحليـــــــل للآرَاء والتصـــــــــــورات التربَويـــــــــــــة للفقيــه المجاُهد السيـَّـد أحْمد الشِّريـــف السّنوسّي

1873- 1933 م .

الدكـــتـــور عبد المولى صالح الحريـــــر

قسم التاريخ - جامعـــــة بنغـــازي

يُعتبر المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسي 1873- 1933 م من أبرز الشخصيات التي رفعت لواء رايات الجهاد ضد ثلاث قوى امبريالية شرسة ، شنت عدواناً على بلادنا . وتتمثل هذه القوى في فرنسا التي اعتدت على الجنوب الليبي وتشاد والنيجر في سنة 1901 م . واستمر السيد أحمد الشريف يناضل ضد هذا العدوان حتى سنة 1914 . وفي الوقت نفسه جاهد ضد العدوان الإيطالي منذ سنة 1911 وحتى 1916 م . أما جهاده ضد الاستعمار البريطاني فقد أخذ في بداية الأمر شكل توتر في العلاقات ثم ما لبث أن تفجّر ذلك الموقف إلى صدام مسلح استمر سنتين 1915 – 1916 م. فإذن يمكننا أن نعرف أن المجاهد السيد أحمد الشريف كافح فترة زمنية تمتد ما بين 1901 وحتى 1916 م*.وعلى الرغم من تعدد قادة وقيادات الجهاد ضد العدوان الإيطالي بيد أن المجاهد السيد أحمد الشريف ينفرد امتيازًا دون غيره من هؤلاء بأنه كان الزعيم الوحيد الذي رفع راية الجهاد ضد الفرنسيين والبريطانيين علاوةً على جهاده ضد الطليان . وفضلاً عن ذلك يظل هذا الزعيم الذي رفض بعناد وإصرار لا مثيل له مبدأ المفاوضات مع كل هذه الدول رغم شدة الضوائق التي ألّمت بحرية جهاده . فالدارس لحركة الجهاد الليبي يخلص إلى أن حركته مثلت جانب الصمود والتصدي الحقيقي الذي لم يعرف اللين والمهانة ضد الغزاة .

وفضلاً عن كونه ميدانيًا كان فقيهاً وعالمًا إسلاميًا مارس عقيدته نظريا وعمليًا و لم يحنِ الرأس يومًا أمام الغزاة . فمن يدرس بشيء من التأني فلسفةهذا المجاهد في الدين والتاريخ ونظرته لتربية النشئ ، يدرك تمامًا سرّ استمرار حركة عمر المختار العنيدة التي كان يدعمها الكثير ممن تعلموا مع أو تتلمذوا على يّدي السيد أحمد الشريف كعوض يحي العبيدي وحسين الجويفي ومحمد بو نجوى ويوسف بورحيل والفضيل بو عمر ومحمد السني وغيرهم كثيرون الذين تأثروا بمنهجه المتصلب إزاء المدّ الاستعمار في العالم الإسلامي حينئذ .

في هذه المقالة القصيرة سنحاول الغوص في أحد الجوانب الفكرية التي كان يمارسها هذا المجاهد وحاول تطبيقها على أبناء المسلمين*. وهو الجانب التعليمي والتربوي . فدراسة الجانب التعليمي والتربوي الذي كان ينادي بتطبيقه يقودنا إلى حقيقة معرفة أحد أهم الجوانب التي كان يحاول

---

*يمثل هذا البحث جزءاً من رسالة الدكتوراه التي تقدم بها الباحث إلى قسم التاريخ في جامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية .في مارس 1983 .

وقد تمكن كاتب هذه المقال من نقل جزءًا من ذلك البحث إلى اللغة العربية بعد أن أدخل عليه بعض التطوير والتحديث الذي ألقى ضوءًا على رؤى السيد أحمد الشريف فيما يخص تربية وتعليم النشئ في الزوايا السنوسية .

*وهو الجانب التعليمي والتربوي .

تطبيقها على تلاميذه وبالتالي فإنها خلقت وصقلت جيلاً من الطلاب الذين قاسموه أفكاره وإصراره الذي لا يضاهى في تطبيق مبادئ الإسلام عملياً في ميدان الجهاد.

لا يمكن للمرء أن يستوعب فلسفته التعليمية بدون فهم للإطار العقائدي الذي ترعرع فيه والظروف التاريخية التي كانت تعيشها أسرته. فمن خلال دراستنا ووقوفنا على هذه الأمور وبالإطلاع على ما تركه لنا من كتابات مطبوعة كانت أو مخطوطة يمكن لنا حينئذ أن نتصور منهجه التربوي التعليمي وذلك من أجل إعداد جيل من المسلمين الغيورين على عقيدتهم و بلادهم . ومن أهم ما خلفه لنا من الكتب المخطوطة كتابًا بعنوان " **فيوضات المواهب المكية بالنفحات الربانية المصطفوية** " ففي هذا المؤلف أفرد فصلاً كاملاً لتصوره للبناء التعليمي والعلاقة بين المعلم والمتعلم بعنوان ، مطلب في كيفية صناعة التدريس الذي سوف نحاول من خلاله الوصول إلى تصور فلسفته التربوية.

فالسيد أحمد الشريف ينطلق من مبدأ ليس كل من تعلم يصلح بالضرورة أن يكون معلمًا . فالمدرس في نظره والتدريس كمهنة فن رفيع يحتاج إلى حذق ودراية تامة بكفاءات الطلاب وميولهم ومستويات فهمهم للمواضيع المطروحة للدرس .

فالمدّرس في رأيه ينبغي أولاً أن يحذق فلسفة وأسلوب مهنة التدريس المتعددة الجوانب . كما يجب على المدرس أن يُظهر لطلبته ويرسخ لديهم أسس الأمانة العلمية وكيفية الحكم على أمور معينة وبأسلوب تحليلي .فعلى المدرس في رأي السيد أحمد الشريف أن يُؤهل نفسه جيدًا قبل أن يحترف التدريس ، فالعلم وحده لا يكفي للمرء بأن يكون مدرساً في غياب الجوانب التربوية الأخرى كإتقان المعلم لصناعة فن الإملاء والتحليل العلمي وكيفية شرحها للطلاب على مختلف مستوياتهم وقدراتهم العقلية .وهذا ما يؤكده النص التالي المقتبس من المخطوطة السالفة الذكر كقوله : " **ومن تمام الأهلية أن يحسن صناعة التدريس وكيفية الإملاء والتقرير والتحرير والتفسير** " ..." [1]

فالمدرس في رأيه قد يكون ملمًا ومؤهلاً علميًا ولكن سيظل في مسيس الحاجة إلى الخبرة العملية والتربوية في توصيل المعلومات إلى طلبته بأسلوب سهل مبسط متعدد المراتب

إن المعلم القدير إذا لم يدرك القدرات الفردية المتباينة لدى طلابه فإن علمه قد يكون مصدرًا لتشويش أفكار طلابه وتعويق تحصيلهم بالكيفية المطلوبة . فعلى المدرس أن يعي تمامًا ما أنطلى على تلاميذه وأن يصغي لهم حتى يدرك أغوار استفساراتهم الدالة على تعطشهم إلى اكتساب المعرفة . ثم بعد ذلك يشرع في الإجابة عليهم بالقدر الذي يعتقد أن الطالب يستوعبه ، فالمدرس إذن كما يرى السيد أحمد

[1] السيد أحمد الشريف ، فيوضات المواهب المكية بالنفحات الربانية المصطفوية كتاب لم يسبق نشره ، صـ110

الشريف : " **ربما يكون محصلاً للفن ولكن لا يحسن صنعة التدريس فالخلط على المتعلمين يشتت أفكارهم . فالواجب على المدرس إذا جلس للتدريس أن يُصغي للطالب حتى إذا فرغ من القدر المحتاج إليه من السؤال شرع المدرس في تقرير الكلام وتصويره بعبارة تليق بالطالبين للمعارف.....**" [1].

فالأولى : أن يقوم المدرس بسرد الألفاظ اللغوية المفردة واحدة بعد الأخرى فيفسرها لغويًا لفظًا لفظًا ويفرق بينها لغويًا وشرعيًا وعرفيًا وحقيقةً ومجازًا وأن يميز المدرس في شرحه بين المفرد والمشترك والتثنية والجمع والصحيح والمكسّر والمنصرف والممنوع والصحيح والمعتل وغيرها ، حتى إذا ما انتهى من هذه التصانيف عاد إلى التراكيب اللغوية فيشرحها ويوضح التصديق بعد التصور ويكون على حذر شديد من الخلط لكي لا يضرّ وبالتالي لا يشوّش على إدراك وفهم الطلاب المتلقين للدرس .

أما الطريقة الثانية : أن يحرّر المدرس المفردات اللغوية على ما ينبغي وهو أسلوب أدرك السيد أحمد الشريف ما يحتويه من صعوبة على المبتدئ وإن كانت لائقة بالتلاميذ في المرحلتين المتوسطة والنهائية . ولذا فإنه يميل إلى استخدام الطريقة الأولى بالنسبة للمبتدئين .

ويعّول السيد أحمد الشريف كثيرًا على مستوى المعلم ومقدرته في الكيفية التي يلقي بها درسه فمنصب التعليم يحسن ألا يكون مكانًا لأكل أرزاق الأحباس العلمية قبل أن يأنس المدرس في نفسه الكفاءة العلمية لتصدّر هذه المهنة المهمة في بناء وتشكيل النشئ . وفي هذا الخصوص يقتبس السيد أحمد الشريف بعض أقوال من سبقوه من العلماء المسلمين وعدد من الأحاديث النبوية الدالة على أهمية ووجوب إتقان مهنة التدريس . فهو يحضّ المدرس على أن يكون أهلاً للمهنة محققًا لفنونها مدركًا لأبعادها زكي النفس حصيف الرأي[2] . ويقتطف حديثًا شريفًا لإدانة المتهمين بالتدليس وليس في الواقع أهلاً له : ".. . **والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوب زور .....**"[3] .

ويقتطف من أحد العلماء يدعى الشبلي قوله : " .... **من تصدى للتدريس قبل أوانه فقد تصدى لهوانه ..**"[4] . ويدعم هذا الاتجاه بسرد أبيات من الشعر التي بقدر ما تحقّر من شأن المدرس المتلهف إلى حرفة التدريس من أجل الكسب المادي، بقدر ما تؤكد حرص المُخلصين من التربويين وإدراكهم الشديد لقدسية مهنة التدريس ومواصفات المعلم الذي يأخذ على عاتقه توصيل المعارف إلى

---

[1] الفيوضات المكية ، صـــ110 .

[2] الفيوضات المكية ، صـــ109 .

[3] الفيوضات المكية ، صـــ109 .

[4] الفيوضات المكية ، صـــ109 .

الأجيال المتعاقبة من أبناء المسلمين . ففي هذا الإطار والمنطلق يُحق لنا أن نُدرك الأسس النظرية لتفكير السيد أحمد الشريف التربوي وتطور آرائه بنمو تجاربه . فالتعليم في دواخل ليبيا كان يمّول ماديًا في أغلب الأحوال من أحباس وأموال زوايا الطرق الصوفية ويدار من قبل مشائخ وفقهاء تلك الزوايا.وقد برزت الزوايا وأهميتها في الإنفراد بتكييف المناهج نظرًا لغياب السلطة السياسية للإدارة العثمانية في المناطق النائية .ويجب ألا يغيب عن الأذهان أن السيد محمد الشريف والد السيد أحمد الشريف كان متوليًا لشؤون التعليم في الزوايا من ناحية وملازمته لعمه الفقيه محمد المهدي ، من ناحية أخرى، فإنه تمكن من الإطلاع على وإدراك الكثير من الجوانب السلبية التي سببت تعثرًا للعملية التعليمية ، بسبب تدني نوعية الفقيه المدرس وسوء فهمه لأبعاد مهنته . وقد حازت هذه المشكلة جانبًا كبيرًا من اهتمام وتفكير السيد أحمد الشريف كظاهرة سلبية كانت مهددة للقدسية التي أعطت تاريخًا للزاوية والمدرسة والفقهاء العاملين في هذا المرفق التعليمي . وقد عبر السيد أحمد الشريف السنوسي بكل صراحة وصدق عن استفحال هذه الظاهرة في استعارته لاقتباس أبيات شعر من قصيدة لعلامة يسمى الشبلي بقوله :-

تصدر للتدريس كل مهوّس بليد تسمى بالفقيه المدرس .
لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس [1].

ففي رأي السيد أحمد الشريف أن من تصّدر لمهنة التدريس المقدسة في الزوايا قبل أوانه أي قبل إجازته علميًا في ميدان التدريس فقد تصدى بالفعل لهوانه وتمريغ سمعته علميًا[2] . فعلى المعلم قبل الشروع بالتقدم لمهنة التدريس أن يأنس في نفسه ليس فقط الكفاءة العلمية من حيث الكمّ في التحصيل والبعد الزمني الذي يقضيه المتعلم في هذه العملية، بل أيضًا والأهم في نظر السيد أحمد الشريف هو النجاح الذي يحققه المعلم عندما يمارس عمليًا مهنة التدريس .

فهذا النمط من المعلمين المتطلعين إلى ممارسة هذه المهنة قبل أن يتأهلوا فيها فإنما يغشّون أنفسهم والمجتمع الذي يفترض فيهم الكفاءة العلمية والأهلية التربوية للإشراف على تربية أجيال المسلمين ، فضلاً عن ذلك فإن المعلم المتصدر لمهنة التدريس بدون كفاءة فإنه لا يعتبر سارق لأموال الناس فحسب بل أيضًا مضلّل لهم بارتدائه للباس العلم والفضيلة زيفًا وذلك أشد مرارة وخطورة على تربية وتعليم النشئ وبواره كما نشاهد في مجتمعنا اليوم . فالأموال التي يتصدّق بها المسلمون على المؤسسات العلمية والمرافق الوقفية يجب أن لا تذهب هدرًا وعبثًا إلى جيوب المدلّسين من المنتسبين إلى العلم تحت ستار مهنة التدريس التي يراها السيد أحمد الشريف أنبل وأشرف مهنة كما أشار نبينا صلى الله عليه وسلم إليها

---

[1] الفيوضات المكية ، صـ109 .

[2] الفيوضات المكية ، صـ109 .

بقولـــه "خيركم من تعلم العلم وعلمه " وقال " وخيركم من تعلم القـــرآن وعلمـــه " وفي هـــذا الشـــأن يقـــول السيد أحمد :-

" ... ومن فعل ذلك فقد جمح على مرتبة الجهل لأنـــه دخـــل مـــن غـــير اســـتحقاق في هـــذا العمل وأراد به التدليس على الناس ليأكل بمنصب العلـــم وقـــف المـــدارس بـــاطلاً ويغتـــرُ بنفســـه ولا يعلم أنه جاهل لأن الواقف إنما يقصد نفع العلمـــاء لتعلـــيم المـــتعلمين وحيـــث أنـــه لا يكـــن أهـــلا لذلك فلا يجوز له أكل الوقف ....."[1] .

وعندما يشرح السيد أحمد الشريـــف في تحليله المنطقي لنظريته في عمليـــة التعلـــيم والـــتعلم فإنـــه يقلل من أهمية بعض المعلمين غير مؤهلين لأنه يعتقد أن المعلم كمهـــيمن علـــى عمليـــة التعلـــيم مـــن منطلـــق واحد وهو أن المعرفـــــة التي أوصلها له الله قد تكون متـــوفرة عنـــد أحـــد طلبتـــــه طبيعيًـــا بمـــدد الخـــالق وبدون قضاء وقت طويل من العمر في عملية التعلّم . ففي رأيه أن المعلم عنـــدما يتعـــرض لاستفســـار في قاعـــة الدرس فعليه أن يتصـــف بسعـــة الصدر وذلك بإعطاء الطالب فرصة لإبـــداء الـــرأي للتعـــبير عمـــا يـــدور في ذهنه وأن يصغي بتيقظ لكل ما يقوله تلميذه بدون استعلاء وفضلاً عـــن ذلـــك فـــإن الســـيد أحمـــد الشـــريف يطالب المعلمين عنـــد نهايـــــة كل درسّ إلى عقد حلقات علمية مفتوحة يتبـــارى الطلبـــة فيهـــا علـــى إبـــراز قدرات تفهمهم للقضايا التعليمية التي كانت مطروحـــة للنقـــاش أثنـــــــاء المحاضـــرة .فالحريـــة التامـــة إذن في رأيه أن يمنح طالب العلم والمعرفة حقه وذلـــك بطـــرح أفكـــاره وأرائـــــه بالتحليـــل والتحقيـــق والاجتـــهاد وخاصـــةً حول القضايا المتسمة بالغموض أثناء إلقاء الدرس. فمن خلال النقـــــاش والحـــوار يســـتطيع المعلـــم بالاستنتاج تفهم عناصر القوة والضعف في مستوى الفهم الطلابي للقضايا العلميـــة الـــتي كانـــــت قيـــد الطـــرح بقاعة الدرس . و مـــن خلال ذلك المحكّ يمكن للمدرس أن يتحاشـــى مكـــامن الضـــعف في طريقـــة عرضـــــه وتحليله وأسلوب طرحه للقضايا العلمية بالتبسيط والتعقيـــب والتوضـــيح طبقـــــًا لمـــا يمليـــه مســـتوى الفهـــم المتقارب أو المتباعد لطلاب الحلقة الدراسية[2] . فالمدرس إذن يجب أن تتوفر لديـــه القناعـــــــة بـــأن الطالـــب لم يكن كذلك في قاعة الدرس لكي يجلس ويستمع ويستقبل المعرفة استقبالاً ســـلبياً بـــل عليـــه المشـــاركة في إثـــراء الحوار .

فالأسلوب التعليمي الفوقي يراه السيد أحمـــد الشـــريف عقيمـــــًا والبـــديل عنـــده أن يســـاهم الطالب في اكتساب المعرفة وذلك بإعطائه الحرية في تطوير مستوى الفهـــم والتحليـــــل والـــرد العلمـــي المقنـــع لديه . فالطالب لابد أن يكون عنصـــرًا حيـــًا وفعالاً في عملية تعلمـــه للمعـــارف . والســـيد أحمـــد الشـــريف

---

[1] الفيوضات المكية ، صـــــ110 .

[2] الفيوضات المكية ، صـــــ111 .

يعتقد إن الطالب إذا أجاب على قضية علمية معينه بأسلوب خاطئ فالذي ينبغي على المعلم أن لا يردُ عليه بفضاضة تحط من قدره وقدرته أمام أترابه في حلقة الدرس ، فمثل ذلك الموقف يولّد لديه الغبن واليأس التحصيلي ، كما أنه لا ينبغي على المعلم أن لا يرد ويخاطب تلميذه بمستوى أعلى من تفكيره . ففي كلا الموقفين عدم إدراك لقدرات الطالب وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على تدني أسلوب المعلم التربوي وضيق أفقه في التعامل مع قدرات ومدارك طلابه و فهمه لهم ، فلا يجني الطالب إلا ضيقًا في النفس ونفورًا من عملية التعلم نفسها . فهذا الأسلوب في رأيه طريقة المعلم الخامل الذي عاش ومارس الجمود و الحرمان . فالواجب على المعلم أن يرُد على طلابه بلطافه نفس وكرم خلق ، كأن يقول مثلاً " **حسُن كلامك ، لو أنه سلم من كذا وكذا** ..."[1]. فمثل هذا المسلك العلمي المحفز يراه السيد أحمد الشريف مُجديًا ونافعًا لأنه يراعي النواحي النفسية والعقائدية للطالب في حلقة الدرس بين أقرانه ، فضلاً عن أنه يدعم الروح التحصيلية عند طالبي المعرفة وينعكس ذلك في قوله ".... **يُفعل هكذا مع الطالبين لينشطهم ويفتح قرائحهم على الفهم والبحث ويرخي لهم العنان ويصرف أعنتهم بلطف الحاصل** ..."[2] .

ويؤكد السيد أحمد الشريف في اقتباساته من مشائخه على هذا الجانب التربوي المهم في مراعاة المدرس للجوانب النفسية والعلمية والتربوية . فالطالب ينبغي ألا يحط من مكانته وقدره أمام رفاقه لأنه إذا وُجهت له الإهانة بسبب إخفاقه في الإجابة الصحيحة على مشكل علمي ما ، فإن في ذلك فرض قهري لأسباب التضييق والتجهيل وكبتٍ لقرائح المبتدئين وبالتالي يكسبهم النفور من التحصيل العلمي ويطلق السيد أحمد الشريف على ذلك الأسلوب التعليمي" **طريقة الجمود والحرمان** ".

" **وإن كان ما تلقاه الطالب باطلاً فلا ينبغي أن يُرد عليه بصورة التضييق والتزييف والتجهيل... لأن ذلك يُخمد قرائح المتعاطين ويكسبهم نفورًا بعد التلحّح .... وهي طريقة الجمود الحرمان** .."[3] .

فالطالب لا يضره خطأ ارتكبه لأنه لا يزال طالب صنعة ومعرفة ، ولأن من شأنه ارتياد الخطأ والصواب وبالتالي فإن مبدأ إرهاقه والتحقير من شأنه عند الإخفاق في الإجابة الصحيحة مرفوض تربويًا

---

[1] الفيوضات المكية ، صـ112 .

[2] الفيوضات المكية ، صـ112 .

[3] الفيوضات المكية ، صـ114 .

عند السيد أحمد الشريف . فالهدف التربوي السليم هو تغذية روح الطالب علميًا وتنمية فكره . وفي هذا الشأن يقول ما يلي :

((" **وأما المتعلم فهو طالب صنعةٍ ينبغي اهراق خاطره لاقتنائه من الفهوم وإرتياض جواد فكره للركض في ميدان العلوم ، فلا يضره خطأ يصدر منه في الوقت ولا تخليط لأنه سيصلح بعد، ومراده إنما هو تغذية روحه وتنمية فكره وذلك حاصل بالمدارك مطلقاً** ".))[1] .

ثم يعرض بعد ذلك للحديث عن القضايا التي يجب أن تثار في قاعة الدرس ودرجات تعقيدها وتبسيطها وعلى أي مستوى من الطلاب يجب أن تثار قضايا علمية معينة . فهو يرى أن أي مشكل علمي يجب أن يُعرض ويشرح من واقع الشعور والإدراك لمستوى الطلاب الحاضرين . فإن كانت عقول الحاضرين من الطلاب تستوجب هذا المستوى أو ذاك من شرح وطرح فبها وإلا فإن على المعلم الحاذق أن يبسّط في المشكل العلمي المعروض للنقاش ، أو أن يعرض عليه ويتخلي عنه في مقام آخر ولمستوى علمي آخر من الطلاب . وينعكس هذا الاتجاه عنده في الاقتباس التالي :

"..... **فليشتغل به إن كان عقول الحاضرين تبلغه ، وإلا أعرض عنه حتى يكون مع أهله ويكون كل ذلك بعبارة توافق عقول أهل المجلس لأن حقهم واجب عليه في تفهيمهم بملاطفة** ....."[2] .

ويسوق لنا السيد أحمد الشريف مثالاً حيًا من الأمثلة التلقينية للمعارف لمستويات مختلفة من التلاميذ عن طريق نفس المعلم الفقيه . ويعتقد أن هذا النمط من العملية التعليمية يجب أن يُحتذى بها لكونها إيجابية ويراعى فيها الفروق الفردية بين الطلاب كما يراعى عرض المادة العلمية على مستويات مختلفة من الطلاب بأساليب متباينة . فيسرد لنا نموذجاً تاريخياً من نماذج المدرس الناجح في كيفية تنميط أسلوب عرضه للمشكلة العلمية الواحدة على مستويات مختلفة من الطلاب . فيروي لنا نقلاً عن الشيخ علي بن الشلوبين الذي يروي أنه دخل أحد المساجد بمدينة مراكش فوجد شيخًا يدعى **الخروبي** النحوي يلقي درساً في اللغة العربية فلما جلس إليه وجده في حلقة درس مع الطلاب المبتدئين في الفن والشيخ الخروبي يقرر لهم على قدر فهمهم . ولما رفع أحد التلاميذ سؤالاً أجابالشيخ على قدر فهم واستيعاب تلك المجموعة. ولما انتهت تلك الحلقة جاءت مجموعة أخرى من التلاميذ المتوسطين في تحصيل الفن ليشرح لهم على قدر فهمهم وإدراكهم ولما رفعت إليه أسئلة كانت إجابات الشيخ تتناسب تماماً مع مستوى فهم تلك المجموعة المتوسطة . ولما

---

[1] الفيوضات المكية ، صـــ114 .

[2] الفيوضات المكية ، صـــ112 .

قاموا أعقبوهم بمجموعة من الطلبة النجباء أو المتقدمين والمميزين ، فلما رفعت له الأسئلة من هذه المجموعة كانت إجابات الشيخ الخروبي غاية في التدقيق والتحقيق[1] .

ففي نظر السيد أحمد الشريف أن الدرس التربوي المستفاد من هذا السرد هو أن لا يتعجل المدرس في البحث ويسأل قبل التقرير واستيعاب الطلاب للمشكلة العلمية المطروحة للشرح ، لأن ما قد يعتقده المعلم بأن الطلاب استوعبوا الفن الذي كان يلقيه قد لا يكون صحيحاً في كل الأحوال وقد يُبهر المدرس عندما يدرك أن البون شاسع في عدم استيعاب التلاميذ بطرحه وشرحه للدروس بمعنى أن هناك خرق وقصور في كيفية توصيله للمعارف وطريقته وأسلوب تدريسه .

وفي رأي السيد أحمد الشريف أن التدرج المنطقي في شرح المدرس للمشكل العلمي هو الأسلوب التربوي المحتذى ويرى ذلك ضرورة لابد منها لتجنب الخلط عند الطلاب. فعلى المدرس طبقاً لرؤيته التربوية ، :" **أن يحذر التعجيل فيسأل قبل التقرير ، ومتى احتاج المدرس إلى الكلام سواء أكان إفرادًا أو تركيباً أو بحثًا أو جوابًا أو دليلاً أو شاهدًا أو مثالاً فلابد من الإتيان به في محله على قدر الحاجة من غير إخلال بما يكون به التصحيح والتبيين والأعراب الذي يحير أفكار الحاضرين وما يحتاج من توطئة ومقدمة** "[2] .

إذن على المدرس الحاذق أن يدرك المقصود من العملية التعليمية فإذا كان أمام طلاب مبتدئين فعليه التبسيط " التنزل " معهم باستخدام الأسلوب والعبارات المبسطة في توضيح الألفاظ والتراكيب اللغوية التي تنسجم مع مستوى الطلاب ولا غبار في ذلك ، لأن المقصد هو التفهم وتوصيل المعرفة بأبسط الأساليب . ويذهب السيد أحمد الشريف إلى أن تلك العملية مهمة عسيرة على المعلم المتبحر في تخصصه بأن " يتنزل " ويبسّط في توصيله المعارف إلى المبتدئين .ويصل به الحدّ إلى وصف هذا الموقف بأن التبسيط هو مشكلة وبلية العلماء لتوصيل المعارف للصغار . ويسوق لنا في هذا الشأن ما يلي:-

"**.... إنه يُبتلى العالم الكبير بتعليم الصغير فالأشبه الجنس بالجنس .فإن المبتدئ يُشق عليه إدراك إشارة الفحول والفحل يُشق عليه إدراك التنزل إلى مقاصد الصبيان ....**"[3].

ويدعم السيد أحمد الشريف رأيه في هذا المجال بأبيات شعر للعلامة أبو العباس البناء :

---

[1] الفيوضات المكية ، صـــ112 .

[2] الفيوضات المكية ، صـــ113 .

[3] الفيوضات المكية ، صـــ113 .

قصـــــــدت الوجـــــــازة في كلامـــــــي لعلمـــــــي بالصـــــــواب بالاختصـــــــار .
و لم أقـــــــدر أفهـــــــم دون فهمـــــــي ولكـــــــن خفـــــــت ازدراء الكبـــــــار .
ثم أبســـــــط للعلمـــــــاء شـــــــأني وشـــــــأن البســـــــط تعلـــــــيم الصـــــــغار[1].

ويحث السيد أحمد الشريف جماعات الطلاب المتقدمين والنجبـاء بعقـد حلقـات الـدرس الخاصـة ، كأن يُطرح مشكل علمي معين ويساهم فيه بالنقد والتحليـل طلبـة متقـدمين وطلبـة أقـل منـهم حيـث التحصيل العلمي . فبهـذا الأسلوب يجد طلاب الجماعات المتوسطة أنفسـهم أكثـر تـأهيلاً شيئـًا فشيئـًا فبهـذا تتولد لديهم رغبة التحدي العلمي المنطقي المنظـم فبهذا الأسـلوب التجـريبي و التمريـن الميـداني يمكن للطالب المتوسط أن يقطع شوطـًا نحو تعلم شـيء أفضـل بينمـا يحقـق الطالـب المتقـدم أسـلوبًا تربويًا متقدمًا في كيفية توصيل المعارف إلى من هم أقل منه شأنًا في نفـس مجالـه ، ويتطـور لديـه الأسـلوب التحليلي في الإطار الجماعي ، وتترسخ عنده المعـارف الـتي طُرحـت للنقـاش علـى مـن هـم أقـل منـه شأنـًا،وبالتالي يجد نفسه مؤهلاً لمناقشة نفس القضايا مع العلماء الذين هم أرفـع منـه قـدرًا وأطـول منـه باعـًا . وينعكس ذلك تمامـًا في قوله "..... **وإذا تعاطى ذلـك مـع أمثالـه حصـل الغـرض ثم تكـون التصفية والتهذيب بعد ملاقاة المحققين** ...."[2]فمهنة التدريس كمـا يراهـا السـيد أحمـد الشـريف ليسـت مهنة إلقائية أو إملائـه فوقية الطابع يهيّمن فيهـا المعلـم علـى عمليـة توصـيل المعـارف إلى عقـول الطلاب ؛ فالمدرس عنده لابد وأن يمارس مهنة التعليـم وفي الوقت ذاته تتوفر عنـده قناعـات بـأن إمكانيـة تعلم المدرس من طلابه مستمرة وقائمـة دائمـًا . فمهنـة التـدريس في ذاتهـا مرحلـة مهمـة مـن مراحـل التحـدي الذهني ويمكن

أن نسميها ونصفها بمرحلة التطور الذهني ... أي الصنفرة الذهنيـة... فـالعقول الوقـادة الـتي يتمتـع بها بعض الطلاب تساهم مساهمة فعالة في الإيقاظ والإيقاد الـذهني عنـد المـدرس وتتحـدى عقلـه بـإبراز بعض الأسئلـة التي قد لا يتوقعهـا المدرس أن تـأتي مـن الطـلاب . فهـذا الموقـف يتطلـب مـن المدرس التفكر والتدبر وبالتالي بالالتجاء باستخدام الأسلوب التحليلـي الاجتـهادي المتجـدد ،وبطبيعـة الحـال فإن في ذلك مساهمة إيجابية غير منظورة من الطالـب في تحـدي عقليـة ومقـدرة المعلـم ، ويـؤدي الحـوار الإيجابي بين الطلاب والمدرس إلى تطوير أسلوب جديد عند المدرس في الشـرح والطـرح لأي مشـكل علمـي لم يسبق لأحد أن أستخدمه أو ربما يتولد لديـه توجهـات فكريـة جديـدة كنتيجـة للتحـدي الفكـري . فالطالـب إذن يشكل رصيد فكري هائل ينبغي أن لا يستهان بـه وعلـى المعلـم أن يسـتغل ذلـك أفضـل استغلال .وينعكس هذا في قول السيد أحمد الشريف "....**وحـق العـالم أن لا يعتقـد أن الأمـور مقصـورة**

---

[1]الفيوضات المكية ، صـ113 .

[2]الفيوضات المكية ، صـ114 .

عليه وإنه في غنية من الزيادة ، وكفاية عن الفائدة هيهات، بل حقه أن يجلس على نية أن يُفيد ويستفيد ....."[1].

فإذا طرح أحد الطلاب سؤالاً و لم يتمكن المدرس في حينه من الإجابة عليه فليقبل ذلك بصدر رحب ولا يتورع في قبول هذا الموقف الذي فرضه عليه من هو دونه في المنزلة العلمية . فليطلب المدرس الإجابة من أحد الطلاب المبتدئين في قاعة الدرس بمحاولة الإجابة . ففي هذا الموقف تحفيز للطلاب بأن المعرفة أو الإجابة خلق من خلق الله كما يراها السيد أحمد الشريف، قد يظهرها الله عند أحد الطلاب دون غيره . وعلى المعلم أن لا يستنكف منه وألا يضيق صدره من ذلك الموقف . ففي ذلك درس عملي لطلابه بمدى مرارة محّك العملية التعليمية ، فإنها عمل مكثف تتراكم فيه تجارب وجهود وعقول مفكرين كثيرين على مرّ العصور . وإن لم يتمكن أحد من الإجابة فيظل السؤال مرفوعاً وباب الإجابة عليه مفتوحًا بعد توفر الوقت الكافي للتمحيص والجدل والقراءة حول هذا المشكل أو ذاك[2] .

ويقرر السيد أحمد الشريف بقوله :".....**وإذا سخر الله تعالى الجواب على لسان أحد من الطلبة الحاضرين إن كان صحيحاً عنده ولا يستنكف من قبوله لصدوره ممن هو دونه فإن الحق خلق من خلق الله تعالى يظهره الله تعالى حيث يشاء والحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها أخذها ....."[3].**

ويعلق السيد على هذا الجانب من العملية التعليمية والعلاقة بين المعلم والطلاب التي يصنفها إلى ثلاثة درجات مستخدمًا اقتباس من أحد مشائخه أبو فارس محمد بن عبد العزيز بن أحمد . وفي معرض الحديث عن العلاقة بين المعلم والطالب وكيفية تطبيق العملية التعليمية في جو تكتنفه روح المحبة وسعة الصدر والثقة المتبادلة وعدم الترفع من جانب المدرس على طالب العلم فإن السيد أحمد الشريف يُصنف العملية التعليمية إلى ثلاثة أنماط يرى فيها أن مسلك المعلم يؤثر أجابياً وسلبيًا عند الطلاب .

فالنمط الأول من المعلمين عندما يقع عليه الاختيار لممارسة مهنة التدريس يعتقد زيفاً أنه وصل إلى قمة المعرفة والكمال ليخادع نفسه ومن أقل منه شأنًا ، وربما يتصرف كذلك لنقص فيه محاولاً تغطيته أمام تلاميذه. فالسيد أحمد الشريف يعتقد أن هذا النمط من المعلمين لتصرفه المتعالي والأقل عطاء بطبيعة الحال أنما يقلل سلوكه ذلك حماس الطلاب وبالتالي النفور منه ومن الفن الذي يعلمه لهم .

---

[1] الفيوضات المكية ، صـ114 .

[2] الفيوضات المكية ، صـ111 .

[3] الفيوضات المكية ، صـ111 .

أما النمط الثاني من المعلمين الأكفاء علميًا الـذين يعرفـون هـذه الحقيقـة كمـا يعرفهـا زملائهم وطلابهم يعجزون تمامـاً عن توصيل المعرفة إلى طلابهم وكـذلك تهيئـة البيئـة والجـو التعليمـي السلس الذي يهيئ الطالب نفسيًا على استيعاب المعرفة في إطار تحكمه علاقات إنسانية متناغمة .

أما النمط الثالث من المعلمين المتمرسـين في توصـيل العمليـة التعليميـة للطـلاب، فيعتقـدون دائمـاً وبإيجابية وتواضع إنهم مهما حققـوا من محبة بين تلاميـذهم وزملائهـم ، إلا أنهـم لـن يرقـوا إلى مستوى المهنة التعليمية لبعد أغوارها وتعدّد جوانبها وتغـيير معاييرهـا بحكـم ارتباطهـا بالإنسـان المتنامط الإدراك والاستيعاب والاستعداد والقدرات .فهذا النمط من المعلمـين فضـلاً عـن الاتصـاف بـالروح العلمية والفضيلة ، إلا أنه يعتقد أنه لا سبيل إلى الكمال ، وأن عملية الرضـا علـى تأديـة الواجـب التعليمـي نسبي .وأن العملية التعليمية أخذ وعطاء، فبقـدر ما يعرف المدرس بأن فرصـة الـتعلم مـن الطّلّـاب واقعـة وحاصلة فعلاً ، تلك إذن قمة الديمقراطية التعليمية في تصوره التربوي والتعليمي .

فالعلم عنده في تصنيفه الصوفي لمواقف المعلمين ثلاث مراتب ودرجات :-

"..... من ترقى الأولى ظن أنه ، ومن ترقى الثانية علم أنه أنه ، وأما الثالثة فلا سبيل إليها ...." [1]

هكذا يتجلى لنا من خلال هذا الطرح أن الفقيه السـيد أحمـد الشـريف كـان تربويـاً متحـررًا مـن الأسلوب التقليدي الجامد وأنه كان يدعو إلى نظام تعليمي سابق لأوانه يُعطـى فيـه الطالـب حريـة الاختيـار الواسع في عملية التعليم البعيدة عن المنهج العلمـي الرتيـب المفـروض . فالنظـام التربـوي والمنـهج الذي كان ينادي بتطبيقه في الزوايا التابعـة لـه علـى الأقـل يـدعو إلى خلـق الإنسـان التحليلـي في تفكيره المتصف بالفضيلة والخلق والإبداع والتجديـد ، جنبًا إلى جنـب مـع إذكـاء الـروح القياديـة عنـد الطالب فضلا عن تعلمه للعديد من الحرف والمهن المفيدة .

ويكفي أن نذكر بعض الأسماء التي تُعـد نتاجـاً تربويًـا للزوايـا والمـدارس السنوسـية خاصـةً التي لمعـت في حركة الجهـاد الليبي وجميعهم تتلمذوا علـى أيـدي السـيد أحمـد الشـريف أو علـى الأقـل أولئك الذين عاصروه وشاطروه تفكيره أمثال هؤلاء عوض يحـي العبيـدي ، يوسـف بـو رحيـل المسـماري ومحمد السنـّي والمهدي السنـّي وعمر المختار والفضـيل بـو عمـر وآل فركـاش وآل الغـزالي وغيرهـم كثيرون من الأخوان السنوسيين الذين لا يتسع المجـال لحصرهـم في هذا المقال القصير .

إن طبيعة هذه المقالة تقتضي الوجازة في الحديث عن الأدوار الـتي لعبـها السـيد أحمـد في حركـة الجهاد الليبي . وأن إعلانه للجهاد ضد المعتدين يعكس تمامًا الأدوار

---

[1] الفيوضات المكية ، صـ111 .

التوفيقية بين قبائل الدواخل والتعليمية والتربوية التي تمخضت عنها جهود أسلافه في إنشاء شبكة من الزوايا والمدارس الإسلامية التي أنجبت عدداً لا يستهان به من أعلام حركة الجهاد في ليبيا.

وعندما أعلن السيد أحمد الشريف الجهاد ضد الغزاة لم يخاطب عقول رجال القبائل ولا سكان القرى والمدن عربًا كانوا أو بربرًا سعادي أو مرابطين ولكنه خاطبهم كمسلمين يحتم عليهم دينهم الدفاع عن عقيدتهم والذود عن ديارهم . فالسيد أحمد الشريف خاطبهم كمسلمين قاطنين في ليبيا بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة وبشحذ الهمم وامتشاق السلاح لمواجهة الغزاة .

و رغم انشغال السيد أحمد الشريف بتأسيس الأدوار الجهادية في الجنوب والشمال ، إلا أنه ألف سنة 1913 م رسالة تحريضية ضمّنها الكثير من الآيات القرآنية الدالة على الجهاد وحثّ المسلمين على حمل السلاح لمواجهة الغزاة . وكانت بعنوان " **بغية المساعد في أحكام المجاهد** ". وقد نُشرت في نفس السنة بالإسكندرية وتقع هذه الرسالة في حوالي ستين صفحة مطبوعة تمثل بحق فلسفة السيد أحمد الشريف في تحريضه على حمل السلاح ضد المعتدين فدعا فيها المجاهدين إلى الجرأة والإقدام والثبات كما وضّح للناس جميعاً بأن الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وأن الجهاد فرض عين لا مراء فيه .

كان السيد أحمد الشريف في الحقيقة معلماً ، أنار الشموع لمُريديه فمهد لهم أرضاً أصبحت خصبة أنبتت بالعطاء علماء عارفين ، نبضت قلوبهم ببوارق الأمل وعندما تعرضت البلاد للعدوان الفرنسي و الإيطالي ، أصبح أولئك المُريدين تتحرك فيهم كوامن الطاقة الدفينة التي زرعها فيهم معلمهم وفقيههم فتجددت ذاته وتجسدت نصائحه فيهم ، وأتضح ذلك من خلال معسكرات الجهاد التي أنشأها في دواخل فزان و برقة قبيل انسحاب الأتراك من البلاد . وكان السيد أحمد تبرًا عندما كان كثيرٌ من الناس ترابًا في تعاملهم مع الطليان وينعكس فيه قول الشاعر :

التبرُ كالترب في مناجمه والعود في غابه نوع من الحطب

فالسيد أحمد الشريف كان معلماً يمسك بقلمه مؤلفٌ لكتابه ساهرٌ لحفظ آيه ، ويعزّ عليه أحيانًا توفير قوت عياله ، وتنعكس صلابة إرادته في أحدى رسائله لأبنائه حين طلبوا منه توفير المؤونه لهم فخاطبهم بأنه ترك لهم الله وتمور واحة الكفرة ، في الوقت الذي كان بعض الناس يسعى لتشييد الشامخات . فإنّ غضّ الطرف عنك غافلٌ فستذكرك أيها المجاهد أقلام العارفين ، فالخلود بعد الرب لك فألسنة الأجيال تلهث بعطائك وفدائك . وقد قال فيه كاتب هذا المقال الأبيات التالية تمجيداً للأعمال الجليلة التي قام بها في معركتي يوم الجمعة 1913م ومعركة

القرضابية الشهيرة 1915م التي كان يقودها السيد صفي الدين السنوسي جنباً إلى جنب مع آلاف المُريدين والفقهاء والعلماء ورجال القبائل المغاوير تلك الصرخة التي جمع فيها شتات المجتمع الليبي ضد الطليان إذ قال :

حمل الرسالة لم ينؤ من حملها ... ورعى الأمانة في الهداية والتقى .
بل راح يسعى للصعاب مذللاً ... يهدي العقول إلى الصواب وما اشتكى
وينير كل العقول من علمه ... ويضئ حول الدروب كل الدجى .
كلٌّ يضن بما لديه لبخله ... إلا الأحمد للمكارم قد سعى .
أعطى وأجزل في العطاء بعلمه ... ما ضن يوماً بالمعارف أو هوى .
فأنت المعلم رغم أنف الردى ... شاء الزمان بذا أو اشتكى .

وقال فيه الكاتب تخليدًا لذكراه ومن معه من المجاهدين الأفذاذ في معركة القرضابية :

بقرضابية العزّ كتبنا ... جهاداً صادقاً في الدهر يبقى
تركناهم حصيداً في الفيافي ... وأصبح لحمهم للوحش مرعى
وعادوا مثلما جاءوا بخزي ... عقاباً من حكيم قد تعلى
صفي الدين ذي الصافي الدعاء ... زعيم القوم في الخيرات يسعى
أمير للجنود إذ تنادوا ... بحي على الجهاد تراه لبّى
يخاف الله لا يخشى سواه ... وخوف الله للعباد أنجى
فمن جعل الإله له دليلاً ... يحوز الخير والفردوس مأوى

ذلك هو السيد أحمد الشريف المعلم الفقيه الصوفي الذي صنع أجيالاً من العلماء العاملين والمجاهدين الأفذاذ الذين مارسوا عقيدتهم نظريًا وعمليًا في ميدان الوغى دفاعًا عن حياض وطنهم وما بدلوا تبديلا. و قد أشتهر السيد أحمد الشريف السنوسي بتأليفه عدد من الكتب والمخطوطات أهمها :

1) **فيوضات المواهب المكية بالنفحات الربانية المصطفوية " مخطوط لم يسبق نشره.**
2) **الشموس النورانية العرفانية والأشراقية في بيان أعلام الطريقة السنوسية الإدريسية المحمدية .**
3) **بـُغية المساعد في أحكام المجاهد ، نشرت سنة 1913 م بالإسكندرية .**
4) **الدر الفريد الوهاج بالرحلة المنيرة من الجغبوب إلى التاج أو الكوكب الزاهر في مظلي الظلام العاكر .**
5) **الفيوضات الربانية في إجازة الطريقة المحمدية الإدريسية .**
6) **آثار الأنظار ومبتكرات الأفكار ، الإسكندرية ، 1902 .**

مقياس الخجل: إنشاؤه و خصائصه السيكومترية

د. عبداللهامحمدعريف

قسم علم النفس –جامعة بنغازي

المقدمة

قياسالخجل : المبرراتوالأهداف

يتأرجحسلوكنافيتيارالحياةاليوميةبينالتروعإلىالإقداموالتفاعلمعالآخرينسعياًلتحقيققدرمنالإشباعلحاجاتناالنفسيةوالاجتماعيةوالحيوية (البيولوجية) المتنوعة- وبينالاحجاموالابتعادعنالآخرينكلماواجهتناعواملالصدوالتعويقوالإحباط .وتؤيدالأدبياتتطورالخجلوتناميشدتهمعتفاقمالصراعبينداوافعالاقترابمنالآخرين ، والخوفمنذلك – بمايعنيأنالخجلمنالعواملالشخصيةالاجتماعيةالتيتعوقالفردعنإشباعحاجاته ، بلوعنتحقيقالتوافقالشخصيوالاجتماعيوالمهني (يوسف ، وخليفه ، 2000Jingjing,et al.,2012 ;) .

فالخجلمشكلةنفسية – اجتماعيةمشبعةبمظاهرالانسحابوالسلوكالتجنبي ، والقلقوالخوفوالكف ، والحساسيةالمفرطةلتقييمالآخرين ، وتوقعالفشل . ولذلك ، وكماتوضحالدراساتالسابقة ، فإنللخجلعلاقةوطيدةوطرديةبكثيرمنالسماتالسلبية (السمادوني ، 1989؛فايد 1997- 2009Strand, et.al.,2011; ، عبدالعالي ، b;2005Crozier,_) . ومنذلكارتباطهبالقلق ، والاكتئابوالرهابالاجتماعي ، وضعفمهاراتالاتصالوالمهاراتالاجتماعيةعموماً ، والشعوربالوحدةالنفسية ، والإنطواءوالعصابية.كماأنللخجلعلاقةارتباطيةبتدنيتقديرالذات ، وضعفالثقةبالنفس ، والاعتماديةة ، والاذعان ، وغيابتأكيدالذات . بلولهتأثيرهالسلبيفيالجانبالمعرفي ، كماوثقذلكآسندروف (فييوسف ، وخليفه ، 2000) ومنذلكتشتتالانتباه ، واضطرابالإدراكوسوءمعالجةالمعلومات ، وحصيلةهذاكلهسوءالأداء ، خصوصافيالاختباراتالإدراكية .

تشهدأدبياتالخجلبشيوعهفيكلالأعمار ، وشدتهبينالمراهقينوالشباب ، وهمالممثلونللنسبةالغالبةفيمجتمعاتناالعربية (السمادوني ، 1991 ، النيال ، 1994 ، عتيبي ، 2012) . كماتشهدهذهالأدبياتوغيرهابشيوعهفيشتىالثقافات ، رغماختلافنسبانتشاره . ففيدراسةزمباردووزملائه ، 1975(فيالسبعاوي،2010) لطلابفيالمدىالعمري 18- 21 عاماً ، منثمانيثقافاتمختلفة – وجدهؤلاءالباحثونأننسبشيوعالخجلكانتوفقالترتيبالتالي :
اليابانيون (57%) ، التايوانيون (55%) ، الهنود (47%) ، الامريكيون (44%) ، الفنلنديون (44%) ، الألمان (43%) ، المكسيكيون (39%) ، وفيالمرتبةالأخيرةالاسرائيليون (31%) .

وفي دراسة زمباردو وزملائها الرائدة (السابقة) ومنتحليل بياناتا لعينة الأمريكية ، وصف 40% من المبحوثين أنفسهم بأنهم خجولون ، وأقر نصفهم (20%) بشدة معاناتهم من الخجل بدرجة تستوجب التدخل العلاجي . كما أن 80% من أفراد العينة اعترفوا بأنهم خبروا الخجل في مجرى حياتهم على الأقل لمرة واحدة . بل وجد (زمباردو) في دراسة لاحقة لعينة من طلبة الجامعة أن 25% منهم يعانون من خجل مزمن (قاسم ، 2005) .

ومن خبرة الباحث الحالي بالتعليم العالي والعام فإن كثيرا من طلابنا (ذكورا وإناثاً) يعانون من تحاشي النقاش ، والمبادأة والمشاركة . وإن اضطروا لذلك فإن مظاهر الخجل تطل من خلال غياب الاسترسال ، والصمت وتهدج الصوت ، والتلعثم ، والارتباك ، والحساسية المفرطة لردود أفعال الزملاء ، والخوف من ارتكاب الأخطاء ، وتوقع هزؤ المحيطين . ولعل هذا ما يسهم بقوة فيما يمكن تسميته "تلكؤ الخجول " وهو ما يترجم استنتاجا بعض دارسي الخجل (مثل قاسم ، 2005) والذي يخلاصته أن الخجول غير قادر ينعلى إبداء الآراء ، أو اتخاذ القرارات.

يتضح من الأدبيات المعاصرة أن نسبة انتشار الخجل في ازدياد مطرد في ثقافات المجتمعات التقنية (الغربية) حيث ارتفعت في بعض البلدان إلي 50% (كروزير ، 2010) وأن نصف هذه النسبة من الأفراد يشتد لديها الخجل ، بدرجة تعوق التوافق والأداء ، وتتطلب حالتها الاعتماد على أدوات قياس وتشخيص موثوقة وصادقة ومميزة لأجل العون الإرشادي والعلاجي .

وإذا كان هذا هو الحال في تيار البحوث الرئيسي فإن نسبة انتشار الخجل في بلادنا العربية ربما كانت أعلى سيما وأن ثقافتنا التقليدية تعج بالممنوعات وأساليب التنشئة التي تؤدي إلى الخجل . وكما يشير عديد الباحثين العرب – مثلا لبكر ، 1986 ، وحبيب ، 1992 (في يوسف وخليفه ، 2000) والمحارب (1994) فإنما يلاحظ من الدراسات العربية القليلة حول الخجل أنها مثلها مثل كلة ملحة ، وأن نسبة انتشاره في أكثر المجتمعات العربية ربما كانت أعلى مما هو موثق في الدراسات الغربية .

الخجل مشبع بالمؤثرات الاجتماعية والثقافية . ولذلك فإن ترجمة واستخدام الأدوات الوافدة من ثقافات مختلفة (غربية عادة) وفي مقدمتها مقاييس الخجل ليس بالحل الأوالإجراء السيكومتري الملائم . أضف إلى هذا أن القليل المطور من مقاييس الخجل بواسطة باحثينا العربي عانى من النقص في جودة المعالجة والإعداد السيكومتري ، وبدرجة دعت باحثي الخجل إلى تكرار التوصية بالإلتفات إلى تطوير أدوات قياسه (مثلا لدرين ، ب . ت؛ السمادوني ، 1991 ؛ فايد ، 1977 ؛ عبدالعالي ، 2009 ؛ السبعاوي ، 2010).

وإشكالية تطوير أدوات قياس الخجل في سرها في الجانب الأكبر منها حداثة بحوث الخجل ، ذاتها ، في ميدان علم النفس، على المستوى الدولي. وكما تقول السبعاوي (2010 : 23) " ... فإن الدراسة العلمية للخجل لم تبدأ بشكل منظم إلا مع بداية عقد السبعينيات من القرن السابق ، وبخاصة بعد ظهور كتاب زمباردو عام 1977 حول الخجل ، والذي كان له دور واضح في لفت انتباه الباحثين إلى موضوع الخجل."

توالتالجهودالسيكومتريةوبحوثالخجلعموما ، عقبظهوركتابزمباردو (المشارإليههفىالفقرةالسابقة) ولكنوكماوضحبعضأبرزخبراءدراسةالخجل (مثلكروزير ، 2010) فإنمعظمالمقاييسالمتداولةتعانىمنعيوبعديدةأهمهاإهمالقياسالسلوك ، رغمأنهمكونأساسىمنمكوناتمفهومالخجل – كماسيتضحفىالصفحاتاللاحقة .

ومنأوجهالضعفالبالغةوالشائعة – فىالمقاييسالمستخدمة – قلةالعنايةبصدقالمفهوم (صدقالتكوينىالافتراضى) والذىيعتبرأهمأنواعالصدق – التىتنتظمكلالأنواعالأخرىولاغنىعنالتحققمنهعندإنشاءالاختبار – لأنهيطالقياسالسمةومكوناتها ، والنظريةالتىاشتقمنهاالمقياس – إنوجدت . ولذلكيتجاوزالتحققمنصدقالمفهوماستخداماتالمحكاتالداخلية – كصدقالمفردات ، إلىتوظيفالمحكاتالخارجيةوبالذاتالبحثالامبيريقى (الخبرى) والمنطقىوالتجريبىلاستقصاءأوجهالشبهوالاختلافبينالسمةالمقاسةوسماتالشخصيةالأخرى (Kline,1986;1991؛أبوحطب ،1993؛Murphy & Davidshofer,1998؛علام، 2006) .

ولعلفيماسبقعرضه ، وماسيردلاحقاحولالأسسالنظريةوالدراساتالسابقةوخطواتتصميمالمقياسمايبررضرورةالإهتمامبتطويرأدواتقياسا لخجل ..

أهدافالبحث :

يتلخص الهدف العام للبحث فى تأليف مقياس ملائم للخجل ، فى المجتمع الليبى – فى المقام الأول . ولهذا الهدف العام أقسامه أوأهدافه الفرعية المتكاملة ، التى يجمعها التحقق ، وفق طرق متنوعة ، من :

أولآ : ثباتالمقياس .

ثانيآ : صدقالمقياس .

ثالثآ : قوةتمييزالمقياس .

رابعآ : فروقالنوعفىالخجل .

ولأجلالوفاءبهذهالأهدافإنالعرضاللاحقيستوجبالتمهيدمبدئيابتقصىواستجلاءمفهومالخجلوطبيعتهالمركبةمنخلا لمراجعةبعضتعريفاته ، وعرضمكوناته ، وأعراضه .. ولأجلحصرأهمأنواعالخجلومتعلقاتهنوقشتتصنيفاته ، وعلاقاتهالمتشعبةبعديدالسماتالنفسيةالأخرى ، وكذلكبحوثفروقالنوع – فىالخجل .

ومايتلوذلكيشملبيانالإجراءاتالسيكومتريةلتطويرالمقياسوالمعاينة ، والنتائجوتفسيرها.

مفهومالخجل : المعنىوالمكونات

الخجلمفهومأفتراضـــــــى ، مركبولهمنالخصائصوالمظاهروتشــــــعبالعلاقات (بسماتنفســــــــيةأخري) مايجعلمنالصـــــــــــــــعوبةبمكانتحديدتعريفجامعمانعله . ولذاسنشرعأولافىاستعراضبعضــــــــــــــتعريفاته ، تمهيدآللتعرفعلىمكوناتهومظاهره ، وأوجهالتشابهوالاختلافبينهوبينبعضالمفاهيمالقريبةمنه ، بمايميزهعنها .

يعرفشـــــــيك ، وواطســــــن ، 1989 (فىكروزيــــــر ، 2010 : 33) الخجلبأنـــــــه : " النزعةالشـــــــعوريةللتوتروالقلق ، وعـــــــدمالكفاءة<الكفايـــــــة>أثناءمواقفالتفاعلالاجتمـــــــاعى " وإلىنفسالمعنىبالتقريبيذهبفهروســــتامبس، 1979 عندماحـــــدداالخجلباعتباره : " الميللتجنبالتفاعلالاجتمــــاعى ، معالمشاركةفىالمواقفالاجتماعيةبصورةغيرمناسبة (السمادونى ، 3:1989) .

وبكيفيةأكثرتفصـــــــيلاًيعرفزمباردو ، ورادلالخجلبأنـــــــه : " ميلمتعلملتجنبالمواقفالاجتماعيـــــــة ، والإخفاقفىالمواجهاتالاجتماعيـــــــــــة ، والشــــــــــــعوربالقلقوعدمالإرتياحخلالالتفاعلاتمعالآخرين ، ونقصــــثقةالفردفىأهميته ، والخوفمناحتمالالتعرضـــــللنقدمنالآخرين ، والبعدعنالمبادرة،والصــــمتعنالحديث . " (حسين ، 2009: 16).

كمــــــايعرفجونزوآخرون ، 1986 الخجلبأنـــــه : " انتباهعصــــــبىمفرطللذاتفىالمواقفالاجتماعية ، يظهرفىصــــــورةخوفأورعب ، أوصـــــمتعنالحديث ، وتكونلهمظاهرمعرفيةوانفعالية كالشـــــعوربعدمالارتياحوالقلق ، والرؤيةالمفرطةللذات . " (فايد ، 1997 : 237).

ولعلفىتعريفالخجلالتالىمايجمـــــــــــــــــــــــــــل، لشــــــــــــــــــــــــــموله، كثيرآمنملامحالتعريفاتالسابقةوهذاهوتعريفلورانتوهندرســــــــــون ، وزمباردوالذينعرفواالخجلعلىأنـــــــــــه : " خوفمنالتقييمالســــــلبى ، مصحوببالضــــــغطالإنفعالى ، أوالكفالذىيتداخلبشدةمعالمساهمةفىالأنشـــــطةالمرغوبة ، ومتابعةالأهدافالشخصـــــيةوالمهنية ".(Lorant , Henderson & Zimbardo , 2000 : 232).

مكوناتالخجلوأعراضه :

الخجلنمطمركبمنالاســــــــــــــــــــــــــتجاباتاللفظيةوغيراللفظية؛ولذافإنلهمكوناتمتفاعلةهى :المكوناتالمعرفيةوالوجدانيةوالفسلجيةوالسلوكية ، التىتتبدىفىمظاهرأوأعراضنجملهافيمايتلو :

المكوناتوالأعراضالمعرفية :

يؤكدبعضــــــالثقاةفىالمجال (مثلكروزيــــــر ، 2010) أن ’الشـــــعورالمفرطبالذات’ ، و’التــــوجس ، وتوقعالتقييمالســــــلبى’ منالآخرينيمثلانجوهرسمـــــــةالخجل ، باعتبارهمامنأكثرخصائصالخجلتكراراًوانتشـــــــاراً .فوعىالخجولبذاتهوانشغالهبمايحســـــــــــــــــــــــبهمتطرف ، وإدراكهلذاتهســـــــــــــــــــــــلبى . فهويعتقدبوجودفروقبينذاتهكمايعتقفـــــــدأنالآخرينيرونها (ســــــــيئةعادة) والذاتالمأمولـــــــة (المثاليــــــة) . يعانىالخجوللمناســــــــــــــــترجاعالأحداثوالمواقفالتىتمربه ، واجترارهاوتقويمهاالســــــــــــــــلبى ، مثلمايعانىمنالتشويشالذهنىوالأفكاروالتصوراتاللاعقلانية .

المكوناتوالأعراضالفسلجية :

يظهر منبعضالبحوثالفسلجيةأنهناكزيادةفينشـــــاطالجهازاالودى (الســــمبثاوى) لـــــدىالخجول ، مثلماأيدتبحوثأخرىالفروقبينالخجولينوغيرالخجولينفيمعدلنشاطالقلبومستوىأنتشــــــــــــــــارالكورتيزون . بلوتمالتحققمنوجودنشاطكهربائيزائدفينصـــــــــــــــــــــــفالكرةالمخيالأيمنمنالأماملدىالخجولين ، مقارنةبالأقلخجلاً؛كباراًوصغاراً (Schmidt et. al., 2002؛كروزير ، 2010) .

وللأسسالفســــــــــــــــــلجية (فضلاعنتمازجهاوعلاقتهابالأعراضـــــــــــــــــــالوجدانية) مظاهرهاأوأعراضهاالجسديةلدىالخجول؛ومنذلكزيادةنبضـــالقلب ، واضـــطرابالتنفس ، وجفافـــالفم / الحلـــق ، واحمرارالوجـــه ، والعـــرق ، واضـــطراباتالمعدة – كحدوثتقلصاتبهاأوإســـهال – والإحساســـبالارهاقوالتعب (حسين ، 2009) .

المكونالوجدانيوأعراضه :

للجانبالفسلجيكماسبقتالإشـــارة – صـــلتهالوثقىبالجوانبالوجدانية (عمومـــا) ومنـــهاالخجل . والخجوليظهراستثارةأكبرفينصــــــــــــــــــــــــــــــــفالكرةالمخيالأيمن . ولاتقتصرالاستثارةفيالجزءالأماميالأيمنمننصـــــــــــــــــــــــفالكرةالمخيعلىالخجل ، بلترتبطأيضابالخوف؛الذينعرفأنهعرضأنفعاليمنأعراضـــــــــــــالخجل . فالخجوليخافالانتقـــــــــــاد ، والاتصالوالاختلاطبالآخرينوخصوصـــاالغرباء ، وذويالمكانـــةوالتأثير . ولفرطحساســـيتهيعانيمنالتوتروالقلق ، وعدمالشعوربالأمنخلالاتصالاتهالاجتماعية .

وقلقالخجوليتجاوزتوقعاتهالسلبيةوالخوفمنآراءالأخرينلأنتفكيرهيدورأيضاحولتوقعاتهلتدنيأدائهوفشـــــــــــــل هولذافإنمدركاتهوإمكاناتهقدتصبحأســـوأمنإدراكغيرهلها . وحصيلةهذاكلهميلالخجولإليتحاشــــــــــــيالتفاعلالإجتماعي ، والتروعصـــــــــــــــوبالعزلةوالانطواء ، ممايعززتجاهلالمحيطينله ، وقلةأصدقائه(Crozier ; 2005 –a) .

المكونالسلوكيوأعراضه :

تشهدأدبياتموضـــــــــــــــــــوعالخجل – (وبالذاتقبلنهايةالقرنالعشـــــــــــــــــــــرين) بوجوداتجاهاتنظريةلايهتمأصحابهابالمكونالســـــلوكيللخجل (انظرمثلاكروزيـــر 2010 ؛الســـبعاوى ، 2010) . ومنحججهذهالفئةمنالباحثينوافتراضاتهمأنالخجلمشبعبالصـــــــــــــمت ، أوقلـــــــــــةالكلاموالتحفظ ، وأنمفهومالخجليتحددأكثرمايتحددبالمكونينالمعرفيوالبدنيمنخلالالأعراضالفســـــــــــــــــــــلجية . وقداستجرهذاالتوجهمعهتطويرأدواتلقياسالخجلتتحاشيالمظاهرالسلوكيةللخجل .

ولكنالتجاربالمعمليةوالملاحظةالموضـــــــــــــــوعيةفيمواقفالبيئةالاجتماعية ، واتجاهاتنظريـــــــــــــةأخرى (المراجعالســـــابقة)اتسقتفيالتأكيدعلىأهميةالمكونالســـــلوكيوطابعهالتجنبي : فالخجولميالللصـــــمت ، قلـــيلالكلام ، صـــــوتهعادةمنخفض ، حديثهمقتضـــــب ، قصـــــيرالجمللايخلومنتقطعوتلعثم ، وضعففيالاسترســــــال.

كمايتصفسلوكهبندرةأوغيابالمبادأةفىالحديث ، وتحاشىالاتصالالبصرىبالطرفالآخر ، وصعوبةفىمقابلةالغرباءبالذات .

ومنالمؤشراتالسلوكيةللخجلأيضاماياحظفىالجانبالحركىكالميللتعبيرغيراللفظى – بالإيماء ، والوضعالتخشبىفىالجلوس؛كطىَالذراعين ، وإحكامغلققبضةاليدين ، وضمالرجلين ، حتىأنوضعهالعاميوصفبالمغلق (Andrews ; 1997 ;كروزير, 2010) كماتلاحظأيضاكثرةالحركاتالعصبية ، كالتململ ، وعضالشفهأوالأناملأوتكرارلمسالوجهباليد .

تصنيفاتالخجل :

يستدعىأستجلاءمفهومالخجلعرضبعضالنماذجالنظريةالتىتناولتأنماطوأنواعالخجل ، منخلالتصنيفهفىفئاتمتنوعة . وأشهرهذهالتصنيفاتهي :

أولآ / الخجلالإنطوائيوالعصابي :

هذاتصنيفآيزنكوآيزنك ، 1969 والذىيتشملفىاقتراحنوعينهما :

(أ) الخجلالإجتماعىالإنطوائى Introverted social shyness :**'راضه**

الشخصالمتصفبهذاالنوع (الانطوائى) يفضلعادةالتواصلمعجماعتهالخاصة ، ولكنهيتسمبتحاشىالتفاعلمعأفرادالجماعاتالخارجيةعموما . لديةالقدرة (إذادعتالضرورة) علىالعملالجماعىوبكفايةعالية ، رغمترعتهالواضحةللتباعدوالوحدةوالتملص ، حتىأنهذاالنوعمنالخجليسمىبخجلالتجنب (العترى،2001;Crozier ;2005-b)

(ب) الخجلالإجتماعىالعصابي Neurotic social shyness :

المتسمبالخجلالعصابىبحساسيتهبالغةلشدةوعيهبذاتهومراقبتهلهاوقلقهالمزمنوالملحَفىمواقفالمواجهة ، وخشيتهمنأحكامالآخرينالسلبيةتجاهه . وهوفريسةالصراعبينالرغبةفىالاختلاطبالناسوالخوفمنهذهالرغبة.

ولربماكانهذاالنوعمنالصراع (صراعالإقدام – الإحجام) ممايفسرشعورالخجولالعصابىبالذنبوالندموالهوان ، وضعفثقتهبنفسه (أكثرمماهىالحالبالنسبةللخجولالإنطوائى) . ولهذافإنضعفقدراتالخجولالعصابىعلىالاتصالالاجتماعىوقلقهالمزمنمنأهمالعواملالتىتعرضهلقوةالشعوربالوحدةالنفسيةوعدمالاتزانالانفعالىوالنفسىعموماً(Jingjing et.al.,2012). والخلاصةفإنهذاالنوع (العصابى) يطلمعتفاقمالصراعبينالرغبةفىتكوينعلاقاتأجتماعية ، والخوفمنهذهالعلاقاتولربماكانتقسيمآيزنكلأنواعالخجلأقربإليالمتغيرثنائىالقطبأوبالأدقالمتصلالذىيتموضعالخجلالإنطوائىفىطرفهالأيمنوبدرجاتمتصاعدةحتىالأيسرحيثالخجلالعصابى .

ثانياً / الخجلالعاموالخجلالخاص :

قدمهذاالتصنيفبلكونيز ، وزمباردو 1979 (فىحسين ، 2009). الخجلالعامخجلظاهريتصلبتوقعالخجوللسوءأدائهفىالمواقفالإجتماعيةويرتبطعادةبسوءالأداءالفعلىأمامالآخرين . فالتوقعالسلبىيغذىالفشلفىالأستجابة ، والسلوكالأرعن ، وسوءالتوافقمعالأخرين . أماالخجلالخاصفهوخجلباطنىيتمثلفىالوعىالزائدبالذات ، وتركيزالخجولعلىالمشاعروالمدركاتوالأحداثالداخلية ، كالتوترواالضيقوالخوفمنالانتقاد . ويعانىصاحبالخجلالخاصمننقصفىالمهاراتالاجتماعيةوضعففىالثقةبالنفس .

ثالثاً / خجلالخوفوخجلالوعىبالذات :

قدمهذاالتصنيفبصوزملاؤه ، 1986 (قاسم ، 2005) ويظهرخجلالخوفلدىالأطفالمنذحوالىالشهرالسادس – منالعمر – حتىالسنةالسادسةونلاحظهبوضوحفىالمواقفالجديدة ، والغريبةعموما . أماخجلالوعىالمفرطبالذاتفيظهرلاحقاخجلالخوفمعارتقاءوظائفالطفلالمعرفيةوشعورهالمتزايدبكينونته – أىمعالتحاقالطفلبالمدرسةالابتدائية . وخجلالوعىالزائدبالذاتيعنىقلقنامايعتقدهالآخرونعنا. ولذافإننا خلالتفاعلنامعالآخرنوجهقدرآمنانتباهنالمانشعربه .. وبذلكنمارسمراقبةذاتيةتسترفطاقتناكلماكانتمتطرفة ، وتؤدىإلىسوءالتركيز ، وتشتتالانتباه . ولذلكنميلإلىالتكتم ، والمجاراةوفقدانالتلقائية، وتحاشىالمعارضةأوإبداءالرأى .

ولاتقلالآثارالسلبيةلخجلالخوفعماسبق ،حولخجلالوعىالزائدبالذات. فخجلالخوفيرتبطبمرحلةنمائيةهامة ، وهىالطفولةالمبكرة .. ولمايرتبطبالخوفمنتحاشىلاستطلاعوالفهم ، وتردد ، وتهيبوهروبفإنالمهاراتالاجتماعيةلهذهالفئةكثيراماتكونمتدنية ، وكذاأساليبتواصلهامعالآخرينكماوضحبرونتوزملاؤه(Brunet et al, 2009). ولعلهذامايجعلأصحابخجلالخوفمنيتصفونبتقديرمتدنللذات ، بلوأدنىحتىمنأصحابخجلالوعىالزائدبالذات (زايد ، 2001 ؛كروزير ، 2010) .

ورغمجدوىهذهالتصنيفاتلفهمطبيعةسمةالخجلوتمايزأنماطهاإلاأنهينبغىالتذكيربأنالدراساتالعاملية تؤيد وجودعاملعاملللخجلوكفى . أىأنهذهالتقسيماتلمتخضعلدراساتعاملية تدعمهاوبذاتظلفروضأيمكناختبارها (العترى ، 2001؛ Crozier2005 -b;).أماعنأهميةالتصنيفاتالتطبيقيةفتظهرفىمرحلةإعدادالمفردات،وذلكلأجلضمانتنوعالمفرداتوقوةتمييزها . وكلماروعيت،وترجمتهذهالتصنيفاتفىمحتوىأداةالقياسفإنجدوىالأداةفىأداءوظيفتهاتزداد،بمايعنى "صدقالمحتوى" أيضاً. ولعلفىهذاكلهمايضيفإلىجدوىوملاءمةالمقياسلأغراضالتقويموالتشخيصوالإرشادوالعلاج .

علاقةالخجلبسماتنفسيةأخرى :

يتصفمفهومالخجلبشدةتداخلهمعمفاهيمعديدةتتشابهمعهفيبعضالخصائصوالآثار . ولاستجلاءمفهومالخجلنستعرضأهمالسماتذاتالعلاقةالملحوظةبسمةالخجل ، وهي : الحياء ، والخزى (أوالشعوربالعارShame)، والانطواءوالعصابية ، والرهابالاجتماعى ، والقلقالاجتماعى .ولهذهالمفاهيممملامحمشتركةمعالخجل ، لانهاجميعها:

(أ) تظهرفيموقفالتفاعلالاجتماعىالتىيبدومنمنظورالاشخاصالمتصفينبهذهالسماتموقفأجتماعيةضاغطة.

(ب) لاتخلومنعنصرمعرفيىيظهرفيالاهتمامالزائدبتقييمالآخر – أوالآخرين – للشخصالخجول .

(ج) تشملأيضاعناصروجدانية ، منمثلمايتبدَىفيالتوتر ، والرهبةأوالخوفوالقلق .

(د) غالبآماتؤدى ، بقدرشدتها ، إلىآثارسلبية– غيرتوافقيةكالإرتباك ، والإنضغاطوضعفالثقةبالنفس ، وأضطرابالسلوكوتدنىالفعاليةالشخصيةومستوىالأداء .

الخجلوالحياء :

يشتركلاهمافيمظاهرالإرتباك ، والكفوبعضالمظاهرالفسلجية ، كاحمرارالوجهوإفرازالعرق . يتميزالخجلبكونهتلقائياً ، أولاإراديا ً ، مقارنةبالحياءمعترعةملحوظة – لدىالخجول ، للتجنبوتحاشىالآخر (المحارب ، 1994) وإذاكانهذايعنىأنالخجلمسلكغيرتوافقى ، فإنالحياءخاصيةمحمودة ، ومرغوبةفيعديدالثقافاتومنهاثقافتناالعربيةالإسلامية .

ومنمأثورالحديثقولرسولناالكريم(صلىاللهعليهوسلم) : "الحياءشعبةمنالإيمان ." فالسلوكالحييُيعبرعنالأدبالجم ، وسموالأخلاقالذىيظهرفيتجنبالمرذولقولاًوفعلا ، واحترامالآخر – الأكبر (عادة) عمرآأومقاما . ومنأمثلةذلكخفضالطالبلصوتهعندنقاشأساتذته ، أوسكوتالبكرواربتباكها – حياء – عندسؤالهاحولطلبيدهاللزواج . ومايُميزالحياءأيضاأنهخاصيةموقفية؛ترتبطبظروفنوعية ، وليسلهدرجةالتروعللتحاشىالملحللتفاعلمعالآخرين ، والتىنلحظهافيالخجل .

الخجلوالخزى :

يتضحمنأدبياتالشعوربالخزى (أوالعار) وأدبياتالخجلأنتطوركليهمايرتبطبالتربيةالصارمةوالعدوانالجسدىفيالطفولة ، والنبذأو (الرفض) ومعتأثركليهمابالجانبالبيئيإلاأندورالوراثةأعمقوبكثيرفيالخجل . (Andrews, 1997 ; Zarnagash ,2010 ; Farahini , 2011).

يتشابهالخجلوالخزىفيخصائصالمجاراة ، ومظاهرالسلوكالإذعانى ، ومايؤدىإليهمنتبعيةوسلبية ، كمايتشابهانفيالاهتمامالبالغبأحكامالأخرينالتقييمية . ولكنالشعوربالخزىأكثرتشبعآ – منالخجل –

بمشاعر الذلة والمهانة والشعور بالذنب – وهو جلد للذات . ولعل وجها لاختلاف الأقوى هو ما يتمثل فى ظهور الشعور بالخزى – العار – "بعد " حدوث السلوك ، فى حين أنا الخجل يرتبط بتوقع للفشل فى الإتصال والأداء – أى "قبل " السلوك ، عادة . فمدركات الخجول (المسبقة) والسلبية لمهاراته وأدائه تحمل تشويهاً معرفياً يسهم فى عدم ظهوره بالصورة التى يتمنى أن يظهر بها .

الخجل والإنطواء والعصابية :

يتشابه الخجول مع المنطوى فى الميل للإنعزال عن المحيط الإجتماعى . فكلاهما يفضل الإنزواء فى خلفية المواقف الإجتماعية – فى منطقة الظل . ومع ذلك فهناك فروق فى العزوف عن التفاعل مع الآخرين بين المنطوى والخجول : فالمنطوى لا يشعر بعدم الارتياح لانسحابه المعادة ، ولا يخبر مشاعر الخوف أو الضيق والتهديد لوجودهم مع الآخرين – كالحال بالنسبة للخجول . يفضل المنطوى الوحدة والتأمل والانكفاء على ذاته . ولا وجلل يهمنا لتواصل الأجتماعى إذا دعت الضرورة . أما الخجول فهو يرغب – عادة – فى التواصل مع الآخرين ، ولكنه يعانى من مشاعر الخوف والقلق للحساسية المفرطة من تقييم الآخرين ونقدهم لسلوكه .

فى بداية الفقرة السابقة وضحنا أنهما كقواسم مشتركة بين مفهومى الخجل والإنطواء ، وأبرزها الميل للعزلة . ورغم الفروق – التى ذكرت سابقا – إلا أنهما كعلاقة ارتباطية طردية (موجبة) تنتظم هذين المفهومين – رغم تمايزهما . ولهذا ما يبرر همنا الأدبيات العديدة التى ترجح الاستنتاج بأن معظم الخجولين انطوائيون ، ولكن العكس ليس بالصحيح تماماً . فكثير من الإنطوائيين ليسوا خجولين (قاسم ، 2005) .

شهد تدراسات الخجل معتطويرها منذ سبعينيات و ثمانينيات القرن العشرين ربطاً ملحوظاً للخجل بالإنطوائية . وقد وجد تهذه العلاقة تفسيرها – لاحقاً – فى احتواء مقاييس الإنطواء على مفردات تقيس الخجل (راجع السبعاوى ، 2010).

بالإندراسات آيزنك و آيزنك و تصنيفها لأنماط أو أنواع الخجل فى نوعين (هما الخجل الإجتماعى الإنطوائي ، والخجل الإجتماعى العصابي) دعمت وبقوة علاقة الخجل بالعصاب ، أكثر من الإنطواء . فإلى جانب كون "الخجل سمة أولية تقعبين الإنطواء والعصاب" (كروزير ،2010: 3) فإنكروزير قد وثق منذ 1979 أن " ارتباط سمة الخجل بالعصابية أعلى من ارتباطها بالإنطواء ". (فايد ، 1997 : 241).

وكما يشير كروزير (2010) فإنا لخجل يشترك مع العصابية فى قابلية الاستثارة الإنفعالية ، والحساسية الشخصية ، والكف – فى مواقف المواجهة ، والشعور بقلة الكفاية وارتفاع مستوى القلق .

ولمزيد من الإيضاح لعلاقة الخجل بالعصابية نستعرض بعضاً من أهم أعراض العصابية ، وهى : التوتر والصراع والقلق ، والشعور بالذنب ، وقابلية الإستجابة للوساوس ، وتدنى تقدير الذات ، والشعور بعدم الكفاية ، والتشاؤم، والإكتئاب . ولأى من هذه الخصائص علاقتها الموثقة بالخجل (السمادونى ، 1989 ؛الشربينى ، 1994 ؛يوسف ، وخليفه ، 2000) .

علاقةالخجلبالرهابوالقلقالإجتماعى :

ثمةتشابهبينمفهومىالخجلوالرهابالإجتماعىمردهللعوارضالعديدةالمشتركةوالمميزةلكليهماكالتهيبوا لخوفمنمقابلةالغرباء ، وصعوباتالتواصللعموماً – كتحاشىالمبادرةفىالحديثأوالإستمراريةفيه – وتوقعالتقييمالسلبى ، والمظاهرالفسلجية (Beidel & Turner, 1998).

ولعلهذامنالمبرراتالتىأدتإلىتصنيفالخجلباعتبارهشكلاًمنأشكالالرهابالإجتماعى – كماوردفىالدليلالتشخيصىوالإحصائىالثالثالمعدَل DSM III – R الذىيصدرعنالرابطةالأمريكيةللطبالنفسى (العترى ، 2001).

ويعنىهذاأنهمعاشتدادأعراضالخجليصبحاضطراباًنفسياً ، ومشبعاًبالمخاوفغيرالواقعية ، والتوجسالمفرطمنأحكام،وردودأفعالالمحيطين ، وتوقعالإخفاقفىتقديمالذات ، والظهوربالشكلغيرالمناسب . وخلاصةهذاالمنظور – أوالفرضيةالتقليديةأنالخجلوالرهابيقعانعلىمتصليبدأبالدرجةالأدنى – العاديةللخجل ..وهكذاصعوداًفىالشدةحتىيمثلالرهابفيهاالخجلالمتطرف Extreme shyness

وإليجانبالفرضيةالتقليدية – السابقة ، تشهدالفترةالمعاصرةفرضيةثانيةتؤيدتشابهالخجلوالرهابالإجتماعىفىالأعراضالمعرفيةوالفسلجية – الوجدانيةفىالمواقفالضاغطة ، بمايعنىأنهرغمالمشتركوالتداخلفإنالخجلهوالمفهومالأوسع – أكثرمنالرهاب . فقدوثقهيزر (Heiser , 2009) أنمرتفعىالخجلممنيعانونمنالرهابأعراضهمأشد ، وأداؤهمأكثرتعثراً . ولكنهوجدأيضاأنثلثمنيعانونمنالخجلالمرتفعلارهاباجتماعىلديهم – فلمتظهرلديهمأيةمخاوفإجتماعية . ومضمونهذاأنالمفهومينليسامتطابقين ، وأنالخجلمفهومغيرمتجانس – يشملجماعاتمتنوعة ، وأنالإختلافنوعىأكثرمنكونهإختلافافىالدرجة (راجعأيضاً Beidel & Turner ,1998).

يؤيدماسبقمانطالعهفىالإصدارالرابعالمعدلمنالدليلالتشخيصىوالاحصائىللإضطراباتالنفسية : DSM IV-R (APA, 2009) ؛حيثلاتنطبقكلاالخصائصالمحكيةلاضطرابالرهابعلىالخجل : أىأنهليسكلمنيعانىمنالخجلتنطبقعليهمعاييرتشخيصالرهاب . وكماوضحتشافيرا (Chavira et.al (2002,.فإنالتداخلأوالعلاقةالأقوىهىبين " الرهابالمعمم " "Generalized phobia " والخجل/وذلكعبر " الخوف " منالتفاعل – باعتبارهمتغيراًوسيطاً) – أكثرمنالعلاقةبينالرهابالنوعىأوالخاص (مثلرهابالخطابة) والخجل .

وفىسياقالفروق – الأخرى – بينالخجلوالرهابالإجتماعىنضيفأنالخجوليمكنهأنيرتادمكاناًعاما ، أويذهبإلىحفلبمفرده ، رغمترددهوتهيبه ، وذلكعلىالنقيضممنيعانىمنالرهابالاجتماعى . كماأنسعىالخجوللعونالإرشادىوالعلاجىأيسركثيراًمماهىالحالبالنسبةللرهابى . بلإنالترددوالرهبةسواءفىالإتصالاتالبينيةأوالشروعفىالمهام ، والخوفمنالفشل ، أقوىلدىالرهابىمنهلدىالخجول (المحارب ، 1994) .

وهناك فرق آخر يظهر من خلال معدلات انتشار الخجل والرهاب الاجتماعي في المجتمع . فنسبة انتشار الخجل لدى العاديين (في المجتمعات الغربية) هي بين 47- 50 % بينما لا يتجاوز معدل انتشار الرهاب الإجتماعي بين العاديين (من غير الخجولين) 3% . أما معدل انتشار الرهاب الإجتماعي بين الخجولين فيصل إلى 18% (Carducci et.al., 2001)؛ وإذا كانت هذه النسب تشهد لتمايز مفهوم الخجل كونها أقل تجانساً من مفهوم الرهاب الإجتماعي إلا أنها (إلى جانب ما أوردناه سابقاً) تشير إلى أن تنامي أعراض الخجل دون علاج دون نعيادي قد يؤدي إلى الإصابة بالرهاب الإجتماعي ، سيما وأن لدينا من الدراسات السابقة ما يدعم أن خجل الطفولة منبئ موثوق بالرهاب الإجتماعي في الرشد (Lorant , Henderson and Zimbardo,2000).

أما عن علاقة الخجل الارتباطية بالقلق الاجتماعي فهي موجبة وقوية – حجماً ودلالة إحصائية . ومن أمثلة ذلك أن معامل الإرتباط بلغ في دراسة السمادوني (1991) ما قيمته 0.64 ، وفي دراسة قاسم (2005) كان مساوياً : 0.79 . كما أن للخجل علاقة موجبة ودالة بأشكال القلق الأخرى ، كقلق السمة ، وقلق الحالة ، والقلق العام (الدريني ، ب . ت؛ Schmidt and Nathan,1995 ؛ فايد ، 1997 ؛ السبعاوي ، 2010) .

أضف إلى هذا أن خجل الطفولة منبئ قوي بالقلق في الكبر (Gudino and Lau , 2010) ، بل وتشهد الأدبيات بأن 'الخجول القلق' ذو مهارات لغوية متعثرة ، تعبيراً واستقبالاً : فهو يتحدث قليلاً ، ويسأل أو يطلب بتكرار أقل ، وطلاقته اللغوية محدودة ، واستجابته لحديث مخاطبه تستغرق زمن رجع (أو كمون) أكبر (Strand et. al ., 2011).

تحد صلة الخجل بالقلق الإجتماعي وآثارها السلبية (التي عرضنا بعضها) تفسيرها في الأعراض المشتركة للمفهومين . ومن ذلك الأعراض المعرفية (مثل سلبية التوقع ، والوعي الزائد بالذات) والأعراض البدنية الفسلجية – (مثل جفاف الفم ، وزيادة نبض القلب) والوجدانية (مثل الخوف والشعور بالذنب) والسلوكية (مثل الصمت ، والتروع التجنبي ، كما في التلكؤ وتحاشي الإتصال البصري). ولكن قوة العلاقة ليست متماثلة أو متقاربة بالنسبة لكل الأعراض ، أو الأبعاد . فقد وجد كارديوكسي وزملاؤه (Carducci et.al., 2001) أن "17" من 20 مفردة لمقياس الخجل المستخدم كانت ذات ارتباط دال إحصائياً بالمقياس الفرعي من اختبار للقلق الإجتماعي – والمسمى ب "الخوف – القلق". وقد كان معامل الارتباط الكلي للبعدين مرتفعاً 0.81 ... ومضمون هذه النتائج أن القاسم المشترك الأقوى بين الخجل والقلق الاجتماعي يظهر في البعد الفسلجي – الوجداني (أعراض الخوف – القلق) أكثر من البعد السلوكي – الذي يميز الخجل أكثر من القلق .

وفي ضوء المظاهر المتشابهة للخجل والقلق الإجتماعي نجد فئة من الباحثين مثل برنارد ، وآخرين ، 2001 (في قاسم ، 2005) يميزون أن القلق الإجتماعي عنصر من عناصر الخجل؛ لأن الخجل – من منظور هذه الفئة – يتصف بالتوتر والخوف ، ووجود " مظاهر سلوكية محددة " في حين أن القلق الإجتماعي يتسم بالتوتر والخوف (وكما في الخجل) ولكنه يفتقر إلى المظاهر السلوكية .

ولكنفئةأخرىمنالباحثينترىعكسماسبق ، حيثتعتبرالخجلالإجتماعىشكلاًمنأشكالالقلقالإجتماعى – وكأنمايربطهمامتصليقعالخجل (بشتىمستوياته) عندأحدطرفيه ، ويقعالقلقالإجتماعىعندنهايةالمتصل . وبذاتتمثلالفروقبينالمفهومينفىالدرجةأكثرمنالنوع . فدرجةالتعويق ، والقصورفىالأداءالشخصىوالإجتماعىوالمهنىتطالكليهما ، ولكنهاتبدوأكبر،أوأشدفىالقلقالإجتماعى : ويدعمماسبقأنالقلقالإجتماعىمفهوممعممييعبرعنالتوترالإنضغاطوالكففىمواقفإجتماعيةمتنوعة؛إذيشملإلى جانبالخجلقلقالجمهور (المسرح) وقلقالمقابلة ، والشعوربالخزى ، والرهابالإجتماعى . فكلهذهالمفاهيممرتبطةبجانبأوجوانبمحددةمنتهديدالذاتفىمواقفالاتصالوالتفاعلالاجتماعى (حسين ، 2009) .

والخلاصةأنهرغمتشابهاالخصائصأوالأعراضالمميزةلمفهومىالخجلوالقلقالإجتماعى (بلوإمكانيةشمولالقلقالإجتماعىللخجل) إلاأناختلافهماملحوظ (كماقدمنا) فىشدةالأعراضبالنسبةللقلقالإجتماعىوتشبعالخجلبالسلوكالتجنبى ، أكثرمنالقلق . كماأنتمايزواختلافالخجلعنالقلقالإجتماعىظاهروبوضوححتىفىنسبانتشارهما؛فنسبانتشارالخجل – التىمرتبنا (فىالمجتمعالعام) أكبروبكثيرمننسبانتشارالقلق الإجتماعى . (راجع Strand, et al.,2011)

وإذاكانمنتوصيةفىختامتحليلمفهومالخجلومتعلقاته ، فىضوءهذاالتعقيدالبالغلمفهومالخجلوالسماتذاتالعلاقبهفإنهاتتمحورحولالدعوةلاستكشافأبعادالإرتباطاتوبالذاتبالنسبةللأبعادالمميزةلهذهالمفاهيم .

فروقالنوعفىالخجل :

هذارابع،وآخرأهدافتطويرمقياسالخجلفىالبحثالحالى .ولايبدومنمراجعةالدراساتالسابقة ، لفروقالنوعفىسمةالخجلأنهناكنمطآواحدآيميزالفروقلصالحالنوعبذاته . فهناكدراساترجحتفيهاكفةالإناث (أعلىمتوسطآ) والفرقدالإحصائيا . ومنالأمثلةلهذاماوجدهمارولدو (Maroldo , 1981) ،والكبيسىوالجنابى ، 1983 ، والصباغوالجبالى ، 2002 (فىالسبعاوى ، 2010) والسمادونى (1989) وكروزير (Crozier, 1995) ، حبيب (1996)، النيال (1996)، الأنصارى (1997) فايد (2001) العترى (2001) ، والسبعاوى (2010). وعلىالعكسممماسبقفهناكدراساتأخرىكانمتوسطالذكورفيهاهوالأعلىوبدلالةإحصائية . ومنمناذجهذهالدراساتماوثقهبيلكونيز ، Pilkonis, 1979 (فىعثمان ، 1994) وبورتيوس ، Porteus, 1979 ، وجونزوآخرون ، Jones et .al., 1986 ، (فىالسمادونى ، 1991) . كماأنهناكعددآغيرقليلمنالدراساتالتىوثقتعدموجودفروق – دالةأحصائيابينالذكوروالإناثفىالخجل . ومنأمثلتهادراسات : شيكوبص Cheek and Buss, 1981 ، وجونزورسل Jones 1982 and Russell , ، وماكدونالد, McDonald , 1998 (فىالسبعاوى ، 2010) ، الشربينى

(1994) ؛درويش ، 1995 (فىقاسم ، 2005) ، الأنصارى (1996) ، يوسفوخليفه (2000) وعتيبي (2012).

وفىضوءهذاالتضاربالواضحفىنتائجبحوثالنوعفىالخجل ، رأىالباحثالحالىأهميةالعنايةبشمولأهدافالبحثلاستقصاءالفروقبينالذكوروالإناثمنطلبةالجامعة .

إعدادالمقياس :

تمتمراعاةالأسسوالخطواتالتاليةلأجلإحكامإعدادالمقياس :

1. مراجعةأدبياتالخجلوأهمهاأسسهالنظريةومساراتبحوثه، وسماتالشخصيةذاتالعلاقةالإيجابيةأوالسلبيةبالخجل .

2. دراسةتطورقياسالخجل . ، محتوىالمقاييسالتىأمكنالحصولعليهاوهي :

أ. مقياسالدرينى (ب . ت) .

ب. مقياسجونز،ورسل ، تعريبالسمادونى (1991).

ج. مقياسالعنزى (2001) .

ت. د. مقياسقاسم (2005) .

هـ. مقياسالسبعاوى (2010) .

و.مقياسشيك ، وبص Cheek and Buss الصيغتانالأصلية ، والمعدلة (فى-Crozier,2005a؛وكارديوكسىCarducci et.al.,2001 – علىالترتيب).

3. اعتمادالمكوناتالرئيسيةلمفهومالخجل (المعرفيه ، والفسلجية - الوجدانيةوالسلوكية) والمظاهرالمرتبطةبها،وخصائصالأنواعالتىوردتفىالتصنيفاتالسابقة .أساسآلإعدادالمفردات .

4.التحوطللملاءمةطولالمقياسبحيثلايكونطويلاًمملاًأوقصيرآمخلاً . وفىكلتاالحالينتفقدالنتائجآستقرارهاواتساقها (الثبات) وصلاحيتها (أىصدقها) اللازملاتخاذالقرارالسليم[لمزيدمنالتفاصيلراجعكلاين (Kline,1991)وهامبلتون،ميرينداوسبيلبرجر(2006)]. والسائدفىطولالمقاييسالمنشورة – وبالذاتفيماروجع (فىالقائمةالسابقة) أنالقيمةالوسيطية ، أوالمنوالية لعددالمفرداتهو 20 مفردة ، وأنبعضها (أقلها) تصلإلى 110 مفردات (مثلاالسبعاوى ، 2010) .

5.مراعاةتوصياتالثقاة (منروادبحوثالخجلوقياسه) مثلتوصياتشيكوبصلتطوير مقياسالخجل ، وأهمها :

(أ) ارتباط المفردات بالظروف أو المواقف التي يحدث فيها الخجل .

(ب) ألا يشتمل المقياس على مفردات بتفضيل / عدم تفضيل التواجد مع الناس ؛ لتفادي تداخل الخجل مع الإجتماعية .

(جـ) التركيز على الجوانب الوجدانية ، كالقلق والتوتر (فايد ، 1997) . كما روجعت توصيات زمبارد و السبعة (في السمادوني ، 1991) باعتبارها تتناول الأعراض والمشاكل الأساسية التي يعاني منها الخجول.

وفي ضوء الاسترشاد بالتوصيات و الأسس السابقة لإعداد الاختبارات النفسية عموماً، ومقاييس الخجل بوجه خاص ، تم إنشاء الصورة المبدئية لمفردات مقياس الخجل ، وتعليمات تطبيقه.

بلغ عدد مفردات المقياس (في هذه المرحلة) 56 مفردة ، تتدرج أجوبتها وفق سلم تقدير خماسي (**تنطبق دائما =5 / تنطبق غالبا =4 / تنطبق أحيانا =3 / تنطبق نادرا =2 / لا تنطبق – مطلقا =1**) . وبذا فإن الدرجة المرتفعة تشير إلى ارتفاع مستوى الخجل – والعكس صحيح . ويشمل المقياس 11 مفردة تصحح في الإتجاه العكسي – أي تصحح عكس السلم التدرج السابق . يطبق الإختبار باستخدام كراسة أجوبة منفصلة، بدايتها بتعليمات التطبيق، ومثال توضيحي وإرشادات مكملة . (ملحق "1" – أنظر هامش ص 24)*.

تم استطلاع فهم المحتوى اللغوي للمفردات ، وملاءمة صياغتها ، ووضوح تعليمات التطبيق عن طريق عرض وتطبيق المقياس على مجموعة من طلبة الجامعة (ستة طلاب) ومن خلال الملاحظات والتغذية الراجعة تم إجراء بضعة تعديلات .

المعاينة وأدوات البحث :

تمثل مجتمع البحث في طلبة جامعة بنغازي ، إناثا وذكورا . ولذلك تم اختيار أفراد العينات من مختلف الكليات (الآداب ، التربية ، الإعلام ، القانون ، الهندسة ، التقنية ،وجميع الكليات الطبيه ، وهي الطب البشري ، والأسنان ، والصيدلة ، وصحة المجتمع). كما شملت العينات المختارة أعداداً ملائمة من طلبة فرعي الجامعة في ' سلوق ' و 'الأبيار' من كليات الأداب والعلوم ، والقانون ، والإقتصاد والزراعة .

وللوفاء بأهداف البحث ، وإجراءاتها المشتمل على خطوات المعاينة – المرحلية – اختيار ثلاث عينات أساسية : العينة الأولى (n =154) لأجل إجراء " تحليل المفردات " Item analysis ، وحساب صدقها ، وكذلك لتقدير قيمة " ثبات الإتساق الداخلي واستكشاف فروع النوع . وأما انتقاء العينة الثانية (59 =n) فقد استهدف تقدير معامل ثبات تكرار التطبيق . أما اختيار العينة الثالثة (n=129) فقد استهدف دراسة بعض أنواع الصدق الرئيسية ، ومدى توفرها في المقياس الجديد – وتحديداً تلك الأنواع الجوهرية ، والتي أكد الثقاة في المجال على العناية بها – لإهمالها في المقاييس المتداولة ، كما وضح سابقاً . وقد اختبر تفروق النوع في هذه العينة ، أيضا .

استخدمت في البحث الحالي ثلاث أدوات سيكومترية لاستقصاء صدق المقياس الجديد (مقياس الخجل) . تم اختيار هذه الأدوات في ضوء الدراسات السابقة حول سمة الخجل والمتغيرات ذات العلاقة بها ،

وكذلكلشيوعأستخدامهذهالأدواتالبحثيةفيثقافتناالعربية – الأسلامية ، ولجودةخصائصهاالسيكومترية. وفيمايتلووصفمختصرللتعريفبهذهالادوات ، وخصائصها ، وأغراضتوظيفهاالسيكومتريفيالسياقالحالى .

أولاً / مقياسالخجل :

وهوالمقياسالذىألفهالدرينى (ب ، ت) ؛ويتكونمن 36 مفردة – يجابعنهاحسبتدريجثلاثى (نعم= 3 / أحياناً= 2 / لا= 1) . يحتوىالمقياسعلىعشرمفرداتتصححفىالاتجاهالعكسى . ولأنالمقياسذاطولملائم ، ولجودةخطواتإعداده ، فىبيئةعربية (مصر) ولارتفاعمعاملاتثباتهوصدقه – لكلهذارأىالباحثالحالىاستخدامهمحكاأساسيالتقديرالصدقالمحكىالتلازمى – لأداةالبحث (مقياسالخجل).

ثانياً / اختبارسمةالقلق :

مؤلفالاختبارهوعالمالنفسالامريكى : شارلزسبيلبرجر . وقدترجمهإلىالعربية (وتحققمنصلاحيتهللاستخدامفىمحيطالثقافةالعربية) عبدالرقيبالبحيري (1984) . اسمالاختبارالكامل : "اختبارحالةوسمةالقلقللكبار" يتكونالاختبارمنمقياسينفرعيين؛الأوللقياسقلقالحالة ، والثانىلقياسقلقالسمة (20 مفردةلكلمنهما) تتناولمفرداتقلقالحالةقلقالمواقفالنوعية (كقلقالإمتحاناتأوالقلقالملحُوالمميزلبعضالأشخاصقبيلالعملياتالجراحية) .

والمألوفأنمستوىهذاالقلقينخفضكثيراًبُعيدالأحداثالتىتستثيره . أماقلقالسمة (وهوالذىدرسفىالبحثالحالى) فهوالمعبرعناستعدادالفرد (الفطرىوالمكتسب) الذىيتسمبالإستقراروالديمومةعبرشتىمواقفالتهديد . ولذافإنسمةالقلقأعموأشملوأكثرثباتاًمنحالةالقلق .ومنيحصلعلىدرجةفىمرتفعةفىقلقالسمةيحصل ، عادة ، علىدرجةمرتفعة ، أيضاً ، فىقلقالحالة – وليسالعكس .

تتمالاستجابةلمفرداتالمقياسحسبسلمتقديررباعىالتدريج (مطلقاً=1 / أحياناً=2 / غالباً=3 / دائماً=4) ثمةسبعمفرداتتصحيحهامعكوس (من 4-1 ؛معكوسالترتيبالسابق).فضلاعنارتفاعالخصائصالسيكومتريةللاختبار ، فهومنأوسعالاختباراتالنفسيةاستخداماًفىعديدالثقافات (Kline, 1986).

ثالثاً / مقياسالإحساسبالوحدةالنفسية :

وهومنإعدادقشقوش (1988). يتكونالمقياسمن 34 مفردةتتدرجأجوبتهاوفقسلمتقديررباعى – حسبانطباقهاعلىالفحوص (معظمالأحيان=4 / بعضالأحيان =3 / نادراً=2 / لا- مطلقا=1).

يتمتعالمقياسبمعاملاتصدقوثباتمرتفعةفىثقافتناالعربية (قشقوش ، 1988)، وبمايشملسياقثقافتناالليبيةالمحلية، (زايد، 2010).

تحليلالنتائجوتفسيرها :

تماستخداماالحزمةالإحصائيةللعلومالإجتماعية " SPSS " – الإصدار "16"

النوع

لتحليلواستخراجنتائجالبحث . وشملذلكاستخدامالدوالالإحصائيةلبرنامجتحليلالمفردات ، ومعاملالإرتباطالخطىالبسيط (بيرسون) لحسابالثباتوبعضانواعالصدقالمفهومى . كمااستخدمالاختبارالتائىللعيناتغيرالمعتمدة – لتقديربعضأنواعصدقالمفهومولاختبارالفروقبينالذكوروالإناث.

تناولالتحليلالأولىإجراء "تحليلمفردات" لدرجاتالعينةالأولى ، والمكونةمن 154 طالبوطالبة (الذكور 60 ، والإناث 94). والمستهدفمنهذهالتقنيةالسيكومتريةهوإحكام'تكوينالمقياس'بمايضمنانتقاءالمفرداتالفعالةوالمميزة ، والمتجانسة ، بالإضافةإلىقلةتمييزالمحتوىلنوعبذاته – احتساباًلظروفاستخداماالمقياسالمختلفة؛سواءمعالإناثفقط ، أوالذكورفقط ، أولعيناتمشتركة – منالنوعينمعاً .

وللوفاءبأهدافتطويرالمقياس ، وأوجهاستخدامه – السابقة – أجريتثلاثةتحليلاترئيسية – مبدئيا – لدرجاتالإناث ، ودرجاتالذكور (كلعلىحده) وللنوعينمعآ (العينةالكلية) . ثمتوالتالتحليلاتالمتوازية – والتىأسفرتفىالنهايةعنحذفستتمفردات – بينسالبةالإرتباطبالدرجةالكلية ، أوضعيفةالإرتباط ، أولاتتسقنتائجهاإجمالآمعأىمنالتحليلينالرئيسيينالآخرين ، أوكليهما (مثلكونالمفردةمميزةفىعينةالذكورفقط). وبذاأصبحمقياسالخجلمكونآمن "50" مفردة؛منهاإحدىعشرةمفردةتصححتصحيحاًمعكوسا (وهىتحملالأرقام : 1- 10 – 19 – 21 – 23 – 24 – 27 – 30 – 36 – 41 – 43).

والجدول (1) أسفلهيلخصمؤشراتتحليلمفرداتالمقياس (بعدالحذف) وقيمةثباتالإتساقالداخلىالذىحسبباستخدامعاملألفاكرونباخ .

جدول (1)

مؤشراتتحليلالمفرداتومعاملثباتألفا

البيان↓	الإناث	الذكور	العينةالكلية
العدد	(ن = 94)	(ن = 60)	(ن = 154)
مديالإرتباطات	0.661 – 0.170	0.705 – 0.193	0.640 – 0.201
متوسطالإرتباطات	0.40 **	0.45 **	0.43 **
ثباتألفاكرونباخ	0.89	0.92	0.91

صدقالمفردات: كماهوواضحفىالجدول (1) منخلالمتوسطارتباطالمفرداتبالدرجةالكليةللمقياس (لكلنوععلىحده ، وللعينةككل) فإنحجمالإرتباطاتجدملائم ، فضلاعنالدلالةالإحصائيةلكلالمتوسطاتعندمستوى 0.01 وهذاماتعكسهالتحليلاتالمفصلة . فقدكانتكلمعاملاتالإرتباطدالةإحصائياعندمستوى 01. بالنسبةللعينةالكلية (وهىذاتاالحجمالأكبربالطبع) . وليسالحالببعيدعنهذاالنمطبالنسبةللعينتينالفرعيتين (الإناثوالذكور) .فقدكانتغالبيةالمفرداتدالةعندمستوى 01. ، أوعلىالأقل 05. فيماعدابضعةمفرداتأدناهاقيمةثلاثمفرداتحدَية – كانتقيمارتباطاتهاعندالحدالأدنى (0.17 ، 0.19 ، 0.193) رؤىالإحتفاظبهافىضوءاعتبارتذبذبأخطاءالقياس ، وخصوصاحيثماكانتأحجامالعينات (التىنحسبمنهاالإرتباطات) صغيرةنسبيآ (أبوحطب ،1993؛Kaplan,& Saccuzzo,1997)وماسبقيعززهأيضآمدىالإرتباطات – كمايتضحمنجدول (1) .

واختصارآ ، فإنصدقالمفرداتالمحسوب (جدول "1") يوفردليلاًواضحآعلىتجانسالمقياس (مقياسالخجل) فضلاًعنكونهذاالنوع – غيرالرئيسىمنالصدق – يعتبرمؤشراجيدآللصدقالتكوينىللإختبار؛أىصدقالمفهوم (راجعحسن، 2006).

معاملثباتألفا :مايميزهذاالمعاملأنهيقيسالاتساقالداخلىللأداة – تجانسها – وأنهمعاملتكافؤأيضآ .. كماأنهيعطىتقديراًلمتوسطمعاملاتالثباتالتىيمكنالحصولعليهابواسطةجميعطرقالتجزئةالنصفيةالممكنة .بلويقدرالحدالأدنىللثباتالذىلاتقلعنهمعاملاتالثباتالمحسوبةبالطرقالأخرى . (Murphy& Davidshofer,1998؛علام ، 2006) .

وإذاماوضعناكلهذهالخصائصوالمزايا – لمعاملألفا – فىالحسبانفإنالقيمالمحسوبة (جدول "1") تعززالثقةبملاءمتهالارتفاعها .

معاملثباتتكرارالتطبيق: حسبهذاالعاملمنالعينةالثانية (n=59منالنوعين) وبفاصلزمنىبلغمتوسطهشهرآ (المدىالزمنىمنأسبوعين – شهرين) وكانتقيمةالمعامل = 0.914 وهىمرتفعةفضلاعنكونهادالةإحصائياعندمستوى 0.01 .

صدقمقياسالخجل:

سبقتالإشارةخلالعرضأدواتالبحثلتوظيفثلاثةمقاييسللتحققمنمدىتوفرأهمأنواعالصدقالرئيسية،وبدرجةملائمة،فىمقياسالخجلالحالى. وفيمايلينستعرضالنتائجالتىتمالحصولعليها .

أولآ / الصدقالتزامنى : Concurrent Validity

كانالمحكالمماثلهو "مقياسالخجل" للدرينى : (ب . ت) .

ومنتطبيقالمقياسينمعآ (n=129 ، العينةالثالثة) ، وحسابمعاملالإرتباطالخطىالبسيط (معاملبيرسون) بينهما ، بلغمعاملالصدقالتزامنى (المصاحب) 0.80 وهودالإحصائيا ، دلالةعالية ، عندمستوى 0.01 . ويعدهذاالنوعالتجريبىمنالصدقأساسيالأنهيقيسمدىتطابقالأداتين (الجديدةوالمحكية) فىمجالقياسذاتالسمة . أىأنهيختبراتساقالمقياسين،أودراجتهمابالتحديد . ويعنىبهذاضمنياًالتحققمنالمفهومالمقاس؛حتىأنهيسمىأحياناًب"الصدقالتطابقى" (حسن،2006 ؛هامبلتونوآخرون، 2006) .

ثانيآ / صدقالمفهوم Concept Validity

يسمىبهذاالنوعتقليديآبصدقالتكوينىالإفتراضى Hypothetical construct ، والصدقالبنيوى ، أوالتركيبى .. وهويتصلبتوفيرالأدلةالمتنوعةحولطبيعةالسمةالمقاسةوالعناصرالمكونةلها ، ومدىوجودها،وأسسهاالنظريه ، وعلاقاتها (السمة) – تشابهاواختلافابالسماتالأخرى(Kline,1993; Embretson,1995). ولهذااستحقالوصفبأنهأهمأنواعالصدق . ولامناصمنالتحققمنهعندمايكونالمقياسجديداً . (Kline,1986) .

وقد درس هذا النوع وفق الطرق الأتية :-

(1) الفروقفىقلقالسمةبينذوىالخجلالمرتفعوذوىالخجلالمنخفض :

وقدحسبتهذهالفروقباتباعالخطواتالتالية :-

أ–تمترتيبالدرجاتالكليةلأفرادالعينةالثالثة (n-129) علىمقياساالخجلتنازلياً (منأعلاهاإلىأدناها).

ب–حـــددتاالمجموعتانالطرفيتان (المتضـــادتان) فيدرجةالخجل؛وهمامجموعـــةالثلثالأعلى (n=43) مرتفعـــةالخجل ، ومجموعةالثلثالأدنىالمناظرة (n=43) منخفضةالخجل .

جـــــ–وفيضوءالخطوةالســـابقة (فيـــب) تماستخراجالدرجاتالكليةلســـمةالقلق ، لكلطالـــب (أوطالبـــة) فيالمجموعتين (مرتفعةالخجلوالمنخفضةفيه).

د–طبقالاختبارالتائيلعينتينغيرمعتمدتينلتقييمدلالةالفروقفيقلقالســـــــــــــــــــــــــــمةبينهاتينالمجموعتين . والجدول "2" ، أسفلهيوضحخلاصةنتيجةالتحليل .

جـــــــــدول (2)

الاختبارالتائيلدلالةالفروقفيقلقالسمةبينمجموعتيالخجلالمرتفعوالمنخفض

الـــمـجـمـوعـــة	ن	المـتـوسـط	الانـحـرافالمـعـيـارى	الـقـيـمةالـتائـيـة	الدلالةالاحصائية
ذووالخجلالمرتفع	43	55.91	8.87	7.82	0.01
ذووالخجلالمنخفض	43	41.43	8.04		

وكمايتضـــــــــــحمنجدول (2) فإنالفروقفيقلقالســـــــــــــمةترجحكفةمجموعةالخجلالمرتفع–مقارنةبمجموعـــةالخجلالمنخفض ، ذلكأنالفرقالملحوظفيمتوســـطدرجاتالقلق (لصـــالحالمجموعةالاعلىفيالخجل) =14.48 ، والقيمةالتائيةالمحســـوبة(7.82) وبدرجاتحريـــة (df=84) دالةأحصـــائيةدلالهعالية – فيمـــاوراء 0.01.

يعرفهذاالصـــــدق (المفهوميفيجـــوهره) بالصـــــدقالتمييزى ، (بلوصدقالمجموعاتالمتضـــــادة) ويعكسحساسيةالمقياسوقدرتهعلىالتمييزبينالعناصرالمتطرفةفيالاتصافبالسمة ، أوالسماتذاتالعلاقةالمشتركة .

والقلـــــــــق (كماسبقبيانتفصـــــــــيله) عنصرجوهريومظهرفعالفيســـــــــــمةالخجل .ويشـــــتركانفيمظاهرعديدة،وبدرجةدعتفئةمنباحثياالخجل (الإجتمـــــاعى) وعلاقتـــــهبالقلقالإجتماعى (كماعرضناســـلفآ) إلىاعتبارالخجلشكلامنأشـــكالالقلقالاجتماعيأوالعكس (راجعمـــثلا ، حســـين ،2009 ؛كروزير، 2010 ؛ستراندوآخرين ، Strand et al., 2011).

(2) معاملارتباطالخجلبقلقالسمة :

نتائجصدقالمفهومالسابقةمؤشرمباشرللتمييز،منخلالالعلاقةبينسمتىأومقياسىالخجل – الجديد – والقلق (البحيرى ، 1988) . ولكنهذهالنتائجتمحورتحولالمستوياتالطرفيةفىالسمتين (معاعتبارناللإنحدارصوبالوسط) . ولذاشملتخطةالبحثتقصىمستوىالعلاقةمنخلالحسابمعاملارتباطبيرسون (الخطى) لدرجاتالعينةالثالثهككل (n=129) بينهذينالمتغيرين . وقدبلغمعاملالارتباط 0.634 ، وهوداإحصائياً (دلالةمرتفعة) عندمستوى 0.01.

يدعمحجمهذهالعلاقةالطرديةالموجبة ودلالتهاالمرتفعةماوردفىأدبياتالخجل (مسبقا) كدراسةالسمادونى (1991) حيثكانمعاملالارتباط (بينالخجلوالقلق)مساويال : **0.64** ، ودراسةقاسم (2005) التىبلغفيهامعاملالإرتباط**0.79**.

(3) معاملارتباطالخجلبالوحدةالنفسية :

وفىسياقتقييمالصدقالمفهومىلمقياسالخجلمنخلالاختبارعلاقتهبالوحدةالنفسية ، طبقمعاملارتباطبيرسونعلىالدرجاتالكليةلمقياسىالخجلو"الإحساسبالوحدةالنفسية" (قشقوش،1988) . بلغالمعاملالمحسوب 0.63 وبدلالةإحصائية = 0.01 وهذادليلآخر، علىصدقمقياسالخجل – مشتقمنتأكيدالعلاقةالموجبهوالقويةبينهاتينالسمتين. فقدوثقتدراساتعديدةهذهالعلاقةالارتباطيةالطرديةبينالخجلوالشعوربالوحدةالنفسيةمثلدراسةالمحارب (1994) والنيال (1999) .

تجدهذهالعلاقةتفسيرهافىالخصائصالمشتركهبينهاتينالسمتين؛وأهمهامايميزالوحدةالنفسيةمنشعوربالعزلة ، حتىفىوجودالآخرينحولالشخص ، معتجنبللتفاعل . وهذامانلمسهفى "سلوكالتحاشى" والإنزواءلدىالخجول – بالمثل . بلوتشهدأدبياتالمجال (قشقوش ،1988 ؛النيال ،1999 ؛زايد،2010) أنتدنىتقديرالذات ، وغيابالسلوكالتوكيدى ، وضعفمهاراتالإتصالوالمهاراتالاجتماعيةعمومآمنأهمالقواسمالمشتركةبينالخجلوالشعوربالوحدةالنفسية .

(4) معاملدلتاوقوةتمييزمقياسالخجل :

يعتبرهذاالمعامل (والمسمىأيضابدلتافيرجسون) دالةأساسيةلتقديرتمييزالاختبارالنفسى ، الذىيختصبتعددفئاتالاستجابة (المتدرجة) والتىتتضمنحساسيةالأداة ، وجودةملاءمتهالرصدالفروق ، بدقة – وهذامالانلمسهفىالأدواتالأخرىمثلالمقابلةأوالإستبانةالتقليدية . الحدالأقصىلمعاملدلتا=1 وإذامابلغالمعاملالمحسوبهذهالقيمة ، فإنشكلتوزيعالدرجاتيكونمستطيلا – ويعنىهذاأنمعاملاتالسهولة / أوالصعوبة (أومفتاحالإجابة) متطرفةجدآلكلمفرداتالاختبار (Kline,1986).القيمةالمقبولةلمعاملدلتاينبغىأنتكونمرتفعة – أوأعلىمن 0.90 (Kline,1993) .

وقداستخدمتالمعادلةالتالية (المصدرالسابق) لحسابقوةتمييزالاختبار

$$\delta \frac{(n+1)(N^2-\sum fi^2)}{n(N^2)}$$

حيث : n : عددالمفردات

N : عددالمفحوصين

fi: تكرارالدرجة .

وباستخدامهذهالمعادلة (معاملدلتا) فيالعينتين: الأولى (n=154) والثالثة (n=129) وصلالمعاملإلىالواحدالصحيح (1.00) . وفيالحالينفإنمعامل "قوةالتمييز" مرتفعجداً، حيثبلغالحدالأقصى ، وبدرجةتعززجدوىالاختبارفيمجالاتالتقويموالتصنيفوالتشخيص .

ولقارئلألفةلهبمثلهذهالدوالالسيكومتريةنضيف : فحصالقانونأوالمعادلةالسابقةيوضحأنالحدالأبرزوالحاسمفيقوةالتمييز (مقارنةبالحدودالأخرى) يتمثلفيالمطروحفيبسطالمعادلة؛أيتكرارالدرجاتالكليةلأفرادالعينة. وبقدرمايقلحجمالتكرارات (أوك =1 فيالغالبية) فإنهذايعنيشدةتباينأواختلافالدرجاتالكليةللمبحوثين. ومضمونهذاهواقترابأوتطابقحدودالبسطوالمقامبمايعنيشدةحساسيةالأداةوقوةتمييزها . وهناكمنالأدبياتالسيكومتريةمايشيرإلىنتائجمشابهة .(متوبل،2003).

فروقالنوعفيالخجل :

يوضحالجدولاللاحق (3) نتائجالاختبارالتائيللفروقبينطالباتالجامعةوطلابهافيالخجل ، ولكلمنالعينتين : الأولى (n=154) والثالثة (n=129) .

جدول (3)

الاختبارالتائيلدلالةالفروقفيالخجلبينالإناثوالذكورفيالعينتينالأولىوالثالثة

العينة	النوع	ن	المتوسط	الانحرافالمعياري	قيمةت	الدلالة
الأولى (154)	الإناث	94	150.66	26	3.77	0.01
	الذكور	60	133.13	28.42		
الثانية	الإناث	68	143.21	32	0.14	غيردالة

(129)	الذكــــــور	61	142.48	27		

الواضـــــــــح ، منالجـــــــــدول (3) أنالاختبارالتائىللعيناتغيرالنعتمدةقدتمخضعنفروقنوعدالةإحصـــــــــائيا (عندمســـــــتوى01.)فىالعينـــــــةالأولى – وليســــــــفىالعينةالثانية ، وأنالفروقلصالحمتوســــــطالإناث ، سواءفىالعينةالأولى (جوهريـــا) أوفىالعينةالثانيـــة – جزئيـــا . فماالسببأوبالأحرىالأسبابالمفســـرةلهذاالتذبذب – سيماوأنثباتالاتساقالداخلىومعاملالاســـــــــــــــــــــتقرار (تكرارالاجـــــــــــــــــــــراء) والصدقبأنواعهكلهاموثوقةلارتفاعها؟لعلاختلافخصائصالعيناتمنالعواملالمفســـــــــــــــــــــرةلتباينالنتيجة ، وكـــــذلكتفاوتحجمعينتىالإناثالفرعيتينفىالمجموعتين (الأولى =94 ، والثانيـــــة =68). وكلهذايســـــهم (منـــــهجيا) فىعدماســـــــــــــــتقرارالنتائج ، خصوصاوأنالفترةالفاصلةبينجمعبياناتالعينتينكانتخمسةأشـــــــــــــــــهر– رغماختياركلتيهمامننفســــــالمجتمع .(راجعكابلانوســــاكوزو1997 ,Kaplan & Saccuzzo؛أبــــوعلام ، 2005) .

ورغمأناتجاهــــــالفرق (بينالإناثوالــــــذكور) فىالعينتينكانمتســـــــقاً (حيثأنمتوســــــطالإناثهوالأعلى) وأنالأدبياتالســــــــــابقةلفروقالنوع – كماعرضتفىالصفحاتالســـــــــابقة – تعكستضـــــــــــاربآقويا – إلاأنهذاكلهلايعنىتجاهلمثلهذهالنتيجةفىدراساتالمستقبلباستخدامالمقياسالحالى.

خلاصةوتعقيبختامى :

استهدف البحث تصميم مقياس لسمة الخجل يتمتـــع بخصـــائص جيـــدة ،ســـواء مـــن حيـــث ثبـــات الاستقرار ،والاتساق الداخلي ، أوالصدق وفق أهم أنواعه .كما هـــدف البحـــث إلي التحقـــق مـــن قـــوة تمييـــز المقياس واستكشاف فروق النوع في الخجل .

ولأجل التحقق من هذه الأهداف تم تحليل مفهوم الخجـــل ، ســـيما وأنـــه مفهـــوم مركـــب ،متعـــدد المكونات والأنواع والعلاقات ألارتباطية مع كثير من سمـــات الشخصـــية الســـلبية . ولـــذا استعرضـــت عديـــد الأسس النظرية والبحوث السابقة بما شمل متعلقات الخجل وبحوث النوع فيه .

وفي سياق خطوات إعداد المقياس روعيت أدبيـــات المجـــال ذات الصـــلة بإنشـــاء المقـــاييس النفســـية ومقاييس الخجل بصفة خاصة.

شمل مجتمع الدراسة طلبة جامعة بنغازي بجميع كلياها – في المدينة ،وبعـــض كليـــات فـــروع الجامعـــة في المناطق المحيطة .تم اختبار خصائص المقياس في ضوء أداء ثلاث عينـــات (ذكـــور وإنـــاث)في مراحـــل متواليـــة .العينة الأولى(ن=154) لانتقاء مفردات المقيـــاس الأفضـــل مـــن 56مفـــردة ، وتقـــدير صـــدق المفـــردات ،وتقدير معامل ألفا للثبات .

أما العينة الثانية (ن=59) فكانت لاستكشاف ثبات تكرار التطبيـــق . وجـــاء اختيـــار العينـــة الثالثـــة (ن=129) للتحقق من أنواع الصدق .

ولأغراض قياس الصدق التزامنى تم استخدام مقياس الدريبى (ب.ت).وللتحقق من صدق المفهوم تم أستخدام مقياس القلق الذي أعده سبيلبرجر لقلق السمة وعربه البحيري (1984) وذلك لاجل اختبار دلالة الفروق (الطرفية) في القلق بين مرتفعي الخجل والمنخفضين فيه ، وكذلك حساب معامل الارتباط بين الخجل والقلق .وفى ذات السياق تم توظيف "مقياس الاحساس بالوحدة النفسية " (قشقوش ،1988) للتحقق من صدق المفهوم .

ومن تحليل النتائج ، وكما يتضح من جدول "2،1 " (وما شمله قسم النتائج عموما) فان تحليل المقياس تمخض عن ملاءمة 50 مفردة لقياس خجل الذكور وخجل الإناث (كل علي حده) وللنوعين معا –وكان صدق المفردات جيدا .

مثلما أبان التحقق من الثبات ارتفاع معاملاته سواء بطريقة ألفا كرونباك ، او بواسطة تكرار التطبيق . وقد كان صدق المقياس التزامنى ، أيضا ، مرتفعا .وكذلك كانت الفروق في قلق السمة بين مرتفعي ومنخفضي الخجل دالة احصائيا دلالة عالية (0.01) مثلما كان معامل ارتباط الخجل بقلق السمة كذلك للعينة الكلية (ن=129) حيث كان مستوى الدلالة الاحصائية = 0.01 ولتقدير" قوة تمييز " المقياس ككل تم توظيف معامل دلتا للدرجات الكلية لأفراد العينتين(لكل عينة على حده)- الاولى (ن=154) والثالثة (ن=129) وكان المعامل مرتفعا جدا ، حيث بلغ الواحد الصحيح .

أما بالنسبة لفروق النوع فقد كانت دالة إحصائيا بالنسبة للعينة الأولى (الفا = 0.01) لصالح متوسط الإناث. ولكن تحليل فروق النوع للعينة الثالثة لم يصل حد الدلالة الإحصائية ، رغم الاحتفاظ باتجاه الفروق – كما فى العينة الاولى .

تم تفسير النتائج ونقاشها فى ضوء الأدبيات السابقه التى توفرت للباحث. وإذا كان هناك من استنتاج تؤيده الشواهد التى عرضت فهو، حسب ارجح الاحتمالات، أن المقياس الذى خضع لتحليلات متنوعة يبدو ملائما جدا للاستخدام فى بحوث المستقبل، لما لوحظ من تمتعه بخصائص سيكومترية جيده تنبئ عن ملاءمته لأغراض البحث الأساسى والتطبيقى : الأساسى لمزيد من التحقق من ملاءمته، والتطبيقى لأغراض التقويم والتشخيص لسمة الخجل ، التي كلما اشتدت فإنها تصبح اضطرابا نفسيا ملحا، يتطلب دقة التشخيص لأغراض الإرشاد والعلاج .

ولا يقل عما سبق فى الأهمية التوصية بمتابعة بحوث المستقبل للتحقق من فروق النوع فى الخجل باستخدام هذا المقياس. والعمل جار لتقنين مقياس الخجل الحالى، كخطوة على طريق دعم الجهود الرامية إلى تقنين أدوات القياس والتقويم والتشخيص الملائمة، والتى بدونها تظل بحوث السلوك قاصرة. بل انه لاجدوى من إنشاء أقسام للإرشاد والتوجيه والعلاج فى جامعاتنا، أو غيرها من مؤسسات الخدمات النفسية والتربوية مالم نؤسس لتقنين الأدوات الموثوقة.

---

*(ملحق" 1") يمكن لمن يرغب فى الحصول على نسخة من المقياس وتعليمات تطبيقه ونموذج الإجابة الاتصال بالمؤلف على البريد الإلكترونى amarif1945@yahoo.com

المراجعالعربية :

–أبوحطب ، فؤاد . عثمان ، سيد . وصادق ، آمال (1993) التقويمالنفسى : القاهرة : مكتبةالانجلوالمصرية .

–الأنصارى ، بدرمحمد (1998) دراسةمقارنةلبعضالحالاتالنفسيةلدىطلابالثانويوطلابالجامعة http://www.Baderonsari.papers.doc.com.

–البحيرى،عبدالرقيب (1984) اختبارحالةوسمةالقلقللكبار،القاهرة : دارالنهضةالمصرية .

- حسن، السيد محمد أبو هاشـــــــــــم (2006) الخصائص السيكومترية لأدوات القياس في البحوث النفسية والتربوية باســـــتخدام SPSS . الريـــــاض : مركز البحوث التربوية – www.pdffactory.com

- حسين ، طه عبد العظيم (2009) استراتيجيات إدارة الخجل والقلق الأجتماعي . عمان : دار الفكر .

- الدريني ، حسين عبد العزيز (ب . ت) مقياس الخجل . القاهرة : دار الفكر العربي .

- زايـــــد ، فاطمه محمد عبـــــد الله (2010) أثر برنامج معرفي سلوكي في خفض حدة الشعور بالوحدة النفســـية . رسالة ماجستير غير منشورة . الأكاديمية الوطنيه للدراسات العليا / فرع بنغازي .

- زايـــــد ، فوقيه محمـــــد (2001) الخجل الاجتماعي وعلاقته بأسلوب حل المشــــكلة لدى طلبة وطالبات الثانوي. مجلة كلية التربية . جامعة الأزهر . العدد : 101.

- السبعاوي ، فضـــيله عرفات (2010) الخجل الإجتماعي وعلاقته بأســـاليب المعاملة الوالدية . عمـــان : دار الصـــفاء .

- الســـــمادوني ، الســـــيد إبراهيم (1989) الخجل وعلاقته ببعض سمات الشخصية في مرحلة المراهقة والرشـــــد. مجلة كلية التربية (جامعة طنطا)العدد 7 (جـــ 2 – أ) 160-211 .

- السمادوني ، السيد إبراهيم (1991) مقياس الخجل الأجتماعي . القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

- الشربيني ، زكريا (1994) المشكلات النفسية عند الأطفال . القاهرة : دار الفكر العربي.

- الشيخ ، محمود يوسف (2007) مشكلات تربوية معاصرة : مفهومهـــا ، مظاهرهـــا ، أســـبابها وعلاجها. القـــاهرة : دار الفكر العربي .

- شـــيفر ، شـــارلز. وميلمـــان ، هـــوارد (1989) مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المســـاعدة فيها . ترجمة نسيمة داود ، ونزيه حمدي . عمان : منشورات الجامعة الأردنية .

- عبـــــــــــــدالعالي ، أبوبكر مفتـــــــــــــاح (2009) فاعلية برنامج إرشـــــادي للتدريب على المهارات الإجتماعية للحد من الخجل لدى عينة من المراهقين الذكور في مرحلة التعليم الأساسي . رسالة ماجستير غير منشورة . الأكاديمية الليبية للدراسات العليا / فرع بنغازي .

- عتيبي ، جمعة (2012) الخجل الإجتماعي لدى فئات مختلفة من مواطني الواحـــات .رســـالة ماجســـتير غـــير منشورة .جامعة بنغازي (قاريونس سابقا)

- عثمـــــان ، فاروق السـ ــــيد (1994) سمة الخجل وعلاقتها بأساليب التنشـــــئة الاجتماعية لدى طلاب الجامعة . مجلة البحوث النفسية والتربوية (كلية التربية بجامعة المنوفية) ، السنة العاشرة العدد الأول: 185 –241.

–العـــــتري ، فريحعويــــــد (2001) المكوناتالفرعيةللثقةبالنفســــوالخجل : دراســـــةارتباطيةعاملية .مجلةالعلومالاجتماعية (مجلد 29) عدد 3 ، 47 – 78.

–فايـــد ، حســـينعلي (1997) العلاقةبينالخجلوالأعراضالســـيكوباثولوجيةفىالمراهقة. دراساتنفســـية . المجلدالسابع ، العددالأول : 233 – 275 .

–قاســم ، ساليصـــلاح (2005) فاعليةبرنامجتدريبيلتدريبالمهاراتالإجتماعيةفىخفضـــالخجللدىطلابكليةالتربية . (رسالةماجستيرغيرمنشورة) كليةالتربية ، الاسماعيليه . جامعةقناةالسويس .

–قشـــــقوش ، إبراهيمزكــــــى (1988) كراسةتعليماتمقياسالإحساسبالوحدةالنفســــية. القــــاهرة : مكتبةالأنجلوالمصرية .

–كروزيــــر ، رى (2010) الخجـــل – ترجمةمعتزســـيدعبدالله – سلســـةعالمالمعرفة . الكويـــت : المجلسالوطنيللثقافة .

–متوبل،عائشـــــــــــــــــة (2003) علاقةســــــــــــــــــــلوكالنمط "ا" بالقلقودافعيةالإنجازوالوساوسلدىعينةمنطلبةجامعةعمرالمختاربمدينةالبيضـــــــــــــــــاء. رسالةماجستيرغيرمنشورة. جامعةبنغازى (قاريونسسابقا).

–المحـــــــــارب ، ناصـــــــــــإبراهيم (1994) الثباتوالتغيرفىالخجلوعلاقتــــــــــهبالمجاراة ، والشعوربالوحدةلديعينةمنطلابجامعةالملكســـعود . علمـــالنفس . الســـنةالثامنة ، العـــدد 32 ، 139 – 150 ، القاهرة : الهيئةالمصريةالعامةللكتاب .

–النيـــال ، مايســـه (1996) الخجلوبعضأبعادالشخصـــية : دراســـةارتقائيةوارتباطية . دراساتنفســـية ، العددالأول (المجلدالسادس) 173 – 230 .

–هامبلتون،رونالــــــدك . ميرينــــــــدا،بيترف . ســــــــبيلبرجر. – تحريــــــــر (2006) تكييفالاختباراتالتربويةوالنفسيةللتقييمعبرالثقافات . الرياض : مكتبةالعبيكان .

–يوســـف ، جمعهســـيد ، وخليفـــه ، عبداللطيفمحمـــــد (2000) الخجلوالتوافقالأجتمـــاعى : دراسةثقافيةمقارنةبينمجموعتينمنطلابالجامعةالســـعوديينوالكويتيين . مجلةالعلومالأجتماعيـــة . مجلـــد 28 ، العدد 3 ، 89 – 120.

المراجعالأجنبية :

– American Psychiatric Association [APA] , (2009) Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders . (4 th edition – text revised) . Washington , DC: APA .

– Andrews, B.(1997) Bodily shame in relation to abuse in childhood and bulimia : A preliminary investigation .British J . of Clinical Psychology, Vol. 36 ,Part 1. 41-49 .

- Beidel, D.C & Turner, S.M. (1998) Shy chidren phobic adults : Nature and treatment of social phobia . [El.V.] Washington , DC : American Psyshological Association.

- Brunet, Paul M. et. al . , (2009) Shyness and face seanning in children. [El.V.] Journal of Anxiety Disorder. 23,909 – 914 .

- Carducci , Bernardo J . et. al., (2001) Social phobia and social anxiety as components of shyness . [El.V.] Sanfrancisco : American Psychological Association.

- Chavira, Denise A . et . al.,(2002) Scrutinizing the relationship between shyness and social phobia. [El.V.] J. of Anxiety Disorder, 16, 585 – 598 .

- Crozier,W. Ray (1995) Shyness and self – esteem in middle childhood . British J . of Educ . Psychol ., 65,85-95.

- Crozier,W. Ray (2005 – a) Measuring shyness : Analysis of the revised Cheak and Buss shyness Scale. [El .V.] Personality and Individual Differences. 38 ,1947 – 1956 .

- Crozier, W . Ray (2005 – b) Shyness and self – esteem in middle childhood . [El.V.] British J . of Educ. Psychol . 56, 85 – 95.

- Embretson, Susan E.(1995) Test Design: Developments in psychology and psychometrics. New York: Academic Press.

- Farahini , Nada et.al., (2011) The role of shyness in anticipating creativity among the gifted. [El.V.] Social and Behavioral Sciences.

- Gudino, Omar G. and Lau, Ann S. (2010) Parental cultural orientation, shyness and anxiety in Hisbanic children : An Exploratory study. [El.V.] J . of Applied Devlopmental Psychology,31, 202-210 .

- Heiser, Nancy A. et. al., (2009) Differentiating social phobia from shyness . [El.V.] J. of Anxiety Disorder ,23, 469 – 476 .

- Jingjing, Zhao , et.al., (2012) Self- esteem and humor style as mediators of the effect of shyness on loneliness among Chinese college students. [El.V.] Personality and Individual Differences. 52, 686 – 690.

- Kaplan, Robert M. and Saccuzzo, Dennis P.(1997) Psychological Testing: Principles, applications and issues. CA.,: Brook/Cole.

- Kline,Paul, (1986) A Handbook of Test Construction: Introduction to psychometric design. London: Methuen & Co.Ltd.

- Kline,Paul (1993) The Handbook of Psychological Testing. London and New york : Routledge.
- Lorant, Tina A. Henderson L. and Zimbardo, Philip (2000) Comorbidity in social shyness.[El.V.] Depression and Anxiety . (12) 232-237.
- Murphy, Kevin R. and Davidshofer, Charles O.(1998) Psychological Testing: Principles and applications. New Jersey: Prentice Hall.
- Reber, Arthur S .(1985) Dictionary of Psychology. Middlesex (England) :Penguin Books.
- Santesso, Diane L. (2004) Are shyness and sociability still a dangerous combination for substance use? Evidence from a U.S. and Canadian sample. [El.V.]. Personality and Individual Differences. 37, 5-17.
- Shmidt, Louis A. and Fox , Nathan A. (1995) Individual differences in young adults' shyness and sociability : Personality and Health Correlates. [El.V.] Vol .19(4) 455 – 462.
- Schmidt , Louis A. et.al., (2002) Molecular genetics of shyness and agression in preschoolers. [El.V.] Personality and Individual Differences. 33. 227-238.
- Strand , Paul S. et al., (2011) Shyness – anxiousness and recptive language in Spanish English preschoolers. [El.V.] J. of Applied Developmental Psyehology, 32, 363 – 368.
- Zarnaghash , Maryam (2010)A study of the effect of family patterns style on shyness in Iranian students. [El.V.] Procedia Social and Behavioral sciences , 5 , 2304 – 2308.

A Stylistic Emotive Translation with Reference to English-Arabic Translation

Yasir AbdulAziz Taha

MA, Translation

English Department- University of Benghazi

ملخص البحث

اللغة الأدبية غنية بالوسائل الأسلوبية والعبارات المثيرة للعاطفة. إن طريقة ترتيب الكلمات وهو ما نسميه بالأسلوب يمكن أن يعطي معنى مفعم بالتعبيرية والغنية بالألوان الانفعالية. ويستخدم مؤلف النص الوسائل الفنية والجمالية كالتشبيه والعبارات المثيرة للعاطفة لكي يؤثر في قرائه ويستثير مشاعرهم. وتعتبر العبارات المجازية والعبارات الانفعالية من بين أصعب التحديات في الترجمة حيث أن هذه التراكيب اللغوية تعد مصدر قلق للمترجم لما لها من صلة وثيقة بمشاعر الإنسان و أحاسيسه. وان هم المترجم الأول هو إيجاد العبارات المجازية المكافئة في المعنى والشكل في اللغة الهدف. وتنتج الإثارة اللغوية عن الاستخدام الأسلوبي للعبارات اللغوية المثيرة للعاطفة. وهي طريقة استخدام وانتقاء العبارات والكلمات الأكثر تأثيرا في القارئ. وتهدف هذه الورقة البحثية إلى دراسة الجوانب اللغوية التعبيرية المثيرة

للعاطفة لكي نقدم للمترجمين المبتدئين المبادئ المرشدة التي تساعدهم في ترجمة النصوص الأدبية بحيث يتمكنون من نقل نفس المعنى والتأثير في اللغة الهدف.

Abstract

Literary language is full of stylistic devices and emotive expressions. The orderof the words –the style – can produce alively expressiveness loaded with emotive clouring. The original author uses artistic and aesthetic devices – figures of speech and emotive expressions – in order to have an effect on his readers and evoke their feelings. Figures of speech and emotive expressions are of the most challenging issues in translation. In fact, these linguistic expressions are considered as a source of difficulty since theyare related to human feelings and emotions.The main concern of a translator is to find the equivalent figures of speech in the target language (TL) that is similar in both form and content.Emotiveness mainly results from the stylistic employment of emotive lexical expressions. It is the way of using and choosing the most effective words and expressions. This paper tries to investigate the appropriate method to translate the emotive and expressive aspects of language in order to provide the would-be translators with the guiding principles that will help them in translating literary texts in such a way as toconvey the similarcontent and effect in the target language.

1. Introduction

Theories regarding emotive language deserve much attention for they explain the various aspects of expressivity, expand our knowledge of its stylistic possibilities and helps translators to solve the problem of translating the emotive meaningwhich evokes the feelings of the receiver.

Literary texts are created and loaded with emotive meaning to attract readers' attention. In literary translation, what may be considered a highly emotive literary text in English may not be rendered at the same level in Arabic. Therefore, it becomes crucial for the translator to have good knowledge about literary styles and emotive devices in both languages in order to achieve similar emotive effect in the target language.

Stevenson in his book ' Facts and Values' (1956:20) defines emotive meaning as:

> The emotive meaning of a word is a tendency of a word arising through the history of its usage to produce effective responses in people. It is the immediate aura of feeling which hovers about words. Such tendencies produce effective responses cling to words very tenaciously.

An interesting approach to literary translation comes from Michel Riffaterre (1992: 204-217). He separates literary from non-literary use of language by saying that literature is different because it semioticizes the discursive features such asthe morphophonemic and semantic selection of lexis, the textuality that integrates semantic components. He argues that literary translation should "reflect or imitate these issues.For Riffaterre, a literary text is the one which contains the *signs* which makes it a cultural artefact. Although he conceives literary text as self-contained system, he sees it as a sub-system of cultural semiotic system. However, one feels that Riffaterre is probably simplifying the problem of cultural barriers to translatability.

2. The Literary Function of Language

It is worth mentioning that the emotive or expressive function of language has undeniable significance especially in literature. This function is basically achieved through the use of stylistic devices used by the writer himself.In this domain, Langer (1955:15) states that a work of art is an expressive form of language created by the writer to be conceived by the receiver through sense or imagination and impresses human feeling.Newmark (1988:39) also points out that the core of the expressive function is in the mind of the writer who uses the words to express his feelings. He adds that the aim of the aesthetic function is to please the senses through the actual or imaginative language such as lyrical poetry, short stories, novels, and plays which are sorts of serious and imaginative literature.Aziz (1995:85) states that expressiveness is achieved through the use of emotive linguistic units which are selected by the writer and predetermined by the context.

Literary language uses figures of speech to add an expressive value to the text. Figurative language is a departure from the standard order of words and denotative or literal meaning to achieve some special meaning or effect. In fact it is used to convey expressiveness or emotiveness. (Abrams 1993:66-67)

2.1. Stylistic Approaches

Approaches to stylistics have received a notable attention. Some scholars have given priority to the individual creativity over the supposedly static and rigid nature of language. For instance, Vosseler who adopted an aesthetic orientation, Bally who adopted an expressive stylistic approach and Spitzer who adopted a psychological-literary one, all gave priority to individual innovation, psychological forces and emotive aspects. (In Stankiewicz, 1964:240)

Stankiewicz (1964:244) describes the stylistic approach in the following quotation:

> The stylistic approach seemed the way to the life of language and its quivering essence and it did not neglect the basic tenets of Neogrammarian one. The question of emotive language was posited according to contextual variation of the possibilities of message not with relation to linguistic systems.

Since the study is a stylistic one, it becomes necessary to provide some definitions of stylistics which is considered as a central issue in the Linguistic study of literature.Riffaterre (1959:155) states that "style is understood as an expressive or effective emphasis added to the information conveyed by the linguistic structure without alteration of meaning." In other words, language expresses and style stresses.Turner (1973:27) points out that one of the important approaches to the study of style is to analyze meaning into its denotative and connotative elements.

2.2. Denotative versus Connotative Meaning

In traditional analysis, words in literal expressions have common or dictionary meaning, while words in figurative expressions connote additional meaning. When the human ear or eye receives the message, the mind must interpret the data to convert it into meaning. How do we know that statements are meant to be read figuratively? The answer is when the literal meaning does not make sense. For example, the sentence, *"The ground is thirsty and hungry"*. *The ground* is not alive and therefore does not need to drink or eat. The reader can immediately understand that a literal interpretation is not intended.

Figurative language differs from literal one in that it should not be interpreted literally. Literal language refers to facts without any exaggerations or alterations of the subject, while figurative language states the facts with comparisons to similar events and some possible exaggerations. Let us consider the following examples:

Hands of the clock. Denotation : **أذرع الساعة**

Connotation: **عقارب الساعة**

I always carry the can. Denotation: **أنا من يحمل الكأس دائما.**

Connotation: **أنا من يتحمل المسئولية دائما.**

He is henpecked. Denotation: **تسيطر عليه زوجته.**

Connotation: **مغلوب على أمره.**

Head – hunting Denotation: **صيد الرؤوس**

Connotation: تصفية الخصوم السياسيين

That high building is a white elephant. Denotation: ذلك البناء الشاهق فيل أبيض .

Connotation: ذلك البناء الشاهق مشروع خاسر .

2.3. Stylistic Devices

Ilyas (1989) points out that translation between languages of different cultures is more difficult than translating between languages of similar and related cultural related particularly literary one. Raiffatrre (1959) states that literary language is full of stylistic devices which are often considered author specific. These stylistic devices, as most stylists believe, are deviant from the linguistic norm.

(i) Metaphor

Abrams defines metaphor as a word or expression which in literal usage denotes one sort of thing or action isapplied to a different sort of thing or action. Metaphoric terms can be nouns, verbs or adjectives.

That reed was too frail to survive the storm of its sorrows,

كان ذلك القصب أضعف من أن يصمد أمام عاصفة أحزانها.

Shakespeare uses verbs metaphorically in his work "*Merchant of Venice*".

How sweet the moonlight sleeps upon this bank.

ما أبهى نور القمر وهو ينام على هذا الضفة.

"If Tony Blair can say that it is “neither racist nor extremist” to raise “genuine concerns” about the **flood of asylum seekers**, then it is no longer feasible to pretend thecrisis doesn't exist."

ان كان بلير يستطيع أن يقول أن المسألة ليست عنصرية ولا تطرف لكي يثير مخاوف حقيقية تجاه طوفان طالبي اللجوء فانه ليس من المعقول التظاهر بعدم وجود أزمة.

(ii) Metonymy

Metonymy is a figure of speech that consists of the use of the name of one object or concept for that of another to which it is related, or of which it is a part. It isthe substitution of a word to suggest what is really meant. The literal term for one thing is applied to another with which it is closely associated, because of contiguity in common experience. Thus "the crown" or "the scepter can be used to stand for a king and "the turf " for horse racing.

William Shakespeare's play Julius Caesar,(Act III, scene II, lines 74-77).

Friends, Romans, countrymen, lend me your ears

أيها الأصدقاء والرومان والقرويون اسمعوني جيدا

Metonymically — "ear" represents "attention" (because we use ears to pay attention to someone's speech). When we hear the phrase "lending ear (attention)", we stretch the base meaning of "lend" (to let someone borrow an object) to include the "lending" of non-material things (attention).

(iii) Simile

Simile is a figure of speech, in which two things are directly compared. In a simile, a comparison between two distinctly different things is indicated by the word "like" or "as". It is an explicit comparison that describes something by comparing it with something else by using the words: **like** or **as**. An example of Robert Burns:

O my love's like a red, red rose. حبيبتي كوردة حمراء.

Sarah is as beautiful as nature. سارة جميلة كالطبيعة.

Jack is brave like a lion. جاك شجاع كالأسد.

She is as white as snow. إنها بيضاء كالثلج.

They fought like cats and dogs. تقاتلوا كما تتقاتل القطط والكلاب.

Shall I compare thee to a summer's day. من ذا يقارن حسنك بصيف قد تجلى

Thou art more lovely and more temperate. وفتون سحرك قد بدت في ناظري أسمى وأغلى

Rough winds do shake the darling buds of May تجني الرياح العاتيات على البراعم وهي جذلى

And summer's lease hath all too short a date والصيف يمضي مسرعا إذ عقده المحدود ولى

Shakespeare in Macbeth uses emotive expressions such as simile and musical rhythm to convey emotiveness. In contrast, the translator also has retained these stylistic devices and managed to reproduce similar effect in the target language.

Wordsworth in his poem describes "Lucy" a girl of rare beauty as a bright star by using simile:

Fair as a star when only one bright in the sky,
A violet by a mossy stone, half hidden from the eye.

بهية كنجم وحيد يتلألأ في السماء، بنفسجية عند صخرة تكسوها الطحالب، شبه مخفية عن الأنظار.

(iv)Personification

Abrams (1993:69) defines personification as a sort of figure of speech in which an animate object or an abstract concept is spoken of as though it were endowed with life or with human attributes or feelings. It is used to show intimacy and kindness to animals or inhuman objects, as in Wordsworth in his poem," Daffodils", describes daffodils when moving by the breeze as if it is a human being dancing.

Fluttering and dancing in the breeze, ترفرف وترقص في النسيم

Also, Milton wrote in Paradise Lost as Adam bit into the fatal apple:

Sky lowered, and muttering thunder, some sad drops,
Wept at completing of the mortal sin.

انخفضت السماء ودمدم الرعد
وذرفت بعض القطرات الحزينة
على الوقوع في الخطيئة القاتلة

(v) Irony

Irony is another stylistic device that implies using a word in a way that conveys a meaning opposite to its usual one is called ironical meaning. It is a statement in which the meaning that a speaker implies differs sharply from the overt meaning.Thus in Canto IV of Alexander Pop's *The Rape of the Lock* (1714) after Sir Plume, egged on by the ladies, has stammered out his incoherent request for the return of the stolen lock of hair, the Baron answers:

"It grieves me much."Replied the Peer again, "انه ليحززني جدا "أجاب الأمير النبيل
"Who speaks so well should ever speak in vain**."** المتحدث اللبق لا ينبغي أن يتفوه بالترهات

(vi)Pun

Abrams points out that**Pun** is a play on words which are identical or similar in sound(homonyms) but are sharply diverse in meaning.It implies ambiguity and poses a problem for translators. Titles of stories and novels provide numerous examples of these intentional ambiguities, which are at times difficult to translate.Pun is used seriously and comically by Shakespeare and other writers in which a single word or phrase in a certain context has two disparate meanings. In *Romeo and Juliet*Mercutio, bleeding to death says grimly: Ask for me tomorrow and you shall find me a grave man**.** إن تسأل عني غدا فستجدني مقبورا

Another example is the epitaph about a bank teller:

He checked his cash, cashed in his checks**,** وتركتفقد نقوده وصرف صكوكه
And, left his window. Who is next?شباكه. من التالي؟

(vii) Euphemism

Euphemism is an inoffensive expression used in place of a blunt one that is felt to be unacceptable or embarrassing. It is an alternative polite expression to dispreferred one. Euphemism is usually used with such topics like death "*pass away*" instead of "*die*", sex

"*sleep with*" instead of "*have intercourse with*", bodily functions "comfort station" instead of "toilet". (Abrams:60)

(viii)Echo-compounds

Aziz (1995)talks about echo-compounds as a source of expressiveness. An echo-compound is a term refers to two words differ in one or two sounds combined together to form one word with certain effective meaning, such as nitwit, riffraff, brain drain, hurly-burly tip-top, hugger-mugger, hubble-bubble, wishy-washy, etc.

Jack is a nitwit person. جاك شخص تافه.

The hurly-burly of city life. ضجيج حياة المدينة.

The car is in tip top condition. السيارة بحالة ممتازة.

Peter is a wishy-washy figure. بيتر عديم الشخصية

The Arab world witnesses a severe brain drain. الوطن العربي يشهد هجرة خطيرة للعقول.

(ix) Sound devices

He also talks about sounds that can be organized in such a way as to heighten the expressiveness of the message. Repetition, alteration and rhyme are among the sound devices used in poetry and prose to create the emotive tint. Thus, the emotive coloring of poems is based mainly on the repetition of words in certain rhythm and rhyme in a such way as to influence on the reader or hearer.

Water water everywhere, المياه في كل مكان

And all the boards did shrink; وانكمشت كل الطرقات

Water water everywhere, المياه في كل مكان

Not any drop to drink ولا توجد قطرة واحدة لتشرب

(x) Hyperbole

It is a bold overstatement, or the extravagant exaggeration of fact or of possibility. It may be used either for serious or ironic effect. In this respect, there is a story of a cowboy in an eastern restaurant who ordered a steak well done. "Do you call this well done?" he roared at the waitress. “I’ve seen critters hurt worse than that get well!" Abrams (1985:86)

Conclusion

As a matter of fact, literary language is written with a beautiful stylistic way and highly charged with emotive expressions. Hence, when translating, it will be essential to use equivalent style that conveys the equivalent emotive or expressive meaning in order to appeal the reader and arouse his emotions.

Translating literary texts from English into Arabic is not an easy task. However, it needs a combination of theories to account for the semantic, stylistic cultural contents. The original writer deliberately uses stylistic and emotive aspects as well as cultural expressions in order to affect his readers. In return, the translator has to use as much as possible a similar linguistic and emotive styleto produce the same emotive effect that attracts the attention of the TL readers and arouse his emotions.

In conclusion, translating figures of speech needsto find secondary meaning in the source language (SL), and finding cultural meaning and appropriate equivalence in the target language (TL). Figures of speech and multi-word expressions are some of the most challenging translation difficulties. Sometimes it is not so difficult to dealwith

metaphorical expressions when there are equivalent metaphors in Arabic. But if the SL metaphor has no direct equivalence in the target language, the problem of translating then emerges.

Bibliography

Abrams, M (1993) *Glossary of Literary Terms*. Holt, Rinehart and Winston, Inc. U.S.A.

Aziz, Y. (1995) *The Problem of Emotive Language in Translation*. Turjuman, 4(2) p. 19-94.

Langer, S.(1955) *"Expressive Language and the Expressive Function of Poetry"* in Warner, H. (ed) On expressive Language. Worcester, Mass.p. 3ff.

Newmark, p. (1988) *A Text Book of Translation*. London : Prentic Hall International.

Riffaterre, M. (1959) *Criteria for Style Analysis* , ***Word***, XV , 154-174.

Stankiewicz, E. (1964) *Problem of Emotive Language*. In Sebeok, Thomas, A. et al. Approaches to Semiotics. London : The Hagne. Paris : Mouton, 239-246.

Stevenson, Charles (1956) Facts and Values

Turner, G. (1973) *Stylistics*. Great Britain :Penguin Books.

Ilyas, A. (1989). *Theories of Translation.* Mowsil: Mowsil University press.

Structure,function and meaning of English passive voice

Seham salem eltaib
English Depaartment- University of Benghazi

Abstract

This paper provides the reader with a detailed account of structure, meaning, frequency and importance of using English Passive Voice.

1. Introduction

English is one of the languages based upon grammatical structure and meaning. Grammatical structure and meaning are considered to be two of the essential components of the four language skills (i.e. listening, speaking, reading and writing) to be correct linguistically (Harris, 1969).English passive voice structure is one of components of English grammar, which is very important in developing these language skills. It is of great importance in certain occasions, and even recommended for different purposes according to the situation. The meaning of the passive sentences is also important, especially when compared with its corresponding active voice, because there is some debate which maintains that they are synonyms.

2. Definition and Structure

2.1 Definition

Passive voice in English can simply be defined as a grammatical category through which the action of the sentence is viewed. More precisely, it can tell you whether or not the subject of the sentence performed the action. And this can be done by the two types of voice: passive or active. However, according to Quirk *et al* (1985:159), both voices do not change the reported facts. Moreover, the voice can also contrast the active verb from the passive verb, as in (1) and (2):

(1) The butler *murdered* the detective. (Active)

(2) The detective *was murdered* by the butler. (Passive)

From examples (1) and (2), it can be stated that the active and passive are grammatically related at two levels: the verb phrase, and the clause. At the first level, the passive verb phrase can simply be contrasted from the active verb phrase by the fact that it is the one that does not involve the construction of the active verb phrase. The other difference between these two voices that is the passive verb phrase contains an additional auxiliary followed by the past participle of the main verb. But at the clause level, in order for the active to become passive, it requires reordering two elements of the clause: the subject and the object as we will see in the coming sections.

The active voice, on the other hand, can be defined as one of the two voice categories that can be used to express the fact that the subject performed the action rather than the receiver of the action that is the object of the

sentence. The frequency of the use of the passive voice will be mentioned later in much detail.

The English passive sentence is not considered to be an automatic transformation of the active counterpart. It is rather viewed as "an alternative realization of the relation between a transitive verb and its object. In addition, it is not always true that both voice categories do not change the reported facts, and they cannot be considered as synonyms because of the meaning difference between the active and passive sentence construction"(Dixon, 1992:298).

Jesersen presents a definition for the passive voice as follows:

> The English Passive is formed with an auxiliary, generally *be,* but often also *get* or *become,* and the second participle: "Tom beats John" (active) and "John is beaten by Tom" mean essentially the same thing and yet they are not in every respect synonymous, and it is therefore not superfluous for a language to have both turns and thus be able to shift the point of view. As a result, the person or thing that is the centre of interest at the moment is made the subject of the sentence, and therefore the verb is in some cases put in the active, on others in the passive ((1964:120 as cited in Abunowara, 1983:27).

The English passive voice can simply and formally be defined as the clause that contains the structure of the passive (*i.e. be (or get) + past participle (V-ed)*. Further example include the following (Quirk *et al*, 1985:167) :

(3) This violin *was made* by my father.
(4) This conclusion *is* hardly *justified* by the results.
(5) This difficulty *can be avoided* in several ways.
(6) Leonardo *was interested* in linguistics.
(7) We *are encouraged* to go on with the project.

Concerning the nature of the passive, if the function and the meaning of the verb have been taken into account, example (3), (4) and (5) are only passives. Because the other examples (6) and (7) do not have a specified counterpart with an active verb or active clause, and therefore treated apart from the ideal passive.

Therefore, examples (3) and (4) can be called *central or true passive*. Because both have clear active correspondences, but the only difference between them that (3) has a personal agent whereas the agent of (4) is impersonal. But example (5) presents the most frequently used type of passive that can be called *agentless passive* which does not provide mentioning the active subject.

(6) And (7) exemplify another type of passive that is called *a mixed or semi-passive* in which verbs have both the characteristics of adjectives and verbs. They are like verbs in the sense that they have active verb correspondences:

(6) Leonardo *was interested* in linguistics.
(6a) Linguistics *interested* Leonardo.

(7) We are encouraged to go on with the project.
(7a) (The results) *encourage* us to go on with the project.
The adjectival characteristics of these examples involve the following possibilities:
a) Co-ordinating the participle with an adjective.
b) Modifying the participle with words like *very, quite, rather*, etc.
c) Interchanging the verb *be* with a lexical copula verb like *seem* or *feel*.

It may be stated here that the verbs of examples (6) and (7) are considered to be stature rather than dynamic verbs, including the passive analysis. They can be analysed as state passives as well as dynamic, but it is a fact that all the participle adjectives have a state meaning, whereas their corresponding verbs are dynamics.

The following sentences exemplify the type which we may call '*pseudo-passive*'. **Pseudo-passive**, according to Wikipedia, is defined as a grammatical category that describes the relationship between the action and the participants identified by its argument to their thematic relations. It is common in spoken English. Thus, when the subject is the patient, target or undergoer of the action, it is said to be in the passive voice. The pseudo-passive is formed with have or get + an object + the participle of the verb.

(8) The building *is* already *demolished.*
(9) The modern world *is getting* more highly *industrialised* and *mechanised.*
These examples do not have an active correspondence and an agent by-phrase either. They can be considered as passives only in terms of providing the form of the passive verb phrase (i.e. verb to be + V-ed participle). But it does not match its active correspondence in (10a) and (10b). Because of the nature of the verb itself, it refers to a resultant state of the building as being demolished rather than referring to the demolition itself (Quirk et al, 1985):
(10a)*(someone) already demolishes the building.
(10b) (Someone) has already demolished the building.

2.2 Structure

The passive sentence is formed in accordance with its constituents. The sentence is basically composed of a subject, a main verb and an object. Changing an active sentence to passive involves rearranging the elements of the sentence. In other words, the object of the active sentence becomes the subject of the corresponding passive sentence, and adding the auxiliary *be* followed by the past participle of the main verb in the verb phrase. For example:
(11) John (active subject) admired (active verb) Mary (active object).
(12) Mary (passive subject) was admired (passive verb) by John (optional by-phrase).

The active-passive correspondence can be formulated like this:
Noun phrase 1 + active verb phrase + Noun phrase 2 (active clause)
Noun phrase 2 + passive verb phrase + (by-noun phrase 1) (passive clause).
The terms: *subject* and *object* are used here with a certain structural function in the clause (Quirk *et al*, 1985:159-160). The more common formula of the passive verb phrase considered is the following:

'Be + past participle (V-ed)'

Auxiliaries are formed in accordance with subject agreement (i.e. singular or plural); and with tense agreement (i.e. simple, perfect, continuous, etc). Jespersen (1964) has identified three verbs which precede the main verb in his definition: *be, get* and *become*. *Be* is more frequent than the other two, taking into account that *get* and *become* are not auxiliaries at all. *Get* is limited to constructions excluding an expressed animate agent, for examples:
(13) The cat got run over (by a bus).
(14) James got beaten last night.
Get is avoided in formal style in English, and even in informal English is less common than the verb *be*, for example,
(15) The house is getting rebuilt.
(16) This story eventually got translated.
Get is more frequently used as a resulting copula in examples such as *My mother is getting old* which is not a pure passive, as in:
(17) I have to get dressed before eight o'clock (informal)
(18) Your argument gets a bit confused here.
The participles of these verbs in these examples are stative, but *get* is a conclusive dynamic verb. It is important to distinguish between sentences with the copula, called pseudo-passive, and the passive sentence. The *get*-passive, like the copula *get*, draws the attention to the subject, unlike the passive that focuses on the object rather than the subject. The following table summarizes the formation of the English passive verb phrase in order to clarify how the English passive verb is formed, accompanied with examples,

Forms of the Passive Verb Phrase simplified and exemplified

Present /past tenses forms	Examples
Be + V-ed	English is/was taught
Be + being + V-ed	English is/was being taught
Modal + be + V-ed	English can/ could be taught
Have + been + V-ed	English has/had been taught
Modal + have + been + V-ed	English can/could have been taught
Modal + have to + be + V-ed	English has/ had to be taught
To be + going to + be + V- ed	English is/was going to be taught

2.3 Transitivity

Transitivity, an important factor in forming the passive, is considered one of the most important grammatical relationships in the clause. It is a type of relation that distinguishes the elements of the clause like objects that can be substituted by a pronominal phrase, adjuncts that can be adverbial or prepositional phrases and complements. The object is named in a different way from that of the subject, the complement refers back to the subject of the clause, and the adjunct refers to time, place or refer to the rest of the clause. All was about one-object clauses that include a mono-transitive verb, but there are also some clauseswhich contain more than one object or an object and a complement.

There are two types of transitivity: single and double transitivity. Single transitivity deals with only one-object clauses; while double transitivity deals with more objects.

The following clauses present examples of the single transitivity:

(19) Mr Plumtree drank the *milk.*

(20) *The bones*, you throw a way.

(21) You should visit *Wales* next summer.

Examples of the double transitivity are presented by the following clauses:

(22) I made *Mr Plumtree a piperack.*

(23) Tell *me the answer.*

(24) I'll pick *you some apples.*

The first object is traditionally named as the indirect object (Mr Plumtree, me, you), and the second one the direct object (a piperack, the answer, some apples). Indirect objects usually refer to a person as in the previous examples.The two objects chiefly take the order *indirect-direct,* but it is not the same when both objects are pronouns. In this case, they are interchangeable, the personal pronoun is assumed to be the indirect object, and it doesn't occur without the direct object. Therefore, only the choice of the verb determines transitivity (Sinclair, 1972)

But there are, on the other hand, verbs despite their transitivity which cannot be passivized (i.e., resemble, have, hold, etc.) (Quirk *et al*, 1993). This is due to their semantic features in addition to the syntactic ones.

Furthermore, it has been stated that the semantic feature *activity* is considered as a precondition for passivization. Palmer (1974) claims that the possibility of passivization for some verbs can happen only where there is a dynamic meaning indicated by the verb, but, on the other hand, it cannot happen with verbs whose meaning refer to a state.
He presents the following examples in order to support his argument:
(24a) the jar *holds* oil.
(24b)*Oil *is held* by the jar.
But
(26a) The police *held* the thief.
(26b) The thief *was held* by the police.
Another example:
(27a) the king possessed great wealth.
(27b)* Great wealth was possessed by the king.
But
(28a) The enemy soon possessed the city.
(28b) The city was soon possessed by the enemy.

Therefore, with the semantic interpretation of verbs whose indication is state, an account for the non-occurrence of passive formation can be made with the following verbs (cited in Abunowara, 1983):
- Verbs of possession:
to have
to possess
to own
to belong
to lack
- Verbs of suitability:
to become
to suit
to fit
- Verbs of similarity:
to look like
to resemble
- Verbs of equation:
to contain
to hold
to mean
to last

Finally, passivization is possible only if the verbs indicate activity. But when the verbs indicate state as mentioned earlier, they cannot be used in the passive.

2.4 The Agent Phrase

The agent phrase, or the by - phrase which expresses the doer of the action, in the English passive sentence is optional. Jespersen (1964:120) states that over 70% of the English sentences found in English literature do not mention the active subject for some reasons (see section 4). It can be assumed that there will be about 30% of the English passive occurrence, and then the agent phrase is not optional.

Mihalovic (1966:124 as cited in Abunwara, 1983) presented a paper in which she tries to prove that the agent phrase is not an optional element of the English passive sentence. She attempts to highlight that whether the passive construction has an expressed agent phrase or not, is determined only by the verb. She mentions three examples of verbs in which the agent phrase cannot be deleted in the English passive construction:to *possess,* to *actuate* and to *succeed,*

(29) Unworthy movies actuated him.
(29a) *He was actuated.
(29b) He was actuated *by unworthy movies.*

The second group of the verbs is those verbs in which the agent phrase can or can not be left out, for example:

(30) Somebody followed me.
(30a) I was followed.
(31) Curse one followed curse two.
(31a) *Curse two was followed.
(31b) Curse two was followed *by curse one.*

The last group of verbs which permits the deletion of the agent phrase only in case of an adverbial expansion included in the structure,

(32) His parents brought him up.
(32a) *He was brought up.
(32b) He was brought up *by his parents.*

But sentence (32a) will be accepted in the case of inclusion of an adverbial instead of the agent phrase, for example:

(33) He was brought up *in Cambridge.*

Moreover, Mihalovic adds that the agent phrase is not deleted in some passive sentences unless it is contextualized,

(34) Shakespeare wrote this sonnet.
(34a) This sonnet was written *by Shakespeare.*
(34b)* This sonnet was written.

Breifly, agent phrases in English passive construction are generally optional, but there are cases where the agent phrase must be included and this is determined by particular verbs (Abunowara, 1983).

3. Meaning of the Passive Sentences

In English, there are generally two views concerning the meaning of the passive sentences: the view adopted by the grammarians that there is a difference in meaning between the active and passive sentences, and those who see no difference. For example, Jespersen (1964:120) stressed the two views adopted by the grammarians concerning the meaning difference:

> "Tom beats John" (active) and "John is beaten by Tom" mean essentially the same thing and yet they are not in every respect synonymous, and it is therefore not superfluous for a language to have both turns and thus be able to shift the point of view. As a result, the person or thing that is the centre of interest at the moment is made the subject of the sentence, and therefore the verb is in some cases put in the active, on others in the passive.

In addition, Chomsky (1957) presents two examples supporting the view that there is a meaning difference between the active and passive sentences:
(35) Everyone in the room knows two languages.
(35a) Two languages are known by everyone in the room.
These examples present efficient evidence indicating that there is a meaning difference between the active and passive sentences.

Johnson – Laird (1968) has done an experiment in which subjects had to rank – order four equivalent but syntactically different in terms of their appropriateness as used to describe one diagram in contrast to another as follows:

a) There is a blue area that precedes a red area. (Normal active)
b) There is a red area that a blue area precedes.(Inverted active)
c) There is a red area that is preceded by a blue area.(Normal passive)
d) There is a blue area that a red area is preceded by.(Inverted passive)

His experiment indicates that a passive sentence is not necessarily selected to provide a description for the same things as its corresponding active. It confirms the basic hypothesis concerning the difference between the two voices.

Therefore, it can be said that both active and passive sentences do not always present a perfect match in their propositional meaning. The word order that brought up while changing an active sentence to a passive one or vice versa will not lead only to change the focus, but also including the negatives and quantifiers, e.g.
(36) Every schoolboy knows one joke at least.
(36a) One joke at least is known by every schoolboy.

The most probable explanation of (36) is totally distinct from its counterpart of (36a). In (36), it is meant that each schoolboy knows at least some jokes or others, but in (36a), it means that there is a specific joke that is known to every schoolboy which is not the same meaning intended.

In addition, the meaning difference between the active and its passive corresponding is also due to the requirements of the added modal

auxiliary to the passive sentence that may lead to meaning difference accompanying the voice shifting, as in,

(37) John cannot do it.
(37a) It cannot be done (by John).

In (37), the modal *can* will be normally interpreted as used to express ability, whereas in (37a), the passive corresponding, is expressing possibility. So it cannot always be assumed that any passive sentence matches its counterpart in its meaning (Quirk *et al,* 1985).

Earlier research, entitled *the Choice of the Passive Voice in a Communicative Task* (Johnson-Laird, 1968:7-5), reveals that the passive voice is not essentially selected to describe exact things as the active voice does. Considering the place of emphasis, both voices are used to express the action, as known the action (i.e., is the verb phrase), but both voices express whether the action was performed by the active or the passive subject (i.e. the object). As mentioned earlier, to change any active sentence into the passive, it involves re-arranging the elements of the sentence. So it seems that there is another factor which determines the choice between the active and the passive voices; that is, the word order.
Almost all the actions involve two important elements, as mentioned earlier, the subject and the object. Taking into account word order factors, the active construction is distinguished from its passive counterpart in the fact that the point of departure will be expressed in the theme, which is the first element of the sentence (the subject), and in the final position will be the affected element which receives end-focus. In the passive voice, the previously mentioned process is reversed. In other words, the affected element (the object) presents the point of departure while the agent takes the final position (Downing *et al*, 1992), for instance:
(38a) the three Heads of the state signed the treaty. (Active)
The three heads is the agent, subject and the theme of the message
The treaty is affected direct and the rheme of the message.
(38b) The treaty was signed by the three Heads of the State.
The Treaty is now the affected subject and the theme of the message.
The three Heads of the state is rheme of the message.

4. Frequency and Importance of Using Passive Voice

The passive voice structure is preferred (and even recommended) to be used in certain situations. But it is, on the other hand, avoided in other cases. Therefore, the following reasons accompany the use of the English passive voice:
a) The active subject is not known,
(39) The city was well supplied with water.
(40) He was killed in the Second World War.

b) The active subject is identified from the context,
(41) He was elected Member of Parliament for Leeds.
(42) Prisoners are allowed visitors only once a month.
c) It is often preferred in order to avoid mentioning the first person (I or we); this is more common in writing than in speaking (Jespersen, 1964:120-121).
d) The subject may also be left out when it has been indicated earlier,
(43) When he read his thesis he gave a huge party. Everyone was invited.
e) When the predicator needs to be emphasised, the doer of the action is omitted,
(44) The documents have been thrown a way.
f) The passive voice is also used as an attempt to avoid blaming someone, or even blaming oneself,
(45) I'm afraid the fax hasn't been sent.
g) It is also used when the entity acted upon is more important than the actor is,
(46) The unidentified victim was struck during the early morning hours.
h) The passive voice is also useful when the performer of the action is not important,
(47) The aurora borealis can be observed in the early morning hours.

There are other areas where the passive voice is of great importance, for example, in scientific or technical writing or lab reports. In these situations, the entity being described as considered more important than the actor. For example, instead of writing:
(48) I poured 20 cc of acid into the beaker.
We would rather write:
(48a) Twenty cc of acid was poured into the beaker.

Furthermore, the passive voice is used while describing mechanical processes, where the process details are more important than the person responsible. The passive voice also aims to achieve a great effect in cases where we like to change the focus from the active object to the passive subject, as for example:
(49) The executive committee approved an entirely new *policy* for dealing with academic suspension and withdrawal. *The policy* had been written by a subcommittee on student behaviour. If students withdraw from course work before suspension can affect, the policy states … (Kolln, 1994:359).

Since both voice categories, active and passive, are used to express the action of the sentence, there are still priorities for the choice between the active and passive voices in English. It is sometimes argued that the active voice is more frequently used than the passive voice. But there are certain areas of interest in using the construction of the passive voice, and, therefore, will be more common than the active only in that type of context, but it will not be as frequent as the active voice.

Thus, the active voice is the most frequent version used of the voice categories. What determines the choice between the two categories of voice is more related to the distinction between informative and the imaginative texts, rather than the difference between the spoken and the written language. It can be said that the passive is more frequent in informative texts than in imaginative texts; therefore, the passive is more frequent in the non-personal writings of scientific articles, news and lab reports where the process being performed is more importance than the person responsible for the experiment.

The choice between the active and the passive is also related to where to put the emphasis in the clause. This is seen by the fact that the active voice places the focus on the subject, not on the object. Passive voice, on the other hand, places focus on the object.

5.Conclusion

It is always great to widen one's mind by different ways, one of which is reading. The more we read about a subject the richer in knowledge our minds are. Finally, we cannot get rid of the passive and will say: it's hoped that this simple paper will provide you enough account in the English passive voice.

References

Abunowara, A. (1983) *Contrastive Analysis of Arabic and English Passive Structure.* Fort Collins: ft, Collins. Unpublished thesis.

Dixon, R. M. W. (1999) *A New Approach to English Grammar, on Semantic Principles.* New York: Oxford University Press.

Downing, A. and Philip Locke (1992) *A University Course in English Grammar.* Prentice Hall International, UK.

Harris, D. (1969) *Testing English as a Second Language.* McGraw Hill

Imssalem, N. M. (2001) *Discourse Based Approach to Language Teaching and Learning.* Garyounis University Press, Benghazi.

Jespersen, O. (1964) *Essential of English Grammar.* University of Alabama Press.

Kies, D. (1995) 'Nominalization and Passive Voice.'Available: http://papyr.com/hypertextbooks/english101/table101.html.

Kolln, M. (1994) *Understanding English Grammar.*4th Ed. New York: McMillan.

Laird, Johnson P. (1968) "The Choice of the Passive Voice in a Communication Task," Br. J. Psychol. 59(1), pp. 7 – 15.

Palmer, F. R. (1974) *The English Verb.* London (a Revision of a Linguistic Study of English Verb,1965).

"PassiveVoice" Retrieved from: http://uncyclopedia.wikia.com\wiki\passive_voic.

Quirk, R. & Greenbaum, S. (1995) *A University of Grammar.* Essex: Longman Group.

Quirk, R.; Greenbaum, S.; Leech, G. & Svartvik, J. (1985) *A Comprehensive Grammar of The English Language.* London: Longman Group.

Smith, G. (1997) 'Function of Passive.' Available: http://www.wm.edu/CAS/modlang/grammar.html.

(i)ــ ينظر : الدماميني ، العيون الغامزة ، ص24.

(ii)ــ للدكتور عبدالمنعم خضر الزُّبيدي فضل عليّ كبير ؛ وذلك عندما نبهني إلى طريقة التقطيع العروضي بالمقاطع الصوتية ، والمقطع عنده هو أصغر وحدة صوتية لغوية في النطق ، وهو في الشعر العربي عنده ثلاثة أنواع : مقطع قصير مثل (بـُ)، ومقطع طويل مثل (قدْ)، ومقطع شديد الطول مثل (بَانْ).
علماً بأنه قد استقاها من المستشرقين الذين استخدموها في دراساتهم ، ومنها مقالاتهم في دائرة المعارف الإسلامية ، وذكرها جويار في كتابه (نظرية جديدة في العروض العربي) ترجمة منجي الكعبـــي ، ص14 من المقدمة ،

وص37 وص44 . وذكرها د.صفاء خلوصي في كتابه (فن التقطيع الشعري والقافية) ص1 . وذكرها إيفالد قبلهما في القرن التاسع عشر الميلادي .
أما الأخفش فقد حدّد المقاطع في العربية قبلهم جميعاً من دون أن يذكر مصطلح المقطع صراحة وذلك في كتابه (العروض) الذي صدر بتحقيق د.أحمد محمد عبدالدايم عبدالله ص123. ولكن كتاب (الجامع في العروض والقوافي) الذي صنّفه أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي المتوفى سنة 342هـ وحققه وقدّم له د.زهير زاهد والأستاذ هلال ناجي جاء يحمل إلينا "دقة المصنِّف في تصنيف المقاطع اللغوية ؛ فقد وضّح لنا أن اللغويين العرب وأولهم الخليل بن أحمد واضع علم العَروض كانوا يدركون المقاطع اللغوية بَدْءاً بأصغر مقطع ..."[العَروضي ، الجامع ، ص19 من مقدمة المحققَين] عندما قال: "فالكلام أصوات مؤلفة وأصل الأصوات الحركة ، وأطول منها الحرف الساكن لأن الحركة لا تكون إلاّ في حرف ، والحرف المتحرك أطول من الحرف الساكن ؛ لأنه حرف وحركة ، فالمتحرك حرف حيّ ، والساكن حرف ميّت"[العروضي ، الجامع ، ص56] وقال:" اعلم أن الحرف الخفيف هو الساكن ، والحرف الثقيل هو الحرف المتحرك ؛ لأن الساكن هو حرف فقط وهو الخفيف ، والمتحرك هو حرف وحركة وهو الثقيل"[العروضي، الجامع، ص79]، فقد أدرك أبو الحسن العروضي المقطع اللغوي مبكراً بإدراكه أن الحرف الساكن أخفّ من الحرف المتحرك ؛ لأن المتحرك يتألف من صوتين الساكن والحركة !.
ويُرمز للمقطع القصير بالرمز (ب) وللمقطع الطويل بالرمز (ـــ).

[iii]ــ الدماميني ، العيون الغامزة ، ص24.
[iv]ــ المرجع نفسه ، ص64.
[v]ــ المرجع نفسه ، ص57 ــ ص58. وينظر : المحلّي ، شفاء الغليل ، ص24. نقلاً عن : الإسناوي ، نهاية الراغب (مخطوط). وينظر : الراضي ، شرح تحفة الخليل ، ص34.
[vi]ــ المحلّي ، شفاء الغليل ، ص24. نقلاً عن : الإسناوي ، نهاية الراغب (مخطوط)، نسخة 1 ص86.
[vii]ــ جاءت كتابة (فاعلاتن) مفروقة الوتد على هيأة (فاع لا تن) في مخطوط كتاب الجامع ص157.
[viii]ــ كُتبت (مستفعلن) مفروقة الوتد على صيغة (مُسْ تَفْع لُنْ) في مخطوط كتاب الجامع ص153.
[ix]ــ الجوهري ، عروض الورقة ، ص11.
[x]ــ الجوهري كان يعدّ العلة ضمن الزحاف ولا يفرّق بينهما .
[xi]ــ الجوهري عروض الورقة ، ص45.
[xii]ــ المرجع نفسه ، ص11.
[xiii]ــ ابن القطاع ، البارع ص71 من المتن .
[xiv]ــ لعله يريد الاشتباه فيهما .
[xv]ــ محقق البارع د.أحمد عبدالدائم ، ص71 (الهامش).
[xvi]ــ يقصد ابن القطاع البيت على مجزوء الخفيف : كل خَطْب ... الوارد ذكره لاحقاً .
[xvii]ــ ابن القطاع ، البارع ، ص166 ــ ص167.
[xviii]ــ د.أحمد عبدالدايم ، محقق كتاب البارع ، ص37 (من الدراسة).
[xix]ــ الدماميني ، العيون الغامزة ، ص205.
[xx]ــ ابن القطاع ، البارع ، ص165 (من المتن).
[xxi]ــ المحقق د.محمد عبدالدائم ، البارع ، ص166، الهامش رقم 4 .
[xxii]ــ ينظر : البارع ، ص172 (المتن).
[xxiii]ــ المحقق د.محمد عبدالدائم ، البارع ، ص172 (الهامش).
[xxiv]ــ ابن القطاع ، البارع ، ص174 (المتن).
[xxv]ــ المحقق د.محمد عبدالدائم ، البارع ، ص174 (الهامش).
[xxvi]ــ يُراجَع ذلك في ص1 وص3 من هذه الدراسة .
[xxvii]ــ ينظر : البارع ، ص75 في الهامش رقم 6 ، وهو من صُنع المحقق .
[xxviii]ــ يُنظر : العروضي ، الجامع في العروض والقوافي ، ص140.
[xxix]ــ المرجع نفسه ، ص142.
[xxx]ــ يُنظر : العروضي ، الجامع في العروض والقوافي ، ص147.
[xxxi]ــ المرجع نفسه ، ص148.
[xxxii]ــ د.إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر ، ص52 ، ص53 (بتصرف).
[xxxiii]ــ د.العلمي ، العروض والقافية ، ص83.
[xxxiv]ــ ينظر : د.سيد البحراوي ، العروض وإيقاع الشعر العربي ، ص50.
[xxxv]ــ د.البحراوي ، العروض وإيقاع الشعر العربي ، ص26. إشارةً ونقلاً عن : د.كمال أبوديب ، في البنية الإيقاعية للشعر العربي ، ص468.

([xxxvi])ــ ينظر : د.إبراهيم أنيس ، موسيقا الشعر ، ص53. وقد عبــّر عن رأي الدكتور أنيس الدكتور البحراوي بأسلوبه الخاص الوارد هنا بالنص من دون إشارة منه إلى أنه تصرف في النّصّ ، ينظر ص32.
([xxxvii])ــ د.البحراوي ، العروض وإيقاع الشعر العربي ، ص26.
([xxxviii])ــ السيد محمد الدمنهوري ، الإرشاد الشافي (الحاشية الكبرى)، ص35.
([xxxix])ــ د.البحراوي ، العروض وإيقاع الشعر العربي ، ص27 (بتصرف).
([xl])ــ المرجع نفسه ، ص29.
([xli])ــ د.علي يونس ، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي ، ص88 ، هامش 2 ، 3.
([xlii])ــ المرجع نفسه ، ص187 .
([xliii])ــ إضافة توضيحية رأيتها .
([xliv])ــ د.علي يونس ، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي ، ص187.
([xlv])ــ المرجع نفسه ، ص181 (بتصرف).
([xlvi])ــ المرجع نفسه ، ص187 (الهامش).
([xlvii])ــ المرجع نفسه والصفحة ذاتها (المتن).
([xlviii])ــ المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
([xlix])ــ الحالة الأولى كما أوردها الباحث في متن الصفحة 188 :(مستفعلن) أو (مستفع لن):
ـــ ـــ ب ـــ (الخفيف والمجتث).
×

الحالة الثانية كما أوردها الباحث في متن الصفحة 188 :(مفعولاتُ):
ـــ ـــ ـــ ب(المنسرح والمقتضب).
×

الحالة الثالثة كما أوردها الباحث في متن الصفحة 188 :(فاعلاتن) أو (فاع لا تن):
ـــ ب ـــ ـــ (المضارع).
×

([l])ــ د.علي يونس ، نظرة جديدة في موسيقا الشعر العربي ، ص188.
([li])ــ عزالدين التنوخي ، إحياء العروض ، ص170.
([lii])ــ ينظر : المرجع نفسه ، ص186.
([liii])ــ جلال الحنفي ، العروض : تهذيبه وإعادة تدوينه ، ص42 ، الهامش رقم (1).
([liv])ــ المرجع نفسه ، ص62 ، الهامش رقم (1).
([lv])ــ ينظر : المرجع نفسه ، ص282.
([lvi])ــ المرجع نفسه ، ص35 ، الهامش رقم (4).
([lvii])ــ د.أحمد مستجير ، مدخل رياضي ، ص40.
([lviii])ــ المحلّي ، شفاء الغليل ، ص138.
([lix])ــ د.أحمد مستجير ، مدخل رياضي ، ص40.
([lx])ــ الدماميني ، العيون الغامزة ، ص27.
([lxi])ــ عَدَدْتُ تفعيلة (مُتَفاعلن) [ب ـــ (ب ـــ)] هي تفعيلة الرجز (مُسْ تف علن) [ـــ ـــ (ب ـــ)] انحلّ مقطعها الطويل الأول إلى مقطعين قصيرين . كما عددتُ تفعيلة (مفاعَ لَ تن) [(ب ـــ) ب ـــ] هي تفعيلة (مفا عي لن) [(ب ـــ) ـــ ـــ] انحلّ المقطع الطويل الأول بعد الوتد إلى مقطعين قصيرين . فلم أذكرهما ضمن التفاعيل الأصلية ، والخليل نفسه أرجع ميزان الكامل إلى الرجز ، والوافر إلى الهزج عند الإضمار كما ورد عند عبدالصاحب المختار في كتابه (دائرة الوحدة) ص44 في الهامش.